

بخار الأئمة

الجامعة الإسلامية الأئمة الأطهار

تأليف

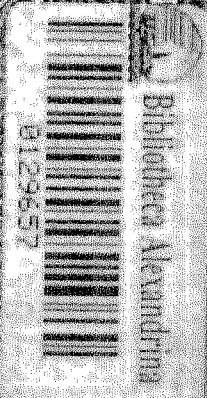
المعلم العلامة الحجة فخر الأئمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي

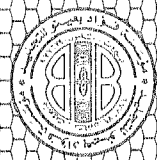
«وَلَا تَنْسُوا اللَّهَ»

مؤسسة الوقاية

بغروت - لبنان







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الجامعة الأردنية - الأمانة العامة

مَجَلَّةُ الْأَخْبَارِ

الْجَامِعَةُ لِذُرْرِ أَخْبَارِ الْأَيْمَةِ الْأَطْهَارِ

تَأَلَّفَ

بِالْمَكْتَلِبِ لِعَلَّامَةِ الْمَجَّةِ فَخْرِ الْأُمَّةِ الْمُؤَلَّى

الْشَيْخِ مُحَمَّدِ بَاقِرِ الْمَجَلِسِيِّ

”قَدِّسَ اللهُ سِرَّهُ“

الْجُزْءُ السِّتُونُ

دَارُ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

بِكَيْوُتِ - لُبْنَانِ

الطبعة الثالثة المصححة
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان - بناية كليوباترا - شارع دكاش - ص.ب ٧٩٥٧/١١
تلفون المستودع: ٢٧٤٦٩٦ - ٢٧٣.٣٢ - ٢٧٨٧٦٦ - المنزل ٨٢.٧١١ - ٨٣.٧١٧
بكرقيا، التراث - تلاكس LE/٢٣٦٤٤ تراث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٩

﴿ باب ﴾

﴿ الرياح و أسبابها و أنواعها ﴾

الآيات :

البقرة : و تصريف الرياح (١) .

الاعراف : و هو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته (٢) .

الحجر : و أرسلنا الرياح لواقح (٣) .

الاسراء : فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم (٤) .

الانبياء : و لسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها (٥)

الفرقان : و هو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته (٦) .

النمل : و من يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته (٧) .

الروم : و من آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته و لتجري

(١) البقرة : ١٦٤ .

(٢) الاعراف : ٥٧ .

(٣) الحجر : ٢٢ .

(٤) الاسراء : ٦٩ .

(٥) الانبياء : ٨١ .

(٦) الفرقان : ٤٨ .

(٧) النمل : ٦٣ .

الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١) .
 وقال تعالى : ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفرةً لظلوا من بعده يكفرون (٢) .
 الذاريات : والذاريات ذرواً (٣) . وقال سبحانه : وي عاد إذ أرسلنا عليهم
 الريح العقيم (٤) .

القمر : إننا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر (٥) .
 المرسلات : والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً فالناشرات نشراً (٦) .
 تفسير : « وهو الذي أرسل الرياح بشراً » قال الرازي : حدث الريح أنه هواء
 متحرك ، فنقول : كون هذا الهواء متحركاً ليس لذاته ولا للوازم ذاته وإلا لدامت
 الحركة بدوام ذاته ، فلا بد أن يكون بتحريك الفاعل المختار وهو الله جل جلاله .
 قالت الفلاسفة : ههنا سبب آخر ، وهو أنه يرتفع من الأرض أجزاء أرضية لطيفة
 مسخنة (٧) تسخيناً قوياً شديداً ، فبسبب تلك السخونة الشديدة ترتفع وتتصاعد ، فإذا
 وصلت إلى القرب من الفلك كان الهواء الملتصق بمقعر (٨) الفلك متحركاً على استدارة
 الفلك بالحركة المستديرة التي حصلت لتلك الطبقة من الهواء ، فهي تمنع هذه الأبخرة
 من الصعود بل تردّها عن سمت حركتها ، فحينئذ ترجع تلك الأبخرة وتتفرق في الجوانب
 وبسبب ذلك التفرق تحصل الرياح ، ثم كلما كانت تلك الأبخرة أكثر وكان صعودها
 أقوى كان رجوعها أيضاً أشدّ حركة فكانت الرياح أشدّ وأقوى . هذا حاصل ما ذكره
 وهو باطل ، ويدلّ على بطلانه وجوه :

(١) الروم ، ٤٤ .

(٢) الروم ، ٥١ .

(٣) الذاريات ، ١ .

(٤) الذاريات ، ٤١ .

(٥) القمر ، ١٩ .

(٦) المرسلات ، ١-٣ .

(٧) في المصدر : تسخنة .

(٨) بقعر (ع) .

الاول : أن صعود الأجزاء الأرضية إنما يكون لشدة تسخينها ، ولاشك أن ذلك التسخن عرضي ، لأن الأرض باردة يابسة بالطبع ، فإذا كانت تلك الأجزاء الأرضية متصغرة جداً كانت سريعة الانفعال ، فإذا تصاعدت ووصلت إلى الطبقة الباردة من الهواء امتنع بقاء الحرارة فيها بل تبرده جداً ، وإذا بردت امتنع بلوغها في الصعود إلى الطبقة الهوائية المتحركة بحركة الفلك ، فبطل ما ذكره .

الثاني : هب أن تلك الأجزاء الدخانية صعدت إلى الطبقة الهوائية المتحركة بحركة الفلك ، لكنها لما رجعت وجب أن تنزل على الاستقامة ، لأن الأرض جسم ثقيل ، والثقل إنما يتحرك بالاستقامة ، والرياح ليست كذلك ، فإنها تتحرك يمناً ويسرة .

الثالث : أن حركة تلك الأجزاء الأرضية النازلة لا تكون حركة قاهرة ، فإن الرياح إذا أحضرت الغبار الكثير ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحس أحد بنزولها وترى هذه الرياح تطلع الأشجار وتهدم الجبال وتموج البحار .

الرابع : أنه لو كان الأمر على ما قالوه لكنت الرياح كلما كانت أشد وجب أن يكون حصول الأجزاء الغبارية الأرضية أكثر ، لكنه ليس الأمر كذلك ، لأن الرياح قديعظم عصفها وهبوبها في وجه البحر مع أن الحس يشهد بأنه ليس في ذلك الهواء المتحرك العاصف شيء من الغبار والكدر ، فبطل ما قالوه .

وقال المنجّمون : إن قوى الكواكب هي التي تحرك هذه الرياح وتوجب هبوبها وذلك أيضاً بعيد ، لأن الموجب لهبوب الرياح إن كان طبيعة الكواكب وجب دوام الرياح بدوام تلك الطبيعة ، وإن كان الموجب هو طبيعة الكواكب بشرط حصوله في البرج المعين ودرجة المعينة وجب أن يتحرك هواء كل العالم وليس كذلك . وأيضاً قد بينا أن الأجسام متماثلة فاخصاص الكواكب المعين و البرج المعين والطبيعة التي لأجلها اقتضت ذلك الأثر الخاص لا بد وأن يكون بتخصيص الفاعل المختار فثبت أن محرك الرياح هو الله سبحانه ، وثبت بالدليل العقلي أيضاً صحة قوله «وهو الذي يرسل الرياح» .

قوله « نشرا » أي منتشرة متفرقة ، فجزء من أجزاء الريح يذهب يمينا ، وجزء آخر يذهب يسرة ، وكذا القول في سائر الأجزاء ، فإن كل واحد منها يذهب إلى جانب آخر ، فنقول : لاشك أن طبيعة الهواء طبيعة واحدة ونسبة الأفلاك والأنجم والطبائع إلى كل واحد من الأجزاء من ذلك الريح نسبة واحدة ، فاختصاص بعض أجزاء الريح بالذهاب يمينا والجزء الآخر بالذهاب يسرة وجب أن لا يكون ذلك إلا بتخصيص الفاعل المختار (١)

« بين يدي رحمته » أي بين يدي المطر الذي هو رحمته ، فإن قيل : فقد نجد المطر ولا تتقدمه الرياح ، قلنا : ليس في الآية أن هذا التقدم حاصل في كل الأحوال فلم يتوجه السؤال . وأيضاً فيجوز أن تتقدمه هذه الرياح وإن كنا لا نشعر بها . وعن ابن عمر : الرياح ثمان ، أربع منها عذاب وهو : القاصف ، والعاصف ، والصرصر ، والعقيم ، وأربع منها رحمة : الناشرات ، والمبشرات ، والمرسلات ، والذاريات . وعن النبي ﷺ : نصرت بالصبا ، وأهلك عاد بالبور ، والجنوب من ريح الجنة . و عن كعب : لوحبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيام لا تن أكثر الأرض (٢) .

« فيرسل عليكم قاصفاً من الريح » قال الطبرسي - ره - : أي فإذا ركبت البحر أرسل عليكم ريحاً شديده كاسرة للسفينة ، وقيل : الحاصب : الريح المهلكة في البر والقاصف : المهلكة في البحر . « فيغرقكم بما كفرتم » من نعم الله (٣) .

« أن يرسل الرياح » قال البيضاوي : أي الشمال والصبا والجنوب ، فإنها رياح الرحمة ، وأما الدبور فريح العذاب ، ومنه قوله ﷺ « اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً » وقرأ ابن كثير والحمزة والكسائي « الريح » على إرادة الجنس « مبشرات » بالمطر « وليذيقكم من رحمته » يعني المنافع التابعة لها ، وقيل : الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها أو الروح الذي هو مع هبوبها ، والعطف على علّة

(١) مفاتيح الغيب : ج ١٤ ، ص ١٤٠ (من المطبوع بمصر)

(٢) مفاتيح الغيب : ج ١٤ ، ص ١٤١ .

(٣) مجمع البيان ، ج ٦ ، ص ٤٢٨ .

محذوفة دلّ عليها « مبشّرات » أو عليها باعتبار المعنى ، أو على « يرسل » بإضمار فعل معكّل دلّ عليه . « و لتبتغوا من فضله » يعني تجارة البحر ^(١) .

« فأوه مصفراً » أي فأو الأثر والزرع ، فأنه مدلول عليه بما تقدّم ، وقيل : السحاب لأنّه إذا كان مصفراً لم يمطر ، واللام موطّئة للقسم دخلت على حرف الشرط . وقوله « لظلّوا من بعده يكفرون » جواب سدّ مسدّ الجزاء و لذلك فسّر بالاستقبال وهذه الآية ^(٢) ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبّرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكّرهم وسوء رأيهم ، فإنّ النظر السويّ يقتضي أن يتوكّلوا على الله ويلجئوا ^(٣) إليه بالاستنفار إذا احتبس القطر عنهم ولم يأسوا من رحمته ، وأن يبادروا إلى الشكر والاستدامة بالطاعة إذا أصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار ، وأن يصبروا على بلائه إذا ضرب زروعهم بالأصفرار ولم يكفروا نعمه ^(٤) .

أقول : وقد مرّ تفسير الذاريات بالرياح التي تذرو التراب و هشيم النبت . وقال الطبرسي - ره - : الريح العقيم هي التي عقت عن أن تأتي بخير ، [و] من تنشئة سحب ، أو تلقيح شجر ، أو تذريرة طعام ، أو نفع حيوان ، فهي كالمرأة الممنوعة عن الولادة ، إذ هي ريح الإهلاك ^(٥) . وقال في قوله تعالى « ريحاً صرصراً » أي شديدة الهبوب ، وقيل : باردة من الصرّ وهو البرد « في يوم نحس ^(٦) مستمرّ » أي دائم الشؤم ، استمرّ عليهم بنحوسه « سبع ليال وثمانية أيام » حتّى أمت عليهم ، وقيل : إنّه كان يوم الأربعاء آخر الشهر لا يدور ، رواه العياشيّ بالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام ^(٧) .

(١) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٢) في المصدر ، الايات .

(٣) في المصدر ، يلتجئوا .

(٤) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .

(٥) مجمع البيان ، ج ١٩ ، ص ١٥٩ .

(٦) في المصدر ، أي في يوم شوم .

(٧) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ١٩٠ .

أقول : وقد مر أيضاً تفسير « المرسلات عرفاً » بالرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس ، و« العاصفات عصفاً » بالرياح الشديديات الهبوب ، و« الناشرات نشراً » بالرياح التي تأتي بالمطر تنشر السحاب نشراً للغيث .

١ - **الفقيه** : قال علي عليه السلام : للريح رأس و جناحان (١) .

بيان : لعلّ الكلام مبني على الاستعارة ، أي يشبه الطائر في أنها تطير إلى كل جانب ، وفي أنها في بدء حدوثها قليلة ثم تنتشر كالطائر الذي بسط جناحه ، و الله يعلم .

٢ - **الفقيه** : عن كامل ، قال : كنت مع أبي جعفر عليه السلام بالعريض ، فهبت ريح شديدة ، فجعل أبو جعفر عليه السلام يكبر ، ثم قال : إن التكبير يردّ الرياح . وقال عليه السلام : ما بعث الله ريحاً إلا رحمة أو عذاباً ، فإذا رأيتموها فقولوا : اللهم إنا نسألك خيرها وخير ما أرسلت له ، ونعوذ بك من شرّها وشرّ ما أرسلت له ، وكبّروا وارفعوا أصواتكم بالتكبير فإنه يكسرّها (٢) .

٣ - وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما خرجت ريح قط إلا بمكيال إلا زمن عاد ، فإنها عتت على خزّ أنها فخرجت في مثل خرق الإبرة فأهلكت قوم عاد (٣) .

٤ - وقال الصادق عليه السلام : نعم الريح الجنوب ، تكسر البرد عن المساكين ، و تلقح الشجر ، و تسيل الأودية (٤) .

٥ - وقال علي عليه السلام : الرياح خمسة ، منها العقيم فنعوذ بالله من شرّها ، و كان النبي صلى الله عليه وآله إذا هبت ريح صفراء أو حمراء أو سوداء تغير وجهه واصفرّ ، وكان كالخائف الوجل حتى ينزل من السماء قطرة من مطر فيرجع إليه لونه ، و يقول : جاءكم بالرحمة (٥) .

٦ - **توحيد المفضل** : قال : قال الصادق عليه السلام : أنبهك يا مفضل على الريح وما فيها ، ألت ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد يأتي على

(٢١) الفقيه ، ١٤٢٠ .

(٢٣) الفقيه ، ١٣٣٠ .

النفوس ، و يحرض الأصحاء ، و ينهك المرضى ، و يفسد الثمار ، ويعفن البقول ، و يعقب الوباء في الأبدان و الآفة في الغلات ؟ ففي هذا بيان أن هبوب الرياح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق . و أثبتك عن الهواء بخلة أخرى ، فإن الصوت أثر يؤثره اصطلاك الأجسام في الهواء ، و الهواء يؤديه إلى المسامع ، و الناس يتكلمون في حوائجهم و معاملاتهم طول نهارهم و بعض ليلهم ، فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلا العالم منه ، فكان يكرههم و يفسدهم ، و كانوا يحتاجون في تجديده و الاستبدال به أكثر مما يحتاج إليه في تجديد القراطيس ، لأن ما يلقى من الكلام أكثر مما يكتب ، فجعل الخلاق الحكيم - جل قدسه - هذا الهواء قرطاساً خفيفاً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم ^(١) حاجتهم ، ثم يمحي فيعود جديداً نقياً و يحمل ما حمل أبداً بلا انقطاع ، و حسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة وما فيه من المصالح ، فإنه حياة هذه الأبدان و الممسك لها من داخل بما يستنشق منه ، و من خارج بما تباشر من روحه ، و فيه تطرد هذه الأصوات فيؤدي بها من البعيد ، و هو الحامل لهذه الأرايح ينقلها من موضع إلى موضع . ألا ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهبّ الرياح ؟ فكذلك الصوت ، و هو القابل لهذا الحرّ و البرد اللذين يعتقبان على العالم لصلاحه ، و منه هذه الرياح الهابّة ، فالريح تروح عن الأجسام ، و تزجي السحاب من موضع إلى موضع ليعمّ نفعه حتى يستكثف فيمطر و تفضّه حتى يستخفّ فيتفشّى و تلتفح الشجر ، و تسير السفن ، و ترخي الأطعمة ، و تبرّد الماء ، و تشب النار ، و تجفّ الأشياء النديّة ، و بالجملة إنها تحيي كل ما في الأرض ، فلولا الريح لذرى النبات ، و مات الحيوان ، و حمت الأشياء و فسدت .

بيان : ركود الريح سكونها ، و التحريض إفساد البدن ، و نهكته الحمى أي أضنته و هزلته ، و قوله « و الهواء يؤديه » يدل على ماهو المذهب المنصور من تكييف الهواء بكيفية الصوت كما فصل في محله . و يقال : كربه الأمر أي شق عليه ، و فدحه

الذَّيْنِ أَي أَثْقَلَهُ ، وَرَيْثَمَا فَعَلَ كَذَا أَي قَدَرَ مَا فَعَلَهُ . وَ « يَبْلُغُ » إِذَا عَلِيَ بِنَاءِ الْمَجْرُودِ بِالْعَالَمِ فَاعِلُهُ ، أَوْ عَلِيَ التَّفْعِيلُ فَالْهَوَاءُ فَاعِلُهُ ، وَالرُّوحُ - بِالْفَتْحِ - الرَّاحَةُ وَنَسِيمُ الرِّيحِ - وَاطَّرَدَ الشَّيْءُ : تَبَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا وَجَرَى . وَالْأَرَايِيحُ : جَمْعُ رِيحٍ . وَتَرْجِي السَّحَابِ - عَلِيَ بِنَاءِ الْإِفْعَالِ - أَي تَسَوَّقَهُ ، وَتَفَضَّهَ أَي تَفَرَّقَهُ ، وَالتَّفَشُّي : الْإِنْتِقَارُ ، وَتَرْخِي الْأَطْعَمَةِ - عَلِيَ [بِنَاءِ] التَّفْعِيلِ أَوْ الْإِفْعَالِ - أَي تَصَيَّرَهَا رَخْوَةً لَطِيفَةً ، وَتَشَبَّ النَّارِ أَي تَوَقَّدَهَا .

٧ - **العلل** : عن أبيه ، عن محمد بن يحيى ، عن الحسين بن إسحق التاجر ، عن علي بن مهزيار ، عن الحسن بن الحسين ، عن محمد بن فضيل ، عن العرزمي ، قال : كنت مع أبي عبد الله عليه السلام جالساً في الحجر تحت الميزاب ورجل يخاصم رجلاً وأحدهما يقول لصاحبه : والله ماتدري من أين تهبّ الريح ، فلما أكثر عليه فقال له أبو عبد الله عليه السلام : هل تدري أنت من أين تهبّ الريح ^(١) ؟ فقال : لا ، ولكنني أسمع الناس يقولون ، فقلت أنا لأبي عبد الله عليه السلام : من أين تهبّ الريح ^(٢) ؟ فقال : إن الريح مسجونة تحت الركن ^(٣) الشامي ، فإذا أراد الله عز وجل أن يرسل ^(٤) منها شيئاً أخرجته إما جنوباً فجنوب ، وإما شمالاً فشمال ، وإما صباء فصباء ، وإما دبوراً فدبور ، ثم قال : وآية ذلك أنك ترى ^(٥) هذا الركن متحرراً كأبدأ في الصيف والشتاء ^(٦) والليل والنهار ^(٧) .

معاني الاخبار : عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن

(١) في الكافي ، هل تدري أنت فقال لا .

(٢) في معاني الاخبار ، من أين تهب الريح جعلت فداك .

(٣) في الكافي والمعاني ، تحت هذا الركن .

(٤) في الكافي ، يخرج .

(٥) في المصادر ، لانزال ترى .

(٦) لفظه « الشتاء » في المصادر مقدمة على « الصيف » .

(٧) علل الشرائع ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .

العباس بن معروف ، عن علي بن مهزيار ، عن محمد بن الحسين ^(١) عن محمد بن الفضيل عن العرزمي مثله ^(٢) .

الكافي : عن أبي علي الأشعري ، عن بعض أصحابه ، عن محمد بن الفضيل مثله ^(٣) .
بيان : قوله « مسجونة » يحتمل أن يكون كناية عن قيام الملائكة الذين بهم تهب تلك الرياح فوَّقه عند إرادة ذلك كما سيأتي ، ولعل المراد بحركة الركن حركة الثوب المعلق عليه .

٨ - **العلل** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن إبراهيم بن هاشم ، عن النوفلي عن السكوني ، عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تسبوا الرياح فإنها مأمورة ، ولا تسبوا الجبال ولا الساعات ولا الأيام ولا الليالي فتأثموا وترجع عليكم ^(٤) .

بيان : الغرض النهي عن سب الرياح و البقاع و الجبال و الأيام و الساعات فإنها مقهورة تحت قدرة الله سبحانه مسخرة له تعالى لا يملكون تأخراً عما قدمهم إليه ولا تقدماً إلى ما أخرهم عنه ، فسبهم سب لمن ^(٥) لا يستحقه ، ولعن من لا يستحق اللعن يوجب رجوع اللعنة على اللاعن ، بل هو مظنة الكفر والشرك لولا غفلتهم عما يؤول إليه ، كما ورد في الخبر : لا تسبوا الدهر فإنه هو الله ، أي فاعل الأفعال التي تنسبونها إلى الدهر و تسبونه بسببها هو الله تعالى .

٩ - **تفسير علي بن ابراهيم** : « وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » التي لاتلقح الشجر ولا تنبت النبات ، وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله « فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً » والصرصر : الباردة ، « في أيام نحسات » أيام مياشيم ^(٦) .

(١) في الممانى ، محمد بن الحسين .

(٢) ممانى الاخبار ، ٣٨٥ .

(٣) الكافي ، ج ٨ ، ص ٢٧١ .

(٤) علل الشرائع ، ج ٢ ، ٢٦٤ .

(٥) من (خ) .

(٦) تفسير القمي ، ٤٤٨ .

١٠ - **ومنه** : « و أرسلنا الرياح لواقع » قال : التي تلقح الأشجار (١) .

١١ - **العلل** : عن أبيه ، عن محمد بن يحيى العطار ، عن محمد بن أحمد ، عن السياري رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : لم سميت ريح الشمال ؟ قال : لأنها تأتي من شمال العرش (٢) .

بيان : كون ريح الشمال من شمال العرش لأنها تهب من قبل الركن الشامي وهو في يسار الكعبة إذا فرضت رجلاً موجهاً إلينا والحجر الأسود عن يمين الكعبة وقد ورد في الخبر أن العرش محاذ للكعبة ، فيمينه يمينها و يساره يسارها ، و يوضح ذلك ما رواه الصدوق أيضاً في العلل بإسناده عن بريد العجلي ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كيف صاز الناس يستلمون الحجر والركن اليماني ولا يستلمون الركنين الآخرين ؟ قال : إن الحجر الأسود والركن اليماني عن يمين العرش ، وإنما أمر الله تبارك و تعالى أن يستلم ما عن يمين عرشه ، قلت : فكيف صار مقام إبراهيم عن يساره ؟ قال : لأن إبراهيم مقاماً في القيامة ولمحمد عليه السلام مقاماً ، فمقام محمد عليه السلام عن يمين عرش ربنا عز وجل ومقام إبراهيم عليه السلام عن شمال عرشه ، فمقام إبراهيم في مقامه يوم القيامة و عرش ربنا مقبل غير مدبر .

وحاصله أنه ينبغي أن يتصور أن البيت بإزاء العرش و حذائه في الدنيا والآخرة ، و البيت بمنزلة رجل وجهه إلى الناس ، و وجهه الطرف الذي فيه الباب فإذا توجه إنسان إلى البيت من جهة الباب كان المقام و الركن الشامي عن يمينه والحجر [الأسود] والركن اليماني عن يساره ، فإذا فرض البيت إنساناً موجهاً تنعكس النسبة ، فيمينه يحاذي يسارنا و بالعكس . « و عرش ربنا مقبل » أي بمنزلة رجل مقبل ، و يمكن أن يكون تسمية الجانب الذي يلي الشامي شمالاً في خبر السياري لأنه أضعف جانبي الكعبة كما أن الشمال أضعف جانبي الإنسان ، لأن أشرف

(١) المصدر ، ٣٥٠ .

(٢) علل الشرائع : ٢٤١ ، ص ٢٦٣ .

أجزاء الكعبة وهي الحجر والركن اليماني^١ واقعة على الجانب المقابل ، فهو بمنزلة اليمين .

١٢ - **العلل** : بالإسناد إلى وهب ، قال : إنَّ الرِّيحَ العقيمَ تحت هذه الأرض التي نحن عليها قد زمت بسبعين ألف زمام من حديد ، قد وكل بكل زمام سبعون ألف ملك ، فلما سلطها الله عز وجل على عاد استأذنت خزنة الرِّيح ربها عز وجل أن تخرج منها في مثل منخر الثور ، ولو أذن الله عز وجل لها ما تركت شيئاً على ظهر الأرض إلا أحرقت ، فأوحى الله عز وجل إلى خزنة الرِّيح أن أخرجوا منها في مثل ثقب الخاتم فأهلكوا بها ، و بها ينسف الله عز وجل الجبال نسفاً ، والتلال والآكام والمدائن والقصور يوم القيامة ، وذلك قوله عز وجل^٢ « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً^(١) » والقاع الذي لا نبات فيه ، و الصفصاف الذي لا عوج فيه ، و الأمت المرتفع . و إنما سميت العقيم لأنها تلتقت بالعذاب و تعقمت عن الرحمة كتعقم الرجل^(٢) إذا كان عقيماً لا يولد له - الخبر -^(٣) .

بيان : قال الجوهري^٤ : نسفت البناء نسفاً : قلعت . وقال : القاع المستوى من الأرض وكذا الصفصاف . وقال : الأمت المكان المرتفع ، وقوله تعالى « لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً » أي لا انخفاض فيها ولا ارتفاع .

١٣ - **قصص الراوندي** : بإسناده إلى الصدوق ، عن أبيه ، عن سعد ، عن ابن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن زرعة ، عن سماعة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا هاجت الرياح فجاءت بالسافي الأبيض والأسود والأصفر فإنه رميم قوم عاد .

بيان : في القاموس : سفت الرِّيح التراب تسفيه : ذرته ، أو حملته - كأسفته - فهو سافٍ و سفي (انتهى) أقول : يمكن تخصيصه ببعض البلاد القريبة من بلادهم كمدينة ضاعف الله شرفها - ولا بعد في التعميم أيضاً .

(١) طه : ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) الرحم (خ) .

(٣) علل الشرائع : ج ١ ص ٣١ و الخبر موقوف لا اعتداد به .

١٤ - العياشي : عن ابن وكيع ، عن رجل ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تسبوا الرياح ، فإنها بشر ، وإنها نذر ، وإنها لواقع ، فاسألوا الله من خيرها و تعوذوا به من شرها .

بيان : أي إننا مأمورة مبعوثة بأمر الله إما للبخارة بالمطر وغيره ، أو للإذاز أولاً لفتح الأشجار ، أو لسوق السحب إلى الأقطار كما مر ، فسبها باطل لا ينفعكم بل يضركم ، فاسألوا الله الذي بعثها ليجعلها نافعة لكم ، و يصرف شرها عنكم .

١٥ - العياشي : عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لله رياح رحمة لواقع ينشرها بين يدي رحمته .

١٦ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن محمد بن رئاب . (١) و هشام بن سالم ، عن أبي بصير ، قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرياح الأربع : الشمال ، و الجنوب ، و الصبا ، و الدبور ، و قلت له : إن الناس يذكرون أن الشمال من الجنة و الجنوب من النار ، فقال : إن الله عز وجل جنوداً من رياح يعذب بها من يشاء ممن عصاه ، فلكل رياح منها ملك موكل بها ، فإذا أراد الله عز وجل أن يعذب قوماً بنوع من العذاب أوحى إلى الملك الموكل بذلك النوع من الرياح التي يريد أن يعذبهم بها ، قال : فيأمرها الملك فتهبج كما يهبج الأسد المغضب . و قال : ولكل رياح منهن اسم ، أما تسمع قوله عز وجل « كذبت عاد فكيف كان عذابي و نذر إننا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر » (٢) و قال « الرياح العقيم » (٣) ، و قال « رياح فيها عذاب أليم » (٤) ، و قال « فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت » (٥) ، و ما ذكر من الرياح التي يعذب الله بها من عصاه . و قال : والله عز

(١) في المصدر « على بن رئاب » و الظاهر أنه الصحيح لعدم ذكر من « محمد بن رئاب » في كتب الرجال .

(٢) القمر : ١٩

(٣) الذاريات : ٤١ .

(٤) الاحقاف : ٢٤ .

(٥) البقرة : ٢٦٦ .

ذكره رياح رحمة لواقع وغير ذلك ينشرها بين يدي رحمة ، منها ما يهيج السحاب للمطر
و منها رياح تجسب السحاب بين السماء والأرض ، ورياح تعصر السحاب فتمطر باذن
الله ، ومنها رياح تفرق السحاب ، ومنها رياح بمآخذ^(١) الله في الكتاب ، فأما الرياح
الأربع الشمال والجنوب والصبأ والدبور فإنما هي أسماء الملائكة الموكلين بها
فإذا أراد الله أن يهب شمالاً أمر الملك الذي اسمه الشمال فيهبط على البيت الحرام
فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه^(٢) ، ففرقت ريح الشمال حيث يريد الله من
البر والبحر^(٣) ، فإذا أراد الله أن يبعث جنوباً أمر الملك الذي اسمه الجنوب فهبط
على البيت الحرام ، فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه^(٤) ، ففرقت^(٥) ريح
الجنوب في البر والبحر حيث يريد الله ، وإذا أراد الله أن يبعث^(٦) الصبا أمر الملك
الذي اسمه الصبا فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه^(٧)
ففرقت ريح الصبا حيث يريد الله عز وجل في البر والبحر ، وإذا أراد الله أن يبعث دبوراً
أمر الملك الذي اسمه الدبور فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي ، فضرب
بجناحه^(٨) ففرقت ريح الدبور حيث يريد الله من البر والبحر . ثم قال أبو جعفر
عليه السلام : أما تسمع لقوله : ريح الشمال ، وريح الصبا ، وريح الدبور
إنما تضاف إلى الملائكة الموكلين بها^(٩) .

الخصال : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفار ، عن
العباس بن معروف ، عن ابن محبوب مثله ، إلى قوله « فكيف كان عذابي ونذر » وذكر
رياحاً في العذاب ثم قال : فريح الشمال وريح الصبا وريح الجنوب وريح الدبور أيضاً

(١) عداؤه (خ) .

. (٢) و٤٧ و٨٠ بجناحيه (خ) .

(٣) في المصدر ، وإذا ،

(٥) ففرقت (خ) .

(٦) في المصدر ، ريح الصبا .

(٩) الكافي ، ج ، ص ٩٢ .

تضاف إلى الملائكة الموكلين بها (١) .

بيان : قال الفيروزآبادي : الشمال بالفتح و يكسر : الريح التي تهب من قبل الحجر ، أو ما استقبلك عن يمينك و أنت تستقبل القبلة ، و الصحيح أنه ما مهبته بين مطلع الشمس و بنات النعش ، أو من مطلع النعش إلى مسقط النسر الطائر ، و يكون اسماً و صفة ، و لا تكاد تهب ليلاً . و قال : الجنوب ريح تخالف الشمال ، مهبته (٢) من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا . و قال : الصبا ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش و قال : الدبور ريح تقابل الصبا . و قال الشهيد - قدس سره - في الذكري : الجنوب محلها ما بين مطلع سهيل إلى مطلع الشمس في الاعتدالين ، و الصبا محلها ما بين الشمس إلى الجدي ، و الشمال محلها من الجدي إلى مغرب الشمس في الاعتدال ، و الدبور محلها من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل . قوله تعالى « و نذر » أي إنذار لهم بالعذاب قبل نزولها ، أو لمن بعدهم في تعذيبهم . و الريح العقيم قيل هي الدبور ، و قيل هي الجنوب و قيل : النكباء . و قال الجوهري : الإعصار ريح تثير الغبار إلى السماء كأنه عمود و قيل هي ريح تثير سحاباً ذات رعد و برق . قوله **عَلَيْهَا** « فتفرقت ريح الشمال » لايتوهم أنه يلزم من ذلك أن يكون مهب جميع الرياح جهة القبلة ، و ذلك لأنه لعظمة الملك و جناحه يمكن أن يتحرك رأس جناحه بأي موضع أراد ، و يرسلها إلى أي جهة أمر بالإرسال إليها ، و إنما أمر بالقيام على الكعبة لشرافتها و كونها في محل رحمته تعالى و مصدرها . و قيل : ضرب الجناح علامة أمر الملك الريح للهبوب . قوله **عَلَيْهَا** « أما تسمع لقوله » أي لقول القائل ، و كأنه **عَلَيْهَا** استدل بهذه العبارات الشائعة على ما ذكره من أنها أسماء الملائكة ، إذا ظاهر من الإضافة كونها لامية و البيانية نادرة و إن كان القائلون لم يعرفوا هذا المعنى لأنهم سمعوا ممن تقدمهم و هكذا إلى أن ينتهي إلى من أطلق ذلك على وجه المعرفة .

(١) الخصال ، ١٢٣ .

(٢) في القاموس ، مهبها .

١٧ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أبي يحيى الواسطي ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ الله تبارك و تعالی ریحاً یقال لها « الأزیب » لو أرسل منها مقدار منخر الثور لأثارت ما بين السماء والأرض وهي الجنوب (١) .

بیان : قوله « وهي الجنوب » من كلام بعض الرواة أو من كلامه عليه السلام ، و علی التقديرین لعل المراد به أنها نوع منها أوقرب منها . قال في القاموس : الأزیب كالأحمر الجنوب (٢) و النكباء تجري بينها و بین الصبا . وقال : النكباء ریح انحرقت و وقعت بین ریحین ، أو بین الصبا و الشمال ، أو نكب الرياح الأربع ، الأزیب : نكباء الصبا و الجنوب ، و الصایبة - و تسمى النکیباء أيضاً - : نكباء الصبا و الشمال ، و الجریاء : نكباء الشمال و الدبور وهي نیحة الأزیب ، و الهیف : نكباء الجنوب و الدبور وهي نیحة النکیباء . و نحوه قال الجوهري . و قال : كل ریح استطالت أترا فهبت علیه ریحاً طولاً فهي نیحة ، فان اعترضته فهي نسیجته .

١٨ - نوادر الراوندى : بإسناده عن جعفر بن محمد ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : نصرت بالصبا ، واهلكت عاد بالدبور ، وماهاجت الجنوب إلا سقى الله بها غيثاً و أسال بها وادياً .

١٩ - الاحتجاج : قال الصادق عليه السلام للزناديق الذي سأله مسائل : الريح لو حبست أياماً لفسدت الأشياء جميعاً و تغيرت (٣) . و سأله عن جوهر الريح فقال : الريح هواء إذا تحرك سمي ريحاً ، فإذا سكن سمي هواءً ، و به قوام الدنيا ، ولو كفت (٤) الريح ثلاثة أيام لفسد كل شيء على وجه الأرض و تن ، و ذلك أن الريح بمنزلة المروحة تذب و تدفع الفساد عن كل شيء و تطيبه ، فهي بمنزلة الروح إذا

(١) الكافي ، ج ٨ ، ص ٢١٧ .

(٢) في المصدر ، أو .

(٣) الاحتجاج ، ١١٧ .

(٤) في المخطوطة ، كثفت .

خرج عن البدن تن البدن و تغير ، تبارك الله أحسن الخالقين (١) .

٢٠ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله بن سنان ، عن معروف بن خربوذ ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله عز وجل رياح رحمة ورياح عذاب ، فإن شاء الله أن يجعل الرياح من (٢) العذاب رحمة فعل ، قال : ولن يجعل الله الرحمة من الريح عذاباً ، قال : وذلك أنه لم يرحم قوماً قط أطاعوه وكانت طاعتهم إياه وبالاً عليهم إلا من بعد تحولهم عن طاعته . قال : وكذلك فعل بقوم يونس لما آمنوا رحمة الله بعد ما كان قدر عليهم العذاب وقضاه ، ثم تداركهم برحمته فجعل العذاب المقدّر عليهم رحمة ، فصرفه عنهم وقد أتزله عليهم وغشيم ، وذلك لما آمنوا به وتضرعوا إليه . قال : وأما الريح العقيم فإنها رياح عذاب لا تلمح شيئاً من الأرحام ولا شيئاً من النبات ، وهي رياح تخرج من تحت الأرضين السبع ، وما خرجت منها رياح قط إلا على قوم عاد حين غضب الله عليهم ، فأمر الخزان أن يخرجوا منها على مقدار سعة الخاتم ، قال : فعتت على الخزان أن فخرج منها على مقدار منخر الثور تقيضاً منها على قوم عاد ، قال : فضج الخزان إلى الله عز وجل من ذلك فقالوا : ربنا إننا قد عتت عن أمرنا ، إننا نخاف أن تهلك من لم يعصك من خلقك وعمار بلادك ا قال : فبعث الله إليها جبرئيل ، فاستقبلها بجناحه ، فردّها إلى موضعها وقال لها : اخرجي على ما أمرت به ، قال : فخرجت على ما أمرت به ، و أهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم (٣) .

٢١ - الشهاب : عن النبي صلى الله عليه وآله قال : نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور .
الضوء : الصبا هي الرياح التي تضرب قفا المصلي ، و بإزائها الدبور ، و الشمال التي تضرب يمين المصلي ، و بإزائها الجنوب ، و قالوا : مهب الصبا المستوي أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ، وزعموا أن الدبور تزعج السحاب وتشخصه في الهواء ثم تسوقه ، فإذا علا كشفت عنه واستقبلته الصبا فوضعت بعضه على بعض حتى تصير

(١) الاحتجاج ، ١٩٢ .

(٢) في المصدر : ان يجعل العذاب من الرياح .

(٣) الكافي : ج ٨ ، ص ٩٢ .

كسفاً واحداً ، والجنوب تلحق روادفه به وتمدّه من الممدد ، و الشمال تمرّق السحاب .
و النكباء هي التي بين الصبا و الشمال ، و الذي في الحديث إشارة إلى نصره الله تعالى
رسوله بالصبا لما أرسلها على الأحزاب .

٢٢ - وعن ابن عمر : الرياح ثمانية : أربع منها رحمة و أربع عذاب ، فأما
الرحمة فالنشرات ، و المبشرات ، و المرسلات ، و الذاريات ، و أما العذاب فالعقيم ، و
الصرصر و هما في البر ، و العاصف و القاصف في البحر .

٢٣ - وروي أنه فتح على عاد من الريح التي أهلكتهم مثل حلقة الخاتم .
٢٤ - وعن مجاهد : ما بعث الله عزّ وجلّ ريحاً إلا بمكيال ، إلا يوم عاد فأثابها
عتت على الخزنة فلم يدر ما مقدارها .

٢٥ - وفي الحديث : إن الله تعالى خلق في الجنة ريحاً ، و إن من دونها باباً
مغلقاً ، و لوفتح ذلك الباب لأذرت ما بين السماء و الأرض و هي الأزيب ، و هي
عندكم الجنوب .

٢٦ - وعن العوام بن حوشب أنه قال : تخرج الجنوب من الجنة فتمرّ على جهنم
فغمّها منه و بركتها من الجنة ، و تخرج الشمال من جهنم فتمرّ على الجنة ، فروحها
من الجنة و شرّها من النار . قلت : و قد سمعت أن السموم لا تكون إلا الشمال
تهبّ على الرمال المضطربة و الأرضين المتوجهة فتكسى للطافتها و رققتها منها زيادة
الحرارة ، فتهبّ ناراً ملتهبة فتقتل و تسود الجلود .

٢٧ - و قال كعب : لو حبس الله الريح من الأرض ثلاثة أيّام لأتت ما بين السماء
و الأرض .

٢٨ - و كان النبي ﷺ إذا رأى الريح قد هاجت يقول : اللهم اجعلها رياحاً
ولا تجعلها ريحاً .

و أكثر ما في القرآن من الرياح للخير و الريح بالعكس من ذلك . و قيل : الريح
الهواء المتحرك . و فائدة الحديث الإنباء بأن الله تعالى خلق نصره في الأحزاب بريح
الصبا ، تكبّتهم على وجوههم ، و تثير السافياء في أعينهم ، فيعجزون عن مقاومة أصحاب

النبي ﷺ . وراوي الحديث سعيد بن جبير عن ابن عباس .

٢٩ - الدر المنثور : عن أبي بن كعب ، قال : كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة ، وكل شيء في القرآن من الرياح فهو عذاب (١) .

٣٠ - وعن ابن عباس ، قال : الماء والرياح جندان من جنود الله ، والرياح جند الله الأعظم (٢) .

٣١ - وعن ابن عباس ، وعن ابن عمر ، قالوا : الرياح ثمان ، أربع منها رحمة وأربع منها عذاب ، فأما الرحمة فالناشرات ، والمبشرات ، والمرسلات ، والذاريات . وأما العذاب فالعقيم ، والصرصر وهما في البر ، والعاصف ، والقاصف وهما في البحر . وفي رواية ابن عباس مكان الذاريات « الرخاء » (٣) .

٣٢ - وفي رواية أخرى : الرياح سبع : الصبا ، والدبور ، والجنوب ، والشمال والحزوق ، والنكباء ، وريح القائم ، فأما الصبا فتجيء من المشرق ، وأما الدبور فتجيء من المغرب ، وأما الجنوب فتجيء عن يسار القبلة ، والشمال (٤) عن يمين القبلة ، وأما النكباء فبين الصبا والجنوب ، وأما الحزوق فبين الشمال والدبور ، وأما رياح القائم فأنفاس الخلق (٥) .

٣٣ - وعن الحسن ، قال : جعلت الرياح على الكعبة . فإذا أردت أن تعلم ذلك فأسند ظهرك إلى باب الكعبة ، فإن الشمال عن شمالك ، وهي مما يلي الحجر والجنوب عن يمينك وهي مما يلي الحجر الأسود ، والصبا عن مقابلك وهي مستقبل باب الكعبة ، والدبور من دبر الكعبة (٦) .

٣٤ - وعن حسن (٧) بن علي الجعفي ، قال : سألت إسرائيل بن يونس ، على

(١) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٢) في المصدر ، فيجاء عن .

(٣) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٤) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٥) في المصدر ، حسين .

أي شيء سميت الريح؟ قال: على القبلة، شماله الشمال، وجنوبه الجنوب، والصبا ماجاء من قبل وجهها، والدبور ماجاء من خلفها (١).

٣٥ - وعن ابن عباس، قال: الشمال ما بين الجدي ومطلع الشمس، والجنوب ما بين مطلع الشمس وسهيل، والصبا ما بين مغرب الشمس إلى الجدي، والدبور ما بين مغرب الشمس إلى سهيل.

٣٦ - وعن كعب: لو احتبست الريح عن الناس ثلاثة أيام لأثن ما بين السماء والأرض (٢).

٣٧ - وعن صفوان بن سليم، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تسبوا الريح وعودوا بالله من شرها (٣).

٣٨ - وعن ابن عباس أن رجلاً لعن الريح فقال له النبي ﷺ: لا تلعن الريح فإنها مأمورة، فإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه (٤).

٣٩ - وعن ابن عباس، قال: ما هبت ريح قط إلا جأ النبي ﷺ على ركبتيه وقال: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً.

قال ابن عباس: تفسير (٥) ذلك في كتاب الله: «أرسلنا ريحاً صرصراً» «فأرسلنا عليهم الريح العقيم» وقال: «وأرسلنا الرياح لواقح» «وأرسلنا عليهم الرياح مبشرات» (٦).

٤٠ - وعن مجاهد، قال: هاجت ريح فبسوها، فقال ابن عباس: لا تسبوها فإنها تجيء بالرحمة وتجيء بالعذاب، ولكن قولوا: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً (٧).

٤١ - وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تسبوا الليل والنهار، ولا الشمس، ولا القمر، ولا الريح، فإنها تبعث عذاباً على قوم ورحمة على آخرين (٨).

(٣-١) الدر المنثور، ج ١، ص ١٦٤.

(٤) الدر المنثور، ج ١، ص ١٦٤.

(٥) في المصدر، والله ان تفسر...

(٨-٥) الدر المنثور، ج ١، ص ١٦٥.

٤٢- وعن ابن عباس ، قال : الريح العقيم الشديدة التي لا تلقح الشجر ولا تثير السحاب ، ولا بركة فيها ولا منفعة ، ولا ينزل منها غيث ولا يلقح بها شجر^(١) .

٤٣- وعن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ الريح مسجنة في الأرض الثانية ، فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك عاداً قال : أي رب ! أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور ؟ قال له الجبار : لا ، إذ أتكفأ الأرض ومن عليها ! ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم ، فهي التي قال الله « ماتذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالريم^(٢) » .

٤٤- وعن سعيد بن المسيب ، قال ؟ هي الجنوب .

٤٥- وعن علي بن أبي طالب قال : لم تنزل قطرة من ماء إلا بمكيال علي يد^(٣) ملك إلا يوم الطوفان^(٤) فإنه أذن لها دون الخزان فخرجت ، وذلك^(٥) قوله « إنا لما طغى الماء » ولم ينزل شيء من الريح إلا بمكيال^(٦) علي يد^(٧) ملك إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخزان فخرجت ، فذلك قوله « بريح صرصر عاتية » عنت علي الخزان^(٨) .

٤٦- وعنه عن النبي ﷺ قال : نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور . وقال : ما أمر الخزان أن يرسلوا علي عاد إلا مثل موضع الخاتم من الريح ، فعتت علي الخزان فخرجت من نواحي الأبواب ، فذلك قول الله « بريح صرصر عاتية » قال : عتوها عنت علي الخزان فبدأت بأهل البادية منهم ، فحملتهم بمواشيهم و بيوتهم فأقبلت بهم إلى

(١ و ٢) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ١١٥ . و الاولى منهما ثلاث روايات عن ابن عباس جمعها المؤلف - ره - في رواية واحدة .

(٣) في المصدر ، يدي ملك .

(٤) د د ، نوح .

(٥) د د : ... دون الخزان ، فطغى الماء علي الخزان فخرج ، فذلك ..

(٦) د د : الا بكيل .

(٧) في المصدر ، يدي ملك

(٨) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٢٥٩

الحاضرة ، فلما رأوها قالوا : هذا عارض ممطرنا ، فلما دنت الرياح أظلمت استبقوا^(١) الناس و المواشي فيها فألقت البادية على أهل الحاضرة فقصقتهم^(٢) فهلكوا جميعا^(٣) .
٤٧ - وعن قبيصة بن ذؤيب ، قال : ما يخرج من الرياح شيء إلا عليها خزان يعلمون قدرها وعددها ووزنها وكيلها حتى كانت الرياح التي أرسلت إلى عاد ، فاندفق منها شيء لا يعلمون قدره ولا وزنه ولا كيله غضباً لله ، و لذلك سميت عاتية ، والماء كذلك حتى^(٤) كان أمر نوح عليه السلام و لذلك سمى طاغية^(٥) .

٤٨ - وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رسول الله ﷺ : الرياح ثمان ، أربع منها عذاب ، و أربع منها رحمة ، فالعذاب منها : العاصف و الصرصر و العقيم و القاصف ، و الرحمة منها : الناشرات و المبشرات و المرسلات و الذاريات . فيرسل الله المرسلات فتثير السحاب ، ثم يرسل المبشرات فتلقح السحاب ، ثم يرسل الذاريات فتحمل السحاب فتندر كما تدر اللقحة ، ثم تمطر وهن اللواقح . ثم يرسل الناشرات فتنشر ما أراد^(٦) .

٤٩ - وعن خالد بن عرعة ، قال : قام رجل إلى علي فقال : ما العاصفات عصفاء؟ قال : الرياح^(٧) .

بيان : في القاموس : الحزيق : الريح الباردة الشديدة الهبابة كالحزوق واللينة السهلة ضد^١ و الراجعة المستمرة السير أو الطويلة الهبوب ، واللححه - بالفتح والكسر - : الناقة الحلوب .

ذئابة

ذكر الفلاسفة في سبب حدوث الرياح على أصولهم أن البخار إذا ثقل بواسطة

(١) في المصدر ، استبق .

(٢) في المصدر ، تقصقتهم .

(٣) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٢٥٩ .

(٤) في المصدر : حين كان .

(٥) المصدر ، ج ٦ ، ص ٢٥٩ .

(٦) (٧) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٣٠٣ .

البرودة المكتسبة من الطبقة الزمهريرية و اندفع إلى أسفل فصار لتسخنه بالحركة الموجبة لتلطيفه هواءً متحرراً و هو الريح ، وقد يكون الاندفاع يعرض بسبب تراكم السحب الموجبة لحركة ما يليها من الهواء لامتناع الخلاء ، فيصير السحاب من جانب إلى جهة أخرى ، وقد يكون لانبساط الهواء بالتخلخل في جهة و اندفاعه من جهة أخرى ، وقد يكون بسبب برد الدخان المتصاعد بعد وصوله إلى الطبقة الزمهريرية و تزوله .

قالوا : ومن الرياح ما يكون سموماً محرقةً لا حترقه في نفسه بالأشعة السماوية أولحدوثه من بقية مادة الشهب ، أو لمروره بالأرض الحارة جداً لأجل غلبة ناريتها عليها . وقد يقع تقاوم في ما بين ريحين متقابلتين قويتين تلتقيان فتستديران ، أو في ما بين رياح مختلفة الجهة حادثة ، فتدافع تلك الرياح الأجزاء الأرضية المشتملة عليها فتضغط تلك الأجزاء بينها مرتفعة كأنها تلتوي على نفسها ، فيحصل الدوران المسمى بالزوبعة و الإعصار ، و ربما اشتملت الزواجع العظام على قطعة من السحاب بل على بخار مرتفع ^(١) قترى ناراً تدور ، و مهاب الرياح اثنا عشر ، و هي حدود الأفق الحاصلة من تقاطعه مع كل من دائرة نصف النهار و الموازيتين لها المماسيتين للدائمة الظهور و الخفاء ، و دائرة المشرق و المغرب الاعتداليين و الموازيتين لها المساويتين ^(٢) برأس السرطان و الجدي ، و لكل ربيع منها اسم ، و المشهورات عند العرب أربعة : ربيع الشمال ، و ربيع الجنوب و ربيع الصبا و هي الشرقية ، ربيع الدبور و هي الغربية و البواقي تسمى نكباء .



(١) مشتمل (خ) .

(٢) في المخطوطة ، المارتين .

٣٠

﴿باب﴾

﴿الماء وأنواعه والبحار وغرائبها وما ينعقد فيها ، وعلة المد﴾

﴿ (و الجزر ، و الممدوح من الانهار و المنموم منها) ﴾

الآيات :

ابراهيم : وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار (١) .
النحل : و هو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً و تستخرجوا منه حلية
تلبسونها و ترى الفلك مواخر فيه و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون و ألقى في الأرض
رواسي أن تميد بكم و أنهاراً (٢) .

الفرقان : و هو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات و هذا ملح أجاج و جعل
بينهما برزخاً و حجراً محجوراً (٣) .

النمل : و جعل خلالها أنهاراً و جعل لها رواسي و جعل بين البحرين حاجزاً (٤) .
فاطر : و ما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه و هذا ملح أجاج و
من كل تأكلون لحماً طرياً و تستخرجون حلية تلبسونها و ترى الفلك مواخر فيه و لتبتغوا
من فضله و لعلكم تشكرون (٥) .

حمهسق : و من آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد
على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبوا و يعف عن كثير

(١) ابراهيم ، ٣٢ .

(٢) النحل ، ١٤ - ١٥ .

(٣) الفرقان ، ٥٣ .

(٤) النمل ، ٦١ .

(٥) فاطر ، ١٢ .

و يعلم الَّذِينَ يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص (١) .
الجهانية : الله الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفَلَكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
 وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢) .

الطور : وَ الْبَحْرَ الْمَسْجُورَ (٣) .

الرحمن: مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما
 تكذَّبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذَّبان وله الجوار المنشآت
 في البحر كالأعلام (٤) .

الملك : قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين (٥) .
المرسلات : وَ أَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا (٦) .

تفسير : « وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ » إثمًا نسب إليه سبحانه مع أنه من أعمال العباد
 لأنه لولا أنه تعالى خلق الأشجار الصلبة التي منها يمكن تركيب السفن ، ولولا خلقه
 الحديد و سائر الآلات ، و لولا تعريفه العباد كيف يتخذونها ، ولولا أنه تعالى خلق
 الماء على صفة السلاسة التي باعتبارها يصبح جري السفينة فيه ، ولولا خلقه تعالى الرياح
 وخلق الحركات القويّة فيها ، و لولا أنه وسَّعَ الأَنْهَارَ وجعل لها من العمق ما يجوز
 جري السفن فيها ؛ لما وقع الارتفاع بالسفن ، فصار لأجل أنه تعالى هو الخالق لهذه
 الأحوال و هو المدبّر لهذه الأمور و المسخّر لها حسنت إضافته إليه ، وقيل : لما كان
 يجري على وجه الماء كما يشبهه الملاح صار كأنه حيوان مسخّر له . « بأمره » أي بقدرته
 و إرادته .

(١) الشورى : ٢٣ - ٢٥ .

(٢) الجاثية ، ١٢ .

(٣) الطور ، ٦ .

(٤) الرحمن ، ١٩١ - ٢٣ .

(٥) الملك : ٣٠ .

(٦) المرسلات ، ٢٧ .

« وسخر لكم الأنهار » لما كان ماء البحر قلماً ينتفع به في الزراعات لاجرم ذكر تعالى إنعامه على الخلق بتفجير الأنهار والعيون حتى ينبعث الماء منها إلى مواضع الزروع والنبات . و أيضاً ماء البحر لا يصلح للشرب والصالح لهذا مياه الأنهار .
 « و هو الذي سخر البحر » أي جعلها بحيث يتمكنون من الاتقاع به بالركوب والاصطياد والغوص . « لتأكلوا منه لحماً طرياً » هو السمك ، و وصفه بالطراوة لأنه أرطب اللحوم فيسرع إليه الفساد فيسارع إلى أكله ولا يظهر قدرته في خلقه عذباً طرياً في ماء زعاق . « حلية تلبسونها » كالؤلؤ والمرجان . « وترى الفلك » أي السفن « مواخر فيه » أي جوارى فيه يشقه بخرومها من المخرو وهو شق الماء ، وقيل : صوت جري الفلك . « و لتبتغوا من فضله » أي من سعة رزقه بركوبها للتجارة « ولعلكم تشكرون » أي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها .

« و هو الذي مرج البحرين » قال البيضاوي : « خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان ، من مرج دابته إذا خلاها . « هذا عذب فرات » قامع للعطش من فرط عذوبته « و هذا ملح أجاج » بليغ الملاحاة ^(١) « وجعل بينهما برزخاً » حاجزاً من قدرته « وحجراً محجوراً » و تنافراً بليغاً كأن « كلاً منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوز عليه ، وقيل : حداً محدوداً ، و ذلك كدجلة يدخل البحر فيشقّه فيجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمهما ^(٢) . وقيل : المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل ، و بالبحر الملح البحر الكبير ، وبالبرزخ ما يحول بينهما من الأرض ، فتكون القنطرة في الفصل و اختلاف الصفة ، مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر أن تضامّت وتلاصقت و تشابهت في الكيفية ^(٣) (انتهى) ويقال : إن نهر آمل تدخل بحر الخزر ويبقى على عذوبته ولا يختلط بالمالح ، و يأخذون منه الماء العذب في وسط البحر ، فيمكن على تقدير صحته أن يكون داخلاً تحت الآية أيضاً .

(١) في المصدر ، الملوحة .

(٢) طعمها (ع) .

(٣) انوار الخنزير ، ج ٢ ، ص ١٦٧ .

« وما يستوي البحرين » ضرب مثل للمؤمن والكافر ، و الفرات : الذي يكسر العطش ، و السائح : الذي يسهل انحداره ، و الا جاج : الذي يحرق بملوحته « و من كل تأكلون » استطراد في صفة البحرين و ما فيهما ، أو تمام التمثيل ، و المعنى : كما أنهما و إن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث إنهما لا يتساويان في ما هو المقصود بالذات من الماء ، فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي المؤمن والكافر و إن اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة و السخاوة لاختلافهما في ما هو الخاصية العظمى و بقاء أحدهما على الفطرة الأصلية دون الآخر ، أو تفضيل للأجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع ، والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت .

« و من آياته الجوار في البحر » قرأ نافع وأبو عمرو « الجواري » بياء في الوصل والوقف ، والباقون بحذفها على التخفيف « كالأعلام » أي كالجبال ، فهذه السفن العظيمة التي تكون كأنها الجبال تجري على وجه الماء عند هبوب الرياح على أسرع الوجوه وعند سكونها تقف ، فيه دلالة على وجود الصانع المسبب لتلك الأسباب وقدرته الكاملة وحكمته إتامة ، لأنه تعالى خص كل جانب من جوانب الأرض بنوع من الأمتعة و إذا نقل متاع هذا الجانب إلى ذلك الجانب في السفن و بالعكس حصلت المنافع العظيمة في التجارة . « فيظللن رواكد » أي فيبقين ثوابت « على ظهره » أي ظهر البحر . « لكل صبار » أي لكل من و كل همته وحبس نفسه على النظر في آيات الله و التفكير في آياته ، أو لكل مؤمن كامل ، فإنه روي أن الإيمان نصفان : نصف صبر ، و نصف شكر . « أو يوبقهن » أي يهلكهن بإرسال الرياح العاصفة المغرفة ، والمراد إهلاك أهلها لقوله « بما كسبوا » وأصله : أو يرسلها فيوبقهن لأنه قسم « يسكن الرياح » فاقصر فيه على المقصود ، كما في قوله « ويعف عن كثير » إذا المعنى : أو يرسلها عاصفة فيوبق ناساً بذنوبهم و ينجي ناساً على العفو منهم ، و قرىء « يعفو » على الاستئناف . « ويعلم الذين يجادلون في آياتنا » عطف على علة مقدرة ، مثل : لينتقم منهم ويعلم... أو على الجزاء و نصب نصب الواقع جواباً للأشياء الستة لأنه أيضاً غير واجب ، و قرأ نافع و ابن عامر بالرفع على الاستئناف ، و قرىء بالجزم عطفاً على « يعف » فيكون

المعنى : أو يجمع بين إهلاك وإنباء قوم و تحذير آخرين . « ما لهم من محيص » من معيد من العذاب .

« الله الذي سخر لكم البحر » بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالأخشاب ولا يمنع الغوص فيه « لتجري الفلك فيه بأمره » أي بتسخيره وأتم ركبوها « و لتبتغوا من فضله » بالتجارة و الغوص و الصيد و غيرها « وأتم تشكرون » هذه النعم .

« و البحر المسجور » أي المملو و هو المحيط ، أو الموقد من قوله « وإذا البحار سجرت » كما روي أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار ناراً يسجر بها جهنم ، أو المختلط ، من السجير و هو الخليلط ، و قيل : هو بحر معروف في السماء يسمى بحر الحيوان .

« مرج البحرين » أي أرسلهما ، والمعنى : أرسل البحر الملح و البحر العذب « يلتقيان » أي يتجاوران و تتماس سطوحهما ، أو بحري فارس و الروم يلتقيان في المحيط لأنهما خليجان يتشعبان منه « بينهما برزخ » أي حاجز من قدرة الله تعالى أو من الأرض « لايبغيان » أي لايبغي أحدهما على الآخر بالممازجة و إبطال الخاصية أو لا يتجاوزان حدّيهما ، أو باغراق ما بينهما . وقال الطبرسي - ره - : قيل : المراد بالبحرين بحر السماء و بحر الأرض ، فإن في السماء بحراً يمسكه الله بقدرته ينزل منه المطر فيلتقيان في كل سنة ، و بينهما حاجز يمنع بحر السماء من النزول و بحر الأرض من الصعود ، عن ابن عباس وغيره ، و قيل : إنهما بحر فارس و بحر الروم فإن آخر طرف هذا يتصل بآخر طرف ذلك و البرزخ بينهما الجزائر ، وقيل : مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط بجملةهما « لايبغيان » أي لا يطلبان أن يختلطا (١) .

« يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » أي كبار الدر و صغاره ، وقيل : المرجان الخمر

(١) مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ٢٠١ .

الأحمر ، و إن صحَّ أن الدرَّ يخرج من المالح^(١) فعلى الأول إنما قال « منهما » لأنه يخرج من مجتمع المالح^(٢) والعذب ، أولاً ثمهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد وكان المخرج من أحدهما كالمخرج منها ، ذكره البيضاوي^(٣) . وقال الرازي : اللؤلؤ لا يخرج إلا من المالح فكيف قال « منهما » ؟ نقول : الجواب عنه من وجوه^(٤) : الأول ظاهر كلام الله أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس الذي لا يوثق بقوله ، و من علم أن اللؤلؤ لا يخرج من الماء العذب ؟ غاية علمكم^(٥) أن الغواصين ما أخرجوه إلا من المالح ، و لكن لم قلت^(٦) إن الصدف لا يخرج اللؤلؤ بأمر الله من الماء العذب إلى الماء المالح ؟ وكيف يمكن الجزم به ، والأمر الأريضة الظاهرة خفيت عن التجار الذين قطعوا المفاز و داروا البلاد فكيف لا يخفى عليهم ما في قعور البحور ؟ الثاني أن نقول : إن صحَّ قولهم أنه لا يخرج إلا من الماء المالح فنقول فيه وجوه : أحدها أن الصدف لا يتولد فيه اللؤلؤ إلا من ماء المطر وهو بحر السماء ، ثانيها أنه يتولد في ملتقاهما ثم يدخل الصدف في البحر المالح عند انعقاد الدرّ فيه لحال الملوحة ، كالمتوخمة التي تشتهي في أوائل الحمل فتنتقل هناك فلا يمكنه الدخول في العذب^(٧) . ثم ذكر بعض الوجوه المتقدمة .

وقال الطبرسي - ره - : قيل : يخرج منهما أي من ماء السماء وماء البحر ، فإن القطر إذا جاء من السماء تفتحت الأصداف فكان من ذلك القطر اللؤلؤ ، عن ابن عباس ولذلك حمل البحرين على بحر السماء و بحر الأرض ، وقيل : إن العذب و الملح يلتقيان ، فيكون العذب كاللقاح للملح ، ولا يخرج اللؤلؤ إلا من الموضع الذي يلتقي

(١) في انوار التنزيل : الملح .

(٢) انوار التنزيل : ج ٢ ، ٤٨٥ .

(٤) في المصدر : من وجهين .

(٥) في المصدر : وهب ان ...

(٦) عبارة المصدر هكذا « لكن لا يلزم من هذا أن لا يوجد في النير . سلمنا لم قلت ان

الصدف يخرج بامر الله من الماء العذب الى الماء المالح » وكان فيه تصحيحا .

(٧) مفاتيح الغيب : ج ٢٩ ، ص ١٠١ .

فيه العذب والملح ، وذلك معروف عند الملاّحين ^(١) (انتهى) .

اقول : « وله الجوار » أي السفن جمع جارية « المنشآت » أي المرفوعات الشرع أو المصنوعات . وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أي الرافعات الشرع ، أو اللاتي ينشثن الأمواج أو السّير « كالأعلام » جمع علم وهو الجبل الطويل « فبأي آلاء ربكما تكذّبان » من خلق موادّ السفن والإرشاد إلى أخذها وكيفية تركيبها وإجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره تعالى .

« إن أصبح ماؤكم غوراً » أي غائراً في الأرض بحيث لاتناله الدلاء ، مصدر ووصف به « بماء معين » أي جارٍ ، أو ظاهر سهل المأخذ . « وأسقيناكم ماءً فراطاً » يخلق الأ نهار والمنافع فيها .

١ - **العلل و العيون :** عن محمد بن عمرو بن عليّ البصريّ ، عن محمد بن عبد الله ابن أحمد الواعظ ، عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائيّ ، عن أبيه ، عن أبي الحسن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال : سألت رجلاً من أهل الشام أمير المؤمنين عليه السلام عن المدّ والجزر ماهما ؟ فقال : ملك ^(٢) موكّل بالبحار يقال له « رومان » فإذا وضع قدميه في البحر قاض ، وإذا أخرجهما غاض ^(٣) .

٢ - **العلل :** عن محمد بن عليّ ماجيلويه ، عن عمّه محمد بن أبي القاسم ، عن أحمد ابن أبي عبد الله البرقيّ ، عن أبيه ، عن خلف بن حمّاد ، عن أبي الحسن العبدديّ ، عن سليمان بن مهران ، عن عباية بن ربعيّ ، عن ابن عباس ، أنّه سئل عن المدّ والجزر فقال : إنّ الله عزّ وجلّ و كّل ملكاً بقاموس البحر ، فإذا وضع رجله ^(٤) فيه قاض وإذا أخرجهما ^(٥) غاض ^(٦) .

(١) في المصدر « الفواصين » مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ٢٠١ .

(٢) في العيون ، ملك من ملائكة الله عز وجل .

(٣) الل ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ والعيون ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٤) في المصدر ، رجله .

(٥) في المصدر ، أخرجها .

(٦) الل ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .

بيان : قال الجزري : قاموس البحر وسطه ومعظمه ، و منه حديث ابن عباس
 و سئل عن المدّ و الجزر - و ذكر الخبر - ثمّ قال : أي زاد و نقص و هو فاعول من
 القمس (انتهى) و أقول : اختلف الحكماء في سبب المدّ و الجزر على أقوال شتى ، وليس
 شيء منها ممّا يسمن أو يغني من جوع أو يروّثي من عطش . و ما ذكر في الخبر أظهرها
 و أصحّها عقلاً أيضاً ، و قد سمعت من بعض الثقات أنّه قال : إنني رأيت شيئاً عظيماً
 يمتدّ من الجوّ إلى البحر فيمتدّ ماؤه ثمّ إذا ذهب ذلك شرع في الجزر^(١) . و أمّا ما ذكره
 الحكماء في ذلك ففي رسائل إخوان الصفا : أمّا علّة هيجان البحار و ارتفاع مياهها
 و مدودها على سواحلها و شدّة تلاطم أمواجها و هبوب الرياح في وقت هيجانها إلى
 الجهات في أوقات مختلفة من الشتاء و الصيف و الربيع و الخريف و أوائل الشهور
 و أواخرها و ساعات الليل و النهار فهي من أجل أنّ مياهها إذا حمت من قرارها و سكنت
 و لطفت و تخلخلت و طلبت مكاناً أوسع ممّا كان فيه ، فتدافت بعض أجزائها بعضاً إلى
 الجهات الخمس فوقاً و شرقاً و غرباً و جنوباً و شمالاً للاتساع فيكون في الوقت الواحد
 على سواحلها أمواج مختلفة في جهات مختلفة ، و أمّا علّة هيجانها في وقت دون وقت
 فهو بحسب تشكّل الفلك و الكواكب و مطارح شعاعاتها على سطوح تلك البحار
 في الآفاق و الأوتاد الأربعة و اتصالات القمر بها عند حلوله في منازل الثمانية و
 العشرين كما هو المذكور في كتب أحكام النجوم ، و أمّا علّة مدود بعض البحار في
 وقت طلوع القمر و مغيبه دون غيرها من البحار فهو من أجل أنّ تلك البحار

(١) لو كان مادعي رؤيته مما يرى بالبحر لراءه كل من يسكن السواحل ولتواتر نقله
 فافهم ، و يمكن أنه كان قد رأى شيئاً من الابخرة المتصاعدة من بعيد مقارناً للمد فتوهم انه
 هو الذي يوجب المد و الاسباب المادية لحصول الجزر والمد وسائر ما يحدث في الارض والبحار
 و الجو صارت اليوم ببركة العلوم التجريبية من الواضحات بل تكاد تكون بديهية ولا ينافي ذلك
 ما ذكر في الروايات من استنادها إلى ارادة الله تعالى أو أعمال الملائكة ، فانها علل طولية
 تنتهي بالاخرة إلى من اليه المنتهى ، ولا يخفى ان كثيراً من الروايات الواردة في امثال هذه
 المعاني لم تسلم عن الدس والوضع مضافاً الى المناقشة في شمول ادله حجية الخبر الواحد لغير
 ما يتضمن بيان الاحكام الفرعية .

في قرارها صخور صلبة وأحجار صلدة ، فإذا أشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مطارح شعاعاته إلى تلك الصخور والأحجار التي في قرارها ، ثم انعكست من هناك راجعة ، فسخت تلك المياه وحمت و لطفت و طلبت مكاناً أوسع وارتفع إلى فوق و دفع بعضها بعضاً إلى فوق ، وتموت جت إلى سواحلها ، وفاضت على سطوحها ، ورجعت مياه تلك الأنهار التي كانت تنصب إليها إلى خلف راجعة ، فلا يزال ذلك دأبها مادام القمر مرتفعاً إلى وتد سمائه ، فإذا انتهى إلى هناك وأخذ ينحط سكن عند ذلك غليان تلك المياه و بردت وانضمت تلك الأجزاء وغلظت فرجعت إلى قرارها و جرت الأنهار على عادتها ، فلا يزال ذلك دأبها إلى أن يبلغ القمر إلى الأفق الغربي من تلك البحار ثم يبتدىء المد على عادته وهو في الأفق الشرقي ، فلا يزال ذلك دأبه حتى يبلغ القمر إلى وتد الأرض ، فينتهي المد من الرأس ، ثم إذا زال القمر من وتد الأرض أخذ المد راجعاً إلى أن يبلغ القمر إلى أفقه الشرقي من الرأس . فإن قيل : لم لا يكون المد والجزر عند طلوع الشمس وإشراقها على سطح هذه البحار ؟ فقد بيننا علل ذلك في رسالة العلل والمعلولات (انتهى) .

و قال المسعودي في مروج الذهب : المد هو مضي الماء بسجيته و سنن جريه والجزر هو رجوع الماء على ضد سنن مضيته وانعكاس ما يمضي عليه في نهجه وهما يكونان في البحر الحبشي^(١) الذي هو الصيني والهندي و بحر البصرة وفارس ، وذلك أن البحار على ثلاثة أصناف : منها ما يأتي فيه الجزر والمد و يظهر ظهوراً بيناً ، ومنها ما لا يتبين فيه الجزر والمد و يكون خفياً مستتراً ، و منها ما لا يجزر ولا يمد ، وقد تنازع الناس في علمتهما ، فمنهم من ذهب إلى أن علة ذلك القمر ، لأنه مجانس للماء وهو يسخته فيبسط ، وشبهوا ذلك بالنار إذا سخنت ما في القدر وأغلته ، وأن الماء يكون فيها على قدر النصف أو الثلثين ، فإذا غلى الماء انبسط في القدر و ارتفع و تدافع حتى يفور فتضاعف كميته في الحس لأن من شرط الحرارة أن تبسط الأجسام ، ومن شرط

(١) في المصدر ، وانكشف ما مضى عليه في هيجه وذلك كبحر الحبش .

البرودة أن تضغطها^(١) وذلك أن قعور البحار تحمي فتتولد في أرضها^(٢) عنوبة وتستحيل و تحمي كما يعرض ذلك في البلايع والآبار ، فإنحى ذلك الماء انبسط ، وإذا انبسط زاد ، وإذا زاد دفع^(٣) كل جزء منه صاحبه فظفر عن سطحه^(٤) وبان عن قعره واحتاج إلى أكثر من وهدته ، وأن القمر إذا امتلاً أحمى الجو حمياً شديداً فظهر زيادة الماء فسمي ذلك المدّ الشهري . وقالت طائفة أخرى : لو كان الجزر والمدّ بمنزلة النار إذا أسخنت الماء الذي في القدر و بسطته فيطلب أوسع منه فيفيض حتى إذا خلا قعره من الماء طلب الماء بعد خروجه منه عمق الأرض بطبعه فيرجع اضطراراً بمنزلة رجوع ما يغلي من الماء في المرجل والققمم إذا فاض لكان بالشمس أشدّ سخونة ، ولو كانت الشمس علّة مدّة لكان بدؤه مع بدء طلوع الشمس والجزر عند غيوبتها . وزعم هؤلاء أن علّة المدّ والجزر الأبخرة التي تتولد في بطن الأرض ، فإنها لاتزال تتولد وتكثف وتكثر فتدفع حينئذ ماء هذا البحر لكثافتها ، فلا تزال على ذلك حتى تنقص موادّها من أسفل ، فإذا انقطعت موادّها من أسفل تراجع الماء حينئذ إلى قعور البحر ، وكان الجزر من أجل ذلك والمدّ ليلاً ونهاراً وشتاءً وصيفاً وفي غيوبة القمر وطلوعه وفي غيوبة الشمس وطلوعها . قالوا : وهذا يدرك بحسّ البصر^(٥) لأنه ليس يستكمل الجزر آخره حتى يبدو أول المدّ ، ولا يفنى^(٦) آخر المدّ حتى يبدو أول الجزر ، لأنه لا يفتر تولد تلك البخارات حتى إذا خرجت تولد مكانها غيرها وذلك أن البحر إذا غارت مياهه ورجعت إلى قعره تولدت تلك الأبخرة لمكان ما يتصل منها من الأرض بمائه ، فكلمّا عاد تولدت و كلمّا فاض تنفست^(٧) .

(١) في المصدر تضمها .

(٢) الأرض (خ) .

(٣) في المصدر : وإذا زاد ارتفع فدفع .

(٤) في المصدر : فطفا على سطحه .

(٥) في المصدر : بالحس .

(٦) في المصدر : لا ينقضى

(٧) تنفست (خ)

وذهب آخرون من أهل الديانات : أن كل ما لا يعلم له في الطبيعة مجرى ولا يوجد له فيها قياس فله فعل إلهي يدل على توحيد الله عز وجل و حكمته وليس للمد و الجزر علة في الطبيعة البتة ولا قياس . وقال آخرون : ما هيجان ماء البحر إلا كهيجان بعض الطبائع ، فإنك ترى صاحب الصفراء و صاحب الدم وغيرهما تهتاج طبيعته وتسكن ولذلك مواد تمدها حالاً بعد حال ، فإنها قويت حاجت ثم تسكن قليلاً قليلاً حتى تعود . و ذهب طائفة إلى إبطال سائر ما وصفنا من القول وزعموا أن الهواء المطلق على البحر يستحيل دائماً ، فإنما استحال عظم ماء البحر وفار^(١) عند ذلك ، فإنما فارقاض وإذا فاض فهو المد ، فعند ذلك يستحيل ماؤه ويتنفس واستحال هواء فعاد^(٢) إلى ما كان عليه وهو الجزر وهو دائم لا يفتقر ، متصل مترادف متعاقب ، لأن الماء يستحيل هواء والهواء يستحيل ماء ، وقد يجوز أن يكون ذلك عند امتلاء القمر أكثر لأن القمر إذا امتلأ استحال ماء أكثر مما كان يستحيل قبل ذلك وإنما القمر علة لكثرة المد للمد نفسه ، لأنه قد يكون والقمر في محاقه والمد والجزر في بحر فارس يكون على مطالع الفجر في أغلب الأوقات . وقد ذهب أكثر من أرباب السفن ممن يقطع هذا البحر و يختلف إلى جزائره أن المد والجزر لا يكون في معظم هذا البحر إلا مرتين في السنة ، مرة يمد في شهور الصيف شرقاً بالشمال ستة أشهر ، فإنما كان ذلك طما الماء في مشارق البحر والصين وما والى ذلك الصقع ، و مرة يمد في شهور الشتاء غرباً بالجنوب ستة أشهر ، وإذا كان ذلك طما الماء في مغارب البحر و الجزر بالصين ، وقد يتحرك البحر بتحرك الرياح فإن الشمس إذا كانت في الجهة الشمالية تحرك الهواء إلى الجهة الجنوبية ، فلذلك تكون البحار في جهة الجنوب في الصيف لهبوب الشمال طامية عالية ، و تقل المياه في جهة البحور^(٣) الشمالية وكذلك إذا كانت الشمس في الجنوب و سار^(٤) الهواء من الجنوب إلى جهة الشمال فسال^(٥) معه ماء البحر من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية

(١) في المصدر ، وقاض عند ذلك ، و إذا فاض البحر فهو المد .

(٢) في المصدر : يتنفس فيستحيل هواء فيعود ...

(٣) في المصدر ، البحار .

(٤) و (٥) في المصدر : سار .

قلت المياه في الجهة الجنوبية ، وتنقل^(١) ماء البحر في هذين الميلين أعني في جهة^(٢) الشمال و الجنوب يسمى جزراً ومداً^(٣) ، و ذلك أن مدّ الجنوب جزر الشمال ومدّ الشمال جزر الجنوب ، فإن وافق القمر بعض الكواكب السيارة في أحد الميلين تزايد الفعلان وقوي الحر واشتد^(٤) لذلك^(٥) انقلاب ماء البحر إلى الجهة المخالفة للجهة التي فيها الشمس ، و هذارأي الكندي وأحمد بن الخصب السرخسي في ما حكى عنهما^(٥) أن البحر يتحرك بتحرك الرياح^(٦) (انتهى) .

وجملة القول فيه أن نهر البصرة والأ نهار المقاربة له يمدّ في كل يوم وليلة مرتين و يدور ذلك في اليوم واليلة ولا يخص وقتاً كطلوع الشمس وغروبها وارتفاعها وانخفاضها ، ويسمى ذلك بالمدّ اليومي ، ويكون المدّ عند زيادة نور القمر أشدّ ويسمى ذلك بالمدّ الشهري وهذا المدّ يمكن استناده إلى القمر لكونه تابعاً له في الغالب ، بمعنى أنه يحصل في أيام زيادة نور القمر ، لكن الظاهر أنه لو كانت العلة زيادة نوره لكان هذا المدّ مقارناً لها أو بعدها بزمان يتم فيه فعل القمر وتأثيره في البحر والظاهر أنه ليس تابعاً له بهذا المعنى ، وعلى تقدير صحة استناده إليه فلا ريب في بطلان ما جعله القائل الأول مناسطاً له من سخونة البحر بنور القمر لأنه مجانس للماء وكذا سخونة الجو به ، بل ربما يدعى أن نور القمر يبرد الجو والأجسام كما هو المجرب ، نعم ربما يجوز العقل تأثير القمر في المدّ لنوع من المناسبة و الارتباط بين نوره وبين الماء وإن لم نعلمها بخصوصها ، لكن يقدح فيه ما ذكرناه من عدم انضباط المقارنة^(٧) والتأخر على الوجه المذكور . وأما المدّ اليومي فبطلان استناده إلى القمر واضح واستناده

(١) في المصدر : ينتقل .

(٢) > > : جهتي .

(٣) > > : ومداً شعويًا .

(٤) > > : واشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ...

(٥) في المصدر : في ما حكاه عنه .

(٦) مروج الذهب : ج ١ ، ص ٤٨ - ٧٠ .

(٧) أو (خ) .

إلى الكواكب على انفرادها أو بمشاركة القمر بعيد غاية البعد ، وكون الكواكب عللاً له من حيث الحرارة ظاهر الفساد . وما ذكره الطائفة الثانية من أنه للأبخرة الحادثة في باطن الأرض فيرد عليه أن الأبخرة الكثيرة الكثيفة التي تفور بالبحر مع عظمتها لخروجها لو اجتمعت واحتبست في باطن الأرض ثم خرجت دفعةً كما هو الظاهر من كلامه لزم انشقاق الأرض منها انشقاقاً فاحشاً ثم التثامها في كل يوم وليلة ، لعله مما لا يرتاب أحد في أنه خلاف الواقع ولا يظهر للعقل سبب لالتثام الأرض بعد الانشقاق ، وكون كل التثام مستنداً إلى انشقاق حادث في موضع آخر من الأرض قريب من موضع الأول في غاية البعد ، ولو خرجت تدريجاً لاستلزمت غلياناً وفوراناً في البحردائماً لاهذا النوع من الحركة والامتلاء وهو واضح . وما ذكره الطائفة الثالثة من أنه كهيجان الطبائع فيرد عليه أنه لو كان المراد أنه والطبائع تهيج بلا سبب فباطل ، ولوقيل بأن ذلك مقتضى الطبيعة فذلك مما لم يقل به أحد ، ولو أريد أنه بسبب ولولم يكن معلوماً لنا ، فذلك مما لا ثمره له إذ الكلام في خصوص السبب وما ذكره الطائفة الرابعة من أنه للانقلاب فلا يظهر له وجه ولا ينطبق على تلك الخصوصيات . فالأوجه أن يقال : إننا بقدره الله وتدييره وحكمته إما بتوسط الملك إن صح الخبر ، أو بما رأى المصلحة فيه من العلل والأسباب ، فإنه تعالى المسبب لها والمقدر لأوقاتها ، ولم تكلف بالخوض في عللها وإن أمكنت مدخلية بعض تلك الوجوه التي تقدم ذكرها ، والعالم بها هو المدبر لها ، ويكفيها ما ظهر لنا من منافعها وفوائدها .

١ - الخصال : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن هلال^(١) ، عن عيسى بن عبدالله الهاشمي ، عن أبيه عن آباءه^(٢) قال : قال رسول الله ﷺ : أربعة أنهار من الجنة : الفرات والنيل وسبحان وجيحان ، فالفرات الماء في الدنيا والآخرة

(١) أحمد بن هلال أبو جعفر العبدي ضعيف جداً ، قال الشيخ في التهذيب : إن أحمد بن هلال مشهور باللعنة والنلو وروى الكشي عن أبي الحسن العسكري عليه السلام رواية تشتمل على لعنة والتبري منه كقوله عليه السلام « ومن تبرأ إلي الله من ابن هلال لارحمه الله ومن لا يبرأ منه » .

(٢) في الخصال ، عن علي عليه السلام .

والنيل العسل ، وسيحان الخمر ، وجيحان اللبن (١) .

بيان : الفرات أفضل الأ نهار بحسب الأخبار ، وقد أوردتها في كتاب المزار والنيل بمصر معروف ، وسيحان و جيحان قال في النهاية : هما نهران بالعواصم عند المصيصة و الطرسوس . وفي القاموس : سيحان نهر بالشام و آخر بالبصرة ، وسيحون نهر بماوراء النهر و نهر بالهند ، وقال : جيحون نهر خوارزم و جيحان نهر بالشام والروم معرب « جهان » (انتهى) . و ذكر المولى عبدالعلي البرجندي في بعض رسائله : إن نهر الفرات يخرج من جبال « أرزن الروم » (٢) ثم يسيل نحو المشرق إلى « ملطية » ثم إلى « سميساط » حتى ينتهي إلى الكوفة ثم تمر حتى ينصب في البطائح . وقال : النيل أفضل الأ نهار لبعده منبعه و مروره على الأحجار و الحصيات ، وليس فيه و حلولا يخضر الحجر فيه كثيره ، ويمر من الجنوب إلى الشمال و هو سريع الجري ، وزيادته في أيام نقص سائر المياه ، و منبعه مواضع غير معمورة في جنوب خط الاستواء ، ولذا لم يعلم منبعه على التحقيق . و نقل عن بعض حكماء اليونان : أن ماءه يجتمع من عشرة أنهار ، بين كل نهرين منها اثنان و عشرون فرسخاً ، فنصب تلك الأ نهار في بحيرة ثم منها يخرج نهر مصر متوجهاً إلى الشمال حتى ينتهي إلى مصر ، فإذا جازها وبلغ « شنطوف » انقسم قسمين ينصبان في البحر . وقال : سيحان منبعه من موضع طوله ثمان و خمسون درجة و عرضه أربع و أربعون درجة ، و يمر في بلاد الروم من الشمال إلى الجنوب إلى بلاد أرمن ، ثم إلى قرب « مصيصة » ثم يجتمع مع جيحان و ينصبان في بحر الروم فيما بين أياس و طرسوس ، و نهر جيحان منبعه من موضع طوله ثمان و خمسون درجة ، و عرضه ست و أربعون درجة و هو قريب من نهر الفرات في العظمة و يمر من الشمال إلى الجنوب بين جبال في حدود الروم إلى أن يمر إلى شمال مصيصة و ينصب في البحر (انتهى) .

ثم اعلم أن هذه الرواية مروية في طرق المخالفين أيضاً ، إلا أنه ليس فيها

(١) الخصال ، ١١٧ .

(٢) أرزن روم (خ) .

« قال فرات ، إلى آخر الخبر ، واختلفوا في تأويله : قال الطيبي في شرح المشكاة في شرح هذا الخبر : سيحان و جيحان غير سيحون و جيحون ، وهما نهران عظيمان جداً و خص الأربعة لعذوبة مائها و كثرة منافعها كأنها من أنهار الجنة ، أو يراد أنها أربعة أنهار هي أصول أنهار الجنة سماها بأسماء الأنهار العظام من أعذب أنهار الدنيا وأفيدتها على التشبيه ، فإن ما في الدنيا من المنافع فتموزات لما في الآخرة ، وكذا مضارها . وقال القاضي : معنى كونها من أنهار الجنة : أن الإيمان يعم بلادها وأن شاربها صائرة إليها ، والأصح أنه على ظاهرها وأن لها مادة من الجنة . وفي معالم التنزيل : أنزلها الله تعالى من الجنة و استودعها الجبال لقوله تعالى « فأسكنناه » . أقول : المشبه في الوجه الأول أنهار الدنيا ، و وجه الشبه العذوبة والهضم و البركة . وفي الثاني : أنهار الجنة ، ووجه الشهرة والفائدة والعذوبة . وفي الثالث ووجه المجاورة و الانتفاع (انتهى) .

وأقول : ظاهر الخبر مع التتمة التي في الخصال اشتراك الاسم ، و إن سميته بأسماء أنهار الجنة لفضلها و بركتها و كثرة الانتفاع بها ، و يحتمل أن يكون المعنى أن أصل هذه الأنهار و مادتها من الجنة ، فلما صارت في الدنيا انقلبت ماء ، ولا يتنافى ذلك معلومية منافعها إذ يمكن أن يكون أول حدوثها بسبب ماء الجنة ، أو يصب فيها بحيث لا نعلم ، أو يكون المراد بالجنة جنة الدنيا كما مر في كتاب المعاد وتجري من تحت الأرض إلى تلك المنابع ثم يظهر منها . ويؤيد تلك الوجوه في الجملة ما رواه الكليني بسند كامل وثق عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يدفق في الفرات في كل يوم دققات من الجنة ^(١) ، و بسند آخر رفعه إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال : نهر كم هذا - يعني ماء الفرات - يصب فيه ميزابان من ميازيب الجنة ^(٢) . وعن علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال : إن ملكاً يهبط من السماء في كل ليلة معه ثلاثة مثاقيل مسك ^(٣) من مسك الجنة فيطرحها في الفرات ، و مامن نهر في شرق الأرض ولا غربها أعظم بركة

(٢٠١) الكافي ، ٦ ، ص ٣٨٨ .

(٣) في المصدر ، مسك .

منه (١) . و أمّا التأويل بكون أهلها و شاربها صائرين إلى الجنة فهو في خصوص الفرات ظاهر ، إذ أكثر القرى و البلاد الواقعة عليه و بقربه من الإمامية و المحبين لأهل البيت عليهم السلام كما تشهد به التجربة ، و قد روى الكليني عليه السلام بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما إخال أحداً يحنك بماء الفرات إلا أحبنا أهل البيت . و قال عليه السلام : ماسقى أهل الكوفة ماء الفرات إلا لأمرماً ، و قال : يصب فيه ميزابان من الجنة (٢) أقول : قوله عليه السلام «لأمرماً» أي لرسوخ ولاية أهل البيت عليهم السلام في قلوب أهلها . و عن أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - قال : أما إن أهل الكوفة لو حنكوا أولادهم بماء الفرات لكانوا لنا شيعية (٣) . و أمّا الأيام الثلاثة الأخرى فلم أر لها في غير هذا الخبر فضلاً ، بل روى الكليني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : ماء نيل مصر يميت القلب (٤) .

٢ - الدر المنثور : عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار : سيحون و هو نهر الهند ، و جيحون و هو نهر بلخ ، و دجلة و الفرات و هما نهر العراق ، و النيل و هو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبرائيل فاستودعها الجبال و أجراها في الأرض و جعلها منافع للناس في أصناف معائشهم ، فذلك قوله : «وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكنناه في الأرض» (٥) . فإذا كان عند خروج يأجوج و ماجوج أرسل الله جبرئيل فرفع من الأرض القرآن و العلم كله و الحجر من ركن البيت و مقام إبراهيم و تابوت موسى بما فيه و هذه الأيام الخمسة فيرفع كل ذلك إلى السماء ، فذلك قوله تعالى : «وإننا على ذهاب به لقادرون» فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والآخرة (٦) .

(١) الكافي ، ج ١ ، ص ٣٨٩ .

(٢) الكافي ، ج ١ ، ص ٣٨٨ .

(٣) د ، ص ٣٨٩ .

(٤) الكافي ، ج ١ ، ص ٣٩١ .

(٥) المؤمنون ، ١٩٠ .

(٦) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٨ .

٣ - شرح النهج لابن ميثم : قال لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من حرب الجمل خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، ثم قال : يا أهل البصرة ! يا أهل المؤتفكة ائتفتكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله تمام الرابعة ! - وساق الخطبة كما مر في كتاب الفتن وسيأتي إلى قوله عليه السلام - سخر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحاً لمعاشكم والبحر سبباً لكثرة أموالكم .

بيان : قوله عليه السلام : « الماء يغدو عليكم و يروح » إشارة إلى المدد والجزر . وقوله « صلاحاً لمعاشكم » إلى فائدتهما ، إذ لو كان الماء دائماً على حد النقصان ولم يصل إلى حد المدد لما سقى زروعهم و نخيلهم ، ولو كان دائماً على حد الزيادة لغرقت أراضيهم بأنهارهم ، وفي نقص الأنهار بعد زيادتها فائدة أخرى ، هي غسل الأقدار وإزالة النجائث عن شطوطها ، وربما كان فيهما فوائد أخرى كتأثيرهما في حركة السفن و نحو ذلك .

٤ - اعلام الوری : بإسناده عن الكليني ، عن عدة من أصحابه ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن القاسم . عن حيان السراج ، عن داود بن سليمان الكسائي ، ^(١) عن أبي الطفيل قال : سألت في أوّل خلافة عمر يهودي من أولاد هارون أمير المؤمنين عليه السلام عن أوّل قطرة قطرت على وجه الأرض ^(٢) ، وأوّل عين فاضت على وجه الأرض ، ^(٣) وأوّل شجرا هتزت على وجه الأرض . ^(٤) فقال عليه السلام يا هاروني أما أتم فتقولون : أوّل قطرة قطرت على وجه الأرض حيث قتل أحد ابني آدم صاحبه وليس كذلك و لكنّه حيث طمشت حواء و ذلك قبل أن تلد ابنيها ، وأما أتم فتقولون أوّل عين فاضت على وجه الأرض العين التي ببيت المقدس ، وليس هو كذلك و لكنّها

(١) في المصدر ، الكتاني .

(٢) > > أي قطرة هي ؟

(٣) > > أي عين هي ؟

(٤) > > أي شجرة هي ؟

عين الحياة التي وثقت عليها موسى وقتاه ومعهما النون المالح فسقط فيها فحيى ، وهذا الماء لا يصيب ميتاً إلا حيى . وأما أنتم فتقولون : أوّل شجرة اهترت على وجه الأرض الشجرة التي كانت منها سفينة نوح ، و ليس كذلك ولكنها النخلة التي هبطت ^(١) من الجنة وهي العجوة ، ومنها تفرع كل ما ترى من أنواع النخل ، فقال : صدقت والله الذي لا إله إلا هو ، إنني لأجد هذا في كتب أبي هارون عليه السلام كتابة ^(٢) يده وأملاً عمّي موسى عليه السلام ^(٣) .

٥ - اكمال الدين : عن أبيه و محمد بن الحسن ، عن سعد بن عبدالله ، و محمد بن يحيى العطار و أحمد بن إدريس جميعاً عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي و يعقوب بن يزيد و إبراهيم بن هاشم جميعاً عن الحسن بن علي بن فضال ، عن أيمن ابن محرز ، عن محمد بن سماعة ، عن إبراهيم بن أبي يحيى المدني ، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله ، إلا أنه قال : قال اليهودي : أخبرني عن أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض ، وعن أوّل عين نبتت على وجه الأرض وعن أوّل حجر وضع على وجه الأرض ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أما أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنها الزيتون و كذبوا ، وإنما هي النخلة من العجوة هبط بها آدم عليه السلام معه من الجنة فغرسها وأصل النخلة كله منها . وأما أوّل عين نبتت على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنها العين التي ببيت المقدس و تحت الحجر و كذبوا ، هي عين الحياة التي ما انتهى إليها أحد إلا حيى ، و كان الخضر على مقدّمة ذي القرنين فطلب عين الحياة فوجدها الخضر عليه السلام و شرب منها ولم يجدها ذوالقرنين . و أما أوّل حجر وضع على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنه الحجر الذي ببيت المقدس و كذبوا ، إنما هو الحجر الأسود هبط به آدم عليه السلام معه من الجنة فوضعه في الركن ، و الناس يستلمونه و كان أشدّ بياضاً من الثلج فاسودّ من خطايا بني آدم .

(١) في المصدر ، اهبطت .

(٢) كتابته بيده (خ)

(٣) اعلام الوری ، ٣٦٨ .

أقول : الخبران طويلان أوردتهما بأسانيدهما في باب نص " أمير المؤمنين عليه السلام على الاثني عشر عليه السلام في المجلد التاسع .

كتاب الاقاليم و البلدان والانهار : للفرات فضائل كثيرة :

٤ - روي أن أربعة من أنهار الجنة : سيحون وجيحون والنيل والفرات .

٧ - وعن علي عليه السلام قال : يا أهل الكوفة نهركم هذا ينصب إليه ميزابان من الجنة .

٨ - وروي عن جعفر الصادق عليه السلام أنه شرب من ماء الفرات ثم استزاد وحمد الله تعالى ، قال : ما أعظم بركنه لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حاقتيه القباب ما انغمس فيه ذو عاهة إلا برىء .

و عن السدي أن الفرات مدّ في زمن عمر فألقى رمانة عظيمة منها كرمّان الحب فأمر المسلمين أن يقسموها بينهم ، فكانوا يزعمون أنها من الجنة .

٩ - وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : النيل يخرج من الجنة و لو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها .

و قال في وصف بعض البحار نقلاً عن صاحب كتاب عجائب الأخبار : هذا البحر فيه طائر مكرم لا بويه ، فإنتهما إذا كبرا و عجزا عن القيام بأمر أنفسهما ، يجتمع عليهما فرخان من فراخهما فيحملانهما على ظهورهما إلى مكان حصين ، و يبنيان لهما عشاً و يتعاهدانهما الزاد و الماء إلى أن يموتا ، فإن مات الفرخان قبلهما يأتي إليهما فرخان آخران من فراخهما ويفعلان بهما كما فعل الفرخان الأولان ، و هلمّ جراً و هذا دأبهما .

١٠ - قرب الاسناد : عن السندي بن محمد ، عن أبي البختري ، عن جعفر ، عن أبيه ^(١) عليه السلام قال : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » قال : من ماء السماء و من ماء البحر ، فإنما أمطرت ففتحت ^(٢) الأصداف أفواها في البحر ، فيقع فيها من ماء المطر

(١) في المصدر ، عن علي عليه السلام .

(٢) في المصدر : فتحت .

فتخلق اللؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة ، واللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة (١) .
 ١١ - كامل الزيارة : عن أبيه ، عن الحسن بن متيل (٢) ، عن عمران بن موسى
 عن الجاموراني ، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن أبي بصير ، عن أبي
 عبدالله عليه السلام قال : نهران مؤمنان ، ونهران كافرين ، نهران كافرين نهر بلخ و دجلة ، و
 المؤمنان نيل مصر و الفرات ، فحنكوا أولاد كم بماء الفرات .

بيان : قال الجزري في النهاية : فيه « نهران مؤمنان و نهران كافرين ، أما
 المؤمنان فالنيل و الفرات ، و أما الكافرين فدجلة و نهر بلخ » جعلهما مؤمنين على التشبيه
 لأنهما يفيضان على الأرض فيسقيان الحرث بلامؤنة ، و جعل الآخرين كافرين لأنهما
 لا يسقيان و لا ينتفع بهما إلا بمؤنة و كلفة ، فهذان في الخير و النفع كالمؤمنين ، وهذان
 في قلة النفع كالكافرين (انتهى) . و أقول : ربما يومئ التفريع بقوله « فحنكوا » إلى
 أن المراد أن «لأ و لين مدخلا في الإيمان وللآخرين (٣) في الكفر و هو في الفرات
 ظاهر كما عرفت ، و أما في النيل فلعل شقاوة أهله لسوء تربة مصر كما ورد في الأخبار
 فلوجرى في غيره لم يكن كذلك ، و نهر بلخ هو نهر جيحون . و قال البرجندي : و يخرج
 عموده من حدود « بدخشان » من موضع طوله أربع و تسعون درجة و عرضه سبع و ثلاثون
 درجة ثم يجتمع معه أنهار كثيرة و يذهب إلى جهة المغرب و الشمال إلى حدود بلخ
 ثم يجاوزه إلى « ترمذ » ثم يذهب إلى المغرب و الجنوب إلى ولاية « زم » (٤) و طوله
 تسع و ثمانون درجة و عرضه سبع و ثلاثون ، ثم يمر إلى المغرب و الشمال إلى موضع

(١) قرب الاسناد ، ٨٥

(٢) بفتح الميم و تشديد التاء المثناة من فوق و سكون الياء المثناة من تحت على ما ضبطه
 العلامة في الخلاصة و الايضاح ، و حكى عن ابن داود ضم الميم و فتح التاء المشددة . قال النجاشي
 الحسن بن متيل وجه من وجوه أصحابنا كثير الحديث ، و صحح العلامة حديثه ، و تصحيح حديثه
 لا يقصر عن وثيقه .

(٣) الاخيرين (خ) .

(٤) بفتح الزاي و تشديد الميم ، بليدة على طريق جيحون بين ترمذ و آمل (مرصد
 الاطلاع) .

طوله ثمان وثمانون درجة و عرضه تسع وثلاثون ، ثم يمر إلى أن ينصب^(١) في بحيرة خوارزم . ونهر دجلة مشهور ويخرج من بلاد الروم من شمال « ميسارقين »^(٢) من تحت حصارذي القرنين ، و يذهب من جهة الشمال والمغرب إلى جهة الجنوب والمشرق ويمر بمدينة « آمد » و الموصل و سر من رأى و بغداد ثم إلى « واسط » ثم ينصب في بحر فارس .

١٢ - العياشي : عن إبراهيم بن أبي العلاء ، عن غير واحد ، عن أحدهما عليه السلام قال : لما قال الله « يا أرض ابلعي ماءك و ياسماء أقلعي » قال الأرض : إنما أمرت أن أبلع مائي أنا فقط ، ولم أمر أن أبلع ماء السماء ، قال : فبلعت الأرض ماءها و بقي ماء السماء فصير بحراً حول الدنيا .

١٣ - الكافي : عن محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان و علي بن إبراهيم عن أبيه ، جميعاً عن ابن أبي عمير ، عن حفص بن البختري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن جبرئيل عليه السلام كرى برجله خمسة أنهار ولسان الماء يتبعه : الفرات و دجلة و نيل مصر و مهران و نهر بلخ ، فما سقت أوسقي منها فلإمام . و البحر المطيف بالدنيا^(٣) .
بيان : قال البرجندي : نهر مهران هو نهر السنديمر أولاً في ناحية « ملتان » ثم يميل إلى الجنوب و يمر بالمنصورة ثم يمر حتى ينصب في بحر « ديبيل » من جانب المشرق ، و هو نهر عظيم و ماؤه في غاية العذوبة و شبيه بنيل مصر و يكون فيه التمساح كالنيل ، و قيل : إذا وصل إلى موضع طوله مائة و سبع درجات و عرضه ثلاث و عشرون درجة ينقسم إلى شعبتين ، ينصب إحداهما في بحر الهند و الأخرى تمر و تنصب فيه بعد مسافة أيضاً . « فما سقت » أي بأنفسها « أوسقي منها » أي سقى الناس منها . و هذا الخبر رواه في الفقيه بسند صحيح عن أبي البختري^(٤) و زاد في آخره

(١) في أكثر النسخ ، يصب .

(٢) كذا ، و الظاهر أنه مصحف « ميسارقين » اسم مدينة ببلاد الروم .

(٣) الكافي ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .

(٤) الفقيه ، ١٥٩ .

« وهو أفسبكون » ولعله من الصدوق فصار سبباً للإشكال ، لأن « أفسبكون » معرب « آبسكون » وهو بحر الخزر ، ويقال له : بحر جرجان و بحر طبرستان و بحر مازندران ، و طوله ثمانمائة ميل و عرضه ستمائة ميل ، و ينصب فيه أنهار كثيرة منها نهر آتل (١) وهذا البحر غير محيط بالدنيا بل محاط بالأرض من جميع الجوانب ولا يتصل بالمحيط ، و لعله إنما تكلف ذلك لأنه لا يحصل من المحيط شيء وهو غير مسلم . و قرأ بعض الأفاضل المطيف - بضم الميم و سكون الطاء و فتح الياء - اسم مفعول أو اسم مكان من الطواف ولا يخفى ضعفه فإن اسم المفعول منه مطاف بالضم أو مطوف ، و اسم المكان كلاً أو مطاف بالفتح ، و ربما يقرأ « مطيف » بتشديد الياء المفتوحة ، وهو أيضاً غير مستقيم لأنه بالمعنى المشهور و اوي فالمفعول من باب التفعيل مطوف ، و أيضاً كان ينبغي أن يقال : المطيف به الدنيا ، نعم قال في القاموس : طيف تطيفاً و طوف : أكثر الطواف (انتهى) لكن حملة على هذا أيضاً يحتاج إلى تكلف شديد ، و ما في الكافي أظهر و أصوب و المعنى : أن البحر المحيط بالدنيا أيضاً للإمام عليه السلام .

١٤ - نوادر الراوندى : بإسناده عن أبي جعفر عن آبائه عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : شر اليهود يهود بيسان ، و شر النصارى نصارى نجران ، و خير ماء نبع على وجه الأرض ماء زمزم ، و شر ماء نبع على وجه الأرض ماء برهوت ، و ادرى بحضرموت يرد عليه هام الكفار و صداهم .

بيان : في القاموس : بيسان قرية بالشام ، و قرية بمرور ، و موضع باليمامة . و لعل الأوّل هنا أظهر ، و نجران موضع باليمن . و في النهاية : فيه « لاعدوى ولا هامة » الهامة الرأس ، و اسم طائر ، وهو المراد في الحديث و ذلك أنهم كانوا يتشائمون بها وهي من طير الليل ، و قيل : هي البومة ، و قيل : إن العرب كانت تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فتقول : اسقوني ! اسقوني ! فإذا أدرك بثأره طارت . و قيل : كانوا يزعمون أن عظام الميت و قيل روحه تصير هامة فتطير و يسمونه « الصدى » فنأه الإسلام و نهاهم عنه . و في القاموس : الصدى الجسد من الآدمي بعد موته ، و

طائر يخرج من رأس المقتول إذا بلي بزعم الجاهلية .

١٥ - كتاب الغارات لابراهيم بن محمد الثقفي : رفعه عن الأصبع بن نباته قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن أول شيء ضج على الأرض ، قال : وادٍ باليمن هو أول وادٍ فار منه الماء .

١٦ - كتاب النوادر لعلي بن أسباط : عن عيسى بن عبد الله ، عن أبيه ، عن جدّه قال : قال عليه السلام : لو عدل في الفرات لسقي ^(١) ما على الأرض كله .

بيان : يحتمل أن يكون المراد بها الأراضي التي على شطّيه و بالقرب منه .

١٧ - الدر المنثور : عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ماء زمزم لما شرب له ، من شربه لمرض شفاه الله ، أو لجوع أشبعه الله ، أو لحاجة قضاها الله .

قال الحكيم الترمذي : وحدّثني أبي قال : دخلت الطواف في ليلة ظلماء فأخذني من البول ما شغلني ، فجعلت أعتصر حتى آذاني وخفت إن خرجت من المسجد أن أظأ بعض تلك الأقدار و ذلك أيام الحاج ، فذكرت هذا الحديث ، فدخلت زمزم فنبّلت منه فذهب عني إلى الصباح ^(٢) .

١٨ - ومنه : عن ابن عباس « مرج البحرين » قال : أرسل البحرين « بينهما برزخ » قال : حاجز « لا يبغيان » قال : لا يختلطان ، وروي أيضاً عنه قال : بحر السماء و بحر الأرض يلتقيان كل عام . « يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان » قال : إذا مطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواهاها فما وقع فيها من قطر السماء فهو اللؤلؤ ^(٣) .

١٩ - وعن ابن جبير قال : إذا نزل القطر من السماء تفتحت له الأصداف فكان لؤلؤاً ^(٤) .

٢٠ - وعن علي بن أبي طالب قال : المرجان عظام اللؤلؤ . و عن ابن عباس مثله ^(٥) .

(١) لاسقى (خ) .

(٢) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٢٢١ .

(٣-٥) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٤٢ .

- ٢١ - وفي رواية أخرى عنه : المرجان اللؤلؤ الصغار (١) .
 ٢٢ - وعن ابن مسعود : المرجان الخزر الأحمر (٢) .
 ٢٣ - وعن عمير بن سعد قال : كنا مع عليّ على شطّ الفرات فمرت سفينة فقرأ هذه الآية : « وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام » (٣) .
 ٢٤ - مجمع البيان : روى مقاتل عن عكرمة وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : إن الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار : سيحون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر بلخ ، ودجلة والفرات ، وهما نهر العراق ، والنيل وهو نهر مصر ، أنزلها الله تعالى من عين واحدة وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معائشهم وذلك قوله « وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكنناه في الأرض وإننا على ذهاب به لقادرون (٤) » .

٢٥ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن محمد بن عبد الله بن أحمد عن عليّ بن النعمان ، عن صالح بن حمزة ، عن أبان بن مصعب ، عن يونس بن طبيان أو المعلّى بن خنيس قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : مالكم من هذه الأَنْهَارِ (٥) ؟ فتبسّم وقال : إن الله تعالى بعث جبرئيل وأمره أن يخرق باهامة ثمانية أنهار في الأرض منها : سيحان ، وجيحان وهو نهر بلخ ، والخشوع وهو نهر الشاش ، ومهران وهو نهر الهند ، ونيل مصر ، ودجلة ، والفرات ، فما سقت أو استقت فهو لنا ، وما كان لنا فهو لشيعةنا وليس لعدونا منه شيء إلا ما غضب عليه ، وإنّ وليّنا لفي أوسع ممّا بين ذه إلى ذه - يعني بين السماء والأرض - ثم تلا هذه الآية « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » المغصوبين عليها « خالصة » لهم « يوم القيامة » بلا غضب .

توضيح : لعلّ التبسّم لأجل « من » التبعية « يخرق » كينصر و يضرب أي

(١) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٣٢ .

(٢) الدر المنثور ج ٦ ، ص ١٣٣ .

(٣) مجمع البيان ، ج ٧ ، ص ١٠٦ .

(٤) في المصدر : الأرض .

يشق و يحفر ، و منهم من حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية لبيان أن حدوث الأنهار ونحوها مستندة إلى قدرة الله تعالى رداً على الفلاسفة الذين يسندونها إلى الطبايع ، وفي أكثر النسخ هنا « جيحان » بالألف وفي بعضها بالواو ، وهو أصوب لما عرفت أن نهر بلخ بالواو ، وعلى الأول إن كان التفسير من بعض الرواة فيمكن أن يكون اشتباهاً منه ، و لو كان من الإمام عليه السلام وصح الضبط كان الاشتباه من اللغويين . و « الشاش » بلد بما وراء النهر كما في التاموس ونهره على ما ذكره البرجندي بقدر ثلثي الجيخون ، ومنبعه من بلاد الترك من موضع عرضه اثنتان و أربعون درجة و طوله إحدى وسبعون درجة و يمر إلى المغرب مائلاً إلى الجنوب إلى خجند ثم إلى فاراب ثم ينصب في بحيرة خوارزم ، و تسميته بالخشوع غير مذكور فيما رأينا من كتب اللغة وغيرها « فما سقت » أي سقته من الأشجار و الأراضي و الزروع « أو استقت » أي منه ، أي أخذت الأنهار منه وهو بحر المطيف بالدنيا أو بحر السماء ، فالمتعود أن أصلها وفرعها لنا ، أو ضمير « استقت » راجع إلى « ما » باعتبار تأنيث معناه ، و التقدير : استقت منها ، و ضمير « منها » المقدر للأنهار ، فالمراد بما سقت ما جرت عليها من غير عمل ، و بما استقت ما شرب منها بعمل كالدولاب و شبهه ، و نسبة الاستسقاء ^(١) إليها على المجاز ، كذا خطر بالبال وهو أظهر . و قيل : ضمير « استقت » راجع إلى الأنهار على الإسناد المجازي لأن الاستسقاء فعل لمن يخرج الماء منها بالحفر و الدولاب . يقال : استقيت من البئر أي أخرجت الماء منها . و بالجملة يعتبر في الاستسقاء ما لا يعتبر في السقي من الكسب و المبالغة في الاعتماد « إلا ما غصب عليه » على بناء المعلوم و الضمير للعدو أي غصبنا عليه أو على بناء المجهول أي إلا شيء صار مغصوباً عليه ، يقال غصبه على الشيء أي قهره ، و الاستثناء منقطع إن كان اللام للاستحقاق ، و إن كان للاتفاق فالاستثناء متصل و « ذه » إشارة إلى المؤمنك أصلها ذي قلبت الياء هاء « المغصوبين عليها » الحاصل أن « خالصة » حال مقدرة من قبيل قولهم : جاءني زيد صائداً صقره غدا . قال في مجمع البيان : قال ابن عباس يعني أن المؤمنين يشاركون المشركين في الطيبات في الدنيا ثم يخلص الله

(١) الاستسقاء (ظ) .

الطيبات في الآخرة للذين آمنوا ، وليس للمشركين فيها شيء^(١) (انتهى) .
 ثم اعلم أنه ﷺ ذكر في الأوّل ثمانية وإثنا ذكر في التفصيل سبعة ، فيحتمل
 أن يكون ترك واحداً منها لأنه لم يكن في مقام تفصيل الجميع بل قال : منها سيحان
 - الخبر - وقيل : لما كان سيحان اسماً لنهرين : نهر بالشام ، ونهر بالبصرة ، أراد هنا
 كليهما ، من قبيل استعمال المشترك في معنياه ، و هو بعيد ، ولعله سقط واحد منها من
 الرواة ، و كأنه كان « جيحان وجيحون » فظن بعض النساخ والرواة زيادة أحدهما
 فأسقطه وحينئذ يستقيم التفسير أيضاً .

فائدة : قال : النيسابوري في تفسير قوله تعالى « والفلك التي تجري في البحر
 بما ينفع الناس » : قد سلف أن الماء المحيط^(٢) بأكثر جوانب القدر المعمور من الأرض
 فذلك هو البحر المحيط ، وقد دخل في ذلك الماء من جانب الجنوب متصلاً بالمحيط
 الشرقي ومنقطعاً عن الغربي إلى وسط العمارة أربعة خليجات : الأوّل إذا ابتداء من
 المغرب الخليج البربري لكونه في حدود بربر من أرض الحبشة ، طوله من الجنوب
 إلى الشمال مائة وستون فرسخاً وعرضه خمسة وثلاثون فرسخاً ، و على ضلعه الغربي
 بلاد كفار الحبشة وبعض الزنج ، و على الشرقي بلاد مسلمي الحبشة . والثاني الخليج
 الأحمر ، طوله من الجنوب إلى الشمال أربعمائة وستون فرسخاً وعرضه بقرب منتهاه
 ستون فرسخاً ، و بين طرفه وفسطاط مصر الذي على شرق النيل مسيرة ثلاثة أيام على
 البر ، و على ضلعه الغربي بعض بلاد البربر و بعض بلاد الحبشة ، و على ضلعه الشرقي
 سواحل عليها فريضة مدينة الرسول ﷺ لقوافل مصر و الحبشة إلى الحجاز ثم سواحل
 اليمن ثم عدن على الذوابة الشرقية منه . الثالث : خليج فارس ، طوله من الجنوب
 إلى الشمال أربعمائة وستون فرسخاً ، وعرضه قريب من مائة وثمانين فرسخاً ، و على
 سواحل ضلعه الغربي بلاد عمان ، ولهذا ينسب البحر هناك إليها ، و جملة ولاية العرب
 وأحيائهم من الحجاز و اليمن و الطائف وغيرها و بواديهم بين الضلع الغربي من هذا

(١) مجمع البيان ، ج ٤ ، ص ٤١٣ .

(٢) محيط (ظ) .

البحر والشرقي من الخليج الأحمر ، فلهدا سميت العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب و فيها مكّة - زادها الله شرفاً - و على سواحل ضلعه الشرقي بلاد فارس ، ثم هرموز ثم مكران ، ثم سواحل السند . الرابع الخليج الأخضر مثلث الشكل آخذ من الجنوب إلى الشمال ، ضلعه الشرقي بلاد فارس ، ثم هرموز ، ثم مكران متصل بالمحيط الشرقي و ضلعه الغربي خمسمائة فرسخ تقريباً و على سواحل هذا الضلع ولايات الصين ، ولهذا يسمّى بحر الصين ، و من زاويته الغربية إلى زاوية من بحر فارس يسمّى بحر الهند لكون بعض ولايتهم على سواحلهم . و أيضاً فقد دخل إلى العمارة من جانب الغرب خليج عظيم يمر من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب و يحاذي أرض السودان و ينتهي إلى بلاد مصر والشام ، و من جانب الشمال على بلاد الروس والجلالقة والصقالبة إلى بلاد الروم [و الشام] ، و يتشعب منه شعبة من شمال أرض الصقالبة إلى أرض مسلمي « بلغار » يسمّى بحر « ورنك » طوله المعلوم مائة فرسخ وعرضه ثلاث و ثلاثون و إذا جاوز تلك النواحي امتد نحو المشرق عمّاء و جبال غير مسلوكة و أرض غير مسكونة ، و تشعب^(١) منه أيضاً شعبة يسمّى بحر طرابزون . فهذه هي البحار المتصلة بالمحيط ، و أمّا غير المتصلة فأعظمها بحر طبرستان و جيلان و باب الأبواب و الخزر و أبسيكون^(٢) ، لكون هذه الولايات على سواحلهم مستطيل الشكل آخذ من المشرق إلى المغرب بأكثر من مأتين و خمسين فرسخاً ، و من الجنوب إلى الشمال بقرب من مأتين . و من عجائب البحار الحيوانات المختلفة الأعظام والأشكال والأصناف ، ومنها الجزائر الواقعة فيها ، فقد يقال في بحر الهند من الجزائر العامرة ألف و ثلاثمائة و سبعون منها جزيرة عظيمة في أقصى البحر مقابل أرض الهند في ناحية المشرق ، و عند بلاد الصين تسمى جزيرة سرانديب^(٣) دورها ثلاثة آلاف ميل فيها جبال عظيمة و أنهار كثيرة ومنها يخرج الياقوت الأحمر ، و حول هذه الجزيرة تسع عشرة جزيرة عامرة فيها مدائن

(١) تشعب (خ) ،

(٢) أبسيكون (خ) .

(٣) سرنديب (خ) .

و قرى كثيرة ، و من جزائر هذا البحر جزيرة «كله» التي يجلب منها الرصاص القلعي*
و جزيرة « سريرة » التي يجلب منها الكافور ، و غرائب البحر كثيرة و لهذا قيل : حدث
عن البحر و لا حرج . و سئل بعض العقلاء : ما رأيت من عجائب البحر ؟ قال : سلامتي منه .
تقمة : قالت الحكماء في سبب انفجار العيون من الأرض : إن البخار إذا احتبس
في داخل من الأرض لما فيها من ثقب و فرج يميل إلى جهة فيبرد بها فينقلب مياهاً مختلطة
بأجزاء بخارية ، فإذا كثرت لوصول متد متدافع إليه بحيث لا تسعه الأرض أوجب
انشقاق الأرض و انفجرت منها العيون ، أما الجارية على الولاء فهي إما لدفع تاليها
سابقها ، أو لانجذابه إليه لضرورة عدم الخلاه بأن يكون البخار الذي انقلب ماءً و فاض
إلى وجه الأرض ينجذب إلى مكانه ما يقوم مقامه لئلا يكون خلاه فينقلب هو أيضاً ماءً
و يفيض و هكذا استتبع كل جزء منه جزء آخر . و أما العيون الزاكنة فهي حادثة من
أبخرة لم تبلغ من كثرة موادها و قوتها أن يحصل منها معاونة شديدة ، أو يدفع اللاحق
السابق . و أما مياه القنى ^(١) و الآبار فهي متولدة من أبخرة ناقصة القوة عن أن يشق
الأرض ، فإذا أزيل ثقل الأرض عن وجهها صادفت منفذاً تندفع إليه بأدنى حركة ، فإن لم
يجعل هناك مسيل فهو البئر ، و إن جعل فهو القناة ، و نسبة القنى إلى الآبار كنسبة
العيون السائلة إلى الراكنة ، و يمكن أن تكون هذه المياه متولدة - كما قاله أبو-
البركات البغدادي - من أجزاء مائية متولدة من أجزاء متفرقة في ثقب أعماق الأرض
و منافذها إذا اجتمعت ، بل هذا أولى لكون مياه العيون و الآبار و القنوات تزيد
بزيادة الثلوج و الأمطار . قال الشيخ في النجاة : و هذه الأبخرة إذا انبعثت عيوناً أمدت
البحار بصب الأثرار إليها ، ثم ارتفع من البحار و البطائح و الأثرار و بطون الجبال
خاصة أبخرة أخرى ثم قطرت ثانياً إليها فقامت بدل ما يتحلل منها على الدور دائماً .

(١) القنى و القناة - بكسر القاف فيهما - جمع القناة ، و هي ما يخفر من الأرض
ليجرى فيها الماء .

٣١

﴿باب﴾

﴿ (الأرض و كيفيتها وما أعد الله للناس فيها و جوامع أحوال) ﴾
 ﴿ (العناصر وما تحت الأرضين) ﴾

الآيات :

البقرة : يا أيها الناس اعبنوا ربكم الذي خلقكم و الذين من قبلكم لعلكم
 تشقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً و السماء بناءً و أنزل من السماء ماءً فأخرج
 به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً و أنتم تعلمون (١) .

الرعد : وهو الذي مدّ الأرض و جعل فيها رواسي و أنهاراً و من كل الثمرات
 جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون و في الأرض
 قطع متجاورات و جنّات من أعناب و زرع و نخيل صنوان و غير صنوان يسقى بقاء
 واحد و يفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون .

ابراهيم : الله الذي خلق السماوات و الأرض و أنزل من السماء ماءً فأخرج
 به من الثمرات رزقاً لكم و سخّر الفلك لتجري في البحر بأمره و سخّر لكم الأنهار
 و سخّر لكم الشمس و القمر دائبين و سخّر لكم الليل و النهار و آتاكم من كل ما سألتموه
 و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفّار (٢) .

الحجر : و الأرض مددناها و ألقينا فيها رواسي و أنبتنا فيها من كل شيء موزون
 و جعلنا لكم فيها معاش و من لستم له برازقين (٤) .

النحل : هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب و منه شجر فيه تسيمون

(١) البقرة ، ٢١٠ - ٢٢ .

(٢) الرعد ، ٣١ - ٤ .

(٣) ابراهيم ، ٣٢٠ - ٣٤ .

(٤) الحجر ، ١٩ - ٢٠ .

ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون - إلى قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم (١) .

الكهف: إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً (٢)

طه: له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى (٣) . وقال تعالى: الذي جعل لكم الأرض مهدياً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعمكم إن في ذلك لآيات لأولي النهي منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (٤) .

الانبياء: وجعلنا في الأرض رواسي أن تمتد بهم وجعلنا فيها فجاً سبلاً لعلهم يهتدون (٥)

الشعراء: أولم يرد إلى الأرض كم أبتنا فيها من كل زوج كريم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (٦) .

وقال تعالى . أتركون فيما ههنا آمنين في جنات وعيون وذرور ونخل طلحها هضيم وتنحون من الجبال بيوتاً قارحين (٧) .

(١) النحل ، ١٠٠ - ١١٨ .

(٢) الكهف ، ٧ .

(٣) طه ، ٦٠ .

(٤) طه ، ٥٣ - ٥٥ .

(٥) الانبياء ، ٣١٠ .

(٦) الشعراء ، ٧١ - ٨٠ .

(٧) الشعراء ، ١٤٤ - ١٤٩ .

النمل : أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأبنتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إلا مع الله بل هم قوم يعدلون أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً إلا مع الله بل أكثرهم لا يعلمون (١).

لقمان : خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبثّ فيها من كل دابةً وأنزلنا من السماء ماءً فأبنتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين (٢).

فاطر : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والندوب والأشجار مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور (٣).

يس : وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حَبّاً فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنّات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون (٤).

المؤمن : الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً (٥).

السجدة : ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحيها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير (٦).

حمعق : ومن آياته خلق السموات والأرض وما بثّ فيهما من دابةً وهو على

(١) النمل : ٦٠ - ٦١ .

(٢) لقمان : ١٠ - ١١ .

(٣) فاطر : ٢٧ - ٢٨ .

(٤) يس : ٣٣ - ٣٦ .

(٥) المؤمن : ٦٤ .

(٦) فصلت : ٣٩ .

جمعهم إزايشاء قدير (١) .

الزخرف : الذي جعل لكم الأرض مهدناً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون (٢) .
الجاثية : وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك
آيات لقوم يتفكرون (٣) .

ق : والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأبنتنا فيها من كل زوج بهيج
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب (٤) .

الذاريات : والأرض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم
تذكرون (٥) .

الرحمن : والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام والحب
ذوالعصف والريحان فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦) .

الحديد : اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم آيات لعلكم
تعقلون (٧) .

الطلاق : الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل المرسلات
لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً (٨) .

الملك : هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه
وإليه النشور (٩) .

(١) الشورى ، ٢٩٠ .

(٢) الزخرف : ١٠٠ .

(٣) الجاثية : ١٣ .

(٤) ق ، ٧٠ - ٨٠ .

(٥) الذاريات ، ٤٨ - ٤٩ .

(٦) الرحمن ، ١٠٠ - ١٣ .

(٧) الحديد ، ١٧ .

(٨) الطلاق ، ١٢ .

(٩) الملك : ١٥ .

نوح : والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً (١) .
المرسلات : ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياءً وأمواتاً وجعلنا فيها رواسي شامخات
وأسقينكم ماءً فراتاً ويل يومئذ للمكذبين (٢) ،

النبا : ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم
سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً وبنينا فوقكم سبعاً شداداً وجعلنا سراجاً
وهاجاً وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً وجنات الغافق (٣) .
الطارق : والأرض ذات الصدع (٤) .

الغاشية : أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت و إلى السماء كيف رفعت وإلى
الجبال كيف نصبت و إلى الأرض كيف سطحت (٥) .
الشمس : والأرض وما طحيتها (٦) .

تفسير : « الذي خلقكم » قيل : إنه تعالى عدد في هذا المقام عليهم خمسة دلائل
اثنين من الأنفس ، وهما خلقهم و خلق أصولهم ، وثلاثة من الآفاق : يجعل الأرض
فراشاً ، و السماء بناءً ، و الأمور الحاصلة من مجموعهما ، وهي إزال الماء من السماء
وإخراج الثمرات بسببه . وسبب هذا الترتيب ظاهر ، لأن أقرب الأشياء إلى الإنسان
نفسه ، ثم مأمنه و منشأه وأصله ، ثم الأرض التي هي مكانه و مستقره . يقعدون عليها
وينامون و يتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه ، ثم السماء التي كالبقة المضروبة
و الخيمة المبنية على هذا القرار ، ثم ما يحصل من شبه الأزواج بين المقلّة و المظلة
من إزال الماء عليها و الإخراج به من بطنها أشباه النسل من الحيوان ألوان الغذاء

(١) نوح : ١٦٠ - ٢٠ .

(٢) المرسلات : ٢٥٠ - ٢٨ .

(٣) النبا ، ٦٠ - ١٦ .

(٤) الطارق : ١٢٠ .

(٥) الغاشية ، ١٧٠ - ٢٠ .

(٦) الشمس ، ٦٠ .

وأنواع الثمار رزقاً لبني آدم . و أيضاً خلق المكلفين أحياء قادرين أصل لجميع النعم و أمّا خلق الأرض و السماء فذاك إنّما ينتفع به بشرط حصول الخلق و الحياة و القدرة و الشهوة ، و ذكر الأصول مقدّم على ذكر الفروع . و أيضاً كل ما كان في السماء و الأرض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الإنسان بزيادة الحياة و القدرة و الشهوة و العقل ، و لما كانت وجوه الدلالة فيه أتمّ كان تقديمه في الذكر أهمّ .

و الفراش : اسم لما يفرش كالبساط لما يبسط ، و ليس من ضرورات الاقتراش أن يكون سطحاً مستويّاً كالفراش على ما ظنّ ، فسواء كانت كذلك و على شكل الكرة فالاقتراش غير مستنكر و لا مدفوع لعظم جرمها و تباعد أطرافها ، ولكنه لا يتمّ الاقتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعيّ و هو وسط الأفلاك ، لأنّ الأثقال بالطبع تميل إلى تحت كما أنّ الخفاف بالطبع تميل إلى فوق ، و الفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء ، و التحت ما يلي المركز ، فكما أنّه يستبعد حركة الأرض في ما يلينا إلى جهة السماء فكذلك يستبعد هبوطها في مقابلة ذلك ، لأنّ ذلك الهبوط صعوداً أيضاً إلى السماء فإذن لا حاجة في سكون الأرض و قرارها في حيزها إلى علاقة من فوقها و لا إلى دعامة من تحتها ، بل يكفي في ذلك ما أعطاها خالقها ، و ركز فيها من الميل الطبيعيّ إلى الوسط الحقيقي بقدرته و اختياره «إنّ الله يمسك السماوات و الأرض أن تزولا و لكنّ زلاتنا إن أمسكهما من أحد من بعده» .

و ممّا من الله على عباده في خلق الأرض أن لم تجعل في غاية الصلابة كالبحر و لا في غاية اللين و الانغمار كالماء ، ليسهل النوم و المشي عليها ، و أمكنت الزراعة و اتّخاذ الأبنية منها ، و يتأتّى حفر الآبار و إجراء الأنهار . و منها أن لم تخلق في نهاية اللطافة و الشفيف لتستقرّ الأنوار عليها و تسخنّ منها فيمكن جوارها (١) . و منها أن جعلت بارزة بعضها من الماء مع أنّ طبيعتها القوص فيه لتصلح لتعيش الحيوانات البريّة عليها ، و سبب انكشاف ما برز منها - وهو قريب من ربعها - أن لم تخلق صحيحة الاستدارة ، بل خلقت هي و الماء بمنزلة كرة واحدة ، يدلّ على ذلك في ما بين الخافقين

تقدم طلوع الكواكب وغروبها للمشرقيين على طلوعها وغروبها للمغربيين ، وفي ما بين الشمال والجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغليين في الشمال ، و بالعكس للواغليين في الجنوب ، و تركب الاختلافين لمن يسير على سمتين السمتين ، إلى غير ذلك من الأغراض الخاصة بالاستدارة يستوي في ذلك راكب البر و راكب البحر ، و هذه الجبال وإن شمتخت لاتخرجها عن أصل الاستدارة ، لأنها بمنزلة الخشونة القادحة في ملاسة الكرة لاني استدارتها .

و منها الأشياء المتولدة فيها من المعادن و النبات و الحيوان و الآثار العلوية والسفلية ، و لا يعلم تفاصيلها إلا موجدتها ، و منها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة و الدمائية والوعورة بحسب اختلاف الحاجات والأغراض « وفي الأرض قطع متجاورات » و منها اختلاف ألوانها « و من الجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانها و غرايب سود » . و منها انصداعها بالنبات « والأرض ذات الصدع » . و منها جذبها للماء المنزل من السماء « وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكنناه في الأرض » . و منها العيون والأ نهار العظام التي فيها « والأرض مددناها » و منها أن لها طبع الكرم و السماحة ، تأخذ واحدة وترد سبعمائة « كمثل حبة أبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة » و منها حياتها و موتها « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها » و منها الدواب المختلفة « وبث فيها من كل دابة » و منها النباتات المتنوعة « و أنبتنا فيها من كل زوج بهيج » فاختلاف ألوانها دلالة ، و اختلاف طعومها دلالة ، و اختلاف روائحها دلالة ، فمنها قوت البشر و منها قوت البهائم « كلوا و ارعوا أنعامكم » و منها الطعام ، و منها الإدام ، و منها الدواء و منها الفواكه ، و منها كسوة البشر نباتية كالقطن و الكتان ، و حيوانية كالشعر و الصوف و الأبريسم و الجلود ، و منها الأحجار المختلفة بعضها للزينة و بعضها للأبنية . فانظر إلى الحجر الذي تستخرج منه النار مع كثرته ، و انظر إلى الياقوت الأحمر مع عزته و انظر إلى كثرة النفع بذلك الحقيق ، و قلة النفع بهذا الخطير ، و منها ما أودع الله تعالى فيها من المعادن الشريفة كالذهب و الفضة .

ثم تأمل أن البشر استنبطوا الحرف الدقيقة ، و الصنائع الجليلة ، و استخرجوا

السك من قعر البحر ، واستنزلوا الطير من أوج الهواء ، وعجزوا عن اتخاذه الذهب والقصة ، والسبب فيه أن معظم فائدتها ترجع إلى الثمنية ، وهذه الفائدة لا تحصل إلا عند العزّة ، والقدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة ، فلذلك ضرب الله دونهما باباً مسدوداً ، ومن ههنا اشتهر في الألسنة : من طلب المال بالكيمياء أفلس .

ومنها ما يوجد على الجبال والأراضي من الأشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب ، وما اشدت إليه الحاجة في الخبز والطبخ ، ولعل ما تركناه من الفوائد أكثر مما عدناه ، فإذا تأمل العاقل في هذه الغرائب والعجائب اعترف بمدبر حكيم ومقدر عليم إن كان ممن يسمع و يبصر و يعتبر .

واما منافع السماء : فان الله تعالى زينها بمصايح « ولقد زيننا السماء الدنيا بمصايح » و بالقمر « وجعل القمر فيهن نورا » وبالشمس « وجعل الشمس سراجاً » وبالعرش « رب العرش العظيم » و بالكرسي « وسع كرسيه السماوات والأرض » وباللوح « في لوح محفوظ » و بالقلم « ن والقلم وما يسطرون » . وسمّاها سقفاً محفوظاً وسبعاً طباقاً ، وسبعاً شداداً ، و ذكر أن خلقها مشتمل على حكم بليغة ، وغايات صحيحة « ربنا ما خلقت هذا باطلا » « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا » وجعلها مصعد الأعمال و مهبط الأنوار ، وقبلة الدعاء ، ومحل الضياء والصفاء ، وجعل لونها أنفع الألوان وهو المستنير ، وشكلها أفضل الأشكال وهو المستدير ونجومها رجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، وقيض للشمس طلوعاً وسهلاً معه التقلب لقضاء الأوطار في الأطراف ، وغروباً يصلح معه الهدى والقرار في الأكناف ، لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء . و أيضاً لولا الطلوع لتجمدت المياه ، وغلبت البرودة والكثافة ، وأفضت إلى جهود الحرارة الغريزية وانكسار سورتها ، ولولا الغروب لحميت الأرض حتى يحترق كل من عليها من حيوان و نبات ، فهي بمنزلة السراج يوضع لأهل بيت بمقدار حاجتهم ، ثم يرفع عنهم ليستقرّوا و يستريحوا ، فصار النور والظلمة مع تضادّهما متظاهرين على ما فيه صلاح قطآن الأرض .

وأما ارتفاع الشمس و انحطاطها فقد جعله الله تعالى سبباً لإقامة الفصول الأربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر و النبات فيتولد منه مواد الثمار ، و يستكشف الهواء فيكثر السحاب و المطر . و تقوى أبدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن ، و في الربيع تتحرك الطباع ، و تظهر المواد المتولدة في الشتاء و ينور الشجر ، و يهيج الحيوان للسفاد . و في الصيف يحتدم الهواء فتضج الثمار ، و تتحلل فضول الأبدان ، و يجف وجه الأرض و يتهيأ للعمارة و الزراعة . و في الخريف يظهر البرد و اليبس فتدرك الثمار ، و تستعد الأبدان قليلاً قليلاً للشتاء .

و أما القمر فهو تلو الشمس و خليفتها ، و به يعلم عدد السنين و الحساب ، و تضبط المواقيت الشرعية ، و منه يحصل النماء و الرواء ، و قد جعل الله في طلوعه مصلحة و في غيبته مصلحة . يحكى أن أعرايياً نام عن جملة ليلاً ففقدته ، فلما طلع القمر وجدته فنظر إلى القمر و قال : إن الله صورك و نورك ، و على البروج دورك ، فإذا شاء نورك و إذا شاء كورك ، فلا أعلم مزيداً أسأله لك ، فإن أهديت إلي سروراً فقد أهدى الله إليك نوراً . ثم أنشأ في ذلك أبياتاً .

و قال الجاحظ : إذا تأملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج إليه ، فالسما مرفوعة كالسقف ، و الأرض ممدودة كاللبساط ، و النجوم منضودة كالمصابيح و الإنسان كمالك البيت المتصرف فيه ، و ضرور النبات مهية لمنافعه ، و صنوف الحيوان متصرف في مصالحه ، فهذه جملة واضحة دالة على أن العالم مخلوق بتدبير كامل ، و تقدير شامل ، و حكمة بالغة ، و قدرة غير متناهية .

ثم إنهم اختلفوا في أن السماء أفضل أم الأرض ، قال بعضهم : السماء أفضل لأنها معبد الملائكة ، و ما فيها بقعة عصي الله فيها ، و لما أتى آدم بالمعصية أهبط من الجنة و قال الله : لا يسكن في جواردي من عصاني ! و قال تعالى « و جعلنا السماء سقفاً محفوظاً » و قال « تبارك الذي جعل في السماء بروجا » و ورد في الأكثر ذكر السماء مقدماً على ذكر الأرض . و السماوات مؤثرة و الأرضيات متأثرة ، و المؤثر أشرف من المتأثر .

وقال آخرون : بل الأرض أفضل ، لأنه تعالى وصف بقاعاً من الأرض بالبركة « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً » « في البقعة المباركة » « إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » « مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا حولها » يعني أرض الشام ، و وصف جملة الأرض بالبركة « وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام » . فان قيل : أي بركة في المفاوز المهلكة ؟ قلت : إنها مساكن الوحوش ومراعيها ومساكن الناس إذا احتاجوا إليها ، و مساكن خلق لا يعلمهم إلا الله تعالى . فلهذه البركات قال « وفي الأرض آيات للموقنين » تشریفاً لهم ، لأنهم هم المنتفعون بها كما قال « هدى للمتقين » وخلق الأنبياء منها « منها خلقناكم » و أودعهم فيها « وفيها نعبدكم » وأكرم نبيّه المصطفى فجعل الأرض كلها له مسجداً وطهوراً .

ومعنى إخراج الثمرات بالماء - وإنما خرجت بقدرته ومشيئته - أي جعل الماء سبباً في خروجها ومادة لها كالنطفة في خلق الولد ، وهو قادر على إنشاء الأشياء بلا أسباب ومواد ، كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ، ولكن له في هذا التدريج والتسبيب حكماً يتبصر بها من يستبصر ، و يتفطن لها من يعتبر .

و « من » في « من الثمرات » للتبويض ، كما أنه قصد بتكثير « ماء » و « رزقا » معنى البعضية ، فكأنه قيل : و أنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم . ويجوز أن يكون للبيان ، كقولك : أنفقت من الدراهم ألفاً والندى : المثل المناوي . « وأنتم تعلمون » حال من ضمير « فلا تجعلوا » ومفعول « تعلمون » مطروح ، أي حالكم أنكم من أهل العلم والنظر وإصابة الرأي ، فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم إلى إثبات موجد للممكنات ، منفرد بوجود الذات ، متعالٍ عن مشابهة المخلوقات . أو منوي ، وهو : أنها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله .

« وهو الذي مدّ الأرض » قال الرازي : أي جعل الأرض (١) بذلك المقدار المعين الحاصل لأزيد ولا أنقص ، والدليل عليه هو أن كون الأرض أزيد مقداراً مما هو الآن أو أنقص منه أمر جائز ، فاخصاصه بذلك المقدار المعين لا بد وأن يكون

(١) في المصدر ، مختصة بذلك ...

بتخصيص منحصص ، و بتقدير مقدر . وقال أبو بكر الأصبم : المد البسط إلى ما يدرك منتهاه ، أي جعل حجمها عظيماً و إلا لما كمل الانتفاع بها . وقال قوم : كانت الأرض مدورة فمدتها ودحاها من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا . وهذا إنما يتم إذا كانت الأرض مسطحة لاكرة ، وهو خلاف ما ثبت بالدليل . ومد الأرض لا ينافي كونها كرة ، ولأن الكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح (١) .

« وجعل فيها رواسي » أي جبالاً ثابتة باقية في أحيائها غير منتقلة عن أمكنتها . والاستدلال بها على وجود الصانع القادر الحكيم من وجوه : الاول أن طبيعة الأرض طبيعة واحدة ، فحصول الجبل في بعض جوانبها دون البعض لا بد وأن يكون بتخليق القادر الحكيم . قال (٢) الفلاسفة : هذه الجبال إنما تولدت لأن البحار كانت في هذا الجانب من العالم فكان يتولد من البحر طين لزج . ثم يقوى تأثير الشمس فيها فينقلب حجراً كما نشاهد في كوز الفخار . ثم إن الماء كان يغور و يقل فيتحجر البقية ، فلهذا السبب تولدت هذه الجبال . قالوا : وإنما كانت البحار حاصلة في هذا الجانب من العالم لأن أوج الشمس و حضيضها متحرران ، ففي الدهر الأقدم كان حضيض الشمس في جانب الشمال ، و الشمس متى كانت في حضيضها كانت أقرب إلى الأرض فكان التسخين أقوى ، و شدة السخونة توجب انجذاب الرطوبات ، فحين كان الحضيض في جانب الشمال كانت البحار في جانب الشمال ، و الآن لما انتقل الأوج إلى جانب الشمال والحضيض إلى جانب الجنوب انتقلت البحار إلى جانب الجنوب ، فبقيت هذه الجبال في الشمال هذا حاصل كلام القوم في هذا الباب وهو ضعيف من وجوه :

الاول : أن حصول الطين في البحر أمر عام ، فلم حصل الجبل في بعض الجوانب دون بعض (٣) .

الثاني : هو أننا نشاهد في بعض الجبال كأن تلك الأحجار موضوعة سافاً (٤)

(١) مفاتيح الغيب ج ١٩ ، ص ٢ (ملخصاً) .

(٢) في المصدر ، قالت .

(٣) في المصدر ، البعض .

(٤) الساف والساف - بالفاء ، الصنف من الطين واللبن .

فسافاً ، كأنّ البناء بناه من لبنات كثيرة موضوع بعضها على بعض ، و يبعد حصول مثل هذا التركيب من السبب الذي ذكره .

الثالث : أنّ أوج الشمس الآن قريب من أوّل السرطان ، فعلى هذا من الوقت الذي انتقل أوج الشمس إلى الجانب الشمالي مضى قريبا من تسعة آلاف سنة ، و بهذا التقدير إنّ الجبال كانت في هذه المدّة الطويلة في التفتت ، فوجب أن لا يبقى من الأحجار شيء ، لكن ليس الأمر كذلك ، فعلمنا أنّ السبب الذي ذكره ضعيف

والوجه الثاني من الاستدلال بأحوال الجبال على وجود الصانع ذي الجلال ما يحصل فيها من معادن الفلزات السبعة ، ومواضع الجواهر النفيسة ، وقد يحصل منها معادن الزاجات والأملاح ، وقد تحصل معادن النفط والقيرو الكبريت ، فكون الأرض واحدة في الطبيعة وكون الجبل واحداً في الطبيعة^(١) وكون تأثير الشمس واحداً في الكل يدلّ دلالة ظاهرة على أنّ الكل بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة الممكنات و المحدثات .

والوجه الثالث أنّ بسببها تتولّد الأرض على وجه الأرض ، وذلك لأنّ الحجر جسم صلب ، فإن تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض و وصلت إلى الجبل احتسبت هناك ولا يزال يتكامل الأمر^(٢) فيحصل تحت الجبال مياه كثيرة ، ثمّ إنّها لكثرتها وقوتها تنقب^(٣) و تخرج و تسيل على وجه الأرض ، فمنفعة الجبال في تولّد الأرض هو من هذا الوجه ، ولهذا السبب في أكثر الأمراء إنما ذكر الله تعالى الجبال قرن بها ذكر الأرض مثل هذه الآية و مثل قوله « وجعلنا فيها رواسي شامخات و أسقيناكم ماءً فرائاً » .

ثمّ استدلّ سبحانه بعجائب خلقه النبات بقوله « ومن كل الثمرات - الخ - فإنّ الحبة إذا وقعت^(٤) في الأرض و أثرت فيها نداوة الأرض ربت و كبرت ، و بسبب

(١) في المصدر ، الطبع .

(٢) في المصدر ، فلا تزال تتكامل فيحصل...

(٣) فيه ، تنقب .

(٤) فيه ، وضعت .

ذلك ينشق أعلاها وأسفلها ، فبخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة ، ومن الشق الأسفل العروق الغائصة في أسفل الأرض . وهذا من العجائب^(١) ان طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع والأفلاك والكواكب فيها واحد ، ثم إنه خرج من الجانب الأعلى من تلك الحبة جرم صاعد إلى الهواء ، و من الجانب الأسفل منه جرم غائص في الأرض ، و من المحال أن يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان ، فعلمنا أن ذلك كان بسبب تدبير المدبر الحكيم و المقدر القديم لاسبب الطبع و الخاصية .

ثم إن الشجرة النابتة في تلك الحبة بعضها يكون خشبة ، و بعضها نوراً ، و بعضها ثمرة . ثم إن تلك الثمرة أيضاً تحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع ، فالجوز له أربعة أنواع من القشور : القشر الأعلى ، و تحته القشرة الخشبية ، و تحته القشرة المحيطة باللب ، و تحته تلك القشرة قشرة أخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز و اللوز رطباً . و أيضاً فقد تحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة ، فلا تخرج قشره حار يابس ، و لحمه حار رطب ، و حماضه بارد يابس ، و بذره حار يابس ، و كذلك العنب قشره و عجمه باردان يابسان ، و لحمه و ماؤه حار رطب^(٢) ، فتولد هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع و تأثيرات الأضخم و الأفلاك لا بد و أن يكون لأجل الحكيم القديم^(٣) .

و المراد بزوجين اثنين صنفين اثنين ، و الاختلاف إما من حيث الطعم كالحلو و الحامض ، أو الطبيعة كالحار و البارد ، أو اللون كالأبيض و الأسود . و فائدة قوله « اثنين » بيان أن كل نوع حصل من فردين كالأنسان من آدم و حواء ، وهكذا . « إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » إنما قال ذلك لأن الفلاسفة يسندون الحوادث إلى اختلافات الأشكال الكوكبية ، فما لم تقم الدلالة على دفع هذا السؤال لا يتم المقصود ، و دفعه بوجهين : الأول أنه إن سلمنا جواز ذلك فلا بد من استناد

(١) فيه ، لان .

(٢) في المصدر ، حاران رطبان .

(٣) فيه ، لاجل تدبير الحكيم القادر القديم .

الأفلاك وأوضاعها إلى واجب الوجود بالذات القادر الحكيم ، والثاني ما يذكر في الآيات الآتية حيث قال « وفي الأرض قطع متجاورات - الآية - » و تقريره من وجهين : الأول أنه حصل في الأرض قطع مختلفة بالطبيعة و هي مع ذلك متجاورة ، فبعضها تكون سبخة و بعضها حرة ، و بعضها صلبة و بعضها حجريّة أو رملية و بعضها طيناً لزجاً ثم إنَّها متجاورة و تأثير الشمس و سائر الكواكب في تلك القطع على السوية ، ودلّ هذا على اختلافها في صفاتها بتقدير المقدّر العليم .

و الثاني أن القطعة الواحدة من الأرض تسقى بماء واحد يكون تأثير الشمس فيها متشابهاً^(١) ، ثم إنَّ تلك الثمار تجيء مختلفة في الطعم واللون والطبيعة والخاصية حتى أنك قد تأخذ عنقوداً من العنب و تكون جميع حبّاته حلوة نضيجة إلاَّ الحبة الواحدة فإنَّها بقيت حامضة يابسة ، و نحن نعلم بالضرورة أن نسبة الطبائع والأفلاك إلى الكلّ على السوية بل نقول ههنا ما يعدُّ أعجب منه ، وهو أنه يوجد في بعض أنواع الورد ما يكون أحد وجهيه في غاية الحمرة والوجه الثاني في غاية السواد ، مع أن ذلك الورد في غاية الرقة والنعمه ، فيستحيل أن يقال: وصل تأثير الشمس إلى أحد طرفيه دون الثاني ، وهذا يدلّ دلالة قطعية على أن الكلّ بتقدير الفاعل المختار ، لا بسبب الاتصالات الفلكية ، و هو المراد من قوله تعالى « يسقى بماء واحد وفضل بعضها على بعض في الأكل » فهذا تمتَّ الحبة ، فإنَّ هذه الحوادث السفلية لا بد لها من مؤثر و بيننا أن ذلك المؤثر ليس هو الكواكب والأفلاك والطبائع ، فعند هذا يجب القطع بأنه لا بد من فاعل مختار آخر سوى هذه الأشياء ، فعند هذا يتمُّ الدليل ولا يبقى بعده للتفكّر مقام ، فلهدا قال ههنا « إنَّ في ذلك لقوم يعقلون » لأنَّه لا دافع لهذه الحجة إلاَّ أن يقال إنَّها حدثت للمؤثر ولا يقوله عاقل . والجنّة : البستان الذي يحصل فيه النخل و الكرم و الزرع ، و الصنوان : جمع صنو ، مثل قنوان وقنو ، و الصنو أن يكون الأصل واحداً و تنبت منه النخلتان والثلاثة وأكثر ، فكلُّ واحد صنو ، وعن ابن الأعرابي : الصنو : المثل ، أي متشابهة وغير متشابهة . وعن الزجاج : الأكل : الثمر الذي

(١) في المصدر ، متساوياً .

يؤكل ، وعن غيره : الأكل : المهيأ للأكل (١) .

و « الله الذي خلق السماوات والأرض » مبتدا وخبر . « وسخر لكم الفلك »
 ائتمن على عباده بتسخير الفلك ، لأن انتفاع العباد يتوقف (٢) عليها ، لأنه تعالى
 خص كل طرف من أطراف الأرض بنوع آخر من النعمة ، حتى أن نعمة هذا الطرف
 إذا نقلت إلى الجانب الآخر من الأرض أو بالعكس كثر الريح في التجارات ، ولا يمكن
 هذا إلا بسفن البر وهي الجمال ، أو بسفن البحر وهي الفلك . ونسبة التسخير إلى
 نفسه لأنه سبحانه خلق الأشجار الصلبة التي منها يمكن تركيب السفن ، ولولا خلقه
 الحديد و سائر الآلات ، ولولا تعريفه العباد كيف يتخذونه ، ولولا أنه تعالى خلق
 الماء على صفة السلاسة (٣) التي باعتبارها يصح جري السفينة ، ولولا خلقه تعالى الرياح
 وخلق الحركات القوية فيها ، ولولا أنه وسع الأنهار وجعل لها من العمق ما يجوز جري
 السفن فيها لما وقع الانتقاع بالسفن ، فصار لأجل أنه تعالى هو الخالق لهذه الأحوال
 وهو المدبر لهذه الأمور والمسخر لها حسنت إضافته إليه . وأضاف التسخير إلى أمره
 لأن الملك العظيم قل ما يوصف أنه فعل ، وإنما يقال فيه : إنه أمر بكذا ، تعظيماً
 لشأنه .

« وسخر لكم الأنهار » لما كان ماء البحر قل ما ينتفع في الزراعات لعمقه و
 ملوحته ذكر تعالى إنعامه على الخلق بتفجير الأنهار والعيون ، حتى ينبعث الماء منها
 إلى مواضع الزروع والنباتات ، وأيضاً ماء البحر لا يصلح للشرب . « وآتاكم من كل
 ما سألتموه » قيل : أي بلسان حالكم بحسب استعماداتكم وقابلياتكم « وإن تعدوا
 نعمة الله لا تحصوها » قال الرازي : اعلم أن الإنسان إذا أراد أن يعرف أن الوقوف
 على أقسام نعم الله ممتنع فعليه أن يتأمل في شيء واحد ليعرف عجز نفسه . ونحن نذكر
 منه مثالين :

المثال الاول : أن الأطباء ذكروا أن الأعصاب قسمان : منها ماغية ، ومنها

(١) مفاتيح النيب ، ج ١٩ ، ص ٣ - ٨ (ملخصاً ونقلًا بالمعنى) .

(٢) في المصدر : إنما يكمل بوجود الفلك ...

(٣) في المصدر السيلان .

نخاعية ، أما الدماغية فإنها سبعة ، ثم أتعبوا أنفسهم في معرفة الحكم الناشئة من كل واحد من تلك الأرواح السبعة ، ثم مما لا شك فيه أن كل واحد من تلك الأرواح السبعة تنقسم إلى شعب كثيرة ، وكل واحد من تلك الشعب أيضاً إلى شعب دقيقة أدق من الشعر ، ولكل واحد منها ممر إلى الأعضاء ، ولو أن شعبة واحدة اختلت إما بسبب الكمية والكيفية أو بسبب الوضع لاختلت مصالح البنية . ثم إن تلك الشعب الدقيقة تكون كثيرة العدد جداً ، ولكل واحد منها حكمة مخصوصة ، فإذا نظر الإنسان في هذا المعنى عرف أن الله بحسب كل شظية من تلك الشظايا العصبية على العبد نعمة عظيمة لو فانت لعظم الضرر عليه ، وعرف قطعاً أنه لا سبيل له إلى الوقوف عليها و الاطلاع على أحوالها ، وعند هذا يقطع بصحة قوله تعالى « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ، وكما اعتبرت هذا في الشظايا العصبية فاعتبر مثله في الشرايين والأوردة في كل واحد من الأعضاء البسيطة والمركبة بحسب الكمية والكيفية والوضع والفعل والانفعال ، وأقسام هذا الباب بحر لا يساحل . وإذا اعتبرت هذا في بدن الإنسان الواحد فاعرف أقسام نعم الله تعالى في نفسه وفي روحه ، فإن عجائب عالم الأرواح أكثر من عجائب عالم الأجساد . ثم لما اعتبرت حال الحيوان الواحد فعند ذلك اعتبر أحوال عالم الأفلak والكواكب وطبقات العناصر وعجائب البر والبحر والنبات والحيوان وعند هذا تعرف أن عقول جميع الخلائق لو ركبت وجعلت عقلاً واحداً ، ثم بذلك العقل يتأمل الإنسان في عجائب حكمة الله تعالى في أقل الأشياء لما أدرك منها إلا القليل ! فسبحانه وتقدس عن أوهام المتوهمين .

المثال الثاني : أنه إذا أخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر إلى ما قبلها وما بعدها ، أما الأمور التي قبلها أن^(١) تلك اللقمة من الخبز لا تتم ولا تكمل إلا إذا كان هذا العالم بكليته قائماً على الوجه الأصوب ، لأن الحنطة لا بد منها ، وإثها لا تثبت إلا بمعونة الفصول الأربعة وتركيب الطبائع وظهور الأرياح والأمطار ، ولا يحصل شيء منها إلا بعد دوران الأفلak واتصال بعض الكواكب ببعض على وجوه مخصوصة

(١) في المصدر ، فاعرف أن ...

في الحركات ، وفي كيفيتها في الجهة ، و في السرعة و البطء ، ثم بعد تكون الحنطة لا بد من آلات الطحن و الخبز ، وهي لا تحصل إلا عند تولد الحديد في أرحام الجبال . ثم إن الآلات الحديدية لا يمكن إصلاحها إلا بالآلات الأخرى حديدية سابقة عليها ولا بد من انتهائها إلى آلة حديدية هي أول هذه الآلات ، فتأمل أنها كيف تكونت على الأشكال المخصوصة ، ثم إذا حصلت تلك الآلات فانظر أنه لا بد من اجتماع العناصر الأربعة - وهي الأرض و الماء و الهواء و النار - حتى يمكن طبخ الخبز من ذلك الدقيق . فهذا هو النظر في ما تقدم على هذه اللقمة !

أما النظر في ما بعد حدوثها فتأمل في تركيب بدن الحيوان ، وهو أنه تعالى كيف خلق هذه الأبدان حتى يمكنها الانتفاع بتلك اللقمة ، و أنه كيف يتضرر الحيوان في الأكل (١) ، و في أي الأعضاء تحدث تلك المضار ، ولا يمكنك أن تعرف القليل من هذه الأشياء إلا بمعرفة علم التشريح و علم الطب بالكلية . فظهر بما ذكرنا أن الانتفاع باللقمة الواحدة لا يمكن معرفته إلا بمعرفة جملة هذه الأمور ، و العقول قاصرة عن إدراك ذرة من هذه المباحث ، فظهر بالبراهين (٢) الباهرة صحة قوله تعالى « و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (٣) (انتهى كلامه) .

واقول : يمكن سلوك طريق آخر في ذلك أدق و أوسع مما ذكره ، بأن يقال : بعد أن عرفت النعمة التي على إنسان واحد كزيد مثلاً من السماوات و الكواكب و العرش و الكرسي و جميع الأرضيات فإن لها جميعاً مدخلاً في وجوده و بقائه و نموه فنقول : جميع هذه النعم متعلقة بعمرو أيضاً لمدخلتها في وجوده و بقائه أيضاً ، و كل هذه أيضاً نعمة لزيد لتوقف وجود زيد و بقائه على وجود عمرو لكون الإنسان مدنياً بالنوع ، و كذا بالنسبة إلى بكر و خالد ، و كذا كل نعمة لله على كل حيوان من الحيوانات التي لها مدخل في نظام أحوال الإنسان فهي نعمة على زيد مرة

(١) فيه ، بالاكل .

(٢) في المصدر ، بهذا اللفظ القاهر .

(٣) مفاتيح النيب ، ج ١٩ ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

بذاته ، ومرتبة باعتبار كونها نعمة على كل واحد واحد من أفراد البشر ، لمدخلية وجودهم في وجوده ونظام أحواله ، فيضرب عدد تلك النعم في عدد الأشخاص والحيوانات مرات لا تتناهى .
ثم لما كان وجود زيد موقوفاً على وجود أبويه فكل نعمة على كل من أبويه وعلى كل من كان في عصر أبويه نعمة عليه ، وكذا كل نعمة على والدي بكر وخالد نعمة عليه لتوقف وجوده وبقائه ونظام أحواله على وجود بكر ، ووجوده متوقف على وجود والديه ووجودهما وبقاؤهما و سائر أمورهما متوقفة على جميع النعم على أهل عصرهما ، فمن هذه الجهة أيضاً جميعها نعمة عليه ، فيضرب جميع هذه الأعداد الغير المتناهية في جميع تلك الأعداد الغير المتناهية مرات غير متناهية ! ثم نقل الكلام في كل عصر من الأعصار وآباء كل منهم إلى أن ينتهي إلى آدم وحواء عليهما السلام ويضرب كل من تلك المراتب في ما حصل من المراتب السابقة ، وهذا حساب لا يحيط به علم البشر ، ولو اجتمع جميع المحاسبين من الثقلين وأرادوا استيفاء حساب مرتبة من هذه المراتب لا يقدرون عليه ، مع أن كل قطرة من قطرات البحار و كل ذرة من ذرات الجو والأرض نعمة على كل شخص من الأشخاص . فسيحان من لا يقدر على إحصاء شعبة واحدة من شعب نعمه الغير المتناهية إلا هو ! وله الحمد بعدد كل نعمة له علينا وعلى كل خلق من مخلوقاته .

« إن الإنسان لظلوم ، يظلم النعمة باغفال شكرها ، أو يظلم نفسه بأن يعرضها للحرمان » كفار « شديد الكفران ، وقيل : ظلوم في الشدة يشكو ويجزع ، كفار في النعمة يجمع ويمنع .

« من كل شيء موزون » قيل : أي بميزان الحكمة ، و مقدر بقدر الحاجة وذلك أن الوزن سبب معرفة المقدار فأطلق اسم السبب على المسبب . وقيل : أي له وزن و قدر في أبواب النعمة والمنفعة ، وقيل : أراد أن مقاديرها من العناصر معلومة وكذا مقدار تأثير الشمس والكواكب فيها . وقيل : أي متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة ، يقال كلام موزون أي متناسب ، و فلان موزون الحركات . وقيل : أراد ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس وغيرها من الموزونات كأكثر الفواكه والنبات .

«وجعلنا لكم فيها» أي في الأرض ، أو في الجبال ، أو في تلك الموزونات «معاش» ما يتوصل به إلى المعيشة «و من لستم له برارقين» عطف على محل «لكم» أو على «معاش» أي وجعلنا لكم من لستم له برارقين ، وأراد بهم العيال و المماليك و الخدم الذين رازقهم في الحقيقة هو الله وحده لا الآباء و السادات و المخاديم ، و يدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول من الأنعام و الدواب و الوحوش و الطير ، كقوله «و ما من دابة إلا على الله رزقها» .

«ينبت لكم به الزرع» الذي هو الغذاء الأصلي «و الزيتون» الذي هو فاكهة من وجه و غذاء من وجه لكثرة ما فيه من الدهن «و النخيل و الأعناب» اللتين هما أشرف الفواكه ، ثم أشار إلى سائر الثمرات بقوله «ومن كل الثمرات» قال الزمخشري : إنما لم يقل : وكل الثمرات ، لأن «كلها لا تكون إلا في الجنة» . و قيل : قدم الغذاء الحيواني في قوله سبحانه «و الأنعام خلقها لكم فيها دفء و منافع و منها تأكلون» على الغذاء النباتي لأن «النعمة فيه أعظم لأنه أسرع تشبهاً بيدن الإنسان ، و في ذكر الغذاء النباتي قدم غذاء الحيوان - و هو الشجر - على غذاء الإنسان - و هو الزرع و غيره - بناء على مكارم الأخلاق ، و هو أن يكون اهتمام الإنسان بجبال من تحت يده أكمل من اهتمامه بحال نفسه .

«وما ذراً لكم في الأرض» أي خلق فيها من حيوان و شجر و ثمر و غير ذلك «مختلفاً ألوانه» فإن ذرة هذه الأشياء على حالة اختلاف الألوان و الأشكال مع تساوي الكتل في الطبيعة الجسمية و في تأثير الفلكيات فيها آية على وجود الصانع تعالى شأنه .

«رواسي» أي جبلاً ثوابت «أن تميد بكم» أي كراهة أن تميد بكم و تضرب «و أنهاراً» أي وجعل فيها أنهاراً ، لأن «ألقى» فيه معناه «وسبلاً لعلكم تهتدون» لمقاصدكم أو إلى معرفة الله «و علامات» أي معالم تستدل بها السابلة من جبل و منهل و ريح و نحو ذلك «و بالنجم هم يهتدون» بالليل في البراري و البحار «إن الله لغفور» حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكرها «رحيم» لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم

بالعقوبة على كفرانها .

« إننا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها » قيل : ماعلى الأرض ، المواليد الثلاثة : المعادن و النباتات و الحيوانات ، وأشرفها الإنسان ، وقيل: لا يدخل المكلف فيه، لأن ماعلى الأرض ليس زينة لها على الحقيقة ، وإنما هو لأهلها لغرض الابتلاء ، فالذي له الزينة يكون خارجاً عن الزينة « لنبلوهم أيهم أحسن عملاً » في تعاطيه ، و هو من زهد فيه ولم يفتخر به وفتح منه بالكفاف .

« له ما في السماوات » قال الرازي : مالك لما في السماوات من ملك ونجم وغيرهما ومالك لما في الأرض من المعادن و الفلزات ، و مالك لما بينهما من الهواء ، ومالك لما تحت الثرى . فإن قيل : الثرى هو السطح الأخير من العالم فلا يكون تحته شيء فكيف يكون الله تعالى مالكا له ؟ قلنا : الثرى في اللغة هو التراب الندي ، فيحتمل أن تكون تحته شيء ، فهو إما الثور أو الحوت أو الصخرة أو البحر أو الهواء على اختلاف الروايات (١) (انتهى) .

وقال الطبرسي - ره - : الثرى التراب الندي ، يعني : وما وارى الثرى من كل شيء ، وقيل : يعني ما في ضمن الأرض من الكنوز والأموال (٢) .

« الذي جعل لكم الأرض مهذا » أي كالمهد تمهدونها « وسلك لكم فيها سبلا » أي وحصد لكم فيها سبلا بين الجبال و الأودية و البراري تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها . « و أنزل من السماء ماء » أي مطراً « فأخرجنا به » قيل : عدل من لفظ الغيبة إلى التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى ، تنبيهاً على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة ، وإيذاناً بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة بمشيئته . « زواجاً » أي أصنافاً « من نبات » بيان وصفة له « أزواجاً » وكذلك « شتى » و يحتمل أن يكون صفة للنبات ، فإنه من حيث إنه مصدر في الأصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع « شتيت » كمريض و مرضى ، أي متفرقات في الصور و الأعراس و المنافع

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٢٢ ، ص ٨٣ .

(٢) مجمع البيان ج ٧ ، ص ٢٠ .

يصلح بعضها للناس و بعضها للبهائم ، فلذلك قال « كلوا وارعوا أنعامكم » وهو حال من ضمير « فأخرجنا » على إرادة القول ، أي أخرجنا أصناف النبات قائلين : كلوا وارعوا [أنعامكم] و المعنى : معدّها لانتفاعكم بالأكل و العلف آذنين فيه « لاؤلى النهى » أي لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل و ارتكاب القبائح . جمع نهيّة . و عن الصادق عليه السلام : نحن أولوا النهى . و عن الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خياركم أولوا النهى ، قيل : يارسول الله ! ومن أولوا النهى ؟ قال : هم أولوا الأخلاق الحسنة و الأحلام الرزينة ، و صلة الأرحام ، و البررة بالأمهات والآباء ، و المتعاهدون للفقراء و الجيران و اليتامى ، و يطعمون الطعام ، و يفشون السلام في العالم ، و يصلون و الناس نيام غافلون .

« منها خلقناكم » فإنّ التراب أصل خلقة أول آبائكم ، و أول مواد أبدانكم و سيأتي وجه آخر في الخبر إن شاء الله . « و فيها نعيدكم » بالموت و تفكيك الأجزاء « و منها نخرجكم تارة أخرى » بتأليف أجزاءكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة و ردّ الأرواح فيها .

« وجعلنا فيها » أي في الأرض ، أو في الرواسي « فجاءاً سبلاً » مسالك واسعة ، و إنّما قدّم « فجاءاً » وهو وصف له ليصير حالاً يدلّ على أنّه حين خلقها كذلك ، أو ليبدل منها « سبلاً » فيدلّ ضمناً على أنّه خلقها و وسّعها للسابلة ، مع ما يكون فيه من التأكيد « لعلهم يهتدون » إلى مصالحهم .

« أولم يروا إلى الأرض » أي أولم ينظروا في عجائبها ؟ « من كلّ زوج كريم » أي محمود كثير المنفعة ، و هو صفة لكلّ ما يحمد و يرضى . قيل : وههنا يحتمل أن تكون مقيّدة لما يتضمّن الدلالة على القدرة ، و أن تكون مبيّنة منسّبة على أنّه مامن نبت إلّا وله فائدة إمّا وحده أو مع غيره . و « كلّ » لا حاطة الأزواج ، و « كم » لكثرتها . « إنّ في ذلك » أي في إثبات (١) تلك الأصناف ، أو في كلّ واحد « لآية » على أنّ منبته تامّ القدرة و الحكمة ، سابغ النعمة و الرحمة .

« أتركون » إنكار لأن يتركوا كذلك ، أو تذكير بالنعمة في تخلية الله إياهم و أسباب تنعمهم آمنين ، ثم فسر بقوله « في جنات و عيون و زروع و نخل طلعا هضيم » أي لطيف لين ، للطف التمر ، أو لأن النخل أنثى و طلع إناث النخل أطف وهو يطلع منها كتنصل السيف في جوفه شماريخ القنو ، أو متدل منكسر من كثرة الحمل « فارهين » أي حاذقين ، أو بطرين . « حدائق ذات بهجة . » أي ذات منظر حسن يبتهج به من رآه ولم يقل : ذوات بهجة ، لأنه أراد تأنيث الجماعة ، ولو أراد تأنيث الأعيان لقال : ذوات ... « قوم يعدلون » أي يشركون بالله غيره « قراراً » أي مستقرراً لا تميل ولا تميد بأهلها « وجعل خلالها ، أي في وسط الأرض وفي مسالكها ونواحيها « أنهارا » جارية ينبت بها الزرع و يحيى به الخلق « وجعل لها رواسي » أي ثوابت أُنبتت بها الأرض « وجعل بين البحرين حاجزاً » أي مانعاً من قدرته بين العذب والمالح ، فلا يختلط أحدهما بالآخر « مختلفة ألوانها » قيل : أي أجناسها ، أو أوصافها على أن « كلاً منها لها أصناف مختلفة أو هيأتها من الصفرة و الخضرة ونحوهما . « و من الجبال جدد » أي ذو جدد و خطوط و طرائق ، يقال : جددة الحمار ، للخطوة السوداء على ظهره « مختلف ألوانها » بالشدة و الضعف « و غرايب سود » عطف على « بيض » أو على « جدد » كأنه قيل : و من الجبال ذو جدد مختلف اللون ، ومنها غرايب متحدة اللون ، وهو تأكيد مضمرة يفسره ، فإن الغريب تأكيد للأسود وحق التأكيد أن يتبع المؤكد . « مختلف ألوانه كذلك » أي كاختلاف الثمار و الجبال . « إنما يخشى الله من عباده العلماء » إذ شرط الخشية معرفة المخشي و العلم بصفات و أفعاله ، فمن كان أعلم به كان أخشى منه « إن الله عزيز غفور » تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه .

« و أخرجنا منها حباً » المراد جنس الحب « فمنه يأكلون » قيل : قدم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل و يعاش به « من نخيل و أعناب » أي من أنواع النخل و العنب « من العيون » أي شيئاً من العيون ، و « من » مزيدة عند الأخفش « من ثمره » أي من ثمر ما ذكر و هو الجنات ، وقيل : الضمير لله على طريقة الالتفات ، و

الإضافة إليه لأن الثمر مخلوقه « وما عملته أيديهم » عطف على الثمر ، و المراد ما يتخذ منه العصير والدبس و نحوهما ، وقيل : « ما » نافية ، و المراد أن الثمر بخلق الله لا بفعلهم « أفلا يشكرون » أمر بالشكر من حيث إنه إنكار لتركه . « خلق الأزواج كلها » أي الأنواع و الأصناف « مما تنبت الأرض » من النبات و الشجر « ومن أنفسهم الذكر و الأنثى » و مما لا يعلمون « أي و أزواجاً مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته .

« ترى الأرض خاشعة » أي يابسة متطامنة ، مستعار من الخشوع بمعنى التذلل « اهتزت » أي تحركت بالنبات « وربت » أي انتفخت وارتفعت قبل أن تنبت ، و قيل اهتزت بالنبات و ربت بكثرة ريعها . « وما بث » عطف على السماوات أو الخلق « من دابة » قيل : أي من حي على إطلاق اسم السبب على المسبب ، أو مما يدب على الأرض و ما يكون في أحد الشيتين يصدق أنه فيهما في الجملة « إذا يشاء » أي في أي وقت يشاء « قدير » متمكن منه .

: و سخر لكم ما في السماوات و ما في الأرض جميعاً « بأن خلقها نافعة لكم « منه » حال من « ما » أي سخر هذه الأشياء كائنة منه ، أو خبر لمحدوف أي هي جميعاً منه ، أو لما في السماوات و « سخر لكم » تكرر للتأكيد ، أو لما في الأرض . « من كل زوج بهيج » أي من كل صنف حسن « لكل عبد منيب » أي راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنعه .

« و الأرض فرشناها » أي مهدناها ليستقر و عليها « فنعم الماهدون » أي نحن « و من كل خلقنا زوجين » أي نوعين « لعلكم تذكرون » فعملوا أن التعدد من خواص الممكنات و أن الواجب بالذات لا يقبل الانقسام و التعدد . و روي عن الرضا عليه السلام في خطبة طويلة قد تقدم في كتاب التوحيد مشروحاً : و بمضاد تد بين الأشياء عرف أن لاضد له ، و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لاقربين له ، ضاد النور بالظلمة و اليبس بالبلل ، و الخشن باللين ، و الصرد بالحرور ، مؤلفاً بين متعاداتها ، مفرقاً بين متدانياتها ، دالة بتفريقها على مفرقها ، و بتأليفها على مؤلفها ، و ذلك قوله « و من كل »

شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» .

« و الأرض وضعها » أي حفظها مدحوة « للأ نام » للخلق ، وقيل : الأ نام كل ذي روح « فيها فاكهة » أي ضروب مما يتفكه به « والنخل ذات الأكمام » هي أوعية التمر جمع « كم » أو كل ما يكم أي يغطى من ليف وسعف وكفري^(١) فإنه ينتفع به كالمكموم وكالجدع . « والحب » كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به « ذوالعصف » هو ورق النبات اليابس كالتين « و الريحان » يعني المشموم ، أو الرزق من قولهم : خرجت أطلب ريحان الله وعن الرضا عليه السلام « والأرض وضعها للأ نام » قال : للناس « فيها فاكهة و النخل ذات الأكمام » قال : يكبر ثمر النخل في القمع ثم يطلع منه . قوله « والحب » ذوالعصف و الريحان » قال : الحب الحنطة والشعير و الحبوب ، و العصف التين ، و الريحان ما يؤكل منه . « فبأي آلاء ربكما تكذبان » المخاطبة للثقلين ، وفي الحديث أنه في الباطن مخاطبة للأولين ، والمعنى : فبأي نعمتين تكفران بمحمد أم بعلي ؟ وفي خبر آخر : بالنبي أم بالوصي ؟ .

« ومن الأرض مثلهن » قال الطبرسي - ره - : وفي ^(٢) الأرض خلق مثلهن في العدد لا في الكيفية ، لأن كيفية السماء مخالفة لكيفية الأرض ، وليس في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع مثل السماوات إلا هذه الآية ، ولا خلاف في السماوات أنها سماء فوق سماء ، و أمّا الأرضون فقال قوم : إنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض كالسماوات ، لأنها لو كانت مصمتة لكانت أرضاً واحدة ، وفي كل أرض خلق خلقهم الله تعالى كيف شاء ، و روى أبو صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين ليس بعضها فوق بعض ، تفرق بينهن البحار ، وتظل جميعهن السماء والله سبحانه أعلم بصحة ما استأثر بعلمه و اشتبه على خلقه . وقد روى العياشي بإسناده عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : بسط كفيه ثم وضع اليمنى عليها فقال : هذه الأرض الدنيا والسماء

(١) كفري - بضم الاولين و فتحهما و كسرهما و تشديد الراء المفتوحة - ، و عاء طلع

النخل .

(٢) كذا في نسخ الكتاب ، و في المجمع ، و خلق من الارض مثلهن ...

الدنيا عليها قبّة ، و الأرض الثانية فوق سماء^(١) الدنيا و السماء الثانية فوقها قبّة ، و الأرض الثالثة فوق السماء الثانية و السماء الثالثة فوقها قبّة ، حتى ذكر الرابعة و الخامسة و السادسة فقال : و الأرض السابعة فوق السماء السادسة و السماء السابعة فوقها قبّة ، و عرش الرحمن فوق السماء السابعة ، و هو قوله « سبع سماوات و من الأرض مثلهنّ يتنزل الأمر بينهنّ » و إنّما صاحب الأمر النبي ﷺ و هو على وجه الأرض و إنّما ينزل^(٢) الأمر من فوق من بين السماوات و الأرضين ، فعلى هذا يكون المعنى : تنزل الملائكة بأوامره إلى الأنبياء ، و قيل : معناه ينزل^(٣) الأمر بين السماوات و الأرضين من الله سبحانه بحيوة بعض و موت بعض ، و سلامة حيّ و هلاك آخر ، و غنى إنسان و فقر آخر ، و تصريف الأمور على الحكمة^(٤) (انتهى) .

و قال الرازي : قال الكلبي : خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض مثل القبّة « و من الأرض مثلهنّ » في كونها طبقات^(٥) متلاصقة كما هو المشهور أن الأرض ثلاث طبقات : طبقة أرضية محضة ، و طبقة طينية وهي غير محضة ، و طبقة منكشفة بعضها في البرّ و بعضها في البحر و هي المعمورة . ولا يبعد من قوله « و من الأرض مثلهنّ » كونها سبعة أقاليم على^(٦) سبع سماوات و سبعة كواكب فيها وهي السيارة ، فإن لكل واحد من هذه الكواكب خواصّ تظهر آثار تلك الخواصّ في كل أقاليم الأرض ، فتصير سبعة بهذا الاعتبار ، فهذه هي الوجوه التي لا يابها العقل ، و ما عداها من الوجوه المنقولة من أهل التفسير ممّا ياباه العقل مثل ما يقال : السماوات السبع أو لها موج مكفوف و ثانيها صخر ، و ثالثها حديد ، و رابعها نحاس ، و خامسها فضة ، و سادسها ذهب ، و سابعها ياقوت ، و قول من قال : بين كل واحدة منها و بين الأخرى مائة^(٧) عام و غلظ

(١) في بعض النسخ وفي المصدر ، السماء .

(٢) و (٣) في المصدر ، يتنزل .

(٤) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٣١٠

(٥) في المصدر ، طباقاً .

(٦) فيه ، على حسب ...

(٧) فيه ، خمسمائة سنة .

كل واحد منها كذلك ، فذلك غير معتبر عند أهل التحقيق و يمكن أن يكون أكثر من ذلك ، والله أعلم بأنه ما هو و كيف هو ^(١) (انتهى) .

و أقول : وقد مرّ بعض الوجوه في الأرضين السبع في باب الهواء .
« لتعلموا » علّة الخلق ، أو يتنزّل ^(٢) أو يعمّها ، فإنّ كلاًّ منهما يدلّ على كمال قدرته و علمه .

« ذلولاً » قيل : أي لينة فسهل ^(٣) لكم السلوك فيها « فامشوا في مناكبها » أي في جوانبها و جبالها ، و هو مثل لفرط التذليل ، فإنّ منكب البعير ينبو عن أن يطأه الراكب ولا يتدّلل له ، فإذا جعل الأرض في الذلّ بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتدّلل . « واكلوا من رزقه » أي و التمسوا من نعم الله « و إليه النشور » أي المرجع فيسأل لكم عن شكر ما أنعم عليكم . « بساطاً » أي مبسوطة ليتمكنكم المشي عليها و الاستقرار فيها . « سبلاً فجاجا » أي طرقاً واسعة ، و قيل : طرقاً مختلفة ، عن ابن عباس . و قيل : سبلاً في الصحاري ، و فجاجاً في الجبال .

« كفاتاً » قال الطبرسي - ره - : كفت الشيء يكفته كفتاً و كفاتاً إذا ضمّه ، و منه الحديث « اكتبوا صيانتكم » أي ضمّوهم إلى أنفسكم ، و يقال للوعاء كفت و كفيت قال أبو عبيد : كفاتاً أي أوعية . و المعنى : جعلنا الأرض كفاتاً للعباد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم و منازلهم ، و تكفتهم أمواتاً في بطنها أي تحوزهم و تضمّمهم . و روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه نظر إلى الجبّانة ^(٤) فقال : هذه كفات الأموات ، ثمّ نظر إلى البيوت فقال : هذه كفات الأحياء . و قوله « أحياءً و أمواتاً » أي منها ما ينبت و منها ما لا ينبت ، فعلى هذا يكون أحياءً و أمواتاً نصباً على الحال ، و على القول الأوّل على المفعول به . « رواسي شامخات » أي جبلاً ثابتة عالية « و أسقيناكم ماءً فراتا » أي

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٣٠ ، ص ٤٠

(٢) التّنزل (ظ) .

(٣) كذا ، و الاظهر « يسهل » .

(٤) الجبّانة - بتشديد الباء الموحدة من تحت - المقبرة .

و جعلنا لكم سقياً من الماء العذب ، عن ابن عباس . « ويل يومئذ للمكذّبين » بهذه النعم و أنّها من جهة الله (١) .

« مهادا » أي وطاء و قراراً و مهيباً للتصرف فيه من غير أذية ، والمصدر بمعنى المفعول ، أو الحمل على المبالغة ، أو المعنى ذات مهاد . « وخلقناكم أزواجاً » أي أشكالاً كل واحد شكل للآخر ، أو ذكراً و إناثاً حتى يصح منكم التناسل ويتمتع بعضكم ببعض ، أو أصنافاً أبيض و أسود ، و صغيراً و كبيراً ، إلى غير ذلك . « و جعلنا نومكم سباتاً » أي راحة و دعة لأجسادكم ، أو قطعاً لأعمالكم و تصرفكم أي سباتاً ليس بموت على الحقيقة ولا مخرج عن الحياة و الإدراك « و جعلنا الليل لباساً » أي غطاءً و سترة يستتر كل شيء بظلمته و سواده . « و جعلنا النهار معاشاً » أي مطلب معاش ، أو وقت معاشكم . « و بنينا فوقكم سبعا شداداً » أي سبع سماوات محكمة أحكمنا صنعها و أوثقنا بناءها . « و جعلنا سراجاً وهاجاً » يعني الشمس جعلها سبحانه سراجاً للعالم و قناداً متلاًئلاً بالنور يستضيئون بها . و قيل : الوهج مجمع (٢) النور والحر . « و أنزلنا من المعصرات » أي من الرياح ذات الأعاصير ، وذلك أن الريح يستدر المطر . و قيل : المعصرات السحاب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ، كقولهم أحصد الزرع ، أي حان له أن يحصد « ماءً ثجاجاً » أي منصباً بكثرة « لنخرج به حباً و نباتاً » فالحب كل ما تضمنه كمام الزرع الذي يحصد ، والنبات الكلال من الحشيش و الزروع ونحوها ، قيل : حباً يأكله الناس ، و نباتاً تنبتة الأرض مما تأكله الأنعام « و جنات ألفافاً » أي بساتين ملتفة بالشجر ، أو بعضها ببعض ، و إنما سميت جنّة لأن الشجر تجنّها أي تسترها .

« ذات الصدع » أي ما يتصدع عنه الأرض من النبات ، أو الشق بالنبات

و العيون .

« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » خلقاً دالاً على كمال قدرته و حسن

(١) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٤١٧ (ملخصاً) .

(٢) يجمع (خ) .

تدبيره ، حيث خلقها لجرّ الثقال إلى البلاد النائية ، فجعلها عظيمة ، باركة للحمل ناهضة به ، منقادة لمن اقتادها ، طوال الأغان لتنوء بالأوقار ، ترعى كلّ نابت ، وتحمل العطش إلى عشر فصاعداً ليتأتى لها قطع البراري والمفاوز مع مالها من منافع آخر فلذا خصت بالذكر ، ولأثنا أعجب ما عند العرب من هذا النوع . وقيل : المراد بها السحاب على الاستعارة . « و إلى السماء كيف رفعت » بلا عمد « و إلى الجبال كيف نصبت » فهي راسخة لا تميل « و إلى الأرض كيف سطحت » أي بسطت حتى صارت مهادا . « وما طحيتها » أي ومن طحيتها ، أو مصدرية ، وطحوها تسطيحها و بسطها .

١ - الاحتجاج : عن هشام بن الحكم ، قال : سألت الزنديق في ما سألت أبا عبد الله عليه السلام : فقال النهار قبل الليل ؟ فقال : نعم ، خلق النهار قبل الليل ، والشمس قبل القمر ، والأرض قبل السماء ، ووضع الأرض على الحوت ، والحوت في الماء والماء في صخرة مجوفة . والصخرة على عاتق ملك ، والملك على الثرى ، والثرى على الريح (١) والريح على الهواء ، والهواء تمسكه القدرة ، وليس تحت الريح العقيم إلا الهواء والظلمات ، ولا وراء ذلك سعة ولا ضيق ولا شيء يتوهم ، ثم خلق الكرسي فحشاه السماوات والأرض ، والكرسي أكبر من كل شيء خلق (٢) ، ثم خلق العرش فجعله أكبر من الكرسي (٣) .

٢ - تفسير علي بن ابراهيم : عن أبيه ، عن علي بن مهزيار ، عن علا المكفوف عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئل عن الأرض على أي شيء هي ؟ قال الحوت ، فقيل له : فالحوت على أي شيء هو ؟ قال : على الماء ، فقيل له : فالماء على أي شيء هو ؟ قال : على الثرى ، قيل له : فالثرى على أي شيء هو ؟ قال : عند ذلك انقضى علم العلماء (٤) .

(١) في المصدر : الريح العقيم .

(٢) في المصدر ، خلقه الله .

(٣) الاحتجاج ، ١٩٣ .

(٤) تفسير القمي ، ٤١٨ .

٣ - ومنه : عن محمد بن أبي عبدالله ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن أبان بن تغلب ، قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الأرض على أي شيء هي ؟ قال : على الحوت ، قلت : فالحوت على أي شيء هو ؟ قال : على الماء ، قلت : فالماء على أي شيء هو ؟ قال : على الصخرة ، قلت : فالصخرة على أي شيء هي ؟ قال : على قرن ثور أملس ، قلت : فعلى أي شيء الثور ؟ قال : على الثرى ، قلت : فعلى أي شيء الثرى ؟ فقال : هيهات ! عند ذلك ضل علم العلماء ^(١) .

الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب مثله ^(٢) .

بيان : الأملس : الصحيح الظهر ، ولعل المراد هنا أنه لم يلحقه من هذا الحمل دبر وجراحة في ظهره . وفي القاموس : الثرى : الندى ، والتراب الندي أو الذي إذا بل لم يصر طيناً ، والخير (انتهى) . « ضل علم العلماء » أي غير المعصومين أو المراد بالعلماء هم ، والمعنى أنهم أمروا بكتمانه عن سائر الخلق فكأنه ضل علمهم عن الخلق وقد يقال : المراد بالثرى هنا الخير الكامل يعني القدرة ، فإن استقرار جميع الأشياء على قدرة الله تعالى ، وقيل : المراد بالثرى هنا ما هو منتهى الموجودات ، ولما كان تعقل النفي الصرف صعباً على الأفهام قال : عند ذلك ضل علم العلماء ، لا يف الناس بالأبعاد القارة وجسم خلف جسم ، ولذا ذهب بعض المتكلمين إلى أبعاد موهومة غير متناهية وقالوا بالخلا .

٤ - التفسير : عن أبيه ، عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت : أخبرني عن قول الله « والسماء ذات الحبك » فقال : هي محبوبكة إلى الأرض - وشبك بين أصابعه - فقلت : كيف تكون محبوبكة إلى الأرض والله يقول « رفع السماوات بغير عمد ترونها » ؟ فقال : سبحان الله ! أليس يقول « بغير عمد ترونها » ؟ قلت : بلى فقال : فشم عمد و لكن لا ترونها . قلت : كيف ذلك جعلني الله فداك ؟ قال : فبسط

(١) تفسير العمى ، ٤١٨ .

(٢) الكافي ، ج ٨ ، ص ٨٩ .

كفّه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها ، فقال : هذه أرض الدنيا ، والسماء الدنيا عليها^(١) فوقها قبة ؛ والأرض الثانية فوق السماء الدنيا ، والسماء الثانية فوقها قبة ؛ والأرض الثالثة فوق السماء الثانية ، والسماء الثالثة فوقها قبة ، والأرض الرابعة فوق السماء الثالثة ، والسماء الرابعة فوقها قبة ؛ والأرض الخامسة فوقها قبة ؛ والسماء الخامسة فوقها قبة ؛ والأرض السادسة فوق السماء الخامسة ، والسماء السادسة فوقها قبة ؛ والأرض السابعة فوق السماء السادسة ، والسماء السابعة فوقها قبة ؛ وعرش الرحمان تبارك وتعالى فوق السماء السابعة وهو قول الله « الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن » فأما صاحب الأمر^(٢) فهو رسول الله ﷺ والوصي بعد رسول الله ﷺ قائم هو على وجه الأرض ، فإِذَا نَزَلَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ مِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ مِنْ بَيْنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ ، قُلْتُ : فَمَا تَحْتُنَا إِلَّا أَرْضٌ وَاحِدَةٌ ؟ فَقَالَ : مَا تَحْتُنَا إِلَّا أَرْضٌ وَاحِدَةٌ ، وَإِنَّ السَّمَاءَ لِهِنَّ^(٣) فَوْقَنَا^(٤) .

العباشي : عن الحسين بن خالد مثله .

بيان : قال الفيروز آبادي : « الحبك » الشد و الإحكام و تحسين أثر الصنعة في الثوب ، يحبكه و يحبكه فهو حبيك و محبوبك ، و الحبك من السماء طرائق النجوم و التحريك التوثيق و التخطيط (انتهى) . فالمراد بكونها محبوبكة : أنها متصلة بالأرض معتمدة عليها ، و أن كل سماء على كل أرض كالقبة الموضوعة عليها ، و لما كان هذا ظاهراً مخالفاً للحس والعيان ، فيمكن تأويله بوجهين : أو لهما - وهو أقربهما وأوفقهما للشواهد العقلية - أن يكون المراد بالأرض ما سوى السماء من العناصر ، ويكون المراد نفي توهم أن بين السماء و الأرض خلا ، بل هو مملو من سائر العناصر ، والمراد بالأرضين السبع هذه الأرض و ستة من السماوات التي فوقنا ، فإن الأرض ما يستقر عليه

(١) كذا .

(٢) الأرض (خ) .

(٣) في المصدر ، لهي .

(٤) تفسير القمي ، ٦٤٦ .

الحيوانات و سائر الأشياء ، و السماء ما يظلمهم و يكون فوقهم ، فسطح هذه الأرض أرض لنا و السماء الأولى سماء لنا نظلنا ، و السطح المحدب للسماء الأولى أرض للملائكة المستقرين عليها ، و السماء الثانية سماء لهم ، و هكذا محدب كل سماء أرض لما فوقها و مقعر السماء الذي فوقها سماء بالنسبة إليها إلى السماء السابعة ، فإنها سماء وليست بأرض ، و الأرض التي نحن عليها أرض وليست بسماء ، و السماوات الستة الباقية كل منها سماء من جهة و أرض من جهة . و ثانيهما : أن يكون المعنى أن السماوات سبع كرات في جوف كل سماء أرض وليست السماوات بعضها في جوف بعض كما هو المشهور بل بعضها فوق بعض معتمداً بعضها على بعض ، فالمراد بقوله « إلى الأرض » أي مع الأرض ، أو إلى أن ينتهي إلى هذه الأرض التي نحن عليها . قوله عَلَيْهَا « فأما صاحب الأمر » أي الذي ينزل هذا الأمر إليه .

٥ - العيون و العلل : في خبر الشامي " أنه سأل أمير المؤمنين عَلَيْهِمَا عن الأرض مم خلق ؟ قال : من زبد الماء (١) .

٦ - العياشي : عن الخطّاب الأعور ، رفعه إلى أهل العلم و الفقه من آل محمد عليهم السلام قال : « و في الأرض قطع متجاورات » يعني هذه الأرض الطيبة يجاورها هذه المالحة و ليست منها كما يجاور القوم القوم و ليسوا منهم .

٧ - الاختصاص : عن ابن عباس . سأل ابن سلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما الستون ؟ قال : الأرض لها ستون عرقاً و الناس خلقوا على ستين لونا (٢) .

٨ - معاني الاخبار : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن القاسم بن محمد الإصبهاني عن سليمان بن داود المنقري ، عن حماد بن عيسى ، عن أبي عبدالله عَلَيْهِمَا أنه نظر إلى المقابر فقال : يا حماد هذه كفات الأموات ، و نظر إلى البيوت فقال : هذه كفات الأحياء ثم تلا « ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء و أمواتاً (٣) » . و روي أنه دفن الشعر و الظفر (٤) .

(١) العيون : ج ١ ، ص ٢٤١ ، علل الشرائع ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

(٢) الاختصاص : ٤٠ ، (٣) المرسلات . ٢٥ - ٢٦ .

(٤) معاني الاخبار ، ٣٤٢ .

بيان : لعل المعنى أن دفن الشعر و الظفر في الأرض لما كان مستحباً فهذا أيضاً داخل في كفات الأحياء ، أو في كفات الأموات لعدم حلول الحياة فيهما ، و الأول أظهر .

٩ - العيون : عن المفسر بإسناده إلى أبي محمد العسكري عن آبائه عن علي بن الحسين عليه السلام في قوله عز وجل : « الذي جعل لكم الأرض فراشاً و السماء بناءً » قال : جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لأجسادكم ، ولم يجعلها شديدة الحمى و الحرارة فتحرقكم و لا شديدة البرودة فتجمدكم ، و لا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم ، و لا شديدة اللتن فتعطبكم و لا شديدة اللين كالماء فتغرقكم و لا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم ^(٢) و أبنيتم و قبور ^(٣) موتاكم و لكنّه عز وجل جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به [و تماسكون] و تتماسك عليها أبدانكم و بنيانكم ، و جعل فيها ^(٤) ما تنقاده لدوركم و قبوركم و كثير من منافعكم فذلك « جعل الأرض فراشاً » ثم قال : « و السماء بناءً » سقفاً ^(٥) محفوظاً من فوقكم يدبر فيها شمسها و قمرها و نجومها لمنافعكم . ثم قال عز وجل : « و أنزل من السماء ماءً » يعني المطر ينزله من علي ^(٦) ليلبغ قلال جبالكم و تلالكم و هضابكم و أوهادكم ثم فرقه رذاذاً و ابلاً و هطلاً و طلاً لتنشفه أرضوكم ، و لم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضيكم و أشجاركم و زروعكم و ثماركم ، ثم قال عز وجل : « فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم » يعني مما يخرج من الأرض رزقاً لكم « فلا تجعلوا لله أنداداً » أي أشباهاً و أمثلاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء « و أنتم تعلمون » أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم تبارك و تعالی ^(٧) .

الاحتجاج : بالإسناده إلى أبي محمد عليه السلام مثله ^(٨) .

(١) البقرة : ٢٢ .

(٢) في الاحتجاج : حرثكم .

(٣) فيه : دفن موتاكم .

(٤) فيه : من اللين ما تنقاد به لحرثكم .

(٥) فيه : معنى سقفاً ...

(٦) فيه : علو .

(٧) العيون ج ١ ص ١٣٧ .

(٨) الاحتجاج : ٢٥٣ .

تفسير الامام : عليه السلام مثله .

بيان : « قصدت ع » على بناء التفعيل من الصداع . و أعطبه : أهلكه ، والرذاذ
 - كسحاب - : المطر الضعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار ، و الوابل : المطر
 الشديد الضخم ، و الهطل ، المطر الضعيف الدائم ، و الطل : المطر الضعيف أو أخف
 المطر و أضعفه و الندى أو فوقه و دون المطر ، كل ذلك ذكره الفيروز آبادي .

١٠ - التوحيد : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن إبراهيم بن هاشم و غيره
 عن خلف بن حماد ، عن الحسن بن زيد الهاشمي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاءت
 زينب العطاراة الحولاء إلى نساء رسول الله صلى الله عليه وآله و بناته و كانت تبيع منهن العطر
 فدخل ^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله وهي عندهن فقال : إذا أتيتنا طابت بيوتنا ، فقالت : بيوتك
 بريحك أطيب يا رسول الله ، فقال : إذا بعث فاحشي ^(٢) ولا تغشي ، فإنه أتقى وأبقى
 للمال ، فقالت : ماجئت ^(٣) لشيء من بيعي و إنما جئتك أسألك عن عظمة الله ، قال :
 جل جلاله ، سأحدثك عن بعض ذلك ، ثم قال : إن هذه الأرض بمن فيها ^(٤) ومن
 عليها عند التي تحتها كحلقة ملقاة ^(٥) في فلاة قي ، و هاتان و من فيهما و من عليهما
 عند التي تحتها كحلقة ^(٦) في فلاة قي ، و الثالثة حتى انتهى إلى السابعة ثم تلا هذه
 الآية : « خلق سبع سماوات و من الأرض مثلهن » و السبع ^(٧) و من فيهن و من عليهن
 على ظهر الديك كحلقة ^(٨) في فلاة قي ، و الديك له جناح بالشرق و جناح بالمغرب
 و رجلاه في التخوم ، و السبع والديك بمن فيه و من عليه على الصخرة كحلقة ^(٩) في
 فلاة قي ، و السبع والديك و الصخرة بمن فيها و من عليها على ظهر الحوت كحلقة ^(١٠)
 في فلاة قي ، و السبع والديك و الصخرة و الحوت عند البحر المظلم كحلقة ^(١١) في فلاة

(١) في الكافي ، فجاء (٢) في التوحيد و الكافي ، فأحسني .

(٣) في الكافي : فقالت ، يا رسول الله ما أتيت بشيء من بيعي و إنما أتيت . .

(٤) فيه ، بمن عليها . (٥) في التوحيد ، كحلقة في فلاة ...

(٦) في الكافي : كحلقة ملقاة ... (٧) في الكافي ، و السبع الارضين بمن ...

(٨-١١) فيه ، كحلقة ملقاة .

قي" ، و السبع والديك و الصخرة و الحوت و البحر المظلم عند الهواء كحلقة (١) في فلاة قي" ، و السبع والديك و الصخرة و الحوت و البحر المظلم و الهواء عند الثرى كحلقة (٢) في فلاة قي" ثم تلا هذه الآية : « له ما في السموات و ما في الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى (٣) » ثم انقطع الخبر (٤) و السبع والديك و الصخرة و الحوت و البحر المظلم و الهواء و الثرى بمن فيه و من عليه عند السماء الأولى كحلقة في فلاة قي" ، و هذا و السماء (٥) الدنيا و من فيها و من عليها عند التي فوقها كحلقة في فلاة قي" ، و هذا و هاتان السماوان عند الثالثة كحلقة في فلاة قي" ، و هذا و هذه الثلاث عند الرابعة بمن فيهن" و من عليهن" كحلقة في فلاة قي" حتى انتهى إلى السابعة ، و هذه السبع (٦) و من فيهن" و من عليهن" عند البحر المكفوف عن أهل الأرض كحلقة في فلاة قي" ، و السبع و البحر المكفوف عند جبال البرد كحلقة في فلاة قي" ، ثم تلا هذه الآية : « و ينزل من السماء من جبال فيها من برد (٧) » و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد (٨) عند حجب النور كحلقة في فلاة قي" ، و هو سبعون ألف حجاب يذهب نورها بالأبصار ، و هذا و السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء و الحجب عند الهواء الذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قي" ، و السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء (٩) و الحجب في الكرسي كحلقة في فلاة قي" ، ثم تلا هذه الآية : « وسع كرسيه السماوات و الأرض و لا يؤده حفظهما و هو العلي العظيم (١٠) » و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء و الحجب و الكرسي عند العرش كحلقة في فلاة قي"

(٢٠١) وفيه : كحلقة ملقاة (٣) طه ، ٦

(٤) في الكافي ، عند الثرى . (٥) في التوحيد و الكافي ، سماء

(٦) في الكافي ، و هن . . (٧) النور : ٤٣ .

(٨) في الكافي : و جبال البرد عند الهواء .

(٩) في الكافي : . . و الهواء عند حجب النور كحلقة في فلاة قي" ، و هذه السبع و البحر

المكفوف و جبال البرد و الهواء و حجب النور عند الكرسي .

(١٠) البقرة : ٢٥٥ .

ثم تلا هذه الآية : « الرحمن على العرش استوى ^(١) » ما تحمله الأملاك إلا بقول لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله [العلي العظيم ^(٢)] .

الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن صفوان ، عن خلف بن حماد مثله .

بيان : « فإنه أتقى » أي أقرب إلى التقوى و أنسب بها ، أو أحفظ لصاحبه عن مفاسد الدنيا والآخرة . وقال الجوهري : الفلاة المفاضة . وقال : القى بالكسر والتشديد « فعل » من القواء وهي الأرض القفر الخالية . وقال : التخم منتهى كل قرية أو أرض يقال : فلان على تخم من الأرض ، والجمع تخوم . قوله **العلي** « ثم انقطع الخير » وفي الكافي « عند الثرى » والمعنى أننا لم نخبر به أولم نؤمر بالأخبار به . قوله « المكفوف عن أهل الأرض » أي ممنوع عنهم لا ينزل منه ماء إليهم ، وفي الكافي بعد قوله : « من جبال فيها من برد » هكذا : و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد عند الهواء الذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قي ، و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء عند حجب النور كحلقة في فلاة قي ، و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء عند حجب النور كحلقة في فلاة قي ، و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء عند حجب النور عند الكرسي - إلى قوله - : وتلا هذه الآية : « الرحمن على العرش استوى » ثم قال : وفي رواية الحسن : الحجب قبل الهواء الذي تحار فيه القلوب ، أي كانت الرواية في كتاب الحسن بن محبوب هكذا موافقاً لما نقله الصدوق .

ثم اعلم أن الخبر يدل على أن الأرضين طبقات بعضها فوق بعض، وقد يستشكل فيما اشتمل عليه هذا الخبر من أن الأرضين السبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء والثرى عند السماء الأولى كحلقة في فلاة قي ، فيدل على أن جميع ذلك ليس لها قدر محسوس عند فلك القمر ، مع أن الأرض وحدها لها قدر محسوس

(١) الكافي ، ج ٨ ، ص ١٥٣ ، و الآية في سورة طه : ٥ .

(٢) التوحيد ، ١٩٩ .

عنده بدلالة الخسوف و اختلاف المنظر و غير ذلك مما علم في الأبعاد و الأجرام . وقد يجاب عن ذلك بأنه لما لم يمكن أن تحمل النسب التي ذكرت بين هذه الموجودات في هذا الحديث على النسب المقدارية التي اعتبر مثلها بين الحلقة و الفلاة اللتين هما المشبه بهما في جميع المراتب فإنه خلاف ما دل عليه العقول الصحيحة السليمة بعد التأمل في البراهين الهندسية و الحسابية التي لا يحوم حولها الشك أصلاً ولا تترىبها الشبهة قطعاً ، فيمكن أن يأول و يحمل على أن المعنى أن نسبة الحكم و المصالح المرعية في خلق كل من تلك المراتب إلى ماروعي فيما ذكر بعده كنسبة مقدار الحلقة إلى الفلاة ليدل على أن ما يمكننا أن نشاهد أو ندرك من آثار صنعه و عجائب حكمته في الشواهد ليس له نسبة محسوسة إلى أدنى ما هو محجوب عنا فكيف إلى ما فوقه . و أجاب آخرون : بأن المعنى ارتفاع ثقل كل من تلك الموجودات عما اتصل به ، فالطبقة الأولى من الأرض رفع الله ثقلها عن الطبقة الثانية فليس ثقلها عليها إلا كثقل حلقة على فلاة سواء كانت أكبر منها حجماً أو أصغر . و أقول : على ما احتملنا سابقاً من كون جميع الأفلاك أجزاء من السماء الدنيا داخلية فيها كما هو ظاهر الآية الكريمة يمكن حمل هذا التشبيه على ظاهره من غير تأويل ، والله يعلم حقائق الموجودات .

١١ - **توحيد المفضل** : قال : قال الصادق عليه السلام : فُكِّرْ يا مفضل فيما خلق الله عز وجل عليه هذه الجواهر الأربعة ليتسع ما يحتاج إليه منها فمن ذلك سعة هذه الأرض و امتدادها ، فلولا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس و مزارعهم و مراعيهم و منابت أخشابهم و أحطابهم و العقاقير العظيمة و المعادن الجسيمة غناؤها ، ولعل من ينكر هذه الفلوات الخالية ^(١) و القفار الموحشة يقول : ما المنفعة فيها ؟ فهي مأوى هذه الوحوش و محالها و مرعاها ، ثم فيها بعد متنفس و مضطرب للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم ، وكم يبداءوكم فدفدحالت قصوراً و جنائناً بانتقال الناس إليها و حلولهم فيها ، ولولا سعة الأرض و فسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد

(١) في بعض النسخ « الخاوية » و الظاهر من بيان المؤلف انه كان كذلك في نسخه

مندوحة عن وطنه إذا أحرزته ^(١) أمر يضطره إلى الانتقال عنه . ثم فكّر في خلق هذه الأرض على ماهي عليه حين خلقت راتبة راكنة ، فيكون موطناً مستقراً للأشياء فيتمكّن الناس من السعي عليها في مأربهم ، والجلوس عليها لراحتهم ، والنوم لهدوئهم ، والإيقان لأعمالهم ، فإنّها لو كانت رجراجة متكفّثة لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والتجارة و الصناعة وما أشبه ذلك ، بل كانوا لا يتنهّون بالعيش و الأرض ترتج من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلّة مكثها حتى يصيروا إلى ترك منازلهم والهرب عنها . فإن قال قائل : فلم صارت هذه الأرض تزلزل ؟ قيل له : إن الزلزلة وما أشبهها موعظة و ترهيب يرهب بها الناس ليرعوا عن المعاصي ، و كذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم و يدخر لهم إن صلحوا من الثواب و العوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من أمور الدنيا ، و ربما عجّل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا صلاحاً للعامة و الخاصة . ثم إن الأرض في طباعها الذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة ، و إنّما الفرق بينها و بين الحجارة فضل يابس في الحجارة ، أفرايت لو أن اليبس أفرط على الأرض قليلاً حتى تكون حجراً صلباً أكانت تثبت هذا النبات الذي به حياة الحيوان وكان يمكن بها حرث أو بناء ؟ أفلا ترى كيف نقصت عن ^(٢) يابس الحجارة وجعلت على ماهي عليه من اللين و الرخاوة و لتهيئاً للاعتماد ، و من تدبير الحكيم - جلّ و علا - في خلقه الأرض أن مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب ، فلم يجعل الله عزّ و جلّ كذلك إلاّ لتنحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها و تروئها ثم يفيض آخر ذلك إلى البحر ، فكما يرفع أحد جانبي السطح و ينخفض ^(٣) الآخر لينحدر الماء عنه ولا تقوم عليه كذلك جعل مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب لهذه العلة بعينها ، ولولا ذلك لبقى الماء متحيراً على وجه الأرض فكان يمنع الناس من أعمالها و يقطع الطرق و المسالك . ثم الماء لولا كثرته و تدفّقه في العيون و الأودية و الأنهار لضاقت عمماً يحتاج الناس

(١) في بعض النسخ « حزبه » والظاهر من بيان المؤلف انه موافق لنسخته .

(٢) ينخفض (خ)

(٢) من (خ)

إليه لشربهم و شرب أنعامهم و مواشيهم و سقى زروعهم و أشجارهم و أصناف غلاتهم ، و شرب ما يرده من الوحوش و الطير و السباع و تتلَب فيهِ الحيتان و دوابُّ الماء ، و فيه منافع أُخر أنت بها عارف ، و عن عظم موقعها غافل ، فإنَّه سوى الأمر الجليل المعروف من غنائه في إحياء جميع ما على الأرض من الحيوان و النبات يمزج بالأشربة قتلين و تطيب لشاربها ، و به تنظف الأبدان و الأمتعة من الدرن الذي يغشاها ، و به يبيلُ التراب فيصلح للاعتمال ، و به نكفُ عادية النار إذا اضطرمت و أشرف الناس على المكروه. و به يستحمُّ المتعب الكالُ فيجد الراحة من أوصابه ، إلى أشباه هذا من المآرب التي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة إليها . فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار و قلت : ما الأرب فيه ؟ فاعلم أنَّه مكنتف و مضطرب ما لا يحصى من أصناف السمك و دوابُّ البحر و معدن اللؤلؤ و الياقوت و العنبر و أصناف شتى تستخرج من البحر و في سواحله منابت العود اليلنجوج و ضروب من الطيب و العقاقير ، ثم هو بعد مركب الناس و محمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة ، كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق ، و من العراق إلى العراق ، فإنَّ هذه التجارات لو لم يكن لها محمل إلا على الظهر لبارت^(١) و بقيت في بلدانها و أيدي أهلها ، لأنَّ أجر حملها كان يجاوز أثمانها فلا يترضى أحد لحملها ، و كان يجتمع في ذلك أمران : أحدهما فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها ، و الآخر : انقطاع معاش من يحملها و يتعيش بفضلها . و هكذا الهواء لولا كثرتة و سعته لا ختنق هذا الأنام من الدخان و البخار التي يتحير فيه و يعجز عما يحول إلى السحاب و الضباب أو لآ أو لآ ، و قد تقدّم من صفته ما فيه كفاية . و النار أيضاً كذلك ، فإنَّها لو كانت مبنوثة كالنسيم و الماء كانت تحرق العالم و ما فيه و لم يكن بدُّ من ظهورها في الأحيين لغنائها في كثير من المصالح ، فجعلت كالمخزونة في الأخشاب تلمس عند الحاجة إليها و تمسك بالمادة و الحطب ما احتيج إلى بقائها لئلا تخبوا ، فلاهي تمسك بالمادة و الحطب فتعظم الأثورة في ذلك ، ولاهي تظهر مبنوثة فتحرق كلما هي فيه ، بل هي على تهيئة و تقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها

(١) بار السوق أو السلعة : كسدت .

و السلامة من ضررها . ثم فيها خلّة أخرى وهي أنّها ممتّا خصّ به الإنسان دون جميع الحيوان لماله فيها من المصلحة ، فإنّه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه ، فأما البهائم فلا تستعمل النار ولا تستمتع بها ، ولما قدر الله عزّ وجلّ أن يكون هذا هكذا خلق للإنسان كفاً و أصابع مهياةً لقدح النار واستعمالها ، ولم يعط البهائم مثل ذلك ، لكنّها اغتيت بالصبر على الجفاء و الخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الإنسان . وأنبئك من منافع النار على خلّة صغيرة عظيم موقعها ، و هي هذا المصباح الذي يتخذّه الناس فيقضون به حوائجهم ماشاؤوا من ليهم ، ولولا هذه الخلّة لكان الناس تصرف أعمارهم بمنزلة من في القبور ، فمن كان يستطيع أن يكتب أو يحفظ أو ينسج في ظلمة الليل ؟ وكيف كانت حال من عرض له وجع في وقت من أوقات الليل فاحتاج إلى أن يعالج ضماداً أو سفوفاً أو شيئاً يستشفى به ؟ فأما منافعها في فضج الأطعمة ودفأ الأبدان و تجفيف أشياء و تحليل أشياء و أشباه ذلك فأكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى .

تبيان (١) : العقاقير أصول الأدوية ، والغناء - بالفتح - : المنفعة ، والخاوية : الخالية ، والدفد : الفلاة و المكان الصلب الغليظ و المرتفع والأرض المستوية ، والفسحة - بالضم - : السعة ، ويقال : لي عن هذا الأمر مندوحة و مندوح أي سعة ، و حزبه أمر أي أصابه ، والرابتة : الثابتة ، والراكنة : الساكنة ، وهما هده وهدوء : سكن ، و قوله ﷺ : رجاجة : أي متزلزلة متحركة ، والتكفي : الانقلاب و التمايل و التحريك و الارتجاج : الاضطراب ، و الارعواء : الرجوع عن الجهل و الكف عن القبيح ، و الصلد - و يكسر - : الصلب الأملس . قوله ﷺ « إن مهب الشمال أرفع » أي بعد ما خرجت الأرض من الكروية الحقيقية صار ما يلي الشمال منها في أكثر المعمورة أرفع مما يلي الجنوب ، ولذا ترى أكثر الأنهار - كدجلة و الفرات و غيرها - تجري من الشمال إلى الجنوب ، ولما كان الماء الساكن في جوف الأرض تابعاً للأرض في ارتفاعه وانخفاضه فلذا صارت العيون المنفجرة تجري هكذا من الشمال إلى الجنوب حتى

تجري على وجه الأرض ، ولذا حكموا بفوقية الشمال على الجنوب في حكم اجتماع البشر والبالوعة وإذا تأملت فيما ذكرنا يظهر لك ما بينه عَلَيْهِ السَّلَامُ من الحكم في ذلك وأنه لا ينافي كروية الأرض . والتدقيق : التصبب . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « فإنه سوى الأمر الجليل » الضمير راجع إلى الماء وهو اسم « إن » و « يمزج » خبره ، أي للماء سوى النفع الجليل المعروف - وهو كونه سبباً لحياة كل شيء - منافع أخرى : منها أنه يمزج مع الأشربة . وقال الجوهري : الحميم : الماء الحار ، وقد استحممت : إذا اغتسلت به ثم صار كل اغتسال استحماماً بأي ماء كان (انتهى) . والوصب - محرّكة - : المرض والمكتنف - بفتح النون من الكنف بمعنى الحفظ والإحاطة ، واكتنفته أي أحاط به ويظهر منه أن نوعاً من الياقوت يتكوّن في البحر ، وقيل : أُطلق على المرجان مجازاً و يحتمل أن يكون المراد ما يستخرج منه بالغوص وإن لم يتكوّن فيه . و الينجوج : عود البخور ، و « من العراق » أي البصرة « إلى العراق » أي الكوفة ، أو بالعكس . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « ويعجز » أي لولا كثرة الهواء لعجز الهواء عما يستحيل الهواء إليه من السحاب والضباب التي تتكوّن من الهواء « أولاً أو ثانياً » أي تدريجاً ، أي كان الهواء لا يفي بذلك أو لا يتسع لذلك ، والضباب - بالفتح - ندى كالغيم ، أو سحاب رقيق كال دخان . والأحيان جمع أحيان وهو جمع حين بمعنى الدهر والزمان . قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ « فلا هي تمسك بالمادة و الحطب » أي دائماً بحيث إذا انطفت لم يمكن إعادتها ، و المادة : الزيادة المتصلة والمراد هنا الدهر ومثله . ودفاء الأبدان ^(١) - بالكسر - دفع البرد عنها .

١٢ - الدر المنثور : سئل عن ابن عباس : هل تحت الأرض خلق ؟ قال : نعم ألا ترى إلى قوله تعالى « خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن » يتنزّل الأمر بينهن ^(٢) .

(١) الدفاء - بالكسر - ، ما يستهدأ به (لا الاستدفاء دفع البرد) وام نجد في كتب اللغة شاهداً على ما ذكره ، والظاهر أنه هنا « الدنيا » كإظهاً بمعنى التسخن .

(٢) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٣٨

١٣ - و عن قتادة في قوله « سبع سماوات و من الأرض مثلهن » قال : في كل سماء و كل أرض خلق من خلقه و أمر من أمره و قضاء من قضائه (١) .

١٤ - و عن مجاهد في قوله : « يتنزل الأمر بينهن » قال : من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ملفوفة (٢) .

١٥ - و عن الحسن في الآية قال : بين كل سماء و أرض خلق و أمر (٣) .

١٦ - و عن ابن جريح قال : بلغني أن عرض كل سماء (٤) مسيرة خمسمائة سنة ، و أن بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ؛ و أخبرت أن الريح بين الأرض الثانية و الثالثة ؛ و الأرض السابعة فوق الثرى و اسمها تخوم ؛ و أن أرواح الكفار فيها ، فإذا كان يوم القيامة ألقتهم إلى برهوت ، و الثرى فوق الصخرة التي قال الله : « في صخرة » و الصخرة على الثور له قرنان و له ثلاث قوائم يتلغ ماء الأرض كلها يوم القيامة ، و الثور على الحوت و ذئب الحوت عند رأسه مستدير تحت الأرض السفلى و طرفاه منعقدان تحت العرش ، و يقال ، الأرض السفلى عمد (٥) بين قرني الثور ، و يقال : بل على ظهره و اسمها يهموت (٦) ، و أخبرت أن عبد الله بن سلام سأل النبي ﷺ : على ما الحوت ؟ قال : على ماء أسود ، و ما أخذ منه الحوت إلا كما أخذ حوت من حيتانكم من بحر من هذه البحار ، و حدثت أن إبليس يغلغل إلى الحوت فيعظم (٧) له نفسه و قال : ليس خلق بأعظم منك عزاً (٨) و لا أقوى منك ، فوجد الحوت في نفسه فتحرّك

(١ و ٢) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٣٨ ، و ليس في الثاني لفظه « ملفوفة » .

(٣) كذا في المصدر و أكثر نسخ الكتاب ، و في طبعة امين الضرب صحح الرواية على مثل رواية قتادة ، و الظاهر أنه سهو من المصحح .

(٤) في المصدر ، أرض

(٥) في المصدر ، على عمد من قرني الثور

(٦) > > و بعض نسخ الكتاب : يهموت .

(٧) كذا في جميع نسخ الكتاب ، و في المصدر « تغلغل إلى الحوت فعظم له نفسه » وهو

فمنه تكون الزلزلة إذا تحرك ، فبعث الله حوتاً صغيراً فأسكنه في أذنه فإذا ذهب يتحرك تحرك الذي في أذنه فيسكن (١) .

١٧ - وعن ابن عباس في قوله « ومن الأرض مثلهن » قال : سبع أرضين في كل أرض نبي كنعينكم ، و آدم كآدم ، و نوح كنوح ، و إبراهيم كإبراهيم ، و عيسى كعيسى (٢) .

١٨ - وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : إن الأرضين بين كل أرض و التي تليها مسيرة خمسمائة عام ، و العليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء و الحوت على صخرة و الصخرة بيد ملك ، و الثانية مسجن الرياح فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الرياح أن يرسل عليهم ريحاً يهلك عاداً ، فقال : يا رب أرسل عليهم من الرياح قدر منخر الثور ؟ فقال له الجبار : إذن تكفأ الأرض و من عليها ، و لكن أرسل عليهم بقدر خاتم ، فهي التي قال الله في كتابه « ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم » و الثالثة فيها حجارة جهنم . و الرابعة فيها كبريت جهنم ، فقالوا : يا رسول الله أألنار كبريت ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده إن فيها لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسي لماعت . و الخامسة فيها حيات جهنم ، إن أفواها كالأودية تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على وضم . و السادسة فيها عقارب جهنم ، إن أدنى عقربة منها كالبلغال المؤكفة تضرب الكافر ضربة ينسيه ضربها حر جهنم . و السابعة فيها سقر و فيها إبليس مصفد بالحديد يد أمامه ويد خلفه ، فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه (٣) .

١٩ - وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : كنف الأرض مسيرة خمسمائة عام ، و الثانية مثل ذلك ، و ما بين كل أرض أرضين مثل ذلك (٤) .

٢٠ - و عن ابن عباس قال : سيّد السماوات السماء التي فيها العرش ، و سيّد

(١ و ٢) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٣٨ .

(٣) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٣٨ .

(٤) > > (٤) ج ٦ ، ص ٢٣٩ .

الأرضين الأرض التي نحن فيها (١) .

٢١ - و عن كعب قال : الأرضون السبع على صخرة ، والصخرة في كعب ملك و الملك على جناح الحوت ، و الحوت في الماء (٢) على الريح ، و الريح على الهواء ريح عقيم لا تلقح ، و إن قرونها معلقة بالعرش (٣)

٢٢ - و عن أبي مالك قال : الصخرة التي تحت الأرض منتهى الخلق ، على أرجائها أربعة أملاك رؤوسهم تحت العرش (٤) .

٢٣ - و عنه قال : الصخرة تحت الأرضين على حوت ، و السلسلة في أذن الحوت (٥) .

٢٤ - و عن ابن عباس قال : إن أول شيء خلقه الله القلم فقال له : اكتب ، قال : يا رب و ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر يجري (٦) من ذلك اليوم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم طوى الكتاب و رفع القلم و كان عرشه على الماء ، فارتفع بخار الماء ففتقت منه السماوات ، ثم خلق النون فبسطت عليه الأرض ، و الأرض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض فأنبتت بالجبال ، فإن الجبال لتفخر على الأرض إلى يوم القيامة ، ثم قرأ ابن عباس « ن و القلم و ما يسطرون » .

٢٥ - و عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : إن أول ما خلق الله القلم و الحوت ، و قال ما أكتب ؟ قال : كل شيء كائن إلى يوم القيامة ، ثم قرأ « ن و القلم ، فالنون الحوت .

٢٦ - و عنه قال : قال رسول الله ﷺ : النون السمكة التي عليها قرار الأرضين و القلم الذي خط به ربنا عز وجل القدر خيره و شره و نفعه و ضرره « و ما يسطرون » قال : الكرام الكاتبون (٧) .

بيان : في القاموس : ما ع الشيء يميع : جرى على وجه الأرض منبسطاً في هيئة

(١) الدر المنثور ج ٤ ص ٢٣٨ .

(٢) في المصدر : و الماء على الريح .

(٣ - ٥) الدر المنثور ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ .

(٦) في المصدر : فجرى من ذلك اليوم ما . . .

(٧) الدر المنثور ، ج ٤ ، ص ٢٥٠ .

و السمن : ذاب . وقال : الوضم - محرّكة - : ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب و حصير . وقال : إكاف الجمار ككتاب و غراب و وكافه : برزغته ، و آكف الحمار إيكافاً و أكّفه تأكيفاً : شدّه عليه .

٢٧ - نوادر الراوندي : بإسناده عن جعفر بن محمد ، عن آبائه عليهم السلام قال : أقبل رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أحدهما لصاحبه : اجلس على اسم الله تعالى والبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اجلس على استك فأقبل يضرب الأرض بعضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله : لا تضربها فإنها أمكم وهي بكم برّة .

٢٨ - و بهذا الإسناد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تمسحوا بالأرض فإنها أمكم وهي بكم برّة .

بيان : قال في النهاية : في الحديث «تمسحوا بالأرض فإنها بكم برّة» أي مشفقة عليكم كالوالدة البرّة بأولادها ، يعني أن منها خلقكم وفيها معاشكم وإليها بعد الموت معادكم ، و التمسح أراد به التيمّم ، و قيل : أراد مباشرة ترايبها بالجباه في السجود من غير حائل (انتهى) .

و أقول : يحتمل أن يراد به ما يشمل الجلوس على الأرض بغير حائل ، والأكل على الأرض من غير مائدة بقرينة الخبر الأول .

٢٩ - العلل : لمحمد بن علي بن إبراهيم قال : العلة في أن الأرض لا تقبل الدم أنه لما قتل قابيل أخاه هاويل غضب آدم على الأرض فلا تقبل الدم لهذه العلة .

٣٠ - العلل : عن علي بن أحمد الدقاق ، عن الكليني ، عن علقان بإسناده رفعه قال : أتى علي بن أبي طالب يهودي فسأله عن مسائل فكان فيما سأله : أخبرني عن قرار هذه الأرض على ما هو ؟ فقال عليه السلام : قرار هذه الأرض لا يكون إلا على عاتق ملك وقدماء ذلك الملك على صخرة ، و الصخرة على قرن ثور ، و الثور قوائمه على ظهر الحوت في اليم الأسفل ، واليم على الظلمة ، والظلمة على العقيم ، و العقيم على الثرى و ما يعلم تحت الثرى إلا الله عز وجل (الخبر) (١) .

(١) علل الشرائع ، ج ١ ، ص ١٠١ - ١٠٢ (مع تقطيع) .

٣١ - النهج : قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة التوحيد : لا يجري عليه السكون والحركة ، وكيف يجري عليه ما هو أجراه ويعود فيه ما هو أبداه ، ويحدث فيه ما هو أحدثه ؛ إذناً لتفاوتت ذاته ، ولتجزأ كنهه ، ولامتنع من الأزل معناه ، وكان له وراء إذ وجدله أمام ، ولالتمس التمام إذ لزمه النقصان ^(١) .

بيان : قال بعض شراح النهج في قوله عليه السلام « ولتجزأ كنهه » إشارة إلى نفي الجوهر الفرد ؛ وقال : قوله عليه السلام « وكان له وراء إذ كان له أمام » يؤكد ذلك لأن من أثبتة يقول يصح أن تحلّه الحركة ولا يكون أحد وجهيه غير الآخر .

فائدة

اعلم أن الطبيعيين والرياضيين اتفقوا على أن الأرض كروية بحسب الحسن وكذا الماء المحيط بها ، وصارا بمنزلة كرة واحدة ، فالماء ليس بتام الاستدارة بل هو على هيئة كرة مجوفة قطع بعض منها وملئت الأرض على وجه صارت الأرض مع الماء بمنزلة كرة واحدة ، ومع ذلك ليس شيء من سطحه صحيح الاستدارة ، أمّا المحدث ب فلما فيه من الأمواج ، وأمّا المقعر فالتضاريس فيه من الأرض . وقد أخرج الله تعالى قريباً من الربع من الأرض من الماء بمحض عنايته الكاملة ، أو لبعض الأسباب المتقدمة لتكون مسكناً للحيوانات المتنفسه وغيرها من المركبات المحوجة إلى غلبة العنصر اليابس الصلب لحفظ الصور والأشكال وربط الأعضاء والأوصال . ومما يدل على كروية الأرض ما أومأنا إليه سابقاً من طلوع الكواكب وغروبها في البقاع الشرقية قبل الموعها وغروبها في الغربية بقدر ما تقتضيه أبعاد تلك البقاع في الجهتين على ما علم من ارصاد كسوفات بعينها لا سيما القمرية في بقاع مختلفة ، فإن ذلك ليس في ساعات متساوية البعد من نصف النهار على الوجه المذكور ، وكون الاختلاف متقدراً بقدر الأبعاد دليل على الاستدارة المتشابهة السائرة بحدبتها المواضع التي يتلوه بعضها بعضاً على قياس واحد بين الخافقين ، وازدياد ارتفاع القطب والكواكب الشمالية وانحطاط الجنوبية للسائرين

إلى الشمال و بالعكس للسائرين إلى الجنوب بحسب سيرهما دليل على استدارتها بين الجنوب و الشمال ، وترتّب الاختلافين يعطي الاستداره في جميع الامتدادات . ويؤيدّه مشاهدة استدارة أطراف المنكسف من القمر الدالّة على أن الفصل المشترك بين المستضيء من الأرض و ما ينبعث منه الظلّ دائرة ، و كذلك اختلاف ساعات النهر^(١) الطوال و القصار في مساكن متّفقة الطول إلى غير ذلك . و لو كانت أسطوانيّة قاعدتها نحو القطبين لم يكن لسائري الاستدارة كوكب أبديّ الظهور ، بل إمّا الجميع طالعة غاربة أو كانت كواكب . يكون من كلّ واحد من القطبين على بعد تستره القاعدتان أبديّة الخفاء و الباقية طالعة غاربة و ليس كذلك ، و أيضاً فالسائر إلى الشمال قد يغيب عنه دائماً كواكب كانت تظهر له ، و تظهر له كواكب كانت تغيب عنه بقدر إمعانه في السير ، و ذلك يدلّ على استدارتها في هاتين الجهتين أيضاً . و ممّا يدلّ على استدارة سطح الماء الواقف طلوع رؤوس الجبال الشامخة على السائرين في البحر أو لآ ثمّ ما يلي رؤوسها شيئاً بعد شيء في جميع الجهات . و قالوا : التضاريس التي على وجه الأرض من جهة الجبال و الاغوار لا تقدح في كرويتها الحسيّة ، إذ ارتفاع أعظم الجبال و أرقعها على ما وجدوه فرسخان و ثلث فرسخ ، و نسبتها إلى جرم الأرض كنسبة جرم سبع عرض شعيرة إلى كرة قطرها ذراع بل أقلّ من ذلك . و يظهر من كلام أكثر المتأخّرين : أن عدم قدح تلك الأمور في كرويتها الحسيّة معناه أنّها لا تخلّ بشكل جملتها كالبيضة ألزقت بها حبات شعير لم يقدح ذلك في شكل جملتها ، و اعترض عليه : بأنّ كون الأرض أو البيضة حينئذ على الشكل الكرويّ أو البيضيّ عند الحسّ ممنوع ، وكيف يمكن دعوى ذلك مع ما يرى على كلّ منهما ما يخرج به الشكل ممّا اعتبروا فيه و عرفوه به ؟ و ربما يوجّه بوجه آخر وهو أنّ الجبال والوهاد الواقعة على سطح الأرض غير محسوسة عادة عند الإحساس بجملة كرة الأرض على ما هي عليه في الواقع . بيانه : أنّ رؤية الأشياء تختلف بالقرب و البعد ، فيرى القريب ممّا هو الواقع و البعيد أصغر منه و هو ظاهر ، وقد أطبق القائلون بالانطباع و بخروج الشعاع كلّهم على أنّ هذا الاختلاف

(١) النهر - يهجمتين - جمع النهار .

في رؤية المرئي بسبب القرب و البعد إنما هو تابع لاختلاف الزاوية الحاصلة عند مركز الجليدية في رأس المخروط الشعاعي بحسب التوهّم أو بحسب الواقع عند انطباق قاعدته على سطح المرئي ، فكلمًا قرب المرئي عظمت تلك الزاوية ، و كلمًا بعد صغرت . وقد تقرّر أيضاً بين محققينهم أن رؤية الشيء على ما هو عليه إنما هو (١) في حالة يكون البعد بين الرائي و المرئي على قدر يقتضي أن تكون الزاوية المذكورة قائمة . فبناءً على ذلك إذا فرضت الزاوية المذكورة بالنسبة إلى جرمي قائمة يجب أن يكون البعد بين رأس المخروط و قاعدته المحيطة بالمرئي بقدر نصف قطر قاعدته على ما تقرّر في الأصول . فلما كان قطر الأرض أزيد من ألفي فرسخ بلا شبهة لا تكون مرئية على ما هي عليه من دون ألف فرسخ ، و معلوم أن الجبال و الوهاد المذكورة غير محسوسة عادة عند هذا البعد من المسافة فلا يكون لها قدر محسوس عند الأرض بالمعنى الذي مهّدنا .

ثم إنهم استعملوا بزعمهم مساحة الأرض و أجزاءها و دوائرها في زمان المأمون و قبله فوجدوا مقدار محيط الدائرة العظمى من الأرض ثمانية آلاف فرسخ ، و قصرها ألفين و خمسمائة و خمسة و أربعين فرسخاً و نصف فرسخ تقريباً ، و مضروب القطر في المحيط مساحة سطح الأرض و هي عشرون ألف ألف و ثلاثمائة و ستون ألف فرسخ و ربع ذلك مساحة الربع المسكون من الأرض . و أمّا القدر المعلوم من الربع المسكون و هو ما بين خط الاستواء و الموضع الذي عرضه بقدر تمام الميل الكلي فمساحته ثلاثة آلاف ألف و سبعمائة و خمسة و ستين ألفاً و أربعمائة و عشرين فرسخاً و هو قريب من سدس سطح جميع الأرض و سدس عشره . و الفرسخ ثلاثة أميال بالاتفاق ، و كل ميل أربعة آلاف ذراع عند المحدثين ، و ثلاثة آلاف عند القدماء ، و كل ذراع أربع و عشرون إصباعاً عند المحدثين ، و اثنان و ثلاثون عند القدماء . و كل إصبع بالاتفاق مقدار ست شعيرات مضمومة بطون بعضها إلى ظهور بعض من الشعيرات المعتدلة .

وذكروا أن للأرض ثلاث طبقات : الأولى : الأرض الصرفة المحيطة بالمركز

الثانية : الطبقة الطينية وهي المجاورة للماء ؛ الثالثة . الطبقة المنكشفة من الماء وهي التي تحتبس فيها الأبخرة والأدخنة وتولد منها المعادن والنباتات والحيوانات . وزعموا أن البسائط كلها شفافة لا تحجب عن إِبصار ماورائها ماعدا الكواكب ، وأن الأرض الصرفة المتجاورة ^(١) للمركز أيضاً شفافة ، والطبقتان الأخريان ليستا بسيطتين فهما كثيفتان . فالأرض جعل الله الطبقة الظاهرة منها ملوثة كثيفة غبراء لتقبل الضياء وخلق ما فوقها من العناصر مشفئة لطيفة بالطباع لينفذ فيها ويصل إلى غيرها ساطع الشعاع ، فإن الكواكب وسيما الشمس والقمر أكثر تأثيراتها في العوالم السفلى بوسيلة أشعتها المستقيمة والمنعطفة والمنعكسة بإذن الله تعالى . وقالوا : الأرض في وسط السماء كالمركز في الكرة فينطبق مركز حجمها على مركز العالم ، وذلك لتساوي ارتفاع الكواكب وانحطاطها مدة ظهورها وظهور النصف من الفلك دائماً وتطابق أطلال الشمس في وقتي طلوعها وغروبها عند كونها على المدار الذي يتساوى فيه زمان ظهورها وخفائها على خط مستقيم ، أو عند كونها في جزئين متقابلين من الدائرة التي يقطعها سيرها الخاص بها ، وانخساف القمر في مقاراته ^(٢) الحقيقية للشمس ، فإن الأول يمنع ميلها إلى أحد الخافقين ، والثاني إلى أحد السمتين : الرأس والقدم ، والثالث إلى أحد القطبين ، والرابع إلى شيء منها أو من غيرها من الجهات كما لا يخفى . وكما أن مركز حجمها منطبق على مركز العالم فكذا مركز ثقلها ، وذلك لأن الثقال تميل بطبعها إلى الوسط كما دلت عليه التجربة ، فهي إذن لا تتحرك عن الوسط ، بل هي ساكنة فيه متدافعة بأجزائها من جميع الجوانب إلى المركز تدافعا متساوياً ، فلا محالة ينطبق مركز ثقلها الحقيقي المتحد بمركز حجمها التقريبي على مركز العالم ومستقرها عند وسط العالم لتكافؤ القوى بلا تزلزل واضطراب يحدث فيها لثباتها بالسبب المذكور ، و لكون الأثقال المنتقلة من جانب منها إلى الآخر في غاية الصغر بالقياس إليها لا يوجب انتقال مركز ثقلها من نقطة إلى أخرى بحركة شيء منها ، وكذا الأجزاء

(١) المجاورة (خ) .

(٢) المقاطرة : مقابلة القطرين .

المبائنة لها تهوي إليها وهي تقبلها من جميع نواحيها من دون اضطراب . هذا ما ذكره في هذا المقام ، ولا نعرف من ذلك إلا كون الجميع بقدره القادر العليم وإرادة المدبّر الحكيم كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى .

وقال الشيخ المفيد - قدس سره - في كتاب المقالات : أقول : إن العالم هو السماء والأرض وما بينهما وفيهما من الجواهر والأعراض ، ولست أعرف بين أهل التوحيد خلافاً في ذلك . أقول : لعل مراده - قدس سره - بالسموات ما يشمل العرش والكرسي والحجب ، وغرضه نفي الجواهر المجردة التي تقول بها الحكماء . ثم قال - رحمه الله - وأقول : إن الفلك هو المحيط بالأرض الدائر عليها وفيه الشمس والقمر وسائر النجوم ، والأرض في وسطه بمنزلة النقطة في وسط الدائرة ، وهذا مذهب أبي القاسم البلخي وجماعة كثيرة من أهل التوحيد ، ومذهب أكثر القدماء والمنجمين وقد خالف فيه جماعة من بصرية المعتزلة وغيرهم من أهل النحل . وأقول : إن المتحرك من الفلك إنما يتحرك حركة دورية كما يتحرك الدائر على الكرة ، وإلى هذا ذهب البلخي وجماعة من أهل التوحيد ، والأرض على هيئة الكرة في وسط الفلك وهي ساكنة لا تتحرك ، وعلّة سكونها أنّها في المركز ، وهو مذهب أبي القاسم وأكثر القدماء والمنجمين ، وقد خالف فيه الجبائي وابنه وجماعة غيرهما من أهل الآراء والمذاهب من المقلّدة والمتكلمين . - ثم قال - : وأقول : إن العالم مملوءة من الجواهر وإنه لا خلافاً فيه ، ولو كان فيه خلافاً لما صحّ فرق بين المجتمع والمتفرّق من الجواهر والأجسام وهو مذهب أبي القاسم خاصة من البغداديين ، ومذهب أكثر القدماء من المتكلمين وخالف فيه الجبائي وابنه وجماعة متكلمي أهل الحشو والجبر والتشبيه . - ثم قال - : وأقول : إن المكان هو ما أحاط بالشيء من جميع جهاته ، ولا يصحّ تحرك الجواهر إلا في الأماكن ؛ والوقت هو ما جعله الموقّت وقتاً للشيء وليس بحادث مخصوص والزمان اسم يقع على حركات الفلك فلذلك لم يكن الفعل محتاجاً في وجوده إلى وقت ولا زمان ، وعلى هذا القول سائر الموحّدين .

و سئل السيد المرتضى - رحمه الله - : الفراغ له نهاية ؟ والقديم تعالى يعلم

منتهى نهايته؟ وهذا الفراغ أي شيء هو؟ وكذلك الطبقة الثامنة من الأرض والثامنة من السماء تقطع أن هناك فراغاً أم لا؟ فإن قلت: لا، طابتك بما وراء الملائكة، القديم تعالى يعلم أن هناك نهاية، فإن قلت: نعم، طابتك أي شيء وراء النهاية؟

فأجاب - رحمه الله - : إن الفراغ لا يوصف بأنه منتهى، ولا أنه غير منتهى على وجه الحقيقة، وإنما يوصف بذلك مجازاً واتساعاً، وأما قوله: وهذا الفراغ أي شيء هو؟ فقد علمنا^(١) أنه لا جوهر ولا عرض ولا قديم ولا محدث ولا هو ذات ولا هو معلوم كالمعلومات. وأما الطبقة الثامنة من الأرض فما نعرفها، والذي نطق به القرآن: « سبع سموات طباقاً ومن الأرض مثلهن » فأمّا غير ذلك فلا سبيل للقطع به من عقل ولا شرع (انتهى).

وأقول: بسط الكلام في هذه الأمور خروج عن مقصود الكتاب، ومحلّه علم الكلام.

٣٢

﴿ باب آخر ﴾

﴿ في قسمة الارض الى الاقاليم و ذكر جبل قاف و سائر الجبال ﴾

﴿ و كيفية خلقها و سبب الزلزلة و علتها ﴾

الآيات :

النحل : و ألقى في الأرض رواسي أن تُميد بكم^(٢) .

الكهف : حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً - إلى قوله - وكان وعد ربي حقاً^(٣) .

الانبياء : وجعلنا في الأرض رواسي أن تُميد بهم و جعلنا فيها فجاً سبلاً لعلمهم

(٢) النحل : ١٥ .

(١) قلنا (خ) .

(٣) الكهف : ٩٣ - ٩٨ .

يهتدون^(١) . وقال تعالى : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون^(٢) .

لقمان : و ألقى في الأرض رواسي أن تُميدبكم^(٣) .

فاطر : ومن الجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانها و غرايب سود^(٤) .

ص : إنا سخّرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق^(٥) .

ق : و ألقينا فيها رواسي^(٦) .

الطور : و الطور^(٧) - وقال تعالى - و تسير الجبال سيراً^(٨) .

المرسلات : و جعلنا فيها رواسي شامخات^(٩) .

النبا : ألم نجعل الأرض مهاداً و الجبال أوتاداً^(١٠) .

الغاشية : و إلى الجبال كيف نصبت^(١١) .

التين : و التين و الزيتون و طور سينين^(١٢) .

تفسير : « أن تميدبكم » قال المبرد : أي منح الأرض أن تميد ، و قيل : لثلاث تميد ، و قيل : أي كراهة أن تميد ، و قال بعض المفسرين : الميد الاضطراب في الجهات الثلاث ، و قيل : إن الأرض كانت تميد و ترجف رجوف السقف بالوطء فتقلها الله بالجبال الرواسي ليمنع من رجوفها ، ورووا عن ابن عباس أنه قال : إن الأرض بسطت على الماء فكانت تكفاً بأهلها كما تكفاً السفينة فأرسلها الله تعالى بالجبال . ثم إنهم

(١) الانبياء ، ٣١٠ .

(٣) لقمان ، ١٠٠ .

(٢) الانبياء ، ٩٥ .

(٥) ص ، ١٨ .

(٤) فاطر ، ٢٧ .

(٧) الطور ، ١٠ .

(٦) ق ، ٧ .

(٩) المرسلات ، ٢٧ .

(٨) الطور ، ١٠ .

(١١) الغاشية ، ١٩ .

(١٠) النبا : ٦ .

(١٢) التين ، ١٠ - ٢ .

اختلفوا في أنه لما صارت الجبال سبباً لسكون الأرض على أقوال ، و ذكروا ذلك وجوهاً و لنذكر بعضها :

الأول : ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره : أن السفينة إذا أُلقيت على وجه الماء فإنها تميل ^(١) من جانب إلى جانب و تضطرب فإذا وقعت الأجرام الثقيلة فيها استقرت على وجه الماء ، فكذلك لما خلق الله تعالى الأرض على وجه الماء اضطربت و ماتت ، فخلق الله تعالى عليها هذه الجبال ووتدها بها فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال . ثم قال : لقائل أن يقول : هذا يشكل من وجوه :

الأول أن هذا المعلل إما أن يقول بأن حركات الأجسام بطباعها أو يقول ليست بطباعها بل هي واقعة بإيجاد الفاعل ، المختار إياها ، فعلى التقدير الأول نقول : لاشك أن الأرض أثقل من الماء ، و الأثقل يغوص في الماء ولا يبقى طافياً عليه فامتنع أن يقال : إنها كانت تميد و تضطرب بخلاف السفينة فإنها متخذة من الخشب و في داخل الخشب تجويفات غير مملوءة ^(٢) فلذلك تميد و تضطرب على وجه الماء ، فإذا أُرسيَت بالأجسام الثقيلة استقرت و سكنت فظهر الفرق . و أمّا على التقدير الثاني و هو أن يقال ليس للأرض و الماء طبائع توجب الثقل و الرسوب ، و الأرض إنما تنزل لأن الله تعالى أجرى عاداته بجعلها كذلك ، و إنما صار الماء محيطاً بالأرض لمجرد إجراء العادة ليس ههنا طبيعة للأرض و لا للماء توجب حالة مخصوصة ، فنقول : على هذا التقدير علة سكون الأرض هي أن الله تعالى يخلق فيها السكون و علة كونها هائلة مضطربة هو أن الله تعالى يخلق فيها الحركة ، فيفسد القول بأن الله تعالى خلق الجبال لتبقى الأرض ساكنة ، فثبت أن التعليل مشكل على كلا التقديرين .

الإشكال الثاني : أن إرساء الأرض بالجبال إنما يعقل لأجل أن تبقى الأرض على وجه الماء من غير أن تميد و تميل من جانب إلى جانب ، وهذا إنما يعقل إذا كان الذي استقرت الأرض على وجهه واقفاً . فنقول : فما المقتضى لسكونه في ذلك الحيز

(١) في المصدر : تميد .

(٢) في المصدر : مملوءة من الهواء .

المختص ؟ فإن قلت : إن طبيعته توجب وقوفه في ذلك الحيز المعين فحينئذ يفسد القول بأن الأرض إنما وقفت بسبب أن الله تعالى أرساها بالجبال . وإن قلت : إن المقتضى لسكون الماء في حيزه المعين هو أن الله تعالى أسكن الماء بقدرته في ذلك الحيز المختص ، فنقول : فلم لا نقول مثله في سكن الأرض ؟ وحينئذ يفسد هذا التعليل أيضاً .

الإشكال الثالث : أن مجموع الأرض جسم واحد فبتقدير أن يميل بكلتيه و يضرب على وجه البحر المحيط لم تظهر تلك الحالة للناس . فإن قيل : أليس أن الأرض تحركها البخارات المحترقة في داخلها عند الزلازل وتظهر تلك الحركات للناس ؟ قلنا البخارات احتفت في داخل قطعة صغيرة من الأرض ، فلما حصلت الحركة في تلك القطعة ظهرت تلك الحركة ، فإن ظهور الحركة في تلك القطعة المعينة يجري مجرى اختلاج عضو من بدن الإنسان ، أما لو تحركت كلية الأرض لم تظهر ، ألا ترى أن الساكن في سفينة لا يحس بحركة كلية السفينة وإن كانت على أسرع الوجوه وأقواها^(١) انتهى كلامه .

و يمكن أن يجاب عنها : أما عن الإشكال الأول فبأن يختار أنها طالبة بطبعها للمركز ، لكن إذا كانت خفيفة كان الماء يحركها بأواجه حركة قسرية و يزيلها عن مكانها الطبيعي بسهولة ، فكانت تميد و تضرب بأهلها وتغوص قطعة منها و تخرج قطعة منها ، ولما أرساها الله تعالى بالجبال وأثقلها قاومت الماء وأواجه بثقلها فكانت كالأوتاد مثبتة لها . ومنه يظهر الجواب عن الإشكال الثاني ، على أن توقف إرساء الأرض بالجبال على سكن الماء في حيز معين ممنوع . وأما عن الإشكال الثالث فبأن يقال : ليس الامتنان بمجرد عدم ظهور حركة الأرض حتى يقال : إنه على تقدير حركتها بكلتيها لا يظهر للناس بل بخروج البقاع من الماء و عدم غرقها بحركة الأرض وميدانها بأهلها ، على أن الظاهر أن الحركة التي لاتحس إنما هي إذا كانت في جهة مخصوصة وعلى وضع واحد كحركة وضعية مستمرة أو حركة أينية على جهة

واحدة كحركة السفينة إذا كانت سائرة من غير اضطراب ، وأما إذا تحركت في جهات مختلفة واضطربت فيحس بها كحركة السفينة عند تلاطم البحر واضطرابه ، وهذا هو الفرق بين حالة الزلزلة وبين حركة الأرض في الظهور وعدمه ، فإننا لو فرضنا قطعة منها سائرة غير مضطربة في سيرها لما أحس بها كما لا يحس بحركة كلبها بل باضطراب الحركة وكونها في جهات مختلفة تحس الحركة ، سواء كان محلها كل الأرض أو بعضها .

الوجه الثاني : ما ذكره الفاضل المقدم ذكره أيضاً في تفسيره واختاره حيث قال : و الذي عندي في هذا الموضوع المشكل أن يقال : إنه ثبت بالدلائل اليقينية أن الأرض كرة و أن هذه الجبال على سطح هذه الكرة جارية مجرى خشونات وتضريسات تحصل على وجه هذه الكرة . إن ثبت هذا فنقول : إننا فرضنا أن هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الأرض كرة حقيقية خالية عن هذه الخشونات و التضريسات لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بأدنى سبب ، لأن الجرم البسيط المستدير وإن لم يجب كونه متحركاً بالاستدارة عقلاً ، إلا أنه بأدنى سبب تتحرك على هذا الوجه ، أما إذا حصل على سطح كرة الأرض هذه الجبال و كانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة ، فكل واحد من هذه الجبال إنما يتوجه بطبعه إلى مركز العالم ، و توجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جارية مجرى الوتد الذي يمنع كرة الأرض من الاستدارة ، فكان تخليق هذه الجبال على الأرض كالأوتاد المغروزة في الكرة المانعة لها عن الحركة المستديرة ، وكانت مانعة للأرض عن الميل والميل والاضطراب بمعنى أنها منعت الأرض عن الحركة المستديرة ، فهذا ما وصل إليه خاطري ^(١) في هذا الباب والله أعلم ^(٢) (انتهى) .

واعترض عليه بأن كلامه لا يخلو عن تشويش واضطراب ، و الذي يظهر من أوائل كلامه هو أنه جعل المناط في استقرار الأرض الخشونات و التضريسات من حيث إنها خشونات و تضريسات ، وذلك إما لما نفع الأجزاء المائية الملاصقة لتلك التضريسات

(١) في المصدر : بحثي .

(٢) مفاتيح النيب ، ج ٢٠ ، ص ٩ .

لاستلزام حركة الأرض زوالها عن مواضعها ، وحينئذ يكون علة السكون هي الجبال الموجودة في الماء لاماخلفت في الربع المكشوف من الأرض ، ولعله خلاف الظاهر في معرض الامتنان بخلق الجبال وهو خلاف الظاهر من قوله تعالى « وجعل فيها رواسي من فوقها » والقول بأن ما في الماء أيضاً فوقها فلعل المراد تلك الجبال لا يخلوا عن بعد مع أنها ربما كانت معاونة لحركة الأرض ، كما إذا تحركت كرة الماء بتموجها بأجمعها أو تموج أبعاضها المقاربة لتلك الخشونات ، وإنما يمانعها عن الحركة أحياناً عند حركة أبعاضها ، وإما لممانعة الأجزاء الهوائية المقارنة للجبال الكائنة على الربع الظاهر فكانت الأوتاد مثبتة لها في الهواء مانعة عن تحريك الماء بتموجها إياها كما يمانع الجبال المخلوقة في الماء عن تحريك الرياح إياها ، وحينئذ يكون وجود الجبال في كل منهما معاونة لحركة الأرض في بعض الصور معاوفاً عنها في بعضها ، ولامدخل حينئذ لثقل الجبال وترتيبها في سكون الأرض واستقرارها ، والذي يظهر من قوله « لأن الجرم البسيط - النخ - » أن البساطة توجب حركة الأرض ، إما بانفرادها أو بمشاركة عدم الخشونة ولعله استند في ذلك إلى أن البسيط تتساوى نسبة أجزائه إلى أجزاء المكان وإنما الطبيعة تقتضي انطباق مركز الثقل من الأرض على مركز العالم على أي وضع كان ، والماء لا يقوى على إخراج الكرة عن مكانها نعم يحررها بالحركة المستديرة ، بخلاف المركب فإنه ربما كان بعض أجزائه مقتضياً لوضع خاص كمحاذاة أحد القطبين مثلاً حتى تكون الفائدة تحصل بترتيب بعض أجزاء الأرض وإن لم يكن هناك جبل وارتفاع ، فلا يكون الامتنان بخلق الجبل من حيث أنه جبل ، بل من حيث أنه مركب ، إلا على تقدير كون المراد أن المقتضي للسكون هو الحالة المرعبة من الترتيب والتضريس ، و الظاهر من وصف الجبال بالشامخات في الآية مدخلية ارتفاعها في هذا المعنى ، إلا أن يكون الوصف لترتيب فوائدها غيرها ، وحينئذ لامدخل لثقل الجبال في سكون الأرض كما يظهر من قوله أخيراً ، فكل واحد من هذه الجبال إنما يتوجه بطبعه إلى مركز العالم ، وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جارياً مجرى الوتد الذي يمنع كرة الأرض من الاستدارة ، ومع ذلك لاينفع في نفي

الحركة المشرقية والمغربية بل يؤيدها ، ويمكن أن يكون مراده أن العلة هي المجموع من الأمور الثلاثة ، ولعله جعل الطبيعية الأرضية كافية في استقرارها في مكانها ، وإنما احتاج إلى المانع عن حركتها بالاستدارة حركة وضعية ، ولذا قال أخيراً : وكانت مانعةً للأرض عن الميّد والإضطراب ، بمعنى أنها منعت الأرض عن الحركة المستديرة .

الوجه الثالث : ما يخطر بالبال وهو أن يكون مدخيلة الجبال لعدم اضطراب الأرض بسبب اشتباكها واتصال بعضها ببعض في أعماق الأرض بحيث تمنعها عن تفتت أجزائها وتفرقها ، فهي بمنزلة الأوتاد المغروزة المثبتة في الأبواب المركبة من قطع الخشب الكثيرة بحيث تصير سبباً لالتصاق بعضها ببعض وعدم تفرقها ، وهذا معلوم ظاهر لمن حفر الآبار في الأرض فإنها تنتهي عند المبالغة في حفرها إلى الأحجار الصلبة ، و أنت ترى أكثر قطع الأرض واقعةً بين جبال محيطة بها ، فكأنها مع ما يتصل بها من القطعة الحجرية المتصلة بها من تحت تلك القطعات كالظرف لها تمنعها عن التفتت والتفرق والاضطراب عند عروض الأسباب الداعية إلى ذلك .

الوجه الرابع : ما ذكره بعض المتعسفين من أنه لما كانت فائدة الوند أن يحفظ الموتود في بعض المواضع عن الحركة والاضطراب حتى يكون قاراً ساكناً ، وكان من لوازم ذلك السكون في بعض الأشياء صحة الاستقرار على ذلك والتصرف عليه ، وكان من فائدة وجود الجبال والتضريسات الموجودة في وجه الأرض أن لا تكون مغمورة بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار والتصرف عليها ، لاجرم كان بين الأوتاد والجبال الخارجة من الماء في الأرض اشتراك في كونهما مستلزمين لصحة استقراره مانعين من عدمه ، لاجرم حسنت نسبة الأوتاد إلى الصخور والجبال . وأما إشعاره بالميدان فلأن الحيوان كما يكون صادقاً عليه أنه غير مستقر على الأرض بسبب انغمارها في الماء لولم يوجد الجبال كذلك يصدق على الأرض أنها غير مستقرة تحته ومضطربة بالنسبة إليه ، فثبت حينئذ أنه لولا وجود الجبال في سطح الأرض لكانت مضطربة ومائدة بالنسبة إلى الحيوان ، لعدم تمكنه من الاستقرار عليها .

الوجه الخامس : أن يكون المراد بالجبال الرواسي " الأنبياء والأولياء والعلماء ، و بالأرض الدنيا . أما وجه التجوز بالجبال عن الأنبياء والعلماء فلأن " الجبال لما كانت على غاية من الثبات والاستقرار مانعة لما يكون تحتها من الحركة والاضطراب عاصمة لما يلتجئ إليها من الحيوان عما يوجب له الهرب فيسكن بذلك اضطرابه وقلقلته أشبهت الأوتاد من بعض هذه الجهات . ثم لما كانت الأنبياء والعلماء هم السبب في انتظام أمور الدنيا وعدم اضطراب أحوال أهلها كانوا أكلاً وتادلاً للأرض ، فلا جرم صححت استعارة لفظ الجبال لهم ، و لذلك صح في العرف أن يقال : فلان جبل منيع يأوي إليه كل ملهوف إذا كان يرجع إليه في المهمات والحوائج ، والعلماء أو تاد الله في الأرض .

الوجه السادس : أن يكون المقصود من جعل الجبال كالأوتاد في الأرض أن يهتدى بها إلى طرقها والمقاصد فيها ، فلا تميد جهاتها المشتبهة بأهلها ولا تميل بهم فيتيهون فيها عن طرقهم ومقاصدهم . وهذه الوجوه الثلاثة ذكرها بعض المتعسفين ، و هذا دأبه في أكثر الآيات والأخبار حيث يؤوئها بالضرورة داعية وعلّة مانعة عن القول بظاها ، و هل هذا إلا اجترأ على مالك يوم الدين ، واقتراء على حجج رب العالمين ١٤ .

الوجه السابع : أن يقال : المراد بالأرض قطعاتها وبقاعها لا مجموع كرة الأرض و بكون الجبال أوتاداً لها أنها حافظة لها عن الميذان والاضطراب بالزلزلة ونحوها إما لحركة البخارات المحتقنة في داخلها بإذن الله تعالى ، أو لغير ذلك من الأسباب التي يعلمها مبدعها ومنشئها . و هذا وجه قريب و يؤيده ما سأأتي في باب الزلزلة من حديث ذي القرنين .

اقول : و أما حديث ذي القرنين والسد وغيره من أحواله فقد مضى في المجلد الخامس في باب أحواله ، ولنذكر هنا بعض ما مضى برواية أخرى : قال الثعلبي في العرائس : روى وهب بن منبه وغيره من أهل الكتب قالوا :

كان ذوالقرنين رجلاً من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره و كان اسمه « اسكندروس » و يقال : كان اسمه « عياش » و كان عبداً صالحاً ، فلما استحكم ملكه و استجمع أمره أوحى الله إليه : يا ذالقرنين ! إنني بعثتك إلى جميع الخلق ما بين الخافقين و جعلتك حجتي عليهم ، و هذا تأويل رؤياك و إنني باعثك إلى أمم الأرض كلهم و هم سبع أمم مختلفة ألسنتهم ، منهم أمتان بينهما عرض الأرض ، و أمتان بينهما طول الأرض ، و ثلاث أمم في وسط الأرض ، و هم الجن و الإنس و يأجوج و مأجوج . فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض فأمة عند المغرب يقال لها « ناسك » و أمة أخرى بحبالها عند مطلع الشمس يقال لها « منسك » و أما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض الأيمن يقال لها « هاويل » و أمة في قطر الأرض الأيسر يقال لها « قاويل » فلما قال الله سبحانه ذلك قال ذوالقرنين : إلهي إنك قد نددتني إلى أمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت فأخبرني عن الأمم التي بعثتني إليها بأي قوة أكثرهم ؟ أو بأي جمع و حيلة أكبرهم ؟ و بأي صبر أقاسيهم ؟ و بأي لسان أناطقهم ؟ و كيف لي بأن أفهم لغاتهم ؟ و بأي سمع أسمع أقوالهم ؟ و بأي بصر أنفذهم ؟ و بأي حجة أخاصمهم ؟ و بأي عقل أعقل عنهم ؟ و بأي قلب و حكمة أدبراً مورهم ؟ و بأي قسط أعدل بينهم ؟ و بأي حلم أصابهم ؟ و بأي معرفة أفضل بينهم ؟ و بأي علم أتقن أمورهم ؟ و بأي يد أستطيل عليهم ؟ و بأي رجل أطأهم ؟ و بأي طاقة أخصيهم ؟ و بأي جند أقاتلهم ؟ و بأي رفق أتألفهم ؟ و ليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم و يقوى عليهم و أنت الرؤف الرحيم الذي لا تكلف نفساً إلا و سعيها ولا تكلفها إلا طاقتها . فقال الله عز و جل : إنني سأطوِّقك ما حملتكَ : أشرح لك سمعك فتسمع كل شيء و تعي كل شيء و أشرح لك فهمك فتفقه كل شيء ، و أبسط لك لسانك فتتطرق بكل شيء ، و أفتح لك بصرك فتنفذ كل شيء ، و أخصي لك فلا يفوتك شيء ، و أشد لك عضدك فلا يهولك شيء و أشد لك ركنك فلا يغلبك شيء ، و أشد لك قلبك فلا يفزعك شيء ، و أشد لك يدك فتسطو فوق كل شيء و أشد لك و طأتك فتهد على كل شيء ، و ألبسك الهيبة فلا يروعك شيء ، و أسخر الظلمة من ورائك . فلما قيل له ذلك حدث نفسه بالمسير و ألح

عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقال: لا بد من طاعة الله تعالى .
ثم أمرهم أن يبنوا له مسجداً وأن يجعلوا طول المسجد أربعاً ذراعاً ، وأمرهم
أن لا ينصبوا فيه السواري . قالوا كيف نضعه ؟ قال : إذا فرغتم من بنيان الحائط فاكبسوها
بالتراب حتى يستوي الكبس مع حيطان المسجد ، فإذا فرغتم فرضتم من الذهب على
الموسر قدره وعلى المقتر قدره ، ثم قطعتموه مثل قلامة الظفر ، ثم خلطتموه بذلك
الكبس وجعلتم خشباً من نحاس ، وودناً من نحاس ، و صفائح من نحاس تذيبون ذلك
و أنتم تمكونون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية . وجعلتم طول كل خشبة مائتي
ذراعاً وأربعة وعشرين ذراعاً : مائتا ذراعاً في ما بين الحائطين لكل حائط اثنا عشر ذراعاً
ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيتسارعون إليه لأجل ما فيه من الذهب والفضة فمن
حمل شيئاً فهو له . ففعلوا ذلك ، فأخرج المساكين التراب واستقر السقف بما عليه و
استغنى المساكين ، فجندهم أربعين ألفاً ، وجعلهم أربعة أجناد في كل جند عشرة آلاف
ثم عرضهم فوجدهم في ما قيل ألف ألف وأربعمئة ألف رجل منهم من جنده ثمانمئة
ألف و من جند دارا ^(١) ستمئة ألف و من المساكين أربعين ألفاً . ثم انطلق يؤم الأمة
التي عند مغرب الشمس ، فذلك قوله تعالى « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تقرب
في عين حجة » أي ذات حمة . ومن قرأ « حامية » بالألف من غير همز فمعناها : حارة .
فلما بلغ مغرب الشمس وجد جمعاً وعدداً لا يحصيهم إلا الله تعالى وقوة وبأساً لا يطيقه
إلا الله عز وجل ، ورأى السنة مختلفة وأهواء متشتتة وذلك قول الله تعالى « ووجد
عندها قوماً » يعني ناساً كثيرة يقال لها « ناسك » فلما رأى ذلك كآثرهم بالظلمة ، فضرب
حولهم ثلاثة عساكر منها فأحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ، ثم أخذ
عليهم بالنور فدعاهم إلى الله عز وجل و عبادته « فمنهم من آمن به و منهم من صد عنه
فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم و أنوفهم و آذانهم
و أحداقهم و أجزاءهم ، و دخلت في بيوتهم و دورهم ، و غشيتهم من فوقهم و من كل جانب
منهم ، فهاجوا فيه و تحيروا ، فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجزوا إليه بصوت واحد

(١) كذا في جميع النسخ .

فكشفتها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته . فجنّد من أهل المغرب أُمَّماً عظيمة فجعلهم جنّداً واحداً ، ثمّ انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم و تحرسهم من خلفهم والنور أمامهم يقوده ويدلّه وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى ، وهو يريد الأُمَّة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها « هاويل » وسخر الله له قلبه و يده ورأيه وعقله ونظره ، فلا يخطيء إذا عمل عملاً ، فانطلق يقود تلك الأُمم وهي تتبعه ، فإذا هي أتت إلى بحر أو مخاضة بنى سقناً من ألواح صغار ، أمثال البغال ، فنظمتها في ساعة ثمّ حمل فيها جميع من معه من تلك الأُمم وتلك الجنود فإذا هي قطع الأنهار والبحار فتقها . ثمّ دفع إلى كل رجل منهم لوحاً فلم يكرّته حملة فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى إلى « هاويل » فعمل فيها كفعله في « ناسك » فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى « منسك » عند مطلع الشمس فعمل فيها و جنّد جنوداً كفعله في الأُمّتين قبلهما ، ثمّ كرّ مقبلاً حتى أخذ ناحية [الأرض] اليسرى وهو يريد « قاويل » وهي الأُمَّة التي بحيال « هاويل » وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كلّهُ ، فلما بلغها عمل فيها و جنّد فيها كفعله في ما قبلها ، فذلك قوله تعالى « حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً » يعني : مسكنا .

قال قتادة : لم يكن بينهم وبين الشمس ستر ، وذلك أنّهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء ، وكانوا يكونون في أسراب لهم ، حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم . وقال الحسن : كانت أرضهم أرضاً لا تحتمل البناء فكانوا إذا طلعت عليهم الشمس هووا في الماء ، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فتراعوا كما تتراعى البهائم . و قال ابن جريج : وجاءهم جيش مرّة و قال لهم أهلها لا يطلع عليكم الشمس وأتم بها ! فقالوا : ما نبرح حتى تطلع الشمس فتراها ، فماتوا . و قيل : فذهبوا بها هاربين في الأرض . وقال الكلبي : هم أُمَّة يقال لها منسك حفاة عمارة عن الحق . قال : وحدثنا عمرو بن مالك بن أُمّية قال : وجدت رجلاً بسمرقند يحدث الناس و هم يجتمعون حوله ، فسألت بعض من سمع فأخبرني أنّه حدّثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس .

قال : قال : خرجت حتى إذا جاوزت الصين ، ثم سألت عنهم ، فقيل : إن بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة ، فاستأجرت رجلاً فسرت بقيّة عشيّتي وليلتي حتى صبحتهم ، فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى وكان صاحبي يُحسن لسانهم فسألهم ، وقال : جئنا ننظر كيف تطلع الشمس ، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي عليّ فأفقت وهم يمسحونني بالدهن ، فلما طلعت الشمس على الماء فإذا هو يغلي كهيئة الزيت ، وإذا طرف السماء كهيئة الفسطاط . فلما ارتفعت أدخلوني في سرب لهم أنا وصاحبي . فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه بالشمس فينضج . ثم قال الثعلبي : قالت العلماء بأخبار القدماء : لما فرغ ذوالقرنين من أمر الأمم الذين هم بأطراف الأرض وطاف الشرق والغرب عطف فيها إلى الأمم التي في وسط الأرض من الجنّ والإنس وياجوج وماجوج . فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة سالحة من الإنس : يا ذوالقرنين إن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله تعالى ليس فيهم مشابهة الإنس وهم مشابهة البهائم ، يأكلون العشب ويفترسون الدوابّ والوحش كما تفترسها السباع ، و يأكلون حشرات الأرض كلّها من الحيات والعقارب وكلّ ذي روح مما خلق الله تعالى في الأرض ، وليست (١) الله تعالى خلق ينمو نماءهم ولا يزداد كزيادتهم ! فإن أمت مدّة على ما يرى من نمائهم وزيادتهم فلا شك أنّهم سيملؤون الأرض ويجلون أهلها منها و يظهرون عليها ويفسدون فيها ، وليست تمرُّ بنا سنة مذ جاوزناهم إلّا ونحن نتوقّعهم أن يطلع علينا أوّ لهم من بين هذين الجبلين « فهل نجعل لك خرجاً » أي جملاً وأجرأ « على أن تجعل بيننا وبينهم سداً » حاجزاً فلا يصلون إلينا ؟ فقال لهم ذوالقرنين « ما مكنّي فيه ربّي خير » أي ما قوّاني عليه خير من خرجكم « ولكن أعينوني بقوّة أجعل بينكم وبينهم ردماً » أي حاجزاً كالحائط . قالوا : وما تلك القوّة ؟ قال : فعلة وصنّاع يحسنون البناء والعمل وآلة (٢) . قالوا : وما تلك الآلة ؟ « قال آتوني زبر الحديد » يعني قطعاً - واحدها

(١) ليس (ظ) .

(٢) الآلة (ع) .

زبرة - و آتوني بالنحاس . فقالوا : ومن أين لنا الحديد و النحاس ما يسع هذا العمل؟ قال : سأريكم على (١) معادن الحديد و النحاس ، ف ضرب لهم في جبلين حتى فلقهما ثم استخرج منهما معدنين من الحديد و النحاس . قالوا : بأي قوة تقطع الحديد و النحاس؟ فاستخرج لهم معدناً آخر من تحت الأرض يقال له « السامور » و هو أشد ما خلق الله تعالى بياضاً ، و هو الذي قطع به سليمان أساطين بيت المقدس و صخوره و جواهره، ثم قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على جمع (٢) من الحديد و النحاس النار ، فصنع منه زبراً أمثال الصخور العظام ، ثم أذاب النحاس فجعله كالطين و الملاط لتلك الصخور من الحديد ثم بنى . و كيفية بنائه على ما ذكر أهل السير هو أنه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ ، فلما أنشأ في عمله حفر له الأساس حتى بلغ الماء ، ثم جعل عرضه خمسين فرسخاً ، ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد ، فلم يزل يجعل الحديد على الحطب و الحطب على الحديد « حتى ساوى بين الصدفين » و هما الجبلان ، ثم أمر بالنار فأرسلت فيه ثم « قال انفخوا حتى جعله ناراً » ثم جعل يفرغ القطر عليه و هو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب فيصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس ، فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس و حمرة و سواد الحديد و غيرته ، فصار سداً طويلاً عظيماً حصيناً كما قال تعالى « فما استطاعوا أن يظهروه و ما استطاعوا له نقباً » . و قال قتادة : ذكر لنا أن رجلاً قال : يا نبي الله قد رأيت سداً يأجوج و مأجوج قال : انعت لي . قال كالبرد الحبر طريقة سوداء و طريقة حمراء . قال : قد رأيت . و يقال : إن موضع السد وراء « ملازجرد » بقرب مشرق الصيف (٣) بينه و بين الخزرة مسيرة اثنين و سبعين يوماً .

و روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق و المغرب و كان له خليل من الملائكة اسمه « رفائيل » يأتيه و يزوره ، فيبينما هما ذات يوم يتحدثان إذ قال ذو القرنين : يا رفائيل ! حدثني عن عبادتكم في السماء

(١) لفظه « على » زائدة ظاهراً . (٢) ما جمع (ظ) .

(٣) كذا .

فبكى و قال : يا ذا القرنين ! و ما عبادتكم عند عبادتنا ؟ إن في السماء من الملائكة من هو قائم أبداً لا يجلس ، و منهم الساجد لا يرفع رأسه أبداً ، و منهم الراكع لا يستوي قائماً أبداً ، يقول : سبحان الملك القدوس رب الملائكة و الروح ، ربنا ما عبدناك حق عبادتك . فبكى ذا القرنين بكاءً شديداً ثم قال : إني لأحِبُّ أن أعيش فأبلغ من عبادة ربِّي حق طاعته ! فقال رفائيل : أو تحبُّ ذلك يا ذا القرنين ؟ قال : نعم ، فقال رفائيل : فإنَّ لله تعالى عيناً في الأرض تسمى « عين الحياة » فيها من الله عز وجل عزيمة أنه من شرب منها لم يموت أبداً حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت ! فقال ذا القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين ؟ فقال : لا ، غير أننا نتحدث في السماء أن لله تعالى في الأرض ظلمة لا يطأها إنس ولا جان ، فنحن نظنُّ أن تلك العين في تلك الظلمة . فجمع ذو القرنين علماء أهل الأرض و أهل دراسة الكتب و آثار النبوة فقال لهم : أخبروني هل وجدتم في ما قرأتم من كتب الله تعالى و ما جاءكم من أحاديث الأنبياء و من كان قبلكم من العلماء أن الله تعالى وضع في الأرض عيناً سماها « عين الحياة » ؟ فقالت العلماء : لا ، فقال عالم من العلماء - و اسمه « فتحيز ^(١) » - إني قرأت وصية آدم فوجدت فيها أن الله خلق في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جان و وضع فيها عين الخلد . فقال ذا القرنين : صدقت . ثم حشد إليه الفقهاء و الأشراف و الملوك و سار يطلب مطلع الشمس ، فسار اثني عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة ، فإذا ظلمة تفور مثل الدخان ليست بظلمة ليل ، فعسكر هناك ثم جمع علماء عسكره فقال : إني أريد أن أسلك هذه الظلمة ! فقال العلماء : أيها الملك إنَّه من كان قبلك من الأنبياء و الملوك لم يطلبوا هذه الظلمة فلا تطلبها ، فإننا نخاف أن ينفتق عليك أمر تكرهه و يكون فيه فساد أهل الأرض . فقال : لا بد من أن أسلكها . فقالوا : أيها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها ، فإننا لو تعلم أنك إن طلبتها ظفرت بما تريد و لم يسخط الله علينا لا تبعناك ، و لكننا نخاف العنت من الله تعالى و فساداً في الأرض و من عليها . فقال

(١) خضر (ظ) .

ذوالقرنين : لا بدّ من أن أسلكها . فقالت العلماء : شاك بها . فقال ذوالقرنين : أيّ الدوابّ أبصر؟ قالوا : الخيل . قال : فأيّ الخيل أبصر؟ قالوا : الإناث . قال : فأيّ الإناث أبصر؟ قالوا : البكارة . فأرسل ذوالقرنين فجمع له ستّة آلاف فرس أنثى بكارة ثمّ انتخب من عسكره أهل الجلد و العقل ستّة آلاف رجل ، فدفع إليهم كلّ رجل فرساً ، وعقد للخضر على مقدّمته على ألفين و بقي ذوالقرنين في أربعة آلاف . وقال ذوالقرنين للناس : لا تبرحوا من معسكركم هذا اثني عشرة سنة ، فإن نحن رجعنا إليكم وإلا فارجموا إليّ ^(١) بلادكم . فقال الخضر : أيّها الملك ، إننا نسلك ظلمة [هو] لا ندري كم السير ^(٢) فيها ولا يبصر بعضنا بعضاً ، فكيف تصنع بالضلال إذا أصابنا؟ فدفع ذوالقرنين إلى الخضر خرزة حمراء فقال : حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الأرض فإذا صاحت فليرجع أهل الضلال إليها أين صاحت . فصار الخضر بين يدي ذوالقرنين يرتحل الخضر و ينزل ذوالقرنين ، فبينما الخضر يسير إذ عرض له وادٍ فظنّ أن العين في الوادي وألّقي في قلبه ذلك ، فقام على شفير الوادي وقال لأصحابه : قفوا ولا يبرحن رجل من موقفه ! فرمى بالخرزة فمكث طويلاً ثمّ أجابته الخرزة فطلب صوتها فاتّهب إليها ، فإذا هي على جانب العين ، فنزع الخضر ثيابه ثمّ دخل العين فإذا ماء أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من الشهد فشرب و اغتسل و توضأ و لبس ثيابه ، ثمّ رمى بالخرزة نحو أصحابه فوقفت الخرزة فصاحت ، فرجع الخضر إلى صوتها و إلى أصحابه ، فركب وقال لأصحابه : سيروا باسم الله .

ومرّ ذوالقرنين فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة أربعين يوماً وليلة ، ثمّ خرجوا إلى ضوء ليس بضوء شمس ولا قمر ولا أرض حمراء ورملة خشخاشة - أي مصوّتة - فإذا هو بقصر مبنيّ في تلك الأرض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب ، فنزل ذوالقرنين بعسكره ثمّ خرج وحده حتّى دخل القصر ، فإذا حديدة قد وضعت طرفاها على جانب القصر من ههنا وههنا وإذا بطائر ^(٣) أسود شبيه بالخطاف مزموماً بأنفه إلى الحديدة معلق بين السماء والأرض

(١) في أكثر النسخ ، على .

(٢) نسير (خ) .

(٣) طائر (خ) :

فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال: من هذا؟ قال: أنا ذوالقرنين . فقال الطائر: يا ذا القرنين أما كفاك ما وراك حتى وصلت إلي؟ ثم قال الطائر: يا ذا القرنين حدثني فقال ذوالقرنين: سل، فقال: هل كثر بناء الآجر والجص في الأرض؟ قال: نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم اتنفخ فبلغ ثلث الحديدية، ثم قال: يا ذا القرنين هل كثرت المعازف؟ قال: نعم، فانتفض الطير وامتلاً حتى ملأ من الحديدية ثلثيها، ثم قال: هل كثرت شهادات الزور في الأرض؟ قال: نعم، فانتفض الطائر انتفاضة فملأ الحديدية وسد ما بين جداري القصر، فخشى^(١) وخاف ذوالقرنين و فرق فرقاً شديداً، فقال الطائر: يا ذا القرنين لا تخف! حدثني . قال: سل، قال هل يترك^(٢) الناس شهادة أن لا إله إلا الله قال: لا، قال: فانضم الطائر ثلثاً، ثم قال: يا ذا القرنين هل ترك الناس الصلاة المفروضة [بعد]؟ قال: لا، قال: فانضم الطائر ثلثاً، ثم قال: يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد؟ قال: لا، قال فصار الطائر كما كان . ثم قال: اسلك يا ذا القرنين هذه الدرجة درجة إلى أعلى القصر، فسلكها ذوالقرنين و هو خائف وجل لا يدري على م يهجم، حتى استوى على صدر الدرج، فإذا سطح ممدود عليه صورة رجل شاب قائم عليه ثياب بيض، رافعاً وجهه إلى السماء وأضعافاً يديه على فيه، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال: ما هذا؟ قال: أنا ذوالقرنين . قال: يا ذا القرنين إن الساعة قد اقتربت، وأنا أنتظر أمر ربي يأمرني أن أنفخ فأنفخ . ثم أخذ صاحب الصور شيئاً من بين يديه كأنه حجر فقال: خذها يا ذا القرنين! فإن شبع هذا شبعت وإن جاع هذا جعت . فأخذ ذوالقرنين الحجر و نزل إلى أصحابه، فحدّثهم بأمر الطائر وما قال له وما ردّ عليه وما قال صاحب الصور . ثم جمع علماء عسكره فقال: أخبروني عن هذا الحجر ما أمره؟ فقالوا: أيها الملك أخبرنا بما قال لك فيه صاحب الصور . فقال ذوالقرنين: إنّه قال لي: إن شبع هذا شبعت و إن جاع جعت . فوضعت العلماء ذلك الحجر في إحدى كفتي الميزان و أخذوا حجراً مثله فوضوه في الكفة الأخرى ثم

(١) فجئى (خ)

(٢) ترك (ظ)

رفعوا الميزان فإذا الذي جاء به ذوالقرنين يميل ، فوضعوا معه آخر و رفعوا الميزان فإذا هو يميل بهن فلم يزالوا يضعون حتى وضعوا ألف حجر فرفعوا الميزان فمال بالألف جميعاً ! فقالت العلماء : انقطع علمنا دون هذا لاندرى أسحر هذا أم علم ما لانعلمه ! فقال الخضر وكان قد وافاه : نعم ، أنا أعلمه . فأخذ الخضر الميزان بيده ، ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذوالقرنين فوضعه في إحدى الكفتين فأخذ حجراً من تلك الحجارة فوضعه في الكفة الأخرى ثم أخذ كفتاً من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذوالقرنين ، ثم رفع الميزان فاستوى ! فخرت العلماء سجداً لله تعالى وقالوا : سبحان الله ! هذا علم لا يبلغه علمنا ، والله لقد وضعنا ألفاً فما استقل به . فقال الخضر : أيها الملك ، إن سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه ، وأمره نافذ فيهم ، و حكمه جارٍ عليهم ، فإن الله تعالى ابتلى خلقه بعضهم ببعض : فابتلى العالم بالعالم ، والجاهل بالجاهل ، والعالم بالجاهل ، والجاهل بالجاهل ، فابتلى العالم ، وإنه ابتلاك بي وابتلاني بك . فقال ذوالقرنين : صدقت ، فأخبرنا عن هذا المثل . فقال الخضر : هذا مثل ضربه لك صاحب الصور : إن الله عز وجل مكن لك في البلاد وأعطاك منها مالم يعط أحداً و أوطأك منها مالم يوطئ أحداً فلم تشبع ، فأبت نفسك شرهاً حتى بلغت من سلطان الله مالم يطاء إنس ولا جان ، فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور إن ابن آدم لا يشبع أبداً دون أن يحشى عليه التراب ، ولا ملاً جوفه إلا التراب . فبكى ذوالقرنين ، ثم قال : صدقت يا خضر في ضرب هذا المثل ، لاجرم لأطلب أثراً في البلاد بعد مسيري هذا حتى أموت . ثم انصرف راجعاً حتى إذا كان في وسط الظلمة وطأ الوادي الذي فيه الزبرجد ، فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت أقدامهم وأقدام دوابهم : ما هذا تحتنا يا أيها الملك ؟ فقال ذوالقرنين : خذوا منه فإنه من أخذ ندم ومن ترك ندم ، فمنهم من أخذ الشيء ومنهم من تركه ، فلما خرجوا من الظلمة إذا هو الزبرجد ، فندم الآخذ والتارك .

قال : وكان رسول الله ﷺ يقول : رحم الله أخي ذوالقرنين ، لو ظفر بوادي الزبرجد في مبتداه ما ترك منها شيئاً حتى يخرج به إلى الناس لأنه كان راغباً في الدنيا ولكنه ظفر به وهو زاهد في الدنيا لا حاجة له فيها . ثم رجع إلى العراق وملك ملوك الطوائف

ومات في طريقه بشهر روز^(١) . وقال علي بن أبي طالب - صلوات الله - : ثم إنه رجع إلى « دومة الجندل » وكان منزله فأقام بها حتى مات - انتهى - .

وقال الطبرسي - ره - في قوله تعالى « إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض » فسادهم أنهم كانوا يخرجون فيقتلونهم ويأكلون لحومهم ودوابهم . وقيل : كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابس إلا احتملوه ، عن الكلبي - وقيل : أراد أنهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم . وورد في الخبر عن حذيفة : قال : سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج ، فقال : يأجوج أمة ، ومأجوج أمة كل أمة أربعمئة أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح قلت : يارسول الله صفهم لنا . قال : هم ثلاثة أصناف : صنف منهم أمثال الآزر . قلت : يارسول الله وما الآزر ؟ قال : شجر بالشام طويل ، ومنهم طوله وعرضه^(٢) سواء ، وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد ، وصنف منهم يقترش أحدهم إحدى أذنيه و يلتحف بالأخرى ولا يمرّون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه . من مات منهم أكلوه ، مقدّمهم بالشام وساقّتهم بخراسان ، يشربون أنهار المشرق وبحيرة « طبرية » قال وهب و مقاتل : إنهم من ولد يافث بن نوح أبي الترك . وقال السدي : الترك سرية من يأجوج ومأجوج ، خرجت ثمغير ، فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجته ، وقال قتادة : إن ذا القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة ، و بقيت منهم قبيلة دون السد فهم الترك . وقال كعب : هم نادرة من ولد آدم وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطقته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء والتراب يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم . وهذا بعيد^(٣) .

« وهم من كل حذب ينسلون » قال - ره - : أي من كل نثر من الأرض يسرعون ، يعني أنهم متفرقون في الأرض فلا ترى أكمة إلا وقوم منهم يهبطون منها

(١) بشهر زور (خ) .

(٢) في المصدر ، ... طول ، و صنف منهم طولهم و عرضهم سواء .

(٣) مجمع البيان ، ج ٦ ، ص ٣٩٣ .

مسرعين^(١) . وقال - رحمه الله - في « ق » قيل : هو اسم الجبل المحيط بالأرض من زمردة خضراء خضرة السماء منها ، عن الضحاك وعكرمة^(٢) . وقال - رحمه الله - : في « والطور » : أقسم سبحانه بالجبل الذي كلم عليه موسى بالأرض المقدسة ، وقيل : هو الجبل أقسم به لما أودع فيه من أنواع نعمه^(٣) . وفي قوله تعالى « وإلى الجبال كيف نصبت » : أي أفلا يتفكرون في خلق الله سبحانه الجبال أو تاداً للأرض ومسكنة لها ، و أنه لولاها ملادت الأرض بأهلها^(٤) .

١ - الخصال : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أبي يحيى الواسطي ، بإسناده رفعه إلى الصادق عليه السلام قال : الدنيا سبعة أقاليم ، يأجوج ومأجوج والروم والصين والزنج وقوم موسى وأقاليم بابل^(٥) .

بيان : لعل المراد هنا بيان أقاليم الدنيا باعتبار أصناف الناس واختلاف صورهم وألوانهم وطبائعهم ، والغرض إما حصرهم فيها فأقاليم بابل المراد بها ما يشمل أشباههم من العرب والعجم ، والصين يشمل جميع الترك ، والزنج يشمل الهنود ، أو بيان غرائب الأصناف من الخلق وهو أظهر . والمراد بقوم موسى أهل جابلقا وجابرسا كما مر .

٢ - الخصال : عن القاسم بن محمد بن أحمد بن عبدويه السراج ، عن علي بن الحسن بن^(٦) سعيد البزاز ، عن حميد^(٧) بن زنجويه ، عن عبد الله بن يوسف ، عن خالد بن يزيد بن صبيح ، عن طلحة بن عمرو الحضرمي ، عن عطا ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : من الجبال التي تطايرت يوم موسى عليه السلام سبعة أجبل ، فلحقت بالحجاز واليمن ، منها بالمدينة : أحد ، و ورقان ؛ وبمكة : ثور ، وثبير وحرى ؛ و

(١) مجمع البيان ، ج ٧ ، ص ٦٤ .

(٢) المصدر ، ج ٩ ، ص ١٤١ .

(٣) > ج ٩ ، ص ١٦٣ .

(٤) > ج ١٠ : ص ٤٨٠ .

(٥) الخصال ، ج ٢ ص ١٠ (أبواب السبعة) .

(٦) في المصدر : أبو الحسن علي بن سعيد البزاز .

(٧) > و بعض نسخ الكتاب ، سعيد بن زنجويه .

باليمن : صبر ، وحضور (١) .

توضيح : قال الفيروزآبادي : « ورقان » بكسر الراء جبل أسود بين العرج والروثة يمين المصعد من المدينة إلى مكة - حرسهما الله تعالى - وقال : « ثور » جبل بمكة . وقال : ثبير و الاثيرة و ثبير الخضراء و النصح و الزنج و الأعرج و الأحذب و غنياء جبال بظاهر مكة . وقال : حراء - ككتاب و كملى عن عياض يؤث و يمنع - : جبل بمكة فيه غار تحنث فيه النبي ﷺ أي تعبد و اعتزل . وقال : الصبر - ككتف و لا يسكن إلا في ضرورة شعر - : جبل مطل على تعز . و قال : تعز - كتقل - قاعدة اليمن . و قال : حضور كصبور جبل و بلد باليمن .

٣ - **الخصال :** عن أبيه و محمد بن الحسن بن الوليد ، عن أحمد بن إدريس و محمد ابن يحيى العطار معاً ، عن محمد بن أحمد الأشعري ، عن محمد بن الحسين ، عن أحمد بن علي ، عن زيد بن مهران ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن الحسين بن زيد ، قال : بلغني أن الله عز وجل خلق الجبل من أربعة أشياء : من البحر الأعظم المحقق بالدنيا ، و من النار ، و من دموع ملك يقال له إبراهيم ، و من بئر طيبة (٢) . و الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

بيان : « خلق الجبل » كذا في بعض النسخ بالجيم و الباء الموحدة ، و في أكثر النسخ بالخاء المعجمة و الباء المثناة التحتانية . و على التقديرين لعل فيه تجوزاً و استعارة ، مع أن الخبر موقوف لم يسند إلى إمام و كأن في « البئر » أيضاً تحريفاً .

٤ - **تفسير علي بن إبراهيم :** « ق و القرآن المجيد » قال : ق جبل محيط بالدنيا وراء يأجوج و مأجوج ، وهو قسم (٣) .

٥ - **ومنه :** عن أحمد بن علي و أحمد بن إدريس معاً ، عن محمد بن أحمد العلوي عن العمركي ، عن محمد بن الجمهور ، عن سليمان بن سماعة ، عن عبد الله بن القاسم

(١) الخصال ، ج ٢ ص ٣ (أبواب السبعة) .

(٢) الخصال ، ١٢٣ .

(٣) تفسير القمي ، ٦٤٣ .

عن يحيى بن ميسرة الخثعمي^(١) ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : « عسق ، عداد سني القائم^(١) و « ق » جبل محيط بالدنيا من زمر^(٢) دأخضر ، فخررة السماء من ذلك الجبل وعلم علي^(٢) كله في « عسق » .

٦ - العيون و العلل : في خبر الشامي^(٣) : سأل أمير المؤمنين عليه السلام مما خلقت الجبال ؟ قال : من الأمواج^(٣) .

٧ - البصائر : عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن عثمان بن عيسى عن سماعة بن مهران ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : إن علياً عليه السلام ملك ما في الأرض وما تحتها ، فعرضت له السحابان : الصعب ، و الذلول ، فاختر الصعب ، فكان في الصعب ملك ماتحت الأرض وفي الذلول ملك مافوق الأرض ، واختر الصعب على الذلول فدارت به سبع أرضين فوجد ثلاث خراب و أربع عوامر .

٨ - و منه : عن أحمد بن محمد ، عن ابن سنان ، عن أبي خالد و أبي سلام ، عن سورة^(٤) ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أما إن ذا القرنين قد خير بين السحابين فاختر الذلول و ذخر لاصحابكم الصعب . قال : قلت : و ما الصعب ؟ قال : ما كان من سحاب فيه رعد و صاعقة أو برق فصاحبكم يركبه . أما إنّه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السموات السبع و الأرضين السبع : خمس عوامر ، و اثنتان خرابان .

بيان : لعل^(٤) الخامسة عمارتها قليلة فعدت في الخبر السابق من الخراب لذلك .

٩ - البصائر للفقار و منتخب البصائر لسعد بن عبدالله ، عن سلمة ، عن أحمد بن عبد الرحمن ، عن محمد بن سليمان ، عن يقطين الجواليقي^(٥) ، عن قلقة^(٥) عن أبي جعفر

(١) القسم (خ) .

(٢) تفسير القمي : ٥٩٥ و فيه : و علم كل شيء في عسق .

(٣) العيون ج ١ ص ١٠١ ، الملل ، ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٤) الظاهر أنه سورة بن كليب بن معاوية الاسدي لتصريحه في جامع الرواة برواية أبي سلام عنه ذكره العلامة في القسم الاول من الخلاصة ، و روى الكشي حديثاً يستشهد به لصحة عقيدته لكنه لا يصير دليلاً على قبول قوله . قال الشهيد الثاني في التعليق « لا يخفى ان الخبر لا يدل على قبول روايته لو سلم سنده فكيف مع ضعفه » .

(٥) لم نجد له ذكراً في كتب الرجال .

عليه السلام قال : إن الله خلق جبلاً محيطاً بالديار من زبرجد أخضر ، وإنما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل ، وخلق خلقاً لم يفترض عليهم شيئاً مما افترض على خلقه من صلاة و زكاة ، و كلهم يلعبن رجلين من هذه الأمة و سمأهما .

١٠ - جامع الاخبار : سئل النبي ﷺ عن القاف و ما خلفه ، قال : خلفه سبعون أرضاً من ذهب ، و سبعون أرضاً من فضة ، و سبعون أرضاً من مسك ، خلفه سبعون أرضاً سكانها الملائكة لا يكون فيها حرٌ ولا برد ، و طول كل أرض مسيرة عشرة ألف سنة . قيل : و ما خلف الملائكة ؟ قال : حجاب من ظلمة ، قيل : و ما خلفه ؟ قال : حجاب من ريح ، قيل : و ما خلفه ؟ قال : حجاب من نار ، قيل : و ما خلفه ؟ قال : حية محيطة بالديار كلها تسبح الله إلى يوم القيامة و هي ملك الحيات كلها . قيل : و ما خلفه ؟ قال : حجاب من نور . قيل : و ما خلفه ؟ قال : علم الله و قضاؤه . و سئل ﷺ عن عرض قاف و طوله و استدارته ، فقال : عرضه مسيرة ألف سنة من ياقوت أحمر قضيبه من فضة بيضاء وزجه^(١) من زمردة خضراء ، له ثلاث زوائب من نور : ذؤابة بالمشرق و ذؤابة بالمغرب ، و الأخرى في وسط السماء عليها مكتوب ثلاثة أسطر : الأول بسم الله الرحمن الرحيم : الثاني الحمد لله رب العالمين : الثالث لا إله إلا الله : عهد رسول الله .

١١ - الدر المنثور : عن كعب ، في قوله « حتى توارت بالحجاب » قال : حجاب من ياقوت أخضر محيط بالخلائق ، فمنه أخضرت السماء التي يقال لها : السماء الخضراء و أخضرت البحر من السماء فمن ثم يقال : البحر الأخضر^(٢) .
وعن ابن مسعود أيضاً مثله .

بيان : الأخبار المنقولة من الكتابين ضعيفة عامية و قد مر أشباهها و بعض القول فيها في باب العوالم .

(١) الزج - بضم الزاي و تشديد الجيم - ، الحديدية التي في أسفل الرمح و يقابله السنان .

(٢) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٣٠٩ . و ليس رواية ابن مسعود مثلها بل هي هكذا ، قال ،

تورات بالحجاب من وراء قرية خضرة السماء منها .

١٢ - كتاب الأقاليم والبلدان : قال : قال رسول الله ﷺ : من قرأ « فسيحان الله حين تمسون وحين تصبحون - إلى - وكذلك تخرجون » كتب له من الحسنات بعدد كل ورقة تلج^(١) على جبل سيلان . قيل : وما السيلان يا رسول الله ؟ قال : جبل بأرمنية و آذربيجان عليه عين من عيون الجنة و فيه قبر من قبور الأنبياء .

قال أبو حامد الأندلسي : على رأس هذا الجبل عين عظيمة مع غاية ارتفاعه ، ماءؤه أبرد من ماء الثلج كأنما يشبه بالعسل لشدة عذوبته ، و بجوف هذا الجبل ماء يخرج من عين يصلق البيض لحرارته يقصدها الناس لمصالحهم ، و بحضيض هذا الجبل شجر كثير و مراعي و شيء من حشيش لا يتناوله إنسان ولا حيوان إلا مات لساعته .

قال القزويني : ولقد رأيت الخيل و الدواب ترعى في هذا الجبل فإذا قربت من ذلك الحشيش نفرت و ولت منهزمة كالمطرودة ، و قال : قال القزويني : في قرية من قرى قزوین جبل حدثنى من صعده أن عليه صورة كل حيوان من الحيوان على اختلاف أجناسها و صور الآدميين على أنواع أشكالها عدد لا تحصى و قدمسخوا حجارة و فيه الراعي متكئاً على عصاه ، و الماشية حوله كلها حجارة ، و امرأة تحلب بقرة و قد تحجر ، و الرجل يجامع امرأته و قد تحجر ، و امرأة ترضع ولدها و هلم جراً هكذا .

١٣ - و قال : حكى أنه دخل على جعفر الصادق عليه السلام رجل من همدان ، فقال له جعفر الصادق عليه السلام : من أين أنت ؟ قال : من همدان ، فقال له : أتعرف جبلها «راوند» قال له الرجل : جعلت فداك ، إنه «أروند» قال : نعم ، إن فيه عيناً من عيون الجنة . بيان : كان الجبل مسمى بكلا الاسمين ، و الصحيح من اسمه «راوند» وإنما صدقه لأنه هكذا أعرف عندهم .

و قال : جبل قاف محيط بالأرض كحاطة بياض العين بسوادها ، و ما وراء جبل قاف فهو من حكم الآخرة لا من حكم الدنيا . و قال بعض المفسرين : إن الله سبحانه و تعالى من وراء جبل قاف أرضاً بيضاء كالفضة المجلوة طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس و بها ملائكة شاخصون إلى العرش لا يعرف الملك منهم من إلهي جانبه من هيبة الله تعالى

(١) .. تلج تقع على... (خ) .

ولا يعرفون ما آدم وما إبليس ، هكذا إلى يوم القيامة . وقيل : إن يوم القيامة تبدل أرضنا هذه بتلك الأرض والله أعلم .

وقال : السرنديب هو جبل بأعلى الصين في بحر الهند و هو الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام و عليه أثر قدمه غائص في الصخرة طوله سبعون شهراً ، وعلى هذا الجبل ضوء كالبرق ولا يتمكن أحد أن ينظر إليه ، ولا بد لكل يوم فيه من المطر فيغسل قدم آدم عليه السلام . و حوله من أنواع اليواقيت والأحجار النفيسة و أصناف العطر والأدوية ما لا يوصف ، فإن آدم خطا من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة وهو مسيرة يومين .

وقال : حكى عن عبادة بن الصامت قال : أرسلني أبو بكر إلى ملك الروم رسولاً لأدعوه إلى الإسلام ، فسرت حتى دخلت بلاد الروم ، فلاح لنا جبل يعرف بأهل الكهف فوصلنا إلى دير فيه و سألنا أهل الدير عنهم ، فأوقفونا على سرب في الجبل فوهبنا لهم شيئاً و قلنا نريد أن ننظر إليهم ، فدخلوا و دخلنا معهم ، و كان عليهم باب من حديد ففتحوه لنا فاتهبنا إلى بيت عظيم محفور في الجبل فيه ثلاثة عشر رجلاً مضطجعين على ظهورهم كأنهم رقود و على كل واحد منهم جبة غبراء و كساء أغبر قد غطوا بها من رؤسهم إلى أقدامهم ، فلم ندر ما ثيابهم من صوف أو وبر إلا أنها كانت أصلب من الديباج فلمسناها فإزاهي تتقعق من الصفاقة ، وعلى أرجلهم الخفاف إلى أنصاف سوقهم مستنقلين بنعال مخصوفة ^(١) و خفافهم و نعالهم في جودة الخبز و لين لجلود مالم يرمثه . قال : فكشفنا عن وجوههم رجلاً رجلاً فإذ هم في وضاعة الوجوه و صفاء الألوان و حسن التخطيط ، وهم كالأحياء بعضهم في نضارة الشباب ، و بعضهم قد خطه الشيب ، و بعضهم شعورهم مظفورة ، و بعضهم شعورهم مضمومة و على زي المسلمين ، فاتهبنا إلى آخرهم فإذ فيهم مضروب على وجهه بسيف كأنما ضرب في يومه ، فسألنا عن حالهم وما يعلمون من أمورهم ، فذكروا أنهم يدخلون عليهم في كل عام يوماً ، و يجتمع أهل تلك الناحية على الباب فيدخل عليهم من ينفذ التراب عن وجوههم و أكسيتهم ، و يقلم أظفارهم

(١) مخصوفة (خ) .

و يقص شواربهم و يتركهم على هيئتهم هذه . قلنا لهم : هل تعرفون من هم و كم مدة هم ههنا ؟ فذكروا أنهم يجدون في كتبهم أنهم كانوا أنبياء بعثوا إلى هذه البلاد في زمان واحد قبل المسيح بأربعمائة سنة . و عن ابن عباس أن أصحاب الكهف سبعة .

١٤ - نوادر علي بن أسباط : عن إبراهيم بن علي المحمودي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن موسى ، عن أبيه ، عن جده جعفر بن محمد ، عن محمد بن علي عليه السلام ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجده فقال : من ههنا ؟ قلت : أنا يارسول الله و سلمان الفارسي . فقال : يا سلمان ادع لي مولاك علياً ، فقد جاءني فيه عزيمة من رب العالمين . قال جابر : فذهب سلمان فاستخرج علياً من منزله ، فلما دنا من رسول الله ﷺ خلا به فأطال مناجاته ، كل ذلك يسراً إليه رسول الله ﷺ سرّاً خفياً عنّا و وجه رسول الله ﷺ يقطر عرقاً كنظم الدر يتهلل حسناً ، ثم قال له لما انصرف من مناجاته : قد سمعت و وعيت فاحفظ يا علي . ثم قال : يا جابر ادع عمر و أبا بكر . قال جابر : فذهبت إليهما فدعوتهما ، فلما حضراه قال : يا جابر ادع لي عبدالرحمن بن عوف . قال جابر : فدعوته ، فلما أتاه قال : يا سلمان اذهب إلى بيت أم سلمة فأتني بالبساط الخيري . قال جابر : فما لبثنا أن جاءنا سلمان بالبساط فأمره أن يبسط ، ثم أمر القوم فجلس كل واحد منهم على ركن من أركانه وكانوا ثلاثة ، ثم خلا رسول الله ﷺ فأطال مناجاته و أسر إليه سرّاً خفياً ثم أمره أن يجلس على الركن الرابع من البساط . ثم قال النبي ﷺ : يا علي اجلس متوسطاً و قل ما أمرتك به فانك لو قلت على الجبال لسارت ، أو قلت على الأرض لتقطعت ورائك ، و لطويت كل من بين يديك ، ولو كلمت به الموتى لأجابوك باذن الله . فقال له بعض القوم : يارسول الله هذا لعلي خاصة ؟ قال : نعم ، فاعرفوا ذلك له . قال جابر : فلما أخذ كل واحد مجلسه اختلج البساط فلم أره إلا ما بين السماء والأرض . فلما رجع سلمان خبرني أنهم ساروا ما بين السماء و الأرض لا يدرون أشرقاً أم غرباً حتى انقض بهم البساط على كهف عظيم عليه باب من حجر واحد . قال سلمان : فقمتم بالذي أمرني به رسول الله ﷺ . قال جابر : فقلت لسلمان : ما أمرك رسول الله ﷺ ؟ قال :

أمرني إذا استقرّ البساط مكانه من الأرض وصرنا عند الكهف أن أمر أبا بكر بالسلام على أهل ذلك الكهف وعلى الجميع ، فأمرته ، فسلم عليهم بأعلى صوته فلم يردوا عليه شيئاً ، ثم سلم آخرى فلم يجب ، فشهد أصحابه على ذلك وشهدت عليه . ثم أمرت عمر فسلم عليهم بأعلى صوته فلم يردوا عليه شيئاً ، ثم سلم آخرى فلم يجب ، فشهد أصحابه على ذلك وشهدت عليه ، ثم أمرت عبد الرحمن بن عوف فسلم عليهم فلم يجب فشهدوا أصحابه على ذلك وشهدت عليه . ثم قمت أنا فأسمعت الحجارة والأودية صوتي فلم أجب ، فقلت لعلني : فداك أبي و أمي ، أنت بمنزلة رسول الله ﷺ حتى نرجع لك و لك السمع والطاعة ، وقد أمرني أن أمرك بالسلام على أهل هذا الكهف آخر القوم ، و ذلك لما يريد الله لك و بك الشرف من شرف الدرجات . فقام عليّ فسلم بصوت خفي فافتتح الباب فسمعنا له صريراً شديداً ، ونظرنا إلى داخل الغار يتوقد ناراً ، فملئنا رعباً و لى التوم فراراً ، فقلت لهم : مكانكم ! حتى نسمع ما يقال ، وإته لا بأس عليكم . فرجعوا ، فأعاد عليّ ﷺ فقال : السلام عليكم أيها الفتية الذين آمنوا بربهم . فقالوا : و عليك السلام يا عليّ و رحمة الله و بركاته و على من أرسلك ، بأبائنا و أمهاتنا أنت يا وصي محمد خاتم النبيين و قائد المرسلين و نذير العالمين و بشير المؤمنين ، أقرئه منا السلام و رحمة الله يا إمام المتقين قد شهدنا لابن عمك بالنبوة و لك بالولاية و الإمامة و السلام على محمد يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حياً . قال : ثم أعاد عليّ عليه السلام فقال : السلام عليكم أيها الفتية الذين آمنوا بربهم و زدناهم هدى . فقالوا : عليك السلام و رحمة الله و بركاته يا مولانا و إمامنا . الحمد لله الذي أرانا و لايتك و أخذ ميثاقنا بذلك و زادنا إيماناً و تثبيتاً على التقوى ، قد همع من بحضرتك أن الولاية لك دونهم و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . قال سلمان : فلما سمعوا ذلك أقبلوا على عليّ ﷺ و قالوا : شهدنا و سمعنا فاشفع لنا إلى نبينا ليرضى عنا برضاك . ثم تكلم عليّ ﷺ بما أمره رسول الله ﷺ مادرينا أشرقاً أم غرباً حتى نزلنا كالطير الذي يهوي من مكان بعيد و إذا نحن على باب المسجد ، فخرج إلينا رسول الله ﷺ فقال : كيف رأيتم ؟ فقال القوم : نشهد كما شهد أهل الكهف و تؤمن كما آمنوا . فقال :

إن فعلوا تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ، فإن لم تفعلوا تختلفوا فمن وافى وافى الله (١) له ، ومن نكص فعلى عقبيه ينقلب ، أفبعد المعرفة والحجة ؟ ! والذي نفسي بيده لقد أمرت أن آمركم ببيعته و طاعته ، فبايعوه و أطيعوه ، فقد نزل الوحي بذلك : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم (٢) » . قال جابر : فبايعناه ، فقال رسول الله ﷺ : إن استقمتم على الطريقة لعلي في ولايته أسقيتم ماء غدقا ، و أكلتم من فوق رؤسكم و من تحت أرجلكم ، و إن لم تستقيموا اختلفت كلمتكم و شمت بكم عدوكم ، و لتتبعن بني إسرائيل شيئا شيئا ، لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم فيه ! و طوي لمن تمسك بولاية علي من بعدي حتى يموت و بلغني و أنا عنه راض ، قال جابر : و كان ذهابهم و مجيئهم من زوال الشمس إلى وقت العصر .

١٥ - الدر المنثور : عن ابن عباس قال : خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً بها ، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له « ق » ، السماء الدنيا مترفرة عليه ، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أيضاً (٣) مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها ، ثم خلق من وراء ذلك جبلاً يقال له « ق » السماء الثانية مترفرة عليه . حتى عد سبع أرضين و سبعة أبحر و سبعة أجبل (٤) قال : و ذلك قوله « و البحر يمدّه من بعده سبعة أبحر (٥) » .

١٦ - و عن عبدالله بن بريدة قال : « ق » جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه كنفا السماء (٦) .

١٧ - و عن مجاهد قال : « ق » جبل محيط بالأرض (٧) .

(١) نحن وفي وفي الله له (خ) .

(٢) النساء ، ٥٨ .

(٣) في المصدر « أرضاً » وهو الصواب

(٤) في المصدر ، وسبع سموات .

(٥) الدر المنثور ، ج ٤ ، ص ١٠١ ، الآية في سورة لقمان ، ٢٧ .

(٦) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٠٦ .

(٧) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ١٠٢ .

١٨ - وعن ابن عباس قال : خلق الله جبلاً يقال له «ق» محيط بالعالم وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض فإذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فحرك العرق الذي يلي تلك القرية ، فيزلزلها ويحركها ، فمن ثم تحرك القرية دون القرية (١) .

١٩ - العلل و المجالس للصدوق : عن محمد بن علي ماجيلويه ، عن محمد بن يحيى العطار ، عن محمد بن أحمد الأشعري ، عن عيسى بن محمد ، عن علي بن مهزيار عن عبدالله بن عمر ، عن عبدالله بن حماد ، عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : إن ذا القرنين لما انتهى إلى السد جاوزه فدخل في الظلمات ، فإذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع . فقال له الملك : يا ذا القرنين ، أما كن خلفك مسلك؟ فقال له ذا القرنين : من أنت؟ قال : أنا ملك من ملائكة الرحمن موكل بهذا الجبل ، فليس من جبل خلقه الله عز وجل إلا وله عرق إلى هذا الجبل ، فإذا أراد الله عز وجل أن يزلزل مدينة أوحى إلي فزلزلتها (٢) .

العياشي : عن جميل بن دراج ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن الزلزلة فقال : أخبرني أبي عن آبائه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن ذا القرنين لما انتهى إلى السد - إلى آخر الخبر - .
الفتية : مرسلًا مثله (٣) .

بيان : « أما كان خلفك مسلك » أي لأي شيء جئت ههنا مع سعة الأرض خلفك؟
٢٠ - العلل : عن أبيه ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد الأشعري ، عن يعقوب بن يزيد ، عن بعض أصحابه ، عن محمد بن سنان ، عن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق الأرض فأمر الحوت فحملتها ، فقالت : حملتها بقوتي ، فبعث الله عز وجل حوتاً قدر شبر ، فدخلت في منخرها فاضطربت أربعين صباحاً ، فإذا أراد

(١) الدر الثور ، ج ٦ ، ص ١٠٢ .

(٢) العلل ، ج ٢ ، ص ٢٣١ مرسلًا .

(٣) من لا يحضره الفقيه ، ١٤٢ ، وفيه ، وقد تكون الزلزلة من غير ذلك .

الله عز وجل أن يزلزل أرضاً تراءت لها تلك الحوتة الصغيرة فزلزلت الأرض فرقاً^(١).
الفقيه : مرسلًا مثله . وفيه « قدر قتر »^(٢) .

بيان : القتر - بالكسر - : ما بين السبابة والإبهام إذا فرقتهما . وتأنيث « فحملتها »
و « قالت » بتأويل الحوتة أو السمكة . و « الفرق » بالتحريك : الخوف .

٢١ - **العلل** : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفار ، بإسناد
له رفعه إلى أحدهم عليه السلام أن الله تبارك وتعالى أمر الحوت بحمل الأرض وكل بلدة
من البلدان على فلس من فلوسه ، فإذا أراد الله عز وجل أن يزلزل أرضاً أمر الحوت
أن يحرك ذلك الفلس فيحركه ، ولو رفع الفلس لانقلبت الأرض بإذن الله^(٣) .
الفقيه : مرسلًا عن الصادق عليه السلام مثله^(٤) .

بيان : قال الصدوق - قدس سره - بعد إيراد تلك الأخبار الثلاثة في الفقيه :
والزلزلة تكون من هذه الوجوه الثلاثة و ليست هذه الأخبار بمختلفة (انتهى) والظاهر
أن مراده أن الزلزلة قد تكون بالعلّة الأولى ، وقد تكون بالعلّة الثانية ، وقد تكون
بالعلّة الثالثة ، و يحتمل اجتماع تلك العلل في كل زلزلة ، و يمكن أن تكون الثانية
في الزلزلة العائمة لجميع الأرض كزلزلة القيامة ، والثالثة في ما إذا حصل بسببها خسف
و انقلاب و تغيير عظيم في الأرض و بالجملة الزلزلة العظيمة ، و الأولى في الزلازل
الجزئية اليسيرة . و يؤيد الخبر الأول أن أكثر الزلازل تبدىء من الجبال ، وكل
أرض تكون أقرب من الجبل فهي فيها أشد .

٢٢ - **الكافي** : عن علي بن محمد ، عن صالح بن أبي حماد ، عن محمد بن سنان
عن ابن مسكان ، عن أبي بكر الحضرمي ، عن تميم بن حاتم ، قال : كنا مع أمير المؤمنين
عليه السلام فاضطربت الأرض فوجأها^(٥) ثم قال لها : اسكني مالك ؟ ثم انفتحت إلينا
فقال : أما إننا لو كانت التي قال الله لأجابتنني و لكنّها^(٦) ليست بتلك^(٧) .

(٢) الفقيه : ١٤٢ .

(١) الملل ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .

(٤) الفقيه ، ١٣١ .

(٣) الملل ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(٦) في المصدر : ولكن .

(٥) في المصدر ، فوجأها .

(٧) روضة الكافي ، ٢٥٦ .

٢٣ - العلل : عن أحمد بن محمد ، عن أبيه ، عن محمد بن أحمد ، عن يحيى بن محمد ابن أيوب ، عن علي بن مهزيار ، عن ابن سنان ، عن يحيى الحلبي ، عن مهران أبان عن جابر ، قال : حدثني تميم بن حذيم ، قال : كنا مع علي عليه السلام حيث توجهنا إلى البصرة . قال : فبينما نحن نزول إذا اضطربت الأرض فضربها علي عليه السلام بيده ثم قال لها : مالك ؟ ثم أقبل علينا بوجهه ثم قال لنا : أما إنها لو كانت الزلزلة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه لأجابتنني و لكنّها ليست بتلك (١) .

بيان : هذا إشارة إلى ماورد في الأخبار أن « الإنسان » في سورة الزلزال هو أمير المؤمنين عليه السلام يقول للأرض : مالك ؟ فتحدثه الأرض أخبارها . كما روى في العلل عن فاطمة عليها السلام قالت : أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر - و ساق الحديث إلى قولها - فقال لهم علي عليه السلام : كأنكم قد هالكم ماترون ! قالوا : وكيف لا يهولنا ولم نر مثلها قط ؟ قالت : فحرك شفتيه ثم ضرب الأرض بيده ثم قال : مالك ؟ اسكني . فسكنت ، فقال : أنا الرجل الذي قال الله « إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أنقالها و قال الإنسان مالها ، فأنا الإنسان الذي يقول لها : مالك ؟ » يومئذ تحدث أخبارها « إياي تحدث . فهذا معنى قوله عليه السلام « إنها لو كانت الزلزلة التي ذكرها الله في كتابه « أي في سورة الزلزال وهي زلزلة القيامة » لأجابتنني ، أي لحدثت وتكلمت معي » و لكنّها ليست بتلك « أي زلزلة القيامة (٢) .

٢٤ - العلل : بالإسناد المتقدم عن محمد بن أحمد ، عن إبراهيم بن إسحق ، عن محمد بن سليمان الديلمي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الزلزلة ماهي ؟ قال : آية . قلت : و ما سببها ؟ قال : إن الله تبارك و تعالى و كل بعروق الأرض ملكاً فإذا أراد الله أن يزلزل أرضاً أوحى إلى ذلك الملك أن حرك عروق كذا و كذا . قال : فيحرك ذلك الملك عروق تلك الأرض التي أمره الله فتتحرك بأهلها . قال : قلت : فإذا كان ذلك فما أصنع ؟ قال : صل صلاة الكسوف فإذا فرغت خررت ساجداً و تقول في سجودك

(١) الملل : ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٢) المصدر : ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

« يا من يمسك السموات و الأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً أمسك عنا السوء إنك على كل شيء قدير (١) » .

الفتية : بإسناده عن سليمان الديلمي مثله (٢) .

بيان : « آية » أي علامة من علامات غضبه أو قدرته . « أن تزولا » أي كراهة أن تزولا ، أو لتضمن الإمساك معنى الحفظ أو المنع عدني به « إن أمسكها » أي ما أمسكها . وفي الفتية بعد قوله « غفوراً » : يا من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه أمسك ...

٢٥ - **الكافي** : عن علي بن محمد ، عن صالح بن أبي حماد ، عن بعض أصحابه ، عن عبد الصمد بن بشير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الحوت الذي يحمل الأرض أسر في نفسه أنه إنما يحمل الأرض بقوته فأرسل الله عز وجل إليه حوتاً أصغر من شبر وأكبر من فتر ، فدخل في خياشيمه فصعق ، فمكك بذلك أربعين يوماً . ثم إن الله عز وجل رآه به ورحمه وخرج ، فاذا أراد الله عز وجل بأرض زلزلة بعث ذلك الحوت إلى ذلك الحوت فاذا رآه اضطرب فتزلزلت الأرض (٣) .

٢٦ - **العلل** : لمحمد بن علي بن إبراهيم : العلة في زلزلة الأرض أن الحوت الذي يحمل الأرض له فلوس ، فاذا أراد الله عز وجل زلزلة أرض أو مكان رفع الحوت الفلوس الذي في ذلك الموضع وحركه فتزلزل الأرض .

٢٧ - **توحيد المفضل** : قال الصادق عليه السلام : فإن قال قائل . فلم صارت هذه الأرض تزلزل ؟ قيل له : إن الزلزلة وما أشبهها موعظة و ترهيب يرهب بها الناس ليرعوا و ينزعوا عن المعاصي .

قوائد

الاولى : قسمة المعمور من الأرض بالأقاليم السبعة . قالوا : الدائرة العظيمة

(١) علل الشرائع ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٢) من لايحضره الفقيه ، ١٤٢ .

(٣) روضة الكافي ، ٢٥٥ .

التي تحدث على سطح الأرض إذا فرض معدل النهار قطعاً للعالم الجسماني تسمى خط الاستواء ، وإذا فرضت عظمة أخرى على وجه الأرض تمرّ بقطبيها انقسمت الأرض بهما أربعاً ، أحد القسمين الشماليين هو الربع المسكون ، والباقيّة إما غامرة في البحار غير مسكونة وإما غامرة غير معلومة الأحوال ، وطول كل ربع بقدر نصف الدائرة العظيمة و عرضه بقدر ربعها . وهذا الربع المسكون أيضاً ليس كلّه معموراً إذ بعضه في جانب الشمال لفرط البرد لا يمكن لحيوان التعيش فيه ، وهي المواضع التي يكون عرضها أزيد من تمام الميل الكلي ، وفي القدر المعمور أيضاً بحار كثيرة بعضها متصل بالمحيط وبعضها غير متصل كما عرفت ، وجبال وآكام وآجام وبطائح ومغايض و براري لا تقبل العمارة ، ووجدوا في جنوب خط الاستواء قليلاً من العمارة من الزنج و السودان لكن لقلتها لم يعدوا منها من المعمورة . ومبدأ العمارة عند المنجمين من جانب الغرب و كانت هناك جزائر تسمى « الجزائر الخالدات » وهي الآن مغمورة في الماء فجعلها بعضهم مبدأ الطول ، وآخرون جعلوا ساحل البحر الغربي مبدأ و بينهما عشر درجات ، و نهاية العمارة من الجانب الشرقي عندهم « كتك ذر » وهو مستقر الشياطين بزعمهم ، و سموها ما بين النهايتين على خط الاستواء قبة الأرض . ثم قسموا المعمور من هذا الربع في جانب العرض بسبعة أقاليم بدوائر موازية لخط الاستواء ، طول كل إقليم ما بين الخاقين ، و عرضه بقدر تفاضل نصف ساعة في النهار الأطول ، لأن الأحوال كل إقليم متشابهة متناسبة بحسب الحر والبرد و المزاج و الألوان و الأخلاق . فمبدأ الإقليم الأوّل في العرض عند الأكثر مواضع يكون عرضها اثنتا^(١) عشر درجة وثلاثا درجة ونهارهم الأطول اثنتا عشر ساعة ونصف وربع ولم يعدوا من خط الاستواء إلى هذه المواضع من المعمورة لقلّة العمارة فيها ، وبعضهم يجعل مبدأ الإقليم خط الاستواء ، لكن على التقديرين لاخلاف في أن مبدأ الإقليم الثاني حيث عرضه عشرون درجة ونصف ونهاره الأطول ثلاث عشرة ساعة وربع . و مساحة سطح الإقليم الأوّل على الأوّل كما ذكره البرجندي ستمائة ألف و اثنان و ستون ألف فرسخ و أربعة و أربعون فرسخاً و نصف

فرسخ . و البلاد المشهورة الواقعة فيه : نجران ، وجند ، وصنعاء ، وصعدة ، وصحار
 وسندان ، وكوآم ، وعلاقي . وقال بعضهم : وهذا الإقليم يبتدىء في الطول من المشرق
 و أراضي الصين و تمر هناك على أنهار عظيمة ثم تمر على سواحل البحر الجنوبي و
 بعض أرض الصين و بعض البلاد الجنوبية من الهند و السند ، ثم على جزيرة «كرك»
 التي والاها من قبل ملك اليمن ثم يمر على خليج فارس و جزيرة العرب و على أكثر
 بلاد اليمن كمعلى ، و حضرموت ، و صنعاء ، و زبيد ، و عدن ، و شهر ، و قلهاة ، و
 ظفار ، و سبا ، و مدينة الطيب ، و صحار قصبه (١) عمان ، ثم على الخليج الأحمر ، و
 دار ملك الحبشة ، و بلاد النوبة ، و على غاية معدن الذهب من بلاد السودان (٢) المغرب
 ثم على بلاد بربر إلى المحيط المغربي . و عند البلاد المشهورة الواقعة في هذا الإقليم
 خمسون ، و فيه من الجبال و الأنهار العظيمة عشرون جبلاً و ثلاثون نهراً ، و لون أكثر
 أهله السواد ، و يزعمون أن هذا الإقليم منسوب إلى زحل . و مساحة سطح ما بين خط
 الاستواء و الإقليم الأول ألف ألف فرسخ و مائة و ستة عشر ألف فرسخ و سبعمائة
 و خمسة و ثلاثون فرسخاً و سدس فرسخ . و البلاد المشهورة الواقعة فيها : عدن ، و شبام
 و حضرموت ، و مرباط ، و سقوطره ، و جزيرة سرنديب ، و جزيرة لامري ، و جزيرة
 كله و غانه ، و كوكو ، و سقالة ، و بربرا ، و زغاوة من بلاد الزنج ، و هدية ، و زيلع
 كلاهما من بلاد الحبشة .

و مساحة الإقليم الثاني خمسمائة ألف فرسخ و اثنان و سبعون ألف فرسخ و ستة
 و ستون فرسخاً و ثلث فرسخ . و البلاد المشهورة فيه : مكة ، و المدينة - ضاعف الله
 شرفهما - و تيماء من بلاد الشام ، و ينبع ، و جدّة ، و خيبر ، و بطن مر ، و الطائف
 و القيد ، و الفرع ، و يمامة ، و الاحساء ، و قطيف ، و البحرين ، و القفط ، و صعيد

(١) في مرصد الاطلاع : صحار بانضم و آخره راء ، هضبة عمان مما يلي الجبل ، و قوام

قصبتها مما يلي الساحل مدينة طيبة كثيرة الخيرات مبنية بالاجر و الساج - انتهى - والهضبة ،
 الجبل المنبسط على وجه الارض .

(٢) السودان (خ) .

وأسيوط ، و أسوان ، و إسنا ، و عيذاب ، و لطفه من أقصى المغرب ، و سوس أقصى ، و سجلماسة ، و ديبيل من بلاد السند ، و مكران ، و بيرون ، و المنصورة ، و صنم صومناث من بلاد الهند ، و كنبات ، و ماهوره ، و قنوج . و قال بعضهم : هذا الإقليم يأخذ في الطول من بلاد الصين و يمر بمعظم بلاد الهند ، و منها « دهلي » ثم بشمال جبال معروفة في ديارهم ، و يمر بمعظم ديار السند منها « منصوره » و يصل إلى عمان ، و يقطع جزيرة العرب من أرض نجد و تهامة ، و يمر بالطائف و مكة - شرقها الله تعالى - و مدينة الرسول ﷺ و يثرب ، و هجر ، و قطيف ، و البحرين ، و هرمز من كرمان و يقطع القلزم و يصل إلى صعيد مصر و يقطع النيل و يأخذ في أرض المغرب و يمر بأواسط بلاد إفريقية ثم ببلاد البربر و يصل إلى المحيط . و البلاد المشهورة الواقعة في هذا الإقليم أيضاً خمسون ، و فيه من الجبال عشرون ، و من الأنهار مئتاها . و لون عامة أهله بين السواد و السمرة ، و يزعمون أنه منسوب إلى الشمس .

و مبدأ الإقليم الثالث عرضه سبع و عشرون درجة و نصف ، و نهاية طول الأيام ثلاث عشرة ساعة و ثلاث أرباع ساعة . و مساحة سطحه أربع مائة وستون ألف فرسخ و أحد وتسعون فرسخاً و خمسا فرسخ . و البلاد المشهورة فيه : الإسكندرية ، و منفلوط من بلاد سعيد و أكثر بلادها الواقعة على النيل ، و رشيد ، و دمياط من بلاد مصر ، و قلزم على ساحل بحر اليمن ، و فسطاط من بلاد مصر ، و عين الشمس منها ، و أسفي (١) من أقصى المغرب ، و سلا ، و فاس ، و مراکش (٢) و درعة ، و ميله ، و تاهرت . و قسطينة (٣)

(١) بفتح تين و كسر الفاء : بلدة على شاطئ البحر المحيط بأقصى المغرب (مراد

الاطلاع) .

(٢) بالفتح ثم التشديد و ضم الكاف و شين معجمة ، أعظم مدينة بالمغرب و أجلها و بها سرير ملوكه في وسط بلاد البربر و بينه و بين البحر عشرة أيام . و معنى مراکش بالبربرية « أسرع المشى » لأنها كانت موضع مخافة .

(٣) كذا في نسختين مخطوطتين ، و في بعضها « قسطنطينية » و هي غلط لأنها من بلاد الروم و هي التي تسمى اليوم « استانبول » من بلاد تركيا ، و الظاهر أن الصواب « قسطنطينية » بضم القاف و فتح السين و سكون النون الأدرلي و فتح الياء المخففة الثانية و هي في أدريقية مما يلي المغرب كما في مراد الاطلاع .

وسطيف كلها من بلاد المغرب، وتينزرت، وتونس، وقابس، وقبروان، ومهدية، و صفاقس، واطرابلس، وقصر أحمد كلها من بلاد إفريقية، وغزة، وعسقلان، و قيسارية، ورملة، وبيت المقدس كلها من بلاد فلسطين؛ و نابلس، و عكا، و بيسان وصور، وعمان، وكرك، وبيروت، وصيدا وأذرعات، و بصرى، ودمشق، وصرخد كلها من بلاد الشام، وهيت، والقادسية، وحيرة، والكوفة، و الأبار، و بغداد، و صرصر، والمدائن، و بابل، و نعمانية، و نهروان، وقصر بن هبيرة، و نهر الملك كلها من بلاد العراق و نواحيها؛ و بصره، وأبله، وعبادان، و طيب، و سوس، و قرقوب، و توستر، و حبي، و عسكر مكرم، و الأهواز، و دورق، و أرجان كلها - ماعدا الثلاثة الاول - من بلاد خوزستان؛ و سيف البحر، و جور، و أبرقوه، و كلزون، و نوبندجان، و فيروزآباد، و شيراز، و البيضاء، و إصطخر، و بسا^(١)، و دارا بجرد كلها من بلاد فارس و نواحيها؛ ويزد، و بافد، و بردسير، و جيرفت، و سيرجان و زرنده، و بم، و هرموز كلها من بلاد كرمان؛ و زرنج^(٢) و شروان^(٣) و بست كلها من بلاد سيستان؛ و ملتان من بلاد السند؛ و تعبر من بلاد الهند، و زيتون من بلاد الصين و إصبهان و أردستان، و طبس، و بيروزكوه، و ميمند، و غزنة و كابل. وقال بعضهم: هذا الإقليم يتديء من شرقي أرض الصين و دار ملكهم، و تمر بوسط مملكة الهند، و قندهار، و كشمير، و يمر بمولتان من أرض السند، و يزابل، و بست، و سيستان، و كيج، و يزده سير مدينة كرمان، و خبيص؛ و يزد؛ و فارس؛ و إصفهان؛ و الأهواز و عسكر؛ و كوفة؛ و بصره و واسط؛ و بغداد؛ و المدائن و إذا جاوز هذه البلاد يمر بديار ربيعة و مضر؛ و دمشق؛ و حمص؛ و بيت المقدس؛ و الصورية؛ و الطبرية و القيسارية؛ و عسقلان؛ و المدين؛ و يأخذ طرفاً من أرض مصر فيه دمياط و فسطاط

(١) هي التي تسمى اليوم « فسا » .

(٢) في طبعه امين الضرب « زرنه » .

(٣) في بعض النسخ « سروان » وفي المراد « شرواد » .

والإسكندرية ثم يمر بلاد إفريقيا^(١) وبلد قيروان ؛ والسوس ؛ وطرابلس المغرب ؛ ثم بقباثل السرير في أرض المغرب ؛ وبلاد طنجة ؛ وينتهي إلى المحيط . و عدد البلاد المشهورة الواقعة فيه مائة وثمانية وعشرون ؛ وفيه من الجبال ثلاثة وثلاثون ؛ و من الأنهار اثنان وعشرون . ولون أكثر أهلها السمرة ؛ و يزعمون أنه منسوب إلى عطار .

و أما الإقليم الرابع فعرض أوله ثلاث و ثلاثون درجة وأربعون دقيقة ، وأطول نهاره أربع عشرة ساعة و ربع ، و مساحة سطحه ثلاثمائة ألف و ثمانية و سبعون ألفاً و ثمانية و ثلاثون فرسخاً و ربع ، و البلاد المشهورة فيه : قصر عبد الكريم ، و طنجة و سبسته^(٢) و تلمسان ، و بجاية من بلاد المغرب ؛ و بوند ، و قصر أحمد ، من بلاد إفريقيا و إشبيلية^(٣) و قرطبة ، و مالقة ، و غرناطة ، و بلنسية كلها من بلاد الشام^(٤) و توابعها و جزيرة يابسة ، و جزيرة مايرقه^(٥) فيها بحيرة محيطها تسعة أميال ، و جزيرة سردانية و جزيرة صقلية ، و جزيرة سامس^(٦) و جزيرة رودس ، و جزيرة قبرس كل هذه الجزائر في بحر الروم ؛ و طرسوس ، و أياس ، و أرطة^(٧) و مصيصة ، و برس برت ، و تل حمدون كلها من بلاد أرمن ؛ و أطرابلس ، و بلنباس ، و بعلبك ، و عرقة ، و جبلة من بلاد الشام و سبس ، و صهيون ، و بغراس ، و حارم ، و حصن الأكراد ، و الحصص ، و حسماء ، و شيزر و مرعش ، و حصن منصور ، و منبج ، و معرة^(٨) ، و قنسرين ، و سميساط بعضها من

(١) افريقية (خ) .

(٢) كذا ، وفي المراد « سبته » .

(٣) كذا ، وفي المراد « اشبيلية » .

(٤) بل من بلاد الاندلس (اسبانيا) .

(٥) ميورقة جزيرة في شرقى الاندلس (مراد الاطلاق) .

(٦) وساس (خ) .

(٧) في بعض النسخ « ارته » وفي بعضها « أرته » .

(٨) في بعض النسخ « مفرة » وهي أيضاً موضع بالشام

أعمال حلب وبعضها من أعمال الشام وحلب، وحران؛ ورقة كلاهما من ديارمضر؛ وماردين من ديار ربيعة؛ و مياً فارقين من بلاد الجزيرة؛ وقرقيساء، و جيران، و نصيين، و جزيرة ابن عمر، و سنجار من ديار ربيعة؛ و تل أعقر، و موصل، و الحديثة، و دقوقاء، و آمد، و عانة، و سعرت، و تسكريت، و سامراء، و دسكرة، و جلولاء، و خاتقين، و حلوان بعضها من العراق و بعضها من الجزائر؛ و دلي من بلاد الهند؛ و انطاليا من بلاد الروم؛ و أرزن، و بدليس، و أرجليس^(١) كلها من أرمينية؛ و سلماس و خوى، و مراغه، و أوجان، و أردبيل، و ميانج، و مرند، و تبريز كلها من بلاد آذربيجان؛ و موقان^(٢) و إربل، و شهر زور، و قصر شيرين، و صيمرة، و دينور و سيروان، و ما سبدان، و سهرورد، و زنجان، و نهاوند، و همدان، و بروجرد، و أهر، و ساوه، و قزوین، و آبه، و جرباذقان، و قم، و طالقان، و قاشان، و الري؛ و كرج أكثرها من بلاد الجبل؛ و لاهجان، و رودبار، و سالوس، و نادل، و أرجان و آمل، و سارية كلها من بلاد طبرستان؛ و سمنان، و دامغان، و بسطام، و إستراباد و آبسكون، و جرجان، و دهستان، و خسروجرد، و قصبه سبزوار، و إسفراين، و نيسابور، و نسا، و طوس، و نوقان، و أيبورد، و قوهستان، و قاین، و زوزن، و جزجرد، و بوزجان، و سرخس، و فوشنج، و هراة، و بادغيس، و مالين، و شيورغان^(٣) و أسفزار، و مرورود، و مرو، و شاه جهان، و فارياب، و شهرستان، و سمنجان كلها من خراسان و أعمالها؛ و بدخشان، و ترمذ^(٤) و ختلان، و وخش، و صغانيان، و شومان، و آئينية كلها من بلاد المغرب و يقال إنه بلد حكماء يونان.

وقال بعض الأفاضل: هذا الإقليم وسط الأقاليم، ووسط معظم عمارة العالم، وابتدئ من شمال بلاد الصين ويمر ببلاد التبت الداخل، و جرجير، و خطا، و ختن، و بجبال

(٦) كذا في جميع النسخ، وفي المراد «ارجيش» بالشين الممجمة.

(٧) الظاهر انها هي التي تسمى اليوم «دشت منان».

(١) كذا، والظاهر أنه «شبرقان».

(٢) قال في المراد، الناس يختلفون في هذا الاسم والمعروف انه بكسر التاء والميم

و أهل تلك المدينة متداول على اسانهم بفتح التاء وكسر الميم، و بعضهم يقول بضمها - الخ - .

كشمير، و بدخشان، وصغانيان، وكابل، و يمر^١ بطخارستان، و غور، و بلخ، و ترمذ و هرات، و مرو، و شاهجهان، و مرو رود، و سرخس، و جوزجان، و فارياب؛ و غمرجستان^(١)، و باورد^(٢) و نسا، و سبزوار، و طوس، و نيشابور، و إسفرين، و قهستان، و قومس، و جرجان، و طبرستان، و آمد^(٣) و قم، و آمل، و كاشان، و همدان، و أبهر، و قزوین، و الديلم، و ساوه، و ألموت، و كرج، و كيلان، و مازندران و ساري، و سمنان، و دامغان، و استرآباد، و بسطام، و نهاوند، و دينور، و حلوان و شهرزور، و زنجان، و سلطانية، و أردبيل، و الموصل، و سامره، و أرمنيّة^(٤) و مراغه، و تبريز، و سينجار، و نصيبين، و سمياط، و ملطية، و أرنجان، و رأس العين، و قالقلا، و سميساط، و حلب، و أنطاكية، و قنسرین، و طرابلس الشام، و حصص، و طرسوس، و جزيرة قبرس، و رودس، و يمر^٢ بأرض المغرب على بلاد إفريقية و طنجة، و ينتهي إلى المحيط على الرقاق من الأندلس و بلاد المغرب. و عدد البلاد المشهورة الواقعة فيه مائتان و اثناعشر، و فيه من الجبال خمسة و عشرون، و من الأنهار اثنان و عشرون. و لون عامة أهله بين السمرة و البياض، و هو منسوب إلى المشتري على الأصح يزعمهم.

وأمّا الإقليم الخامس فمبدأه حيث عرضه تسع و ثلاثون درجة، و غاية طول نهارهم أربع عشرة ساعة و ثلاثة أرباع ساعة. و مساحة سطحه مائتا ألف و تسع و تسعون ألف فرسخ و أربعمأة و ثلاثة و تسعون فرسخاً و ثلاثة أعشار فرسخ. و من البلاد الواقعة فيها: أشبونه، و شنترين، و بطليوس، و ماردة، و طليطلة، و مرسية، و دانية، و مدينة

(١) في المراد، غرستان.

(٢) فيه، وهي أبيورد.

(٣) كذا، و لعله مصحف « آمو » فان « آمد » بلد قديم تحيط دجلة بأكثره، و من البعيد ذكره بين طبرستان و قم مع ما يشاهد من رعاية الترتيب - إلى حد ما - في ذكر أسماء البلاد.

(٤) ارمنية (ظ).

سالم ، و سرقسطة ، و طرطوشة ، و لاردة ، و هيكل الزهرة ، و اربونة ، و أنقورية^(١) و عمورية ، و آق شهر ، و قونية ، و قيسارية ، و أقسرا^(٢) و ملطية ، و سيواس ، و توقات ، و أرزن ، و أرزنجان ، و موش ، و ملازجرد ، و أخلاط^(٣) ؛ و شروان ؛ و نشوى ؛ و بردعة ؛ و شمكور ؛ و تغليس ؛ و ييلقان ؛ و باب الأبواب ؛ و كنجة ؛ و سلطانية و فراوة ؛ و كركنج ؛ و كات ؛ و زمخشري ؛ و هزار أسب ؛ و درغان ؛ و طواويس ؛ و بيكند و كرميه^(٤) ؛ و نخشب ؛ و كش^(٥) ؛ و أرنبجن ؛ و إشتيخن ؛ و سمرقند ؛ و كشانية ؛ و شاش ؛ و بنكت ؛ و إيلاقي^(٥) و أسروشه^(٦) و ساباط ؛ و خجند ؛ و شاوكت ؛ و تنكت و إمسيكت ؛ و كاسان ؛ و فرغانة ؛ و قبا ؛ و ختن ؛ و خيوه ؛ و رومية الكبرى ، و ماقنونية من أعمال قسطنطينية .

و قال بعض الأفاضل : يبتدىء هذا الإقليم من أقصى بلاد الترك ؛ و يمر على مواضع الأتراك المشهورة إلى حد كاشغر ، و ختن ؛ و بيت المقدس ؛ و فرغانة ؛ و طراز و خجند ؛ و يمر بشروان ؛ و خوارزم ؛ و بخارا ؛ و شاش ؛ و نسف ؛ و سمرقند ؛ و كش ؛ و يبحر خزر و ديار أرمنية و بعض بلاد الروم كعمورية ؛ و قونية ؛ و أقسراي و قيصريّة ؛ و سيواس ؛ و أرزن الروم ؛ و يمر بساحل بحر الشام و بلاد أندلس إلى أن ينتهي إلى المحيط . و عدد البلاد المشهورة الواقعة فيه مائتان ، و فيه من الجبال ثلاثون ، و من الأنهار خمسة عشر . و لون عامة أهله البياض ، و هو منسوب إلى الزهرة بزعمهم .

و أما الإقليم السادس فمبدأه حيث عرضه ثلاث و أربعون درجة و نصف ، و غاية طول نهاره خمسة عشر ساعة و ربع . و مساحة سطحه مائتا ألف و خمسة و ثلاثون ألف

(١) الظاهر انه « آنقرة » التي هي عاصمة تركيا اليوم .

(٢) و يقال : أقصري ، و أقسراي

(٣) كذا و المضبوط « خلاط » .

(٤) في المراد : كرمينية .

(٥) كذا و المضبوط « ايلاق » .

(٦) كذا و المضبوط « اسروشه » بزيادة نون بعد الشين الممجمة .

فرسخ وأربعة و ثلاثون فرسخاً وثلاثاً فرسخ . وفيه من البلاد المشهورة : تطيلة ، و تبلوته وبردال ، و طريا ، و جزيرة قرييت ، و أماسية ، و قسطمونية ، و سنوب ، و جند ، و فاراب و إسفيجاب ، و طراز ، و شلج ، و خان بالق ، و كاشغر ؛ و سمورة ، و لنبرديه ؛ و بيذه ؛ و بندقيه و برشان ؛ و قسطنطينية ؛ و بلنجر . و قال بعض المحققين : من بلاده معظم الروم ؛ و الخزر ؛ و التركستان ؛ فيبتدىء من المشرق و يمرّ بمساكن أتراك الشرق ، و يقطع وسط بحر طبرستان ، و يمرّ على خزر ؛ و موقان ؛ و سقسين^(١) ؛ و على الصقالبة ؛ و بلاد آس و أران ، و باب الأبواب ؛ و الروس ؛ ثمّ بمعظم بلاد الروم مثل قسطنطينية و بشمال أندلس ، و ينتهي إلى المحيط . و عدد البلاد المشهورة الواقعة فيه تسعون ، و فيه من الجبال أحد عشر ، و من الأ نهار أربعون . و لون غالب أهلها الشقرة ، و هو عندهم منسوب إلى القمر .

وأمّا الإقليم السابع فمبدأه حيث العرض سبع و أربعون درجة و ربع ؛ و غاية طول نهاره خمس عشرة ساعة و ثلاثة أرباع ساعة . و مساحة سطحه مائة ألف و سبعة و ثمانون ألف فرسخ و سبعمائة و واحد و عشرون فرسخاً و ثلاثاً فرسخ . و في هذا الإقليم العمارة قليلة ؛ و البلاد المشهورة فيه : كُرش ؛ و ازرق ؛ و صراى - وهو مستقرّ سلطان تتر^(٢) - و آكل ؛ و يبلار^(٣) و يقال له بلغار - و أفجاكرمان ؛ و صراى كerman ؛ و قرقر ؛ و صلغات ؛ و كفا^(٤) و صقجى^(٥) و شنتياور^(٦) و هرقله . و قال بعضهم : هذا الإقليم يأخذ في طوله من المشرق و يمرّ بنهايات الأتراك الشرقية ؛ و بشمال بلاد يأجوج و مأجوج ثمّ على غياض و جبال يأوي إليها أتراك كالوحوش ، ثمّ على بلغار الروس و الصقالبة و يقطع بحر الشام و ينتهي إلى المحيط . و عدد بلاد هذا الإقليم اثنان و عشرون ، و فيه من الجبال أحد عشر ، و من الأ نهار أربعون . و لون أهلها بين الشقرة و البياض ، و هو

(٢) التتر (خ) .

(١) سفين (خ) .

(٤) كفى (خ) .

(٣) بلاد (خ) .

(٦) فى المراد : شنت يا قب .

(٥) هبجى (خ) .

منسوب عندهم إلى المربخ . و أهل بعض بلاده يسكنون مدة ستة أشهر في الحمامات لشدة البرد . و آخر الأقاليم حيث عرضه خمسون درجة ونصف وغاية طول نهاره ست عشرة ساعة وربع ، ثم إلى عرض التسعين لا يعدّونه من الأقاليم .

واعلم أن خط الاستواء يبتدىء من شرقي أرض الصين ويمرّ على جزيرة «جمكوت» ثم ببلاد الصين ممّا يلي الجنوب ، وعلى «كنك ذر» الذي من أراضي الصين ثم على جزائر «زارة» التي تسمى أرض الذهب ، وعلى جنوب جزيرة سرنديب بين جزيرتي كله وسريه وعلى وسط جزائر ديويره^(١) ثم على شمال جزائر الزنج ومعظم بلادهم ثم على شمال جبال القمر ، وجنوب السودان المغرب إلى المحيط . وأمّا طول النهار لسائر البقاع سوى الأقاليم السبعة فالنهار الأطول يبلغ سبع عشرة ساعة حيث العرض أربع وخمسون درجة و كسر ، و يبلغ ثمانى عشرة ساعة حيث العرض ثمان و خمسون درجة ، و يبلغ تسع عشرة ساعة حيث العرض إحدى وستون درجة ، و يبلغ عشرين ساعة حيث العرض ثلاث و ستون . و هناك جزيرة تسمى «تولي» يقال إن أهلها يسكنون الحمامات مدة كون الشمس بعيدة عن سمت رؤسهم . والمشهور أنها منتهى العمارة في العرض و يبلغ إحدى وعشرين ساعة حيث العرض أربع وستون درجة و نصف . قال بطلميوس: إن سكّان هذا الموضوع قوم من الصقالبة لا يعرفون . و على هذا يكون هو منتهى العمارة في العرض ، و يبلغ اثنتين و عشرين ساعة حيث العرض خمس و ستون درجة و كسر و يبلغ ثلاثاً و عشرين ساعة حيث العرض ست و ستون درجة ، و يبلغ أربعاً و عشرين ساعة حيث العرض مثل تمام الميل الكلي . و يبلغ شهراً حيث العرض سبع و ستون درجة و ربع ، و شهرين حيث العرض سبعون درجة إلّاربعاً ، و ثلاثة أشهر حيث العرض ثلاث و سبعون درجة ونصف وأربعة أشهر حيث العرض ثمان و سبعون درجة ونصف ، و خمسة أشهر حيث العرض أربع و ثمانون درجة ، و نصف السنة تقريباً حيث العرض ربع الدور . و منهم من قسم ما سوى الأقاليم من الربع قسمين : قسماً لم يدخل في الأقاليم و يدخل في المعمورة ، و قسماً لم يدخل فيهما ، فالأول مبدأه حيث عرضه خمسون درجة و ثلث ، و غاية

طول نهاره ست عشرة ساعة وربع، ومساحة سطحه سبعمائة ألف وخمسون ألف فرسخ ومائة واثنان وثلاثون فرسخاً وربع فرسخ . وفيه جزيرة بريطانية ، وجزيرة صوداق ، وجزيرة تولى ومدينة يأجوج ومأجوج . قالوا : عرض تلك المدينة ثلاث وستون درجة وطولها مائة واثنان وسبعون درجة ونصف . والقسم الثاني مبدأه حيث عرضه ست وستون درجة ونصف ، وغاية طول نهاره سبع وأربعون ساعة . ومساحة سطحه أربع مائة ألف واثنان وعشرون ألف فرسخ وأربع مائة وسبعة فراسخ وخمس فرسخ . وقيل : في عرض خمس وسبعين درجة موضع أهله يسكنون في الشتاء في الحمائم ، ولا يفهم كلامهم .

الفائدة الثانية : في ذكر بعض خواص "خط" الاستواء والآفاق المائية ، فأما "خط" الاستواء فدوائر آفاق البقاع التي تكون عليه تنصف جميع المدارات اليومية ، فلذلك يكون النهار والليل في جميع السنة متساويين ، وأيضاً يكون زمان ظهور كل نقطة على الفلك مساوياً لزمان خفائه ، فإن كان تفاوت كان بسبب اختلاف السير سرعة وبطء بالحركة الغربية في النصفين ، وذلك لا يكون محسوساً . وتمر الشمس في السنة الواحدة مرتين بسمت رؤوسهم ، وذلك عند كونها في نقطتي الاعتدالين ، ولا تبعد الشمس عن سمت رؤوسهم إلا بقدر غاية ميل فلك البروج عن معدل النهار ، وتكون الشمس نصف السنة تقريباً في جهة من جهتي الشمال والجنوب ، ويكون ظل نصف النهار إلى خلاف تلك الجهة ، ولكون مبدأ الصيف الوقت الذي يكون فيه الشمس إلى سمت الرأس أقرب ومبدأ الشتاء الوقت الذي يكون الشمس منه أبعد ، يكون وقت كونها في نقطتي الاعتدال مبدأ صيفهم ، ووقت كونها في نقطتي الانقلاب مبدأ شتائهم ، ويكون مبادئ الفصول الأخرين أوساط الأرباع ، ويلزم على ذلك أن يكون لهم في كل سنة ثمانية فصول ، ويكون دور الفلك هناك دولابياً ، لأن سطوح جميع المدارات تقطع سطح الأفق على قوائم ، ويسمى لذلك آفاقها آفاق الفلك المستقيم . والشيخ ابن سينا حكى بأنها أعدل البقاع ، لأن الشمس لا تمكث على سمت الرأس كثيراً بل إنما يمر به وقتي اجتيازها عن إحدى الجهتين إلى الأخرى ، ويكون هناك حركتها في الميل والبعد عن سمت رأسهم أسرع ما يكون فلا تكون لذلك حرارة صيفهم شديدة . وأيضاً لتساوي

زما نى نهارهم وليلهم دائماً تنكسر سور تا كل واحدة من الكيفيتين الحادثتين منهما بالآخرى فيعتدل الزمان . وحكم أيضاً بأن "أحر" البقاع صيفاً التي تكون عروضها مساوية للميل الكلي ، فان الشمس تسامتها وتلبث في قرب مسامتتها قريباً من شهرين ، ونهارها حينئذ يطول وليلها يقصر . ورد "الفخر الرازي" عليه الحكم الأول بأن قال : لبث الشمس في خط الاستواء وإن كان قليلاً لكنها لا تبعد كثيراً عن المسامته ، فهي طول السنة في حكم المسامته ، ونحن نرى بقاعاً أكثر ارتفاعات الشمس فيها لا يزيد على أقل ارتفاعاتها بخط الاستواء وحرارة صيفها في غاية الشدة . فيعلم من ذلك أن حرارة شتاء خط الاستواء تكون أضعاف حرارة صيف تلك البقاع . وحكم بأن "أعدل البقاع هو الإقليم الرابع . وقال المحقق الطوسي - ره : الحق في ذلك أنه إن عني بالاعتدال تشابه الأحوال فلا شك أنه في خط الاستواء أبلغ كما ذكره الشيخ ، وإن عني به تكافؤ الكيفيتين فلا شك أن خط الاستواء ليس كذلك ، يدل عليه شدة سواد لون سكانه من أهل الزنج والحبيشة وشدة جعود شعورهم وغير ذلك مما تقتضيه حرارة الهواء ، وأضداد ذلك في الإقليم الرابع تدل على كون هوائه أعدل . بل السبب الكلي في توفر العمارات وكثرة التوالد والتناسل في الأقاليم السبعة دون سائر المواضع المنكشفة من الأرض يدل على كونها أعدل من غيرها ، وما يقرب من وسطها لا محالة يكون أقرب إلى الاعتدال مما يكون على أطرافها . فان الاحتراق والفجاجة اللازمين من الكيفيتين ظاهران في الطرفين - انتهى - .

فعلى ما ذكره - قدس سره - سكان الإقليم الرابع أعدل الناس خلقاً وخلقاً ، ووجودهم فطانه وذكاء . ومن ناحية كان معدن الحكماء والعلماء ، وبعدهم سكان الأقليمين الثالث ، والخامس . وأما سائر الأقاليم فأكثرها ناقصون في الجبلة عما هو أفضل ، يدل عليه سماجة صورهم وسوء أخلاقهم و شدة احتراقهم من الحر أو فجاجتهم من البرد كالحبيشة والزنج في الأول والثاني ، وكيا جوج و مأجوج و بعض الصقالبة في السادس والسابع . و أما الآفاق التي لها عرض أقل من الربع فهي على خمسة أقسام : الأول أن يكون عرضه أقل من الميل الكلي ، الثاني أن يكون عرضه مساوياً للميل الكلي

الثالث (١) أن يكون عرضه مساوياً لتمام الميل الكلي ، الرابع أن يكون عرضه أكثر من الميل وأقل من تمامه ، الخامس أن يكون عرضه أكثر من تمام الميل . ففي جميع تلك الآفاق يكون أحد قطبي المعدل فوق الأرض مرتفعاً عن الأفق بقدر عرض البلد والآخر منخفضاً عن الأفق بهذا المقدار . وجميع تلك الآفاق ينصف معدل النهار على زوايا [قوائم] فيكون دور الفلك هناك حائليةً ، وتقطع المدارات التي تقطعها بقطعتين مختلفتين . والقسي (٢) الظاهرة للمدارات الشمالية أعظم من التي تحت الأرض ، و للجنوبية بالخلاف من ذلك ولا يستوي الليل والنهار فيها إلا عنه بلوغ الشمس نقطتي الاعتدال ، وذلك في يوم النيروز والمهرجان والمساواة في بعض الأوقات تحقيقيً وفي بعضها تقريبيً . ويكون النهار أطول من الليل عندكون الشمس في البروج الشمالية وعندكونها في البروج الجنوبية الأمر بعكس ذلك . وكلما كان عرض البلد أكثر كان مقدار التفاوت بين الليل والنهار أكثر ، وكل مدار بعده عن القطب الشمالي مثل ارتفاع القطب عن الأفق فهو بجميع ما فيه وبجميع ما تحويه دائرته إلى القطب الشمالي من الكواكب والمدارات أبدية الظهور ، ونظيره من ناحية الجنوب بجميع ما فيه وما تحويه دائرته إلى القطب الجنوبي أبدية الخفاء . وهذه هي الأحوال المشتركة .

وأما ما يختص بالقسم الأول من الأقسام الخمسة المتقدمة وهو ما يكون العرض أقل من الميل الكلي فالمدار الذي يكون بعده عن المعدل من جهة القطب الظاهر بقدر عرض البلد يقطع منطقة البروج على نقطتين متساويتي البعد من المنقلب فإذا وصلت الشمس إلى إحدى هاتين النقطتين لا يكون في نصف نهار هذا اليوم لشيء ظل ، وما دامت الشمس في القوس الذي بين تينك النقطتين في جهة القطب الظاهر يقع

(١) في أكثر النسخ هكذا : الثالث أن يكون عرضه أكثر من الميل وأقل من تمامه

الرابع ان يكون عرضه مساوياً لتمام الميل الكلي .

(٢) جمع قوس ، وأصله قورس - على ما ذكره الصرفيون - فانقلب اللام مكان العين

ثم قلبت الواو ان يائين و ادغمت الاو في الثانية و كسرت الغاف والسین فصار قسياً .

الظلّ في أنصاف النهار إلى جهة القطب الخفيّ ، و مادامت الشمس في القوس الآخر يقع الظلّ في أنصاف النهار إلى جهة القطب الظاهر ، ولا ارتفاع الشمس في النقصان غايتان ؛ إحداهما من جهة القطب الظاهر وهو أكثر ، و الأخرى من جهة القطب الخفيّ وهو أقلّ ، ولا تكون فصول السنة في تلك الآفاق متساوية ، بل إذا كانت النقطتان المذكورتان متقاربتين كان صيفهم أطول من غيره ، لأنّ الشمس تسامت رؤسهم مرتين و ليس بعدها على قدر يكون في وسطه فتور للسخونة ، و إن زادت على الأربعة كما إذا كانت النقطتان متباعدين لم تكن متشابهة لاختلاف غايتي بعد الشمس عن سمت الرأس في الجهتين بخلاف خطّ الاستواء لتساويهما .

و أمّا القسم الثاني فمدار المنقلب الذي في جهة القطب الظاهر يمرّ بسمت الرأس و مدار المنقلب الآخر بسمت الرجل ، ولا يكون لارتفاع الشمس إلّا غاية واحدة في جانب النقصان ، و في جانب الزيادة يكون تسعين درجة ، و يكون الظلّ أبداً عند الزوال في جهة القطب الظاهر ، إلّا في يوم واحد حين كونها في المنقلب الظاهر ، فإنّه لا يكون في هذا اليوم عند الزوال لشيء ظلّ ، و يكون أحد قطبي فلك البروج أبديّ الظهور و الآخر أبديّ الخفاء . و ارتفاعات الشمس تتزايد من أحد الانقلابين إلى الآخر ، ثمّ ترجع و تتناقص إلى أن تعود إليه و تصير فصول السنة أربعة لا غير و تكون متساوية المقادير .

و أمّا القسم الثالث فلا تنتهي الشمس إلى سمت الرأس ، و يكون لها ارتفاعان : أعلى ، و هو ما يكون بقدر مجموع الميل الكليّ و تمام عرض البلد . و أسفل ، و هو يكون بقدر فضل تمام عرض البلد على الميل الكليّ ، و سائر الأحوال كما مرّ .

و أمّا القسم الرابع فيصير مدار المنقلب الذي في جهة القطب الظاهر أبديّ الظهور و مدار المنقلب الآخر أبديّ الخفاء . و يمرّ مدار قطب فلك البروج الظاهر بسمت الرأس ، و مدار القطب الآخر بمقابله ، و في كلّ دورة تنطبق منطقة البروج مرّة على الأفق ، ثمّ يرتفع النصف الشرقيّ من المنطقة دفعة عن الأفق و ينحطّ نصفها الآخر عنه كذلك ، ثمّ يطلع النصف الخفيّ جزء بعد جزء في جميع أجزاء نصف الأفق الشرقيّ

و يغيب النصف الظاهر جزءً بعد جزء كذلك في جميع نصف الأفق الغربي في مدة اليوم بليته إلى أن يعود وضع الفلك إلى حاله الأولى ، و يزيد النهار في تلك الآفاق إلى أن يصير مقدار يوم بليته نهراً كلها ، و ذلك عند وصول الشمس إلى المنقلب الظاهر . و هذا إذا اعتبر ابتداء النهار من وصول مركز الشمس إلى الأفق ، و إن اعتبر ابتداء النهار من ظهور الضوء و اختفاء الثوابت كان نهارهم عند الوصول المذكور شهراً - على ما بينه « ساو زوسيوس » في الرسالة التي بين فيها حال المساكن - ثم يحدث ليل في غاية القصر بحيث يتداخل الشفق و الفجر ، و يزيد شيئاً فشيئاً إلى أن يصير مقدار يوم بليته ليلة كله ، و بعد ذلك يحدث نهار قصير ، و هكذا . و في هذا القسم نهاية العمارة في جانب الشمال ، و لا يمكن العمارة بعده لشدة البرد .

و أما القسم الخامس فيكون فيه أعظم المدارات الأبدية الظهور قاطعاً لمنطقة البروج على نقطتين يساوي ميلهما في جهة القطب الظاهر ، و أعظم المدارات الأبدية الخفاء قاطعاً لها على نقطتين متقابلتين لهما ؛ فنقسم منطقة البروج لا محالة إلى أربع قسي يتوسطها الاعتدالان و الانقلابان : إحداهما أبدية الظهور و هي التي يتوسطها المنقلب الذي في جهة القطب الظاهر ، و مدة كون الشمس فيها نهارهم الأطول . و الثانية أبدية الخفاء و هي التي يتوسطها المنقلب الآخر ، و مدة كون الشمس فيها ليلهم الأطول و أما القوسان الباقيتان فالتى يتوسطها أول الحمل تطلع معكوسة أي يطلع آخرها قبل أولها ، و تغرب مستوية أي يغرب أولها قبل آخرها إن كان القطب الظاهر شمالياً و تطلع مستوية و تغرب معكوسة إن كان القطب الظاهر جنوبياً ؛ و التي يتوسطها أول الميزان يكون بالصد من ذلك . و مثلوا لتصوير الطلوع و الغروب المعكوسين مثلاً لسهولة تصورهما تركناه مع سائر أحكام هذا القسم لقلة الجدوى .

و أما الموضع الذي عرضه ربع الدور و هو تسعون درجة فأوضاعه غريبة جداً و ذلك لا يكون على الأرض إلا عند موضعين يكون أحد قطبي المعدل على سمت الرأس و الآخر على سمت القدم ، فتصير لا محالة دائرة معدل النهار منطبقة على الأفق ، و يدور الفلك بالحركة الأولى التابعة للفلك الأعظم رحوية و لا يبقى في الأفق مشرق

ولا مغرب باعتبار هذه الحركة أصلاً ولا باعتبار غيرها بحيث يتميز أحدهما عن الآخر في الجهة ، ولا يتعيّن أيضاً نصف النهار ، بل في جميع الجهات يمكن أن تبلغ الشمس وسائر الكواكب غاية ارتفاعها ، كما يمكن أن تطلع و تغرب فيها ، فيكون النصف من الفلك الذي يكون من معدّل النهار في جهة القطب الظاهر أبديّ الظهور ، والنصف الآخر أبديّ الخفاء . و الشمس مادامت في النصف الظاهر من فلك البروج يكون نهاراً ، وما دامت في النصف الخفيّ منه يكون ليلاً ، فيكون سنة كلّها يوماً بليلاً ، و يفضل أحدهما على الآخر من جهة بطء حركتها و سرعتها وهو تقريباً سبعة أيام بلياليها من أيّامنا . ففي هذه الأزمنة يزيد نهاره عن ليله بمثل هذه المدة . وهذا إذا اعتبر النهار من طلوع الشمس إلى غروبها ، و أمّا إذا كان النهار من ظهور ضوئها و اختفاء الثوابت إلى ضدّهما فيكون نهارهم أكثر من سبعة أشهر بسبعة أيّام ، وليلهم قريباً من خمسة أشهر ، إذ من ظهور ضوء الشمس إلى طلوعها خمسة عشر يوماً وكذا من غروبها إلى اختفاء الضوء ، على ماحقّقه « ساووزسيوس » و أمّا إذا كان النهار من طلوع الصبح إلى غروب الشفق فكان نهارهم سبعة أشهر وسبعة عشر يوماً من أيّامنا تقريباً .

و قال المحقّق الطوسي " - قدّس سرّه - : و يكون مدة غروب الشفق أو طلوع الصبح في خمسين يوماً من أيّامنا . و يكون غاية ارتفاع الشمس و غاية انحطاطه بقدر غاية الميل . و أظلال المقاييس تفعل دوائر متوازية بالتقريب على مركز أصل المقياس أصغرهما إذا كانت الشمس في المنقلب الظاهر . و أعظمها إذا كانت عند الأفق بقرب الاعتدالين ، ولا يكون لشيء من الكواكب طلوع ولاغروب بالحركة الأولى ، بل يكون طلوعها و غروبها بالحركة الثانية المختصّة بكلّ منها لافي موضع بعينه من الأفق . و يكون للكواكب التي يكون عرضها من منطقة البروج ينقص من الميل الكليّ طلوع و غروب بالحركة الخاصّة ، و تختلف مدّة^(١) الظهور و الخفاء بحسب بُعد مدارها عن منطقة البروج و قربها إليه ، فما كان مداره أبعد عنها في جهة القطب الظاهر كان زمان ظهوره أكثر من زمان ظهور ما مداره أقرب منها في هذه الجهة ، و ينعكس الحكم في

الجهة الأخرى . و الكواكب التي عرضها مساوٍ للميل كلكه تماس الأفق في دور واحد من الحركة الثانية مرّة واحدة إمّا من فوق و إمّا من تحت ، ولا يكون لها ولا للتي يزيد عرضها في أحد جانبي فلك البروج على الميل الكلي طلوع ولاغروب ، بل تكون إمّا ظاهرة أبدأ و إمّا خفية أبدأ .

الفائدة الثالثة : قالوا : السبب الأكثر في تولد الأحجار و الجبال عمل الحرارة في الطين اللزج بحيث يستحكم انعقاد رطبه بيباسه باذن الله تعالى . وقد يعتقد الماء السيال حجراً إمّا لقوة معدنية محجرة أو لأرضية غالبية على ذلك الماء . فإذا صادف الحرّ العظيم طيناً كثير الرخا إمّا دفعة و إمّا على مرور الأيام تكوّن الحجر العظيم . فإذا ارتفع بأن يجعل الزلزلة العظيمة طائفة من الأرض تلامن التلال ، أو يحصل من تراكم عمارات تخرّبت ثمّ تحجرت ، أو يكون الطين المتحجر مختلف الأجزاء في الصلابة والرخاوة فتنحفر أجزاء الرخوة بالمياه والرياح وتغور تلك الحفر بالتدريج غوراً شديداً و تبقى الصلبة مرتفعة أو بغير ذلك من الأسباب فهو الجبل . و قد يرى بعض الجبال منضودة ساقاً فساقاً كأنّها سافات الجدار ، فيشبه أن يكون حدوث مادة الفوقاني بعد تحجر التحتاني و قد سال على كل ساف من خلاف جوهره ما صار حائلاً بينه وبين الآخر . وقد يوجد في كثير من الأحجار عند كسرها أجزاء الحيوانات المائية فيشبه أن تكون هذه المعمورة قد كانت في سالف الدهر مغمورة في البحر فحصل الطين اللزج الكثير و تحجر بعد الانكشاف ، و لذلك كثر الجبال ، و يكون انفجار ما بينها بأسباب تقتضيه كالسيول و الرياح ، كذا قيل ، وقد مرّ بعض الكلام فيه سابقاً . و الحق أن الله تعالى خلقها بفضله وقدرته إمّا بغير أسباب ظاهرة أو بأسباب لا تعلمها . وهذه الأسباب المذكورة ناقصة ، ولو كانت هذه أسبابها فلم لا يحدث من الأزمنة التي أحصى الحكماء تلك الجبال إلى تلك الأزمان جبل آخر ، إلا أن يقال : لمّا كان في بدء خلق الأرض زلزلة و رجفة واضطراب عظيم في الأرض صارت أسباباً لحدوث تلك الجبال ، فلمّا حدثت استقرت الأرض وسكنت ، فلماذا لا يحدث بعدها مثلها كما دلت عليه الآيات و الأخبار .

ثم اعلم أن منافع الجبال كثيرة : منها كونها أوتاداً للأرض كما مر ؛ ومنها أن انبعاث العيون والسحب المستلزمة للخيرات الكثيرة منها أكثر من غيرها ، بل لا تنفجر العيون إلا من أرض صلبة أو من جوار أرض صلبة ، كما قال في الشفاء : إذا تنبعت الأودية المعروفة في العالم وجدتها كلها منبعثة من عيون جبلية ومنها تكون الجواهر المعدنية منها ومنها إنباتها النباتات الكثيرة والأشجار العظيمة ، ومنها المغارات الحادثة فيها فاتها مأوى الحيوانات بل بعض الناس . ومنها كونها أسباباً لاهتداء الخلق في طرقهم وسبلهم ، ومنها اتخاذ الأحجار منها للأرحية والأبنية وغيرها ، إلى غير ذلك من المنافع الكثيرة التي تصل عقول الخلق إلى بعضها وتعجز عن أكثرها . قال الصادق عليه السلام في خبر التوحيد الذي رواه عنه المفضل بن عمر : انظر يا مفضل إلى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة التي يحسبها الغافلون فضلاً لأحاجتها إليها ، والمنافع فيها كثيرة : فمن ذلك أن يسقط عليها الثلوج ، فتبقى في قلالها لمن يحتاج إليه ويذوب ما ناب منه فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام ، وتنبت فيها ضروب من النبات والعقاير التي لا ينبت منها في السهل ، وتكون فيها كهوف ومقائل للوحوش من السباع العادية ، ويتخذ منها الحصون والقلاع المنيعة للتحرز من الأعداء وينحت منها الحجارة للبناء والأرحاء ، وتوجد فيها معادن لضروب من الجواهر ، وفيها خلال أخرى لا يعرفها إلا المقدر لها في سابق علمه .

بيان : « المقائل » كأنه من القيلولة ، وفي بعض النسخ بالغين المعجمة من الغيل وهو الشجر الملتف ، وفي بعضها « معائل » جمع معقل وهو الشجر الملتف ^(١) .

الفائدة الرابعة : قالوا في علّة حدوث الزلزلة والرجفة : إذا غلظ البخار وبعض الأدخنة والرياح في الأرض بحيث لا ينفذ في مجاريها لشدة استحصالها ^(٢) وتكاثفها اجتمع طالباً للخروج ولم يمكنه النفوذ فزلزلت الأرض ، وربما اشتدت الزلزلة

(١) كذا في جميع النسخ ، والظاهر انه سهو القلم ، فان المعقل بمعنى الملجأ و

مكان عقل الابل والجبل المرتفع ، والمناسب للعبارة هو « معائل » بمعنى الملاجئ .

(٢) أي استحصالها .

فخسفت الأرض فتخرج منه نار لشدة الحركة الموجبة لاشتعال البخار والدخان لاسيما إذا امتزجا امتزاجاً مقرّباً إلى الدهنيّة ، وربما قويت المادة على شقّ الأرض فتحدث أصوات هائلة ، وربما حدثت الزلزلة من تساقط عوالي وهدات في باطن الأرض فيتموج بها الهواء المحترق فيتزلزل بها الأرض ، و قليلاً ما تتزلزل بسقوط قتل الجبال عليها لبعض الأسباب . وقد يوجد في بعض نواحي الأرض قوة كبريتيّة ينبعث منها دخان و في الهواء رطوبة بخاريّة فيحصل من اختلاط دخان الكبريت بالأجزاء الرطبة الهوائيّة مزاج دهنيّ ، وربما اشتعل بأشعة الكواكب وغيرها فيرى بالليل شعل مضيئة .

وقال شارح المقاصد : قد يعرض لجزء من الأرض حركة بسبب ما يتحرك تحتها فيحرك ما فوقه و يسمى الزلزلة ، وذلك إذا تولّد تحت الأرض بخار أو دخان أو ريح أو ما يناسب ذلك و كان وجه الأرض متكافئاً عديم المسام أو ضيقها جداً و حاول ذلك الخروج و لم يتمكّن لكثافة الأرض تحرك في ذاته و حرك الأرض ، و ربما شقتها لقوتها ، و قد ينفصل منه نار محرقة و أصوات هائلة لشدة المحاركة والمصاكة ، و قد يسمع منها دويّ لشدة الريح . و لا يوجد الزلزلة في الأراضي الرخوة لسهولة خروج الأبخرة و قلما تكون في الصيف لقلة تكاف وجه الأرض . و البلاد التي تكثر فيها الزلزلة إذا حفرت فيها آبار كثيرة حتى كثرت مخالص الأبخرة قلت الزلزلة . و قد يصير الكسوف سبباً للزلزلة لفقد الحرارة الكائنة عن الشعاع دفعة ، و حصول البرد الحاقن للرياح في تجاويرف الأرض بالتخفيف (١) بغتة ، و لا شك أن البرد الذي يعرض بغتة يفعل مالا يفعل العارض بالتدرّج . قال ذلك و أمثاله نقلاً عن الحكماء . ثم قال : و لعمري إن النصوص الواردة في استناد هذه الآثار إلى القادر المختار قاطعة ، و طرق الهدى إلى ذلك واضحة ، لكن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور - انتهى - .

و قال بعض من يدعي اقتفاء آثار الأئمة الأبرار و عدم الخروج عن مدلول الآيات و الأخبار : و لما كانت الأبخرة والأدخنة المحترقة في تجاويرف الأرض بمنزلة عروقها و إنما تتحرك بقوى روحانيّة ورد في الحديث أن الله سبحانه إذا أراد أن

(١) بالتخفيف (خ) .

يزلزل الأرض أمر الملك أن يحرك عروقها فيتحرك بأهلها ، وما أشبه ذلك من العبارات على اختلافها ، و العلم عند الله - انتهى - .

والقول : قد عرفت مراراً أن تأويل النصوص والآثار والآيات والأخبار بلا ضرورة عقلية أو معارضات نقلية جراءة على العزيز الجبار ، ولا نقول في جميع ذلك إلا ماورد عنهم صلوات الله عليهم ، وما لم تصل إليه عقولنا نرد علم ذلك إليهم .

٢٣

﴿ باب ﴾

﴿ تحريم أكل الطين و ما يحل أكله منه ﴾

١ - **مجالس الصدوق :** عن الحسين بن أحمد بن إدريس ، عن أبيه ، عن أحمد ابن محمد بن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن إسماعيل المنقري ، عن جده زياد بن أبي زياد ، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : من أكل الطين فإنه تقع الحكمة في جسده ، و يورثه البواسير ، و يهيج عليه داء السوء ، و يذهب بالقوة من ساقيه و قدميه ، و ما نقص من عمله في ما بينه و بين صحته قبل أن يأكله حوسب عليه و عذب به .

مجالس الشيخ : عن أبيه ، عن الحسين بن عبيد الله الغضائري ، عن الصدوق إلى آخر السند مثله .

ثواب الاعمال : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى مثله (١) .

المحاسن : عن علي بن الحكم مثله (٢) .

٢ - **الخصال :** بإسناده إلى أبي عبدالله عن آباءه عليهم السلام في وصايا النبي صلى الله عليه وآله

(١) ثواب الاعمال : ٢٣٧ .

(٢) المحاسن ، ٥٦٥ .

إلى علي عليه السلام : يا علي ثلاث^(١) من الوسواس : أكل الطين ، وتقليم الأظفار بالأسنان و أكل اللحية^(٢) .

٣ - و منه : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن محمد بن عيسى اليقطيني ، عن عبيدالله الدهقان ، عن درست ، عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : أربعة من الوسواس : أكل الطين ، وفت الطين ، وتقليم الأظفار بالأسنان و أكل اللحية^(٣) .

بيان : « من الوسواس » أي من وسوسة الشيطان ، أو من الشيطان المسمى بالوسواس كما قال تعالى « الوسواس الخناس » قال الجوهري : الوسوسة حديث النفس ، يقال : وسوست إليه نفسه وسوسة و وسواساً بكسر الواو . و الوسواس - بالفتح - : الاسم ، و « الوسواس » اسم الشيطان - انتهى - . و الحاصل أنها من الأعمال الشيطانية التي يولع بها الإنسان و يعسر عليه تركها .

٤ - العيون : عن أحمد بن زياد الهمداني ، عن علي بن إبراهيم ، عن ياسر قال : سألت بعض القواد أبا الحسن الرضا عليه السلام عن أكل الطين ، وقال : إن بعض جواريه يأكلن الطين ، فغضب ثم قال : أكل الطين حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير فانهن عن ذلك^(٤) .

٥ - مجالس ابن الشيخ : عن والده ، عن علي بن محمد بن حشيش عن محمد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد بن سعيد ، عن علي بن الحسن بن فضال ، عن جعفر بن إبراهيم بن ناجية ، عن سعد بن سعد الأشعري ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سألته عن الطين الذي [يؤكل] تأكله الناس ، فقال : كل طين حرام كالميتة والدم و ما أهل لغير الله به ما خلا طين قبر الحسين عليه السلام فإنه شفاء من كل داء .

الخروائج : عن ذي الفقار بن معبد الحسنی عن الشيخ أبي جعفر الطوسي عن ابن حشيش مثله .

(١) في المصدر : ثلاثة .

(٢) الخصال ، ٦٠ .

(٣) الخصال ، ١٠٣ .

(٤) العيون ، ج ٢ ، ص ١٥ .

٦ - **العلل** : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد بن أبي عبدالله البرقي عن الحسن بن علي ، عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق آدم من طين فحرم أكل الطين على ذريته (١) .
المحاسن : عن الحسن بن علي مثله (٢) .

٧ - **العلل** : عن أبيه ، عن أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أبي يحيى الواسطي ، عن رجل قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : الطين حرام أكله (٣) كلحم الخنزير ، ومن أكله ثم مات فيه لم أصل عليه ، إلا طين القبر ، فمن أكله شهوة لم يكن فيه شفاء (٤) .

بيان : رواه الكليني في الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد ، وابن قولويه في كامل الزيارة عن الكليني وجماعة من مشايخه بهذا الإسناد ، وفيهما « حرام كله - إلى قوله - إلا طين القبر ، فإن فيه شفاء من كل داء ، ومن أكله بشهوة لم يكن له فيه شفاء (٥) » . وعدم صلاته عليه السلام عليه لا ينافي وجوب الصلاة عليه وأمره غيره بالصلاة عليه ، وهذا من التأديبات الشرعية لا تزجر الناس عن مثلها ، فإن ذلك من أبلغ التعذيرات (٦) .

٨ - **العلل** : عن محمد بن موسى بن المتوكل ، عن عبدالله بن جعفر الحميري ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن إبراهيم بن مهزم ، عن طلحة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من انهمك في أكل الطين فقد شرك في دم نفسه (٧) .
المحاسن : عن ابن محبوب مثله (٨) .

بيان : قال الجوهري : انهمك الرجل في الأمر أي جد و لج .

(١) العلل : ج ٢ ، ص ٢١٩ . (٢) المحاسن ، ٥٦٥ .

(٣) كله (خ) . (٤) العلل ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(٥) الكافي ، ج ٦ ، ص ٢٦٥ .

(٦) في بعض النسخ « التقديرات » و الظاهر « التعذيرات » .

(٧) العلل ، ج ٢ ، ص ٢١٩ . (٨) المحاسن ، ٥٦٥ .

٩ - **العلل** : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفار ، عن علي بن حسان ، عن عبدالرحمان بن كثير ، عن يحيى بن عبدالله بن الحسن ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أكل طين الكوفة فقد أكل لحوم الناس ، لأن الكوفة كانت أجمة ثم كانت مقبرة ما حولها . وقد قال أبو عبدالله عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أكل الطين فهو ملعون ^(١) .

بيان : يدل على عدم جواز أكل طين قبر أمير المؤمنين عليه السلام وكان هذا التعليل لشدة حرمة خصوص طين الكوفة وحواليها ، ويدل على أن طين قبر الحسين عليه السلام أيضاً إذا كان من المواضع التي يظن خلط لحوم الناس و عظامهم به لا يجوز أكله ، و أكثر المواضع القريبة سوى ما اتصل بالضريح المقدس في تلك الأزمنة كذلك .

١٠ - **العلل** : عن محمد بن موسى بن المتوكل ، عن علي بن الحسين السعدابادي عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي ، عن علي بن الحكم ، عن إسماعيل بن محمد بن أبي زياد عن جدّه زياد ، عن أبي جعفر عليه السلام : إن من عمل الوسوسة و أكثر ^(٢) مصائد الشيطان أكل ^(٣) الطين . إن أكل الطين يورث السقم في الجسد ، و يهيج الداء ، و من أكل الطين فضعت قوته التي كانت قبل أن يأكله و ضعف عن عمله الذي كان يعمل قبل أن يأكله حوسب على ما بين ضعفه و قوته و عذب عليه ^(٤) .

ثواب الاعمال : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم مثله ^(٥) .

المحاسن : عن علي بن الحكم مثله ^(٦) .

بيان : في الكافي وغيره : عن إسماعيل بن محمد عن جدّه زياد بن أبي زياد . و في

(١) الملل ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ . (٢) في المحاسن : أكبر .

(٣) في ثواب الاعمال : ان عمل الوسوسة و اكثر مصائد الشيطان من أكل الطين .

(٤) الملل ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ . (٥) ثواب الاعمال ، ٢٣٧ .

(٦) المحاسن ، ٥٦٥ .

الكافي : أن التمني عمل الوسوسة وأكثر مكائد الشيطان ^(١) . وكان ما في سائر النسخ أظهر ، و في المحاسن « أكبر » بالباء الموحدة .

١١ - **كامل الزيارة** : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفار عن عباد بن سليمان ، عن سعد بن سعد ، قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن الطين . قال : فقال : أكل الطين حرام مثل الميتة والدم و لحم الخنزير ، إلا طين قبر الحسين عليه السلام فإن فيه شفاءً من كل داء و أمناً من كل خوف ^(٢) .

١٢ - **ومنه** : عن محمد بن أحمد بن يعقوب ، عن علي بن الحسن بن فضال ، عن أبيه ، عن بعض أصحابه ، عن أحدهما عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى خلق آدم من الطين فحرم الطين علي ولده . قال : فقلت : ما تقول في طين قبر الحسين عليه السلام ؟ فقال : يحرم على الناس أكل لحومهم و يحل لهم أكل لحومنا ؟ و لكن الشيء ^(٣) منه مثل الحمصة ^(٤) .

١٣ - **ومنه** : روي عن سماعة بن مهران ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كل طين محرّم علي ابن آدم ما خلا طين قبر أبي عبدالله عليه السلام من أكله من وجع شفاء الله ^(٥) .

١٤ - **المحاسن** : عن عثمان بن عيسى ، عن طلحة بن يزيد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أكل الطين يورث النفاق ^(٦) .

١٥ - **ومنه** : عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أكل الطين فمات فقد أعان علي نفسه ^(٧) .

١٦ - **ومنه** : عن ابن فضال ، عن ابن القدّاح ، عن أبي عبدالله عن أبيه عليه السلام قال : قيل لعلي عليه السلام في رجل يأكل الطين ، فنهاه و قال : لا تأكله ، فإنك إن أكلته و مت فقد أعنت علي نفسك ^(٨) .

(١) الكافي : ج ٦ ، ص ٢٦٦ و فيه « مصائد الشيطان » .

(٢) كامل الزيارة : ٢٨٥ . (٣) في المصدر : الشيء اليسير منه .

(٤) كامل الزيارة : ٢٨٦ . (٥) كامل الزيارة : ٢٨٦ .

(٦-٨) المحاسن : ٦٥ .

١٧ - و منه : عن محمد بن علي ، عن كلثم بنت مسلم ، قالت : ذكر الطين عند أبي الحسن عليه السلام فقال : أترين أنه ليس من مصائد الشيطان ؟ إنه من مصائده الكبار و أبوابه العظام ^(١) .

١٨ - المكارم : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن طين الأرمني أيؤخذ للكسير والمبطنون أيحلُّ أخذه ؟ قال : لا بأس به ، أما إنه من طين قبر ذي القرنين ، و طين قبر الحسين عليه السلام خير منه ^(٢) .

المتبرجد : عن محمد بن جمهور العمي عن بعض أصحابه عنه عليه السلام مثله .
دعوات الرواندي : عنه عليه السلام مثله .

١٩ - و روى سدير عن الصادق عليه السلام أنه قال : من أكل طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشف به فكأنما أكل من لحومنا .

٢٠ - طب الائمة : عن بشر بن عبد الحميد الأنصاري ، عن الحسن بن علي الوشاء ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه السلام ان رجلاً شكى إليه الزحير ، فقال له : خذ من الطين الأرمني و أقله بنار ليئة و استسف ^(٣) منه فإنه يسكن عنك .

٢١ - و عنه عليه السلام أنه قال في الزحير : تأخذ جزءً من خرُّ بق أبيض ، و جزءً من بزر القطونا ، و جزءً من صمغ عربي ، و جزءً من الطين الأرمني يقلى بنار ليئة و تستسف ^(٤) منه .

٢٢ - كامل الزيارة : عن محمد بن الحسن بن علي بن مهزيار ، عن أبيه ، عن جده علي بن مهزيار ، عن الحسن بن سعيد ، عن عبد الله الأصم ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي حمزة الثمالي : عن أبي عبد الله عليه السلام في حديثه أنه سئل عن طين الحائر : هل فيه

(١) المحاسن ، ٥٦٥ .

(٢) مكارم الاخلاق ، ١٩٠ .

(٣) استفتات الدواء أخذه غير ملتوت ، و في بعض النسخ « و استشف منه » .

(٤) في بعض النسخ « تستشف منه » .

شيء من الشفاء؟ فقال: يستشفى ما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، وكذلك قبر جدي رسول الله ﷺ وكذلك طين قبر الحسن و عليّ ومحمد، فخذ منها فإنيها شفاء من كل داء وسقم، وجنة مما تخاف، ولا يعدلها شيء من الأشياء الذي يستشفى بها إلا الدعاء. وإنما يفسدها ما يخالطها من أوعيتها وقلة اليقين لمن يعالج بها - وذكر الحديث إلى أن قال: - ولقد بلغني أن بعض من يأخذ من التربة شيئاً يستخف بها حتى أن بعضهم يضعها^(١) في مخللة البغل والحمار وفي وعاء الطعام والخرج فكيف يستشفى به من هذا حاله عنده^(٢)؟!

بيان: أقول: قال الشيخ البهائي - قدس الله روحه - في الكشكول: مما نقله جدي من خط السيد الجليل الطاهر ذي المناقب والمفاخر السيد رضي الدين عليّ بن طاوس - قدس سره - من الجزء الثاني من كتاب الزيارات لمحمد بن أحمد بن داود القمي أن أبا حمزة الثمالي قال للصادق عليه السلام: إني رأيت أصحابنا يأخذون من طين قبر الحسين عليه السلام يستشفون؟ فهل في ذلك شيء مما يقولون من الشفاء؟ فقال: يستشفى ما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، وكذلك قبر رسول الله ﷺ وكذلك قبر الحسن و عليّ ومحمد. فخذ منها فإنيها شفاء من كل سقم، وجنة مما يخاف. ثم أمر بتعظيمها وأخذها باليقين بالبرء وتختمها إذا أخذت - انتهى - .

وأقول: هذا الخبر بهذين السندين يدل على جواز الاستشفاء بطين قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة عليهم السلام ولم يقل به أحد من الأصحاب ومخالف لسائر الأخبار عموماً وخصوصاً، ويمكن حمله على الاستشفاء بغير الأكل كحملها والتمسح بها وأمثال ذلك. والمراد بعليّ إمام أمير المؤمنين أو السجّاد وبمحمد الباقر عليه السلام ويحتمل الرسول ﷺ تأكيداً وإن كان بعيداً.

٢٣ - المتجهج: عن حنان بن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من أكل طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشف به فكأنما أكل من لحومنا - الحديث - .

(١) في المصدر، ليطرحها .

(٢) كامل الزيارة: ٢٨٠ .

٢٤ - قال : وروي أن رجلاً سأل الصادق عليه السلام فقال : إنني سمعتك تقول : إن تربة الحسين عليه السلام من الأدوية المفردة ، وإنها لا تمرُّ بداءً إلا هضمته . فقال : قدقلت ذلك ، فما بالك ؟ قلت : إنني تناولتها فما انتفعت بها . قال : أما إن لها دعاءً فمن تناولها ولم يدع به واستعملها لم يكده ينتفع بها . قال : فقال له : ما يقول إذا تناولها ؟ قال : تقبلها قبل كل شيء وتضعها على عينيك ، ولا تناول أكثر من حصّة . فإن من تناول أكثر من ذلك فكأنما أكل من لحومنا ودمائنا ، فإذا تناولت فقل - وذكر الدعاء - .

٢٥ - العيون : عن تميم بن عبدالله القرشي ، عن أبيه ، عن أحمد بن عليّ الأ نصاري ، عن سليمان بن جعفر البصري عن عمرو بن واقد ، عن المسيّب بن زهير ، عن موسى بن جعفر عليه السلام أنه أخبره بموته ودفنه وقال : لا ترفعوا قبوري فوق أربع أصابع مفرجات ، ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتبركوا به ، فإن كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدّي الحسين بن عليّ عليه السلام فإن الله عزّ وجلّ جعلها شفاءً لشيعتنا وأولياننا - الخبر - (١) .

٢٦ - كامل الزيارة : عن محمد بن عبدالله بن جعفر ، عن أبيه ، عن عليّ بن محمد بن سالم عن محمد بن خالد ، عن عبدالله بن حمّاد ، عن الأصمّ ، عن مدلج ، عن محمد بن مسلم في حديث أنه كان مريضاً فبعث إليه أبو عبدالله عليه السلام بشراب فشربه ، فكأنما نشط من عقال ، فدخل عليه فقال : كيف وجدت الشراب ؟ فقال : لقد كنت آتسأ من نفسي فشربته فأقبلت إليك فكأنما نشطت من عقال فقال : يا محمد إن الشراب الذي شربته كان فيه من طين قبور (٢) آبائي ، وهو أفضل ما تستشفى به ، فلا تعدل به ، فإننا نسقيه صبياننا ونساءنا فنرى منه كل الخير (٣) .

بيان : يدلّ الخبر على جواز إدخال التربة في الأدوية التي يستشفى بها ، و

(١) العيون ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

(٢) في المصدر : قبر الحسين عليه السلام .

(٣) كامل الزيارة : ٢٧٦ .

الأحوط أن لا يكون الداخل فيما يشربه أكثر من الحمصة . وإنما قلنا الأحوط في ذلك لأن في دخول التراب و الطين في المأكولات مع استهلاكها فيها يشكل الحكم بالحرمة كما سنشير إليه .

٢٧ - معاني الاخبار : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي ، عن المعاذي ، عن معمر ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : قلت له ما يروي الناس في الطين و كراهته ، قال : إنما ذلك المبلول و ذلك المدر ^(١) .

٢٨ - وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن أكل المدر . حدثني بذلك محمد بن الحسن بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي ^(٢) .

بيان : ظاهر الخبر الأول أن حرمة الطين مخصوصة بالطين المبلول دون المدر اليابس كما فهمه الصدوق ظاهراً ، وهذا مما لم يقل به صريحاً أحد ، ويمكن أن يحمل على أن المعنى أن المحرم إنما هو المبلول و المدر لا غيرهما مما يستهلك في الدبس و يقع على الثمار و سائر المطعومات ، وعلى هذا فالحصر إنما إضافي بالنسبة إلى ما ذكرنا أو المراد بالمدر ما يشمل التراب أيضاً . و يحتمل أن يكون إلزاماً على المخالفين النافين للاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام بأن ما استدللتم من الأخبار على تحريم الطين ظاهرها المبلول و إطلاقه على غيره مجاز فلا يمكنكم الاستدلال بها على تحريم التراب و المدر و على التقدير الكراهة محمولة على الحرمة . و قال المحدث الاسترآبادي : إنما المكروه ذاك الطين المتعارف بين الناس مبلوله و يابسه لا طين الحسين عليه السلام - انتهى - .

وأقول : مع قطع النظر عن الشهرة بين الأصحاب بل إجماعهم على تعميم التحريم لم يبعد القول بتخصيصه بالمبلول ، إذا ظاهر أن الطين في اللغة حقيقة في المبلول ، و أكثر الأخبار إنما ورد بلفظ الطين ، وهذا الخبر ظاهره الاختصاص . وقال الراغب في المفردات : الطين ؛ التراب و الماء المختلط به ، وقد يسمى بذلك و إن زال عنه قوة الماء - انتهى - . لكن استثناء طين الحسين عليه السلام منه مما يؤيد التعميم ، فإنه معلوم

أنه ليس الاستشفاء بخصوص المبلول ، بل الغالب عدمه . وعلى أي حال لا محيص عن العمل بما هو المشهور في ذلك .

قال المحقق الأردبيلي - قدس سره - الظاهر أنه لا خلاف في تحريم الطين، و ظاهر اللفظ عرفاً ولغةً أنه تراب مخلوط بالماء . و يؤيده صحيحة معمر بن خلاد - و ذكر الخبر ثم قال - وهذه تدل على أنه بعد الليوسة أيضاً حرام ولا يشترط بقاء الرطوبة ولكن لا بد أن يكون ممتزجاً فلا يحرم غير ذلك للأصل و العمومات و حصر المحرمات و المشهور بين المتفقين أنه يحرم التراب و الأرض كلها حتى الرمل و الأحجار . قال في المسالك : المراد به ما يشمل التراب و المدر لما فيه من الأضرار بالبدن . و الضرر مطلقاً غير واضح ، و لعل وجه المشهور أنه إذا كان الطين حراماً وليس فيه إلا الماء و التراب و معلوم عدم تحريم الماء ولا معنى لتحريم شيء بسبب انضمام محلل ، فلو لم يكن التراب محرماً لم يكن الطين كذلك ، وإنما التراب جزء الأرض فيكون كلها حراماً . و فيه تأمل واضح فتأمل ولا تترك الاحتياط - انتهى - .

و اقول : الوجه الذي حمل الخبر عليه غير ما ذكرنا ، ومع احتمال تلك الوجوه بل أظهرية بعضها يشكل الاستدلال بهذا الوجه ، ثم الحكم بتحريم ما سوى الطين و التراب من أجزاء الأرض كالحجارة و الياقوت و الزبرجد و أنواع المعادن مما لا وجه له ، و الآيات و الأخبار دالة على أن الأصل في الأشياء الحل ، و لم يرد خبر بتحريم هذه الأشياء ، و قياسها على التراب باطل . و أما المستثنى منه و هو حل طين قبر الحسين عليه السلام فالظاهر أنه لا خلاف في حله في الجملة ، و إنما الكلام في شرائطه و خصوصياته و لنشر إليها و إلى بعض الأحكام المستفادة من الأخبار :

الاول : المكان الذي يؤخذ منه التربة . ففي بعض الأخبار « طين القبر » وهي تدل ظاهراً على أنها التربة المأخوذة من المواضع القريبة مما جاور القبر ، و في بعضها « طين حائر الحسين عليه السلام » فيدل على جواز أخذه من جميع الحائر و عدم دخول ما خرج منه ، و في بعضها « عشرون ذراعاً مكسرة » و هو أضيق ، و في بعضها « خمسة و عشرون ذراعاً من كل جانب من جوانب القبر » و في بعضها « تؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام من

عند القبر على سبعين ذراعاً « وفي بعضها » فيه شفاء وإن أخذ على رأس ميل « وفي بعضها » البركة من قبره عليه السلام على عشرة أميال « وفي بعضها » حرم الحسين عليه السلام فرسخ في فرسخ من أربع جوانب القبر « وفي بعضها » حرمة عليه السلام خمس فراسخ في (١) أربع جوانبه . وجمع الشيخ - ره - ومن تأخر عنه بينها بالحمل على اختلاف مراتب الفضل وتجويز الجميع ، وهو حسن ، والأحوط في الأكل أن لا يجاوز الميل بل السبعين ، وكلما كان أقرب كان أحوط وأفضل . قال المحقق الأردبيلي - طيب الله تربته - وأما المستثنى فالمشهور أنه تربة الحسين عليه السلام فكل ما يصدق عليه التربة يكون مباحاً ومستثنى ، وفي بعض الروايات « طين قبر الحسين عليه السلام » فالظاهر أن الذي يؤخذ من القبر الشريف حلال ، ولما كان الظاهر عدم إمكان ذلك دائماً فيمكن دخول ما قرب منه وحواليه فيه أيضاً . ويؤيده ما ورد في بعض الأخبار « طين الحائر » وفي بعض « على سبعين ذراعاً » وفي بعض « على عشرة أميال » - انتهى - .

الثاني : شرائط الأخذ . فقد ورد في بعض الأخبار شرائط كثيرة من الغسل و الصلاة والدعاء والوزن المخصوص ، كما سيأتي في كتاب المزار إن شاء الله تعالى . ولما كان أكثر الأخبار الواردة في ذلك خالية عن ذكر هذه الشروط والآداب فالظاهر أنها من مكملات فضلها وتأثيرها ، ولا يشترط الحل بها كما هو المشهور بين الأصحاب . قال المحقق الأردبيلي - ره - : الأخبار في جواز أكلها للاستشفاء كثيرة ، والأصحاب مطبقون عليه ، وهل يشترط أخذه بالدعاء وقراءة « إنا أنزلناه » ؟ ظاهر بعض الروايات في كتب المزار ذلك ، بل مع شرائط أخرى حتى ورد أنه قال شخص : إنني أكلت و ماشفيت ، فقال عليه السلام له : افعل كذا وكذا . وورد أيضاً أن له غسلًا وصلاة خاصة والأخذ على وجه خاص وربطه وختمه بخاتم يكون نقشه كذا ، ويكون أخذه مقداراً خاصاً ، ويحتمل أن يكون ذلك لزيادة الشفاء وسرعته وتبقيته لا مطلقاً ، فيكون مطلقاً جائزاً كما هو المشهور ، وفي كتب الفقه مسطور .

الثالث : ما يؤكل له ، ولا ريب في أنه يجوز للاستشفاء من مرض حاصل وإن

(١) من (خ) .

ظنَّ إمكان المعالجة بغيره من الأدوية . و الظاهر الأمراض الجسمانيَّة أي مرض كان و ربما يوسَّع بحيث يشمل الأمراض الروحانيَّة ، و فيه إشكال . و أمَّا الأكل بمحض التبرُّك فالظاهر عدم الجواز للتصريح به في بعض الأخبار و عموم بعضها ، لكن ورد في بعض الأخبار جواز إفطار العيد به و إفطار يوم عاشورا أيضاً به ، و جوَّزه فيهما بعض الأصحاب ولا يخلو من قوَّة ، و الاحتياط في الترك إلا أن يكون له مرض يقصد الاستشفاء به أيضاً . قال المحقق الأردبيلي - ره - : و لا بدَّ أن يكون بقصد الاستشفاء و إلا فيحرم و لم يحصل له الشفاء كما في رواية أبي يحيى و يدلُّ عليه غيرها أيضاً . و قد نقل أكله يوم عاشوراء بعد العصر و كذا الإفطار بها يوم العيد و لم تثبت صحته فلا يؤكل إلا للشفاء - انتهى - . و قال ابن فهد - قدس سره - : ذهب ابن إدريس إلى تحريم تناول إلا عند الحاجة ، و أجاز الشيخ في المصباح الإفطار عليه في عيد الفطر ، و جنح العلامة إلى قول ابن إدريس لعموم النهي عن أكل الطين مطلقاً ، و كذا المحقق في النافع ، ثم قال : يحرم تناول إلا عند الحاجة عند ابن إدريس و يجوز على قصد الاستشفاء و التبرُّك و إن لم يكن هناك ضرورة عند الشيخ .

الرابع : المقدار المجرَّز للأكل . و الظاهر أنه لا يجوز التجاوز في كلِّ مرَّة عن قدر الحمصة و إن جاز التكرار إذا لم يحصل الشفاء بالأوَّل ، و قد مرَّ التصريح بهذا المقدار في الأخبار ، و كان الأحوط عدم التجاوز عن مقدار عدسة لما رواه الكليني عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن معاوية بن عمارة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنَّ الناس يروون أنَّ النبي ﷺ قال : إنَّ العدس بارك عليه سبعون نبياً . فقال : هو الذي تسمونه عندكم الحمص و نحن نسميه العدس (١) . و في الصحيح عن رفاعة ، عنه عليه السلام قال : إنَّ الله عزَّ و جلَّ ملأ عافى أيوب عليه السلام نظراً إلى بني إسرائيل فذاذدرعت ، فرفع طرفه إلى السماء فقال : إلهي و سيدي ، عبدك أيوب المبتلى عافيته و لم يزدرع شيئاً و هذا لبني إسرائيل زرع ، فأوحى الله عزَّ و جلَّ إليه : يا أيوب خذ من سبحتك كفاً فابذره ، و كانت سبحته فيها ملح ، فأخذ أيوب كفاً

منها فبذره فخرج هذا العدس وأتم تسمونه الحمص ونحن نسميه العدس^(١) لأنّهما يدلّان على أنّه يطلق الحمص على العدس أيضاً فيمكن أن يكون المراد بالحمصة في تلك الأخبار العدسة . لكنّ العدول عن الحقيقة لمحض إطلاقه في بعض الأخبار على غيره غير موجّه ، مع أنّ ظاهر الخبرين أنّهم كانوا يسمون الحمصة عدسة لا العكس ، فتأمل ، وكذا فهمهما الكليني حيث أوردهما في باب الحمص لا العدس .

الخامس : الطين الأرمني هل يجوز الاستشفاء به واستعماله في الأدوية ؟ فقيل :

نعم ، لأنّه ورد في الأخبار المؤيّدّة بعمومات دلائل حلّ المحرّمات عند الاضطرار ، وقيل : لا ، لعدم صلاحية تلك الأخبار لتخصيص أخبار التحريم ، وقد ورد المنع عن التداوي بالحرام ، والأكثر لم يعتنوا بهذه الأخبار ، وجعلوا الخلاف فيه فرعاً للخلاف في جواز التداوي بالحرام وعدمه ، ولذا ألحقوا به الطين المختوم وإن لم يرد فيه خبر . قال المحقق - روح الله روحه - في الشرائع : وفي الأرمني : رواية بالجواز حسنة لمافيه من المنفعة المضطرّ إليها . وقال الشهيد الثاني - نور الله ضريحه - : موضع التحريم في تناول الطين ما إنزال يدع إليه حاجة ، فإنّ في بعض الطين خواصّ ومنافع لا تحصل في غيره ، فإنّ اضطرّ إليه لتلك المنفعة بأخبار طبيب عارف يحصل الظنّ بصدقه جاز تناول ما تدعو إليه الحاجة لعموم قوله تعالى « فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » وقد وردت الرواية بجواز تناول الأرمنيّ وهو طين مخصوص يجلب من أرمنيّة ترتّب عليه منافع خصوصاً في زمن الوباء وللإسهال وغيره ممّا هو مذكور في كتب الطبّ ومثله الطين المختوم ، وربما قيل بالمنع لعموم ما دلّ على تحريم الطين ، وقوله عليه السلام « ما جعل شفاؤكم في ما حرّم عليكم » وقوله عليه السلام « لا شفاء في محرّم » وجوابه أنّ الأمر عامّ مخصوص بما ذكر ، وقوله عليه السلام « لا ضرر ولا إضرار » والخبران نقول بموجبهما لأنّنا نمنع من تحريمه حال الضرورة ، والمراد : مادام محرّمًا ، وموضع الخلاف ما إنزال لم يخف الهلاك وإلا جاز بغير إشكال - انتهى - . وسيأتي تمام الكلام في التداوي بالحرام في بابه إن شاء الله تعالى . وقال ابن فهد - ره - : الطين الأرمنيّ

إذا دعت الضرورة إليه عيناً جاز تناوله خاصةً دون غيره ، وقيل : إنه من طين قبر إسكندر . و الفرق بينه وبين التربة من وجوه : الأول أن التربة يجوز تناولها لطلب الاستشفاء من الأمراض وإن لم يصفها الطبيب بل وإن حذر منها ، والأرمني لا يجوز تناوله إلا أن يكون موصوفاً . الثاني أن التربة لا يتجاوز منها قدر الحمصة ، وفي الأرمني يباح القدر الذي تدعو إليه الحاجة وإن زاد عن ذلك . الثالث أن التربة محترمة لا يجوز تقريبها من النجاسة و ليس كذلك الأرمني .

المتمهجد : يستحب صوم هذا العشر ، فإذا كان يوم العاشر أمسك عن الطعام والشراب إلى بعد العصر ، ثم يتناول شيئاً يسيراً من التربة .

٢٩ - **الاقبال** : روينا بإسنادنا إلى محمد بن يعقوب الكليني بإسناده إلى علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : إنني أفطرت يوم الفطر على طين و تمر ، قال لي : جمعت بركة و سنة . قال السيد - رضي الله عنه - : يعني بذلك التربة المقدسة على صاحبها السلام (١) .

٣٠ - **دعائم الاسلام** : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن أكل الطين وقال : إن الله عز وجل خلق آدم من طين فحرم أكل الطين على نذريته . ومن أكل الطين فقد أعان على نفسه ، ومن أكله فمات لم أصل عليه .

٣١ - و قال جعفر بن محمد عليه السلام : أكل الطين يورث النفاق (٢) .



(١) الاقبال ، ٢٨١٠ .

(٢) قدمر مرسلا عن المحاسن تحت الرقم (١٤) .

﴿ باب المعادن ﴾

﴿ (و احوال الجمادات و الطبائع و تأثيراتها و انقلابات) ﴾
 ﴿ (الجواهر و بعض النوادر) ﴾

الآيات :

الحجر : و أنبتنا فيها من كل شيء مورون (١) .

النحل : أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين و الشمال
 سجداً لله وهم داخرون . والله يسجد ما في السموات و ما في الأرض من دابة و الملائكة
 وهم لا يستكبرون (٢) .

أسرى : تسبح له السموات السبع و الأرض و من فيهن و إن من شيء إلا يسبح
 بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً (٣) .

الانبياء : قلنا يا ناركوني برداً و سلاماً على إبراهيم (٤) . وقال تعالى : وسخرنا
 مع داود الجبال يسبحن و الطير و كنا فاعلين . و علمناه صنعة لبوس لكم لتحسنكم
 من بأسكم فهل أنتم شاكرون . و لسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي
 باركنا فيها (٥) .

الحج : ألم تر أن الله يسجد له من في السموات و من في الأرض و الشمس و
 القمر و النجوم و الجبال و الشجر و الدواب و كثير من الناس و كثير حق عليه العذاب (٦) .

سبا : ولقد آتينا داود منّا فضلاً يا جبال أوّبي معه و الطير و ألنا له الحديد
 - إلى قوله تعالى - و أسلنا له عين القطر (٧) .

(١) الحجر ، ١٩٠ . (٢) النحل : ٤٨ - ٣٩ .

(٣) الاسراء : ٤٤ . (٤) الانبياء ، ٦٩ .

(٥) الانبياء ، ٧٩ - ٨١ . (٦) الحج ، ١٨ .

(٧) سبا ، ١٠ ، ١٢ .

فاطر : إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً (١) .

ص : إننا سخّرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق (٢) . وقال سبحانه : فسخّرنا له الرياح تجري بأمره رخاء حيث أصاب (٣) .

الحديد : وأزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس و ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز (٤) .

تفسير : « أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء » قيل : استفهام إنكار ، أي قد رأوا أمثال هذه الصنائع ، فما بالهم لم يتفكروا ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه ؟ و « ما » موصولة مبهمة بيانها « يتفيؤ ظلالة » أي أولم ينظروا إلى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة « عن اليمين والشمال » أي عن أيانها وشمالها ، أي جانبي كل واحد منها ، استعارة عن يمين الإنسان وشماله ، و لعل توحيد اليمين وجمع الشمال لا اعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في « ظلالة » و جمعه في قوله « سجداً لله وهم داخرون » وهما حالان عن الضمير في « ظلالة » والمراد من السجود : الانقياد والاستسلام ، سواء كان بالطبع أو بالاختيار ، يقال : سجدت النخلة : إذا مالت لكثرة الحمل ؛ وسجد البعير إذا طأ رأسه ليركب . وقال الشاعر :

ترى الأكم فيها سجداً للحوافر

و « سجداً » حال من الظلال « وهم داخرون » من الضمير ، والمعنى : يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب إلى جانب منقاداً لما قدر لها من التفيؤ ، أو واقعة على الأرض ملتصقة بها كهيئة الساجد ، والأجرام في أنفسها أيضاً داخرة أي صاغرة منقاداً لأفعال الله فيها . وجمع « داخرون » لأن من جملتها من يعقل ، أو لأن الدخور من أوصاف العقلاء . وقيل : المراد باليمين والشمال عن يمين الفلك وهو جانبه الشرقي ، لأن الكوكب يظهر منه أخذه في

(١) فاطر ، ٣١ . (٢) ص : ١٨ .

(٣) ص : ٣٦ . (٤) الحديد : ٢٥ .

الارتفاع والسطوع ، و شماله هو الجانب الغربي المقابل له ، فإن الأضلال في أول النهار تبتدىء من المشرق واقعة على الربع الغربي من الأرض ، وعند الزوال يبتدىء من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الأرض كما ذكره البيضاوي وغيره . و قال بعضهم : كان الحسن يقول : أما ظلك فيسجد لربك و أما أنت فلا تسجد لربك ! بس ما صنعت . وعن مجاهد : ظل الكافر يصلي وهو لا يصلي . وقيل : ظل كل شيء يسجد لله سواء كان ذلك ساجداً لله أم لا . وقال الطبرسي - ره - وقيل : إن المراد بالظل هو الشخص بعينه ، قال الشاعر « كأن في أضلالهن الشمس ، أي في أشخاصهن » ، فعلى هذا يكون تأويل الظلال في الآية تأويل الأجسام التي عنها الظلال « وهم داخرون » أي أدلة صاغرون ، قد نبه الله سبحانه بهذا على أن جميع الأشياء تخضع له بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى واضعها ومدبرها بما لولاه لبطلت ولم يكن لها قوام طرفة عين فهي في ذلك كالساجد من العباد بفعله الخاضع بذله - انتهى - . وقال النيسابوري في تأويلها بعد تفسيرها بما مر : « إلى ما خلق الله من شيء » هو عالم الأجسام ، فإن عالم الأرواح خلق من لشيء « تنفيؤ ظلاله » فإن الأجسام ظلال الأرواح ، فتارة تميل بعمل أهل السعادة إلى أصحاب اليمين ، وأخرى تميل بعمل أهل الشقاء إلى أصحاب الشمال « سجداً لله » منقادين لأمره مسخرين لما خلقوا لأجله ، وإنما وحّد اليمين وجمع الشمائل لكثرة أصحاب الشمال ، وسجود كل موجود يناسب حاله كما أن تسبيح كل منهم يلائم لسانه - انتهى - .

واقول : و يحتمل أن يكون المراد بظلاله مثاله على القول بعالم الأمثال كما مر تحقيقه أو روحه كما عبر في الأخبار الكثيرة عن عالم الأرواح بالظلال ، فالمراد بالتنفيؤ عن اليمين ميلهم إلى السعادة والتشبه بأصحاب اليمين ، و بالشمائل خلافه . و هذا كلام على سبيل الاحتمال في مقابلة ما ذكره من ذلك ، والله يعلم تفسير كلامه و حججه الكرام عليهم السلام .

« و لله يسجد » قال الرازي : قد ذكرنا أن السجود على نوعين : سجود هو عبادة كسجود المسلمين لله تعالى ، وسجود هو عبارة عن الانقياد والخضوع ، و يرجع حاصل

هذا السجود إلى أنها في أنفسها ممكنة الوجود و العدم قابلة لهما ، لأنه لا يرجح أحد الطرفين على الآخر إلا لمرجح . إذا عرفت هذا فنقول : من الناس من قال : المراد بالسجود المذكور في هذه الآية السجود بالمعنى الثاني و هو التواضع و الانقياد و الدليل عليه أن اللائق بالدابة ليس إلا هذا السجود ، ومنهم من قال : المراد بالسجود ههنا هو المعنى الأول ، لأن اللائق بالملائكة هو السجود بهذا المعنى ، لأن السجود بالمعنى الثاني حاصل في كل الحيوانات و النباتات و الجمادات . و منهم من قال : السجود لفظ مشترك بين المعنيين ، و حمل اللفظ المشترك لإفادة مجموع معنويه جائز ، فحمل لفظ السجود في هذه الآية على الأمرين معاً ، أما في حق الدابة فبمعنى التواضع ، و أما في حق الملائكة فبمعنى سجود المسلمين لله تعالى . و هذا القول ضعيف لأنه ثبت أن استعمال اللفظ المشترك لإفادة جميع مفهوماته معاً غير جائز . قوله « من دابة » قال الأخفش : يريد من الدواب ، و قال ابن عباس : يريد كل مادب على الأرض . فإن قيل : ما الوجه في تخصيص الدواب و الملائكة بالذكر ؟ قلنا : فيه وجوه : **الاول** : أنه تعالى بيّن في آية الظلال أن الجمادات بأسرها منقادة لله تعالى ، لأن أحسبها الدواب و أشرفها الملائكة ، فلما بيّن في أحسبها و أشرفها كونها منقادة لله تعالى و بيّن بهذه الآية أن الحيوانات بأسرها منقادة لله تعالى كان ذلك دليلاً على أنها بأسرها منقادة خاضعة لله تعالى .

و الوجه الثاني : قال حكماء الاسلام : الدابة اشتقاقها من الديدب ، والديدب عبارة عن الحركة الجسمانية ، فالدابة اسم لكل حيوان جسماني يتحرك و يدب فلما ميز الله الملائكة من الدابة علمنا أنها ليست مما يدب بل هي أرواح محضة مجردة . و يمكن الجواب عنه بأن الطير بالجنح مغائر للديدب^(١) بدليل قوله تعالى « و ما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه^(٢) » - انتهى -^(٣) .

(١) في المصدر ، بان الجنح للطيران مغائر للديدب .

(٢) الانعام : ٣١ .

(٣) مفاتيح الغيب ، ج ٢٠ ، ص ٤٣ .

و أقول : التخصيص بعد التعميم أيضاً شائع كعطف جبرئيل على الملائكة كما ذكره البيضاوي ، وما ذكره من عدم جواز استعمال المشترك في معنيه على تقدير تسليمه لاجابة في التعميم على هله على ذلك ، بل يمكن هله على معنى الانقياد و التواضع ، و هو يشمل الانقياد لإرادته و تأثيره طبعاً ، و الانقياد لتكليفه و أمره طوعاً كما حمل عليه البيضاوي . وقال بعضهم : هذه الآية تدل على أن العالم كله في مقام الشهود و العبادة إلا كل مخلوق له قوة التفكير ، و ليس إلا النفوس الناطقة الإنسانية و الحيوانية خاصة من حيث أعيان أنفسهم لا من حيث هياكلهم ، فإن هياكلهم كسائر العالم في التسبيح له و السجود ، فأعضاء البدن كلها مسبحة ناطقة ، ألتراها تشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيامة من الجلود و الأيدي و الأرجل و الألسنة و السمع و البصر و جميع القوى ، فالحكم لله العلي الكبير - انتهى - .

و أقول : و الأرواح و النفوس أيضاً لها جهتان : فمن جهة مسخرة منقادة لربها في جميع ما أراد منها ، و من جهة أخرى عاصية مخالفة لربها ، بل من هذه الجهة أيضاً مسخرة ساجدة خاضعة لإرادة ربها حيث أقدرها على ما أرادت ، و دالة على وجود صانعها الذي جعلها مختارة مريدة قادرة على الإتيان بما أرادت ، فهي من هذه الجهة أيضاً مسبحة لربها ذاكرة لها دالة عليها منادية بلسان حالها من جهة إمكانها و حدوثها و افتقارها بأن لي رباً جعلني مريداً مختاراً لحكمته و كماله و عنايته الأزلية كما قال بعض العارفين بالفارسية « عين إنكار منكر إقرار است » و الكلام في هذا المقام دقيق لا يمكن إجراء أكثر من ذلك منه على الأقلام ، و يصعب دركها على الأفهام ، و قد أومأت إلى شيء منه في شرح كتاب توحيد الكافي في توضيح أخبار إرادة الله تعالى و بيان معانيها .

قوله سبحانه « تسبح له السموات » قال النيسابوري : قالت العقلاء : تسبيح الحي المكلف يكون تارة باللسان بأن يقول « سبحان الله » و أخرى بدلالة أحواله على وجود الصانع الحكيم ، و تسبيح غيره لا يكون إلا من القبيل الثاني . وقد تقرر في الأصول أن اللفظ المشترك لا يحمل على معنيه معاً في حالة واحدة ، فتعين التسبيح

ههنا على المعنى الثاني ليشمل الكل . هذا ما عليه المحققون ، وأورد عليه : أنه لو كان المراد بالتسبيح ما ذكرتم لم يقل « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » لأن التسبيح بهذا الوجه مفقوه معلوم . وأجيب : بأن دلالة كل شيء على وجود الصانع معلومة على الإجمال دون التفصيل ، فإنك إذا أخذت تفاحة واحدة فلا شك أنها مرغبة من أجزاء لا تتجزأ ولكن عدد تلك الأجزاء وصفة كل منها من الطبع والطعم واللون والحيز والجهة وغيرها لا يعلمها إلا الله . وأيضاً الخطاب للمشركين وأنهم وإن كانوا مقرين بالخالق إلا أنهم أثبتوا شريكاً وأنكروا قدرته على البعث والإعادة ولم ينظروا في المعجزات الدالة على نبوة محمد ﷺ فكأنهم لم يفقهوا التسبيح ، إذ لم يتوسلوا به إلى نتيجة النظر الصحيح ، ولهذا ختم الآية بقوله « إنه كان حليماً غفوراً » حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم . وزعم بعض الظاهريين أن ما سوى الحي المكلف يسبح لله تعالى باللسان أيضاً ، كل بلغته ولسانه الذي لا نعرف نحن ولا نفقه . وزعم أيضاً أن الحيوان إذا ذبح لا يسبح ، وكذا غصن الشجرة إذا كسر . فأورد عليه أن كونه جماداً لا يمنع من كونه مسبحاً فكيف صار ذبح الحيوان مانعاً عن التسبيح وكذا كسر الغصن ؟ ويمكن أن يجاب بأن تسبيح كل شيء لعله يختص بتركيبه الذي خلق عليه ، فإذا بطل ذلك التركيب وفكك ذلك النظم لم يبق مسبحاً مطلقاً أولاً على ذلك النحو .

وقال في تأويلها : لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوت ، لقوله « فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ^(١) » و الملكوت باطن الكون ، وهو الآخرة ، والآخرة حيوان لاجماد . لقوله « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان ^(٢) » فلكل ذرة لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح والحمد تنزيهاً لصاحبه وهدماً له على ما أولاه من نعمه ، وبهذا اللسان نطق الحصى في كف النبي ﷺ و به تنطق الأرض يوم القيامة . « يومئذ تحدث أخبارها ^(٣) » و به تنطق الجوارح « أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ^(٤) » و به نطقت

(٢) العنكبوت : ٦٣ .

(١) يس : ٨٣ .

(٤) فصلات : ٢١ .

(٣) الزوال : ٤ .

السموات و الأرض « قالتا أتينا طائعين ». « إنه كان حليماً » في الأزل ، إذ أخرج من العدم من يكفر به و يجحد « غفوراً » لمن تاب عن كفره .

« قلنا يا نار كوني برداً » قال الطبرسي . هذا مثل ، فإن النار جهاد لا يصح خطابها ، والمراد أننا جعلنا النار برداً عليه و سلامة لا يصيبه من أذيها شيء ، كما قال سبحانه « كونوا قردة خاسئين ^(١) » و المعنى أنه سيرهم كذلك لأنه خاطبهم و أمرهم بذلك . و قيل : يجوز أن يتكلم الله سبحانه بذلك و يكون ذلك صلاحاً للملائكة و لطفاً لهم . و ذكر في كون النار برداً و سلاماً على إبراهيم و جوهراً : أحدها أن الله سبحانه أحدث فيها برداً بدلاً من شدة الحرارة فيها فلم تؤذ . وثانيها أنه سبحانه حال بينها و بين إبراهيم فلم تصل إليه . و ثالثها أن الإحراق يحصل بالاعتمادات التي في النار صعداً فيجوز أن يذهب سبحانه تلك الاعتمادات . و على الجملة فعلنا أن الله سبحانه منع النار من إحراقه وهو أعلم بتفاصيله ^(٢) - انتهى - .

قال البيضاوي : انقلاب النار هواءً طيبة ليس يبدع ، غير أنه هكذا على خلاف المعتاد فهو إذن من معجزاته . و قيل : كانت النار يحالها لكنه تعالى دفع عنه أذاها كما في السمندر ، ويشعر به قوله « على إبراهيم » ^(٣) - انتهى - .

و أقول : على مذهب الأشاعرة لإشكال في ذلك ، لأنهم يقولون : لا مؤثر في الوجود إلا الله ، وإنما أجرى عادته بالإحراق عند قرب شيء من النار ، فإذا أراد غير ذلك لا يخلق الإحراق . و أمّا عند غيرهم من القائلين بتأثير الطبائع و لزوم الصفات لها فيشكل ذلك عندهم ، و الأولى أن يقال : إحراق النار و تبريد الثلج و قتل السموم و غير ذلك من التأثيرات لما كانت مشروطة بشروط كقابلية المادة و غيرها فلم لا يجوز أن تكون مشروطة بعدم تعلق إرادة القادر المختار بخلافه ^(٤) فإنها تعلقت

(١) البقرة ، ٦٥ ، والاعراف ، ١٦٥ .

(٢) مجمع البيان ، ج ٧ ، ص ٥٤ .

(٣) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٨٦ .

(٤) هذا تنزيل لمقام إرادته القاهرة التي بها تسببت الأسباب و انسجم نظام الكون ، و يستلزم جعلها في عداد الشرائط المادية ، و يترتب عليه لوازم نغمض عن ذكرها . و الحق أن

بذلك انتفى تأثيرها ، كما أن الله تعالى أقدّر العباد على أفعالهم لكن بشرط عدم تعلق إرادته القاهرة بخلافه ، ولذا ورد في الأخبار أنه لا يحدث شيء في السماء والأرض إلا بإذنه سبحانه .

قوله تعالى « و سخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير » قال الطبرسي - ره - : قيل : معناه سيرنا الجبال مع داود حيث سار ، فعبّر عن ذلك بالتسبيح لما فيه من الآيات العظيمة التي تدعو إلى تسبيح الله و تعظيمه و تنزيهه عن كل ما لا يليق به ، و كذلك تسخير الطير له تسبيح يدل على أن مسخرها قادر لا يجوز عليه ما يجوز على العباد . و قيل : إن الجبال كانت تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير يسبح بالغدادة والعشي معجزة له - انتهى (١) - .

و قال الرازي : قال أصحاب المعاني : يحتمل أن يكون تسبيح الجبال و الطير بمثابة قوله « و إن من شيء إلا يسبح بحمده » و تخصيص داود عليه السلام بذلك إنما كان

→ جميع الايات والمعجزات خرق للنظام المتعارف الذي تتماهده معاشر الناس في حياتنا ونعرف فيه اسباباً و شرائط وجودية و عدمية و معدات اكر ليس خرقاً للنظام العلوي و المملولى رأساً ، فجعل النار برذاً مثلاً ليس لإبطال النظام السببي و المسببي الحاكم على العالم بحذافيره ، بل لإعمال لاسباب و شرائط لانتعادهما و يكفى له إيجاد مانع من تأثير النار في جسمه عليه السلام أو حول بدنه أو تسخير النار لإيجاد البرودة كما تسخر قوة الكهرباء اليوم له ، كل ذلك لامن طريق متعارف عند الناس بل بسبب إلهي و طريق غيبي و مجرى نفسي غير مشهود للعامة ، والله على كل شيء قدير فان قيل : مرجع الاخير إلى أن الله تعالى أراد أن تتبرد النار فيبردت ، و هذه لإبطال لسببية النار للاحراق - لعدم امكان سببية شيء واحد لضدين و متقابلين - أو التزام بحصول معلول مادي من غير حصول علته المسانخة له قلما ، الاحتراق عبارة عن تبدل الصورة تبديلاً خاصاً و النار معدة له لامضيض الصورة الحادثه ، ولا يمنع تأثيرها في ضده كما يشاهد في الكهرباء أضف الى ذلك حديث تعدد الجهات . و أما استناد الحوادث إلى إرادة الله تعالى من غير واسطه فمخالف للسنة الالهية التي لن تجد لها تبديلاً وان تجد لها تحويلاً ، ومستلزم للطفرة واختلال نظام الملل و المعاليل و الحاصل أن إرادة الله تعالى فوق الملل المادية و في طولها لافي رتبته و هو القاهر فوق عبادته .

بسبب أنه كان يعرف ذلك ضرورة فيزداد يقيناً وتعظيماً . وأما المعتزلة فقالوا : لو حصل الكلام في الجبل لحصل إما بفعله أو بفعل الله تعالى فيه ، والأوّل محال لأنّ بنية الجبل لا تحتمل الحياة و العلم و القدرة ، و ما لا يكون حياً عالماً قادراً يستحيل منه الفعل ، والثاني أيضاً محال ، لأنّ المتكلم عندهم من كان فاعلاً للكلام لا من كان محلاً له ، فلو كان فاعل ذلك الكلام هو الله تعالى لكان المتكلم هو الله لا الجبل ، فجعلوا التسبيح من السباحة و بناء التفعيل التكرير مثل قوله « يا جبال أوّبي معه » و الحاصل : سيري معه .

واعلم أنّ مدار هذا القول على أنّ بنية الجبل لا تقبل الحياة ، وهذا ممنوع ، و على أنّ التكلم من فعل الله و هو أيضاً ممنوع . و أمّا الطير فلا امتناع في أنّ يصدر عنها الكلام و لكن اجتمعت الأمة على أنّ المكلفين إمّا الجن^(١) و الإنس أو الملائكة فيمتنع فيها أن تبلغ في العقل إلى درجة التكليف بل يكون حاله كحال الطفل في أن يؤمر و ينهى و إن لم يكن مكلفاً ، فصار ذلك معجزة من حيث جعلها في الفهم بمنزلة المراهق . و أيضاً دلالة على قدرة الله و على تنزيهه ممّا لا يجوز فيكون القول فيه كالتقول في الجبال - انتهى - (٢) .

« و علمناه صنعة لبوس لكم » أي علمناه كيف يصنع الدروع . قال قتادة : أوّل من صنع الدروع داود و إنّما كانت صفائح ، جعل الله سبحانه الحديد في يده كالعجين فهو أوّل من سردها و حلّقها فجمعت الخفة و التحصين . « و لسليمان » أي سخّرنا له « الريح عاصفة » أي شديدة الهبوب . « ألم تر أنّ الله يسجد له » لعل المراد بالسجود غاية الخضوع و الانقياد الممكن من الشيء ، ففي الجمادات و العجم من الحيوانات يحصل منهم غاية الانقياد الذي يتأتى منهم ، وكذا الملائكة و صالحوا المؤمنين . و أمّا الكفار و الفجار فلما لم يتأتى منهم غاية الانقياد أخرجهم و قال « و كثير من الناس » لأنّهم و إن كانوا في الأوامر التكوينية منقادين فليسوا في الأوامر التكليفية كذلك

(١) في المصدر : أو

(٢) مفاتيح النيب ، ج ٢٢ ، ص ٢٠٠ .

فالسجود محمول على معنى واحد وليس من استعمال المشترك في معنیه كما عرفت سابقاً. وقال الرازي: الرؤية هنا بمعنى العلم، و في السجود وجوه: أحدها قال الزجاج: أجود الوجوه في سجود هذه الأمور أنها تسجد مطيعة لله تعالى و هو كقوله « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها - الآية - » « أن نقول له كن فيكون » « وإن منها لما يهبط من خشية الله » « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » « و سخرنا مع داود الجبال » والمعنى أن هذه الأجسام لما كانت قابلة لجميع الأعراس التي يحدثها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت الطاعة و الانقياد و هو السجود . و أمّا قوله « و كثير من الناس » ففيه وجوه : أحدها أن السجود بالمعنى الذي ذكرناه وإن كان عاماً في حق الكل إلا أن بعضهم تمرّد و تكبر و ترك السجود في الظاهر ، فهذا الشخص و إن كان ساجداً بذاته لكنّه متمرّد بظاهره ، أمّا المؤمن فإنه ساجد بذاته و بظاهره ، فلاجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر . و ثانيها أن نقطع قوله « و كثير من الناس » عمّا قبله ، ثمّ فيه ثلاثة أوجه : الأوّل أن نقول : تقدير الآية : والله يسجد من في السماوات و الأرض و يسجد له كثير من الناس . فيكون السجود الأوّل بمعنى الانقياد و الثاني بمعنى الطاعة و العبادة لثلاً يلزم استعمال المشترك في معنیه جميعاً . الثاني أن يكون قوله « و كثير من الناس » مبتدأ خبره محذوف و هو ، مثاب ، لأنّ خبره مقابله يدلّ عليه و هو قوله « حقّ عليه العذاب » . و الثالث أن يبالغ في تكثير المحقّقين بالعذاب فيعطف « كثير » على « كثير » ثمّ يخبر عنهم بـ « حقّ عليهم العذاب » و ثالثها من يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه جميعاً يقول : إن المراد بالسجود في حقّ الأحياء العقلاء السجود ، و في حقّ الجمادات الانقياد . فان قيل : قوله « من في السماوات و الأرض » لفظ العموم فيدخل فيه الناس ، فلم قال مرّة أخرى « و كثير من الناس » ؟ قلنا : لو اقتصر على ما تقدّم لأوهم أن كلّ الناس يسجدون ، فيبين أن كثيراً منهم يسجدون طوعاً دون كثير منهم فإنّه يمتنع عن ذلك .

القول الثاني في تفسير السجود أن كلّ ما سوى الله تعالى فهو ممكن لذاته ، و الممكن لذاته لا يرجع وجوده على عدمه إلا عند الانتهاء إلى الواجب لذاته كما قال :

«وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ»^(١) وكما أنَّ الإمكان لازم للممكن حال حدوثه وبقائه فافتقاره إلى الواجب حاصل حال حدوثه وحال بقاءه ، وهذا الافتقار الذاتي لللازم للماهية أدلّ على الخضوع والتواضع من وضع الجبهة على الأرض ، فإنَّ ذلك علامة وضعية للافتقار ، وقد يتطرق إليه الصدق والكذب ، أمّا نفس الافتقار الذاتي فإنّه ممتنع التغيير والتبدّل ، فجميع الممكنات ساجدة بهذا المعنى لله أي خاضعة متذلّلة معترفة بالفاقة إليه والحاجة إلى تخليقه وتكوينه ، وعلى هذا تأوّلوا قوله « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » وهذا قول القفال . **القول الثالث** أن سجود هذه الأشياء سجود ظلّها كقوله تعالى « يَتَفَيْضُ ظِلَالُهُ - الآية - » وهذا قول مجاهد^(٢) - انتهى - .

قوله تعالى « أو بي معه » قال البيضاوي : أي ارجعي معه التسبيح على الذنب أو النوحة ، وذلك إمّا بخلق صوت مثل صوته فيها ، أو بحملها إيماناً على التسبيح إذا تأمّل^(٣) فيها ، أو : سيري معه حيث سار . و « الطير » عطف على محل « الجبال » . « وأنتالاه الحديد » جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إجماع وطرق بآلاته أو بقوة « عين القطر » أي النحاس المذاب أسال^(٤) له من معدته فنبع منه نبوع الماء من ينبوع و لذلك سمّاه عيناً ، و [كان] ذلك باليمن^(٥) . « إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا » أي كراهة أن تزولا ، فإنَّ الممكن حال بقاءه لا بدّ له من حافظ أو يمنعها أن تزولا لأنَّ الإمساك منع . « ولئن زالتا إن أمسكهما أي ما أمسكهما » من أحد من بعده « أي من بعد الله أو من بعد الزوال ، والجملة سادة مسدّ الجوابين ، و « من » الأولى مزيدة ، والثانية للابتداء « إنّه كان حليماً غفوراً » حيث أمسكهما وكاتتا جديرتين أن تهتدا هدّاً ، لأعمال العباد .

قوله تعالى « فيه بأس شديد » فإنَّ آلات الحرب متخذة عنه « ومنافع للناس » إزمامن صنعة إلّا والحديد آلتها « و ليعلم الله من ينصره و رسله » باستعمال الأسلحة

(١) النجم ، ٤٢٠ .

(٢) مفاتيح النيب ، ج ٢٣ ، ٢٠٠ .

(٣) في المصدر ، تأملها .

(٤) فيه ، أساله .

(٥) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

ومجاهدة الكفار ، و العطف على محذوف دل عليه ما قبله ، فإنه حال يتضمن تعليلاً أو اللام صلة لمحذوف ، أي أنزله ليعلم الله « بالغيب » حال من المستكن في « ينصره » .
« إن الله قوي » على إهلاك من أراد إهلاكه « عزيز » لا يقتدر إلى نصرة ، وإنما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به و يستوجبوا ثواب الامتثال فيه .

و قال الرازي : و أما الحديد ففيه البأس الشديد فإن آلات الحرب متخذة منه ، وفيه أيضاً منافع كثيرة منها قوله تعالى « و علمناه صنعة لبوس لكم » ومنها أن مصالح العالم إما أصول و إما فروع ، أما الأصول فأربعة : الزراعة ، والحياكة ، وبناء البيوت ، و السلطنة . وذلك لأن الإنسان يضطر إلى طعام يأكله وثوب يلبسه و بناء يسكن فيه ، و الإنسان مدني بالطبع فلا تتم مصلحته إلا عند اجتماع جمع من أبناء جنسه ليشغل كل واحد منهم بمهم خاص فحينئذ ينتظم من الكل مصالح الكل و ذلك الانتظام لابد و أن يفرض إلى المزاومة و لابد من شخص يدفع ضرر البعض عن البعض و ذلك هو السلطان ، فثبت أنه لا تنتظم مصلحة العالم إلا بهذه الأصول الأربعة . أما الزراعة فمحتاجة إلى الحديد وذلك من كرب الأرض و حفرها ، ثم عند تكون هذه الحبوب وتولدها لابد من جزها و تنقيتها و ذلك لا يتم إلا بالحديد (١) . ثم لابد من خبزها ولا يتم إلا بالنار و لابد فيها من المقدحة الحديدية . و أما الفواكه فلا بد من تنظيفها من قشورها و قطعها على الوجوه الموافقة للأكل ولا يتم ذلك إلا بالحديد . ثم يحتاج في آلات الحياكة إلى الحديد ثم نزع (٢) في قطع الثياب و خياطتها إلى الحديد ، و الذهب لا يقوم مقام الحديد في شيء من هذه المصالح ، فلولم يوجد الذهب في الدنيا ما كان يختل شيء من مصالح الدنيا ، ولولم يوجد الحديد لاختل جميع مصالح الدنيا . ثم إن الحديد لما كانت الحاجة إليه شديدة جعله سهل الوجدان كثير الوجود و الذهب لما قلت الحاجة إليه جعله عزيز الوجود ، وعند هذا يظهر أثر جود الله و رحمته على عبده ، فإن كل ما كانت حاجاتهم إليه أكثر جعل وجدانه أسهل . ولهذا قال بعض

(١) في المصدر ، ثم الحبوب لابد من طحنها وذلك لا يتم الا بالحديد

(٢) في المصدر : يحتاج .

الحكماء : إن أعظم الأمور حاجة إليه هو الهواء فإنه لو انقطع وصوله إلى القلب لحظة مات الإنسان في الحال ، فلا جرم جعله الله أسهل الأشياء وجداناً ، وهياً أسباب التنفس وآلاته ، حتى أن الإنسان يتنفس دائماً بمقتضى طبعه من غير حاجة فيه إلى تكلف عمل . وبعد الهواء الماء ، إلا أنه لما كانت الحاجة إلى الماء أقل من الحاجة إلى الهواء جعل تحصيل الماء أشق قليلاً من تحصيل الهواء . وبعد الماء الطعام ، ولما كانت الحاجة إلى الطعام أقل من الحاجة إلى الماء جعل تحصيل الطعام أشق من تحصيل الماء . ثم تفاوت الأطعمة في درجات الحاجة والعزّة ، فكل ما كانت الحاجة إليه أكثر كان وجدانه أسهل ، وكل ما كان وجدانه أعسر كانت الحاجة إليه أقل ، والجواهر لما كانت الحاجة إليها قليلة جداً لا جرم كانت عزيزة جداً . فعلمنا أن كل شيء كانت الحاجة إليه أكثر كان وجدانه أسهل ولما كانت الحاجة إلى رحمة الله أشد من الحاجة إلى كل شيء فنرجو من رحمة الله أن يجعلها أسهل الأشياء وجداناً (١) .

١ - العلل : عن محمد بن علي ماجيلويه ، عن عمه محمد بن أبي القاسم ، عن أحمد ابن أبي عبد الله البرقي ، عن علي بن محمد القاساني ، عن إبراهيم بن محمد الثقفي ، عن علي بن المعلّى ، عن إبراهيم بن الخطاب بن الفرّاء رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : شكت أسافل الشيطان إلى الله عز وجل من ثقل أعاليها ، فأوحى الله عز وجل إليها : يحمل بعضك بعضاً (٢) .

الكافي : عن العدة ، عن البرقي ، عن إبراهيم الثقفي مثله (٣) .

المحاسن : عن القاساني مثله ، إلا أن فيه : يحمل بعضها بعضاً (٤) .

بيان : لعل الشكاية بلسان الافتقار والاضطرار ، والوحي بالخطاب التكويني كما قيل : في قوله تعالى « وآتيكم من كل ما سألتموه » أي بلسان استعداداتكم وقابلياتكم

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٢٩ ، ص ٢٤٢ .

(٢) الملل ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

(٣) الكافي ، ج ٦ ، ص ٥٣٢ .

(٤) المحاسن ، ص ٦٢٣ .

أو يكون استعارة تمثيلية لبيان أن الله تعالى خلق الأجزاء الأرضية والترابية بحيث يلتصق بعضها ببعض ، ولا يكون ثقل الجميع على الأسافل فتنهدم سريعا .

٢ - **المحاسن** : عن علي بن أسباط ، عن داود البرقي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قوله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » قال : نقض الجدر تسبيحها (١) .

الكافي : عن العدة ، عن سهل بن زياد ، عن ابن أسباط مثله ، إلا أن فيه : تنقض الجدر (٢) .

٣ - **المحاسن** : عن ابن أسباط ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، قال : سألت أبا عبد الله عن قول الله عز وجل « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » قال : نقض الجدر تسبيحها قلت : نقض الجدر تسبيحها ؟ قال : نعم (٣) .

٤ - **العياشي** : عن أبي الصلاح ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » قال : كل شيء يسبح بحمده ، وإنا لنرى أن تنقض الجدار هو تسبيحها .

ومنه : في رواية الحسين بن سعيد عنه عليه السلام مثله .

٥ - **ومنه** : عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » قال : إنا نرى أن تنقض الحيوان تسبيحها .

٦ - **ومنه** : عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليه السلام أنه دخل عليه رجل فقال له : فداك أبي وأُمِّي ، إني أجد الله يقول في كتابه « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » فقال : هو كما قال ، فقال له : أتسبح الشجرة اليابسة ؟ فقال : نعم ، أما سمعت خشب البيت تنقض ؟ وذلك تسبيحه ، فسبحان الله على كل حال .

(٢) الكافي ، ج ٦ ، ص ٥٣١ .

(١) المحاسن ، ٦٢٣ .

(٣) المحاسن ، ٦٢٣ .

٧ - العلل لمحمد بن علي بن إبراهيم ، قال : بكاء السماء احمرارها من غير غيم
و بكاء الأرض زلازلها^(١) و تسبيح الشجر حركتها من غير ريح ، و تسبيح البحار زيادتها
و نقصانها ، و تسبيح الشجر نموه و نشوؤه . و قال أيضاً : ظلّه يسبح الله .
بيان : قد مضى من البيان في تفسير الآيات ما يمكن به فهم هذه الأخبار . و
الحاصل أن تنقض الجدار لدلائها على حدوث التغيير فيها و فنائها نداء منها بلسان
جالها على افتقارها إلى من يوجد لها و يبقيها منزهة عن صفاتها المحوجة إلى ذلك . و أيضاً
نقصانات الخلائق دلائل على كمالات الخالق ، و كثراتها و اختلافاتها و مضاداتها شواهد
وحدانيته و اتقاء الشريك عنه و الندى و الضد له كما قال أمير المؤمنين - صلوات الله
عليه - « بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له ، و بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر
له^(٢) و بمضادته بين الأشياء^(٣) عرف أن لا ضد له ، و بمقارنته بين الأشياء عرف أن
لا قرين له^(٤) » و الحاصل أن جميع المصنوعات و الممكنات بصفاتها و لوازمها و آثارها
دالة على صانعها و بارتها و مصورها و علمه و حكمته ، شاهدة بتنزهه عن صفاتها المستلزمة
للعجز و النقصان ، مطيعة لربها في ما خلقها له و أمرها به من مصالح عالم الكون ، موجهة
إلى ما خلقت له . فسكون الأرض خدمتها و تسبيحها ؛ و صرير الماء و جريه تسبيحه
و طاعته ؛ و قيام الأشجار و النباتات و نموها ، و جري الرياح و أصواتها ، و هذه الأبنية
و سقوطها ، و تحريق النار و لهبها ، و أصوات الصواعق و إيضاء البروق و جلال جل الرعود
و جري الطيور في الجو و نعماتها ، كلها طاعة لخالقها و سجدة و تسبيح و تنزيه له
سبحانه .

قال بعض العارفين ؛ خلق الله الخلق ليوحده فأنطقهم بالتسبيح و الثناء عليه و السجود
فقال « ألم تر أن الله يسبح له من في السموات و الأرض و الطير صافات كل قد علم
صلاته و تسبيحه^(٥) » و قال أيضاً « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات و من في

(٢) ليس هذه الجملة في النهج

(٤) النهج : ج ١ ، ص ٣٥٥ .

(١) زلازلها (خ) .

(٣) في النهج ، الامور .

(٥) التور ، ٤١ .

الأرض والشمس والقمر - الآية - (١) ، وخطب بهاتين الآيتين نيته الذي أشهده ذلك و رآه فقال « ألم تر » ولم يقل « ألم تروا » فإنما ما رأيناه ، فهو لنا إيمان ، و لمحمد ﷺ عيان ، فأشهده سجد كل شيء و تواضعه لله ، وكل من أشهده الله ذلك و رآه دخل تحت هذا الخطاب . وهذا تسبيح فطري و سجد ذاتي عن تجل تجلي لهم فأحبوه فانبعثوا إلى الثناء عليه من غير تكليف بل اقتضاء ذاتي ، و هذه هي العبادة الذاتية التي أقامهم الله فيها بحكم الاستحقاق الذي يستحقه .

وفي القاموس : تنقض البيت : تشقق فسمع له صوت . وقوله « بكاء السماء احمرارها » أي خارجاً عن العادة فإنه من علامات غضبه تعالى ، فكأنه يبكي على من استحق الغضب أو على من يستحق العباد له الغضب كما وقع بعد شهادة الحسين ﷺ . وقوله « حركتها من غير ريح » أي عند الزلزلة ، أو بالنمو فيكون ما بعده تأكيداً له .

٨ - تفسير علي بن إبراهيم : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر ﷺ في قوله « و أنبتنا فيها من كل شيء موزون » فإن الله تبارك و تعالى أنبت في الجبال الذهب و الفضة و الجواهر و الصفر و النحاس و الحديد و الرصاص و الكحل و الزرنيخ و أشباه هذه لاتباع إلا وزناً (٢) .

بيان : لعل المراد بالجواهر الأحجار كالياقوت و العقيق و الفيروزج و أشباهها . ٩ - تفسير علي بن إبراهيم : « أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفیی و ظلالة عن اليمين و الشمال سجد الله وهم داخرون » قال : تحويل كل ظل خلقه الله هو سجوده لله لأنه ليس شيء إلا له ظل يتحرك بتحريكه ، و تحويله سجوده (٣) .

١٠ - و منه : في قوله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده » فحركة كل شيء تسبيح لله عز و جل (٤) .

١١ - و منه : في قوله « و الشجر والدواب » لفظ الشجر واحد ومعناه جمع (٥) .

(٢) تفسير القمي : ٣٥٠ .

(١) الحج : ١٨ .

(٤) تفسير القمي : ٣٨٢ .

(٣) التفسير : ٣٦١ .

(٥) التفسير : ٤٣٧ .

و في قوله تعالى « و أسلنا له عين القطر » قال : الصفر (١) .

١٢ - المناقب لابن شهر آشوب : قال : قال ضبَاع بن نصر الهندي للرضا عليه السلام ما أصل الماء ؟ قال : أصل الماء خشية الله ، بعضه من السماء ويسلكه في الأرض ينابيع و بعضه ماء عليه الأرضون ، وأصله واحد عذب فرات . قال : فكيف منها عيون نפט و كبريت و قار (٢) و ملح و أشباه ذلك ؟ قال : غيَّره الجوهر و انقلبت كاتقلاب العصير خمراً ، و كما انقلبت الخمر فصارت خللاً ، و كما يخرج من بين فرث و دم لبناً خالصاً . قال : فمن أين أخرجت أنواع الجواهر ؟ قال : انقلبت منها كاتقلاب النطفة علقة ثم مضغتها ثم خلقت مجتمعة مبنية على المتضادات الأربع . قال (٣) : إذا كانت الأرض خلقت من الماء و الماء بارد رطب فكيف صارت الأرض باردة يابسة ؟ قال : سلبت النداءة فصارت يابسة . قال : الحر أنفع أم البارد ؟ قال : بل الحر أنفع من البارد ، لأن الحر من حر الحياة و البرد من برد الموت (٤) ، وكذلك السموم القاتلة الحارة منها أسلم وأقل ضرراً من السموم الباردة (٥) .

توضيح : قوله « خشية الله » إشارة إلى ما ورد في بعض الكتب السماوية أن الله تعالى خلق أولاً درة بيضاء فنظر إليها بعين المهيبه فصارت ماء « ماء عليه الأرضون » أي البحر الأعظم « غيَّره الجوهر » أي جوهر الأرض التي نبع منها « من حر الحياة » أي من جنسه لأن الروح الحيواني و الحرارة الغريزية سببان للحياة ، و زوالهما سبب للموت . و فيه إشارة إلى ما ذكره الحكماء في تولد المعادن ، فلنذكر ما ذكره في ذلك :

قالوا : المركبات التي لها مزاج ، ثلاثة أنواع تسمى بالموايد ، وهي : المعادن والنباتات ، و الحيوانات . ووجه الحصر أنه إن تحقق فيد مبدأ التغذية فإممع تحقق مبدأ الحس و الحركة الإرادية فهو الحيوان ، أو بدونه وهو النبات ، و إن لم يتحقق

(٢) في المصدر : و منها قار ...

(٤) بعد (خ) .

(١) التفسير ، ٥٣٧ .

(٣) في المصدر : قال عمران .

(٥) المناقب : ج ٤ ، ص ٣٥٤ .

ذلك فيه فالمعادن . وقال بعضهم : و إنما قلنا مع تحقق الحس و الحركة لأنه لا قطع بعدمهما في النبات و المعدن ، بل ربما يدعى حصول الشعور و الإرادة للنبات لأمارات تدل على ذلك ، مثل ما يشاهد في ميل النخلة الأثني إلى الذكر و تعشيقها به بحيث لو لم تلقح منه لم تثمر ، و ميل عروق الأشجار إلى جهة الماء ، و ميل أغصانها في الصعود من جانب الموانع إلى الفضاء . ثم ليس هذا يبعد عن القواعد الفلسفية ، فإن تباعد الأمزجة عن الاعتدال الحقيقي إنما هو على غاية من التدرج ، فاتقاض استحقاق الصور الحيوانية و خواصها لا بد أن يبلغ قبل الانتفاء إلى حد الضعف و الخفاء ، و كذا النباتية . ولهذا اتفقوا على أن من المعدنيات ما وصل إلى أفرق النباتية ، و من النباتات ما وصل إلى أفرق الحيوانية كالنخلة ، و إليه الإشارة بقوله ﷺ « أكرموا عممتكم النخلة » . وقال بعضهم : أخرى طبقات المعادن متصلة بأولى طبقات النباتات كما أن المرجان التي هي من المعادن ينمو في قعر البحر ، وهو قريب من النباتات التي تنبت في فصل الربيع و تذبل و تفسى سريعاً . و أخرى طبقات النبات تتصل بأولى طبقة الحيوانات كالنخل فإنها شبيهة بالحيوان في أنها إذا غرقت في الماء أو قطع رأسها تموت ولا تثمر كثيراً بدون اللقاح ، و رائحة طلوعها شبيهة برائحة المنى ، و تعشق بعضها بعضاً بحيث لا تحمل إلا إذا صب فيها من طلوعه ، و يميل بعضها إلى بعض ، وهي قريبة من الحيوانات المتولدة في الأراضي الندية كالخرطين و أشباهها . و أخرى طبقة الحيوانات تتصل بأفرق الإنسان كالفيل و القرود ، فإنهما تعلمان بأدنى تعليم ، و في كثير من الصفات شبيهة بالإنسان ، وهي قريبة من بعض أفراد الإنسان كالسودان و الأتراك الذين ليس فيهم من الإنسانية إلا الأكل و الشرب و النوم و السقاد .

ثم إنهم قالوا : إن الأبخرة و الأدخنة المحتبسة في باطن الأرض إذا كثرت يتولد منها مامر من الرجفة و الزلزلة و انفجار العيون ، و إذا لم تكن كثيرة اختلطت على ضروب من الاختلاطات المختلفة في الكم و الكيف و المزج بحسب الأمكنة و الأزمنة و الإعدادات ، فتكون منها الأجسام المعدنية بإذن الله تعالى ، وهي أول ما يحدث من المركبات العنصرية التامة المزاجية . ثم إذا غلب البخار على الدخان

تتولد مثل الشم والبلور والزيبق وغيرها من الجواهر المشفّة وإن غلب الدخان يتولد الملح والزاج والكبريت والنوشادر . ثم من اختلاط بعض هذه مع بعض يتولد غيرها من المعادن ، وأصنافها خمسة ، لأنّها إما ذائبة أو غير ذائبة ، و الذائبة إما منطوقة أو غير منطوقة ، و الغير المنطوقة إما مشتعلة أو غير مشتعلة ، و غير الذائبة إما عدم ذوبانه لفرط الرطوبة ، أو لفرط اليبوسة ، فأقسامها : ذائب منطوق ، و ذائب مشتعل ، و ذائب غير منطوق ولا مشتعل ، و غير ذائب لفرط الرطوبة ، وغير ذائب لفرط اليبوسة .

فالذائب المنطوق هو الجسم الذي انجمد فيه الرطب و اليابس بحيث لا يقدر النار على تفريقهما مع بقاء دهنية قوية بسببها يقبل ذلك الجسم الانطراق و هو الاندفاع في السحق بانسباط يعرض للجسم في الطول والعرض قليلاً دون انفصال شيء ، والذوبان سيلان الجسم بسبب تلازم رطبه و يابسه . و المشهور من أنواع الذائب المنطوق سبعة : الذهب ، والفضة ، و الرصاص ، و الأُسرب ، و الحديد ، و النحاس ، و الخارصيني . و قيل : الخارصيني هو جوهر شبيه بالنحاس يتخذ منها مراياها خواص و ذكر بعضهم أنّه لا يوجد في عهدنا^(١) والذي يتخذ منه المرايا ويسمى بالحديد الصيني والفتجوش فجوهر مرّكب من بعض الفلزات ، و ليس بالخارصيني . والذوبان في غير الحديد ظاهر وأمّا في الحديد فيكون بالحيلة كما يعرفه أرباب الصنعة . و شهدت الأمارات بأنّ مادة الأجساد السبعة الزيبق و الكبريت ، و اختلاف الأنواع و الأصناف عائد إلى اختلاف صفاتها واختلاطهما و تأثير أحدهما عن الآخر . أمّا الأمارات فهي أنّها سيّما الرصاص يذوب إلى مثل الزيبق ، و الزيبق ينعقد برائحة الكبريت إلى مثل الرصاص و الزيبق يتعلّق بهذه الأجساد . و أمّا كيفية تكون تلك الأجساد منهما فهي أنّها إذا كان الزيبق و الكبريت صافيين و كان ائطباخ أحدهما بالآخر تاماً فإن كان الكبريت مع بقائه أبيض غير محترق تكونت الفضة ، و إن كان أحمر وفيه قوة صبغة لطيفة غير

محتركة تكون الذهب ، وإن كانا نقيين وفي الكبريت قوة صبغة لكن وصل إليه قبل كمال النضج برد محمد عاقد تكون الخارصيني ، وإن كان الزبيق نقياً والكبريت ردياً فإن كان مع الرداءة فيه قوة إحراقية تكون النحاس ، وإن كان غير شديد المخالطة بالزبيق بل متداخلاً إياه سافاً فسافاً تولد الرصاص ، وإن كان الزبيق والكبريت رديين فإن قوي التركيب وفي الزبيق تخلخل أرضي وفي الكبريت إحراق تكون الحديد ، وإن ضعف التركيب تكون الأسرب ويسمى الرصاص الأسود . قال صاحب المواقف بعد إيراد مثل هذا التقسيم : وأنت خير بأن القسمة غير حاصرة وأن التكون على هذا الوجه لاسبيل فيه إلى اليقين ولا يرجى له إلا الحدس والتخمين وإن سلم فتكونها على غير هذا الوجه مما لم يقم على امتناعه دليل ، كيف والمهوسون بالكيمياء لهم في الأجساد السبعة والأرواح التي تفيد الصورة الذهبية والفضية تفتن والكل عندنا للفاعل المختار من غير إحالة على شيء مما ذكره - انتهى - .

والثاني أي الذائب المشتعل هو الجسم الذي فيه رطوبة دهنية مع يبوسة غير مستحكم المزاج ، ولذلك يقوى النار على تفريق رطبه عن يابسه وهو الاشتعال، وذلك كالكبريت المتولد من مائية تخمرت بالأرضية والهوائية تخمراً شديداً بالحرارة حتى صارت تلك المائية دهنية وانعقدت بالبرد ، وقيل دخانية تخمّر بها بخارية تخمراً شديداً بالحرارة حتى حصل فيها دهنية ثم انعقدت بالبرد ، وكالزرنج وهو كذلك إلا أن الدهنية فيه أقل .

و الثالث أي الذائب الذي لا ينطرق ولا يشتعل ماضع امتزاج رطبه و يابسه وكثرت رطوبته المنعقدة بالحرارة واليبس كالزجاجات وتولدها من ملحية وكبريتية وحجارة ، وفيها قوة بعض الأجساد الذائبة ، وكالأملاح وتولدها من ماء خالطه دخان حار لطيف كثير النارية وانعقد باليبس مع غلبة الأرضية الدخانية ، ولهذا يتخذ الملح من الرماد المحترق بالطبخ والتصفية .

و الرابع أي الذي لا يذوب ولا ينطرق لرطوبته ما استحكم الامتزاج بين أجزائه الرطبة الغالبة والأجزاء اليابسة بحيث لا يقوى النار على تفريقهما كالزبيق وهو مرگب

من مائية صافية جداً خالطتها دخانية كبريتية لطيفة مخالطة شديدة بحيث لا ينفصل منه سطح إلا ويغشاه من تلك اليبوسة شيء ، فلذلك لا يعلق باليد ولا ينحصر انحصاراً شديداً بشكل ما يحويه ، ومثاله قطرات الماء الواقعة على تراب في غاية اللطافة فإنه يحيط بالقطرة سطح ترابي حاصر للماء كالغلاف له بحيث تبقى القطرة على شكلها في وجه التراب ، وإذا تلاقت قطرتان منهما فربما ينخرق الغلافان ويصير الماءان في غلاف واحد . و يياض الزبيق لصفاء المائبة و يياض الأرضية و ممزجة الهوائية .

و الخامس أي الذي لا يذوب ولا ينطرق ليبوسة ما اشد الامتراج بين أجزاءه الرطبة و الأجزاء اليابسة المستولية بحيث لا يقدر النار على تفريقهما مع إحالة البرد للمائية إلى الأرضية بحيث لا تبقى رطوبة حسيّة دهنيّة ، و لذا لا ينطرق . و لما كان تعقده باليبس لا يذوب إلا بالحيلة بحيث لا يبقى ذلك الجوهر بخلاف الحديد المذاب و ذلك كالياقوت و اللؤلؤ و الزبرجد و نحو ذلك من الأحجار .

ثم إن من المعادن ما يتولد بالصفة بتهيئة المواد و تكميل الاستعداد كالنوشادر والملح ، و إن منها ما يعمل له شبيه يعسر التمييز في بادئ النظر كالذهب و الفضة و اللؤلؤ و كثير من الأحجار المعدنية . وهل يمكن أن يعمل حقيقة هذه الجواهر بالصفة من غير جهة الإعجاز ؟ فذهب كثير من العقلاء إلى أن تكون الذهب و الفضة بالصفة واقع . ذهب ابن سينا إلى أنه لم يظهر له إمكان فضلاً عن الوقوع ، لأن الفصول الذاتية التي بها تصير هذه الأجساد أنواعاً أمور مجهولة ، و المجهول لا يمكن إيجاد . نعم يمكن أن يعمل النحاس بصبغ الفضة ، و الفضة بصبغ الذهب ، وأن يزال عن الرصاص أكثر ما فيه من النقص ، لكن هذه الأمور المحسوسة يجوز أن لا تكون هي الفصول بل عوارض و لوازم . و أوجب بأننا لا نسلم اختلاف الأجسام بالفصول و الصور النوعية بل هي متماثلة لا تختلف إلا بالعوارض التي يمكن زوالها بالتدبير . ولو سلم فإن أريد بمجهولية الصور النوعية و الفصول الذاتية أنها مجهولة من كل وجه فممنوع ، كيف وقد علم أنها مبادء لهذه الخواص و الأعراض ، و إن أريد أنها مجهولة بحقائقها و تفاصيلها فلا نسلم أن الإيجاد موقوف على العلم بذلك و أنه لا يكفي العلم بجميع

المواد على وجه حصل الظن^١ بفيضان الصور عنده لأسباب لا تعلم على التفصيل كالحية من الشعر والعقرب من البادروج ونحو ذلك، وكفى بصنعة الترياق وما فيه من الخواص والآثار شاهداً على إمكان ذلك . نعم ، الكلام في الوقوع وفي العلم بجميع المواد وتحصيل الاستعداد ، ولهذا جعل الكيمياء في اسم بلاسمي .

اقول : و يظهر من بعض الأخبار تحقّقه ، لكن علم غير المعصوم به غير معلوم ومن رأينا وسمعنا ممن يدعي علم ذلك منهم أصحاب خديعة وتدليس ، ومكر وتلبيس ولا يتبعهم إلاّ مخدوع ، وصرف العمر فيه لا يضمن ولا يغني من جوع .

١٣ - **توحيد المفضل :** قال : قال الصادق عليه السلام : لوفظنوا طالبوا الكيمياء لما في العذرة لاشتروها بأنفس الأثمان وغالبوا بها .

١٤ - **الكافي :** عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن عبد الله ابن عبد الرحمن ، عن يحيى الحلبي ، عن الثمالي ، قال : مررت مع أبي عبد الله عليه السلام في سوق النحاس ، فقلت : جعلت فداك ، هذا النحاس أيش ^(١) أصله ، فقال : فضة إلاّ أن الأرض أفسدتها ، فمن قدر على أن يخرج الفساد منها انتفع بها ^(٢) .

١٥ - **المجازات النبوية للرضي :** قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الجبل : ظهورها حرز ، و بطونها كنز .

قال السيد - ره - : هذا القول خارج عن طريق المجاز ، لأنّ بطون الجبل على الحقيقة كنز ، وإنّما أراد أن أصحابها يستخرجون منها من الأفلان ما تنمي به أموالهم وتحسن معه أحوالهم . وظهورها حرز : أراد أنّها منجاة من المطاطب ، وملجأة عند المهارب .

١٦ - **الخرائج :** روى أحمد بن عمر الحلال قال : قلت لأبي الحسن الثاني عليه السلام : جعلت فداك ، إنّي أخاف عليك من هذا صاحب الرقّة ، قال : ليس عليّ منه بأس ، إنّ الله بلاداً تنبت الذهب قد سماها بأضعف خلقه بالذرّ ، فلو أرادتها القبلة ما وصلت إليها .

(١) في المصدر ، أى شيء .

(٢) الكافي : ج ٥ ، ص ٣٠٧ .

قال الوشاء : إني سألت عن هذه البلاد وقد سمعت الحديث قبل مسألتني ، فأخبرت أنه بين البلخ و التبت ، و أنها تنبت الذهب ، وفيها نمل كبير أشباه الكلاب على حلقتها قلس لا يمر بها الطير فضلاً عن غيره ، تكمن بالليل في جحرها و تظهر بالنهار ، فرما غزوا الموضع على الدواب التي تقطع ثلاثين فرسخاً في ليلة لا يعرف شيء من الدواب يصبر صبرها ، فيوقرون أعمالهم و يخرجون ، فإذا النمل خرجت في الطلب ، فلا تلحق شيئاً إلا قطعتة فتشبه بالريح من سرعتها ، و ربما شغلهم^(١) باللحم يتخذونها إذا لحقتهم يطرح لها في الطريق إن لحقتهم قطعتهم و دوابهم .

بيان : الرقة بلد على الفرات ، و المراد بصاحبها هارون ، لأنه كان في تلك الأيام فيها . و القلس جبل ضخمة من ليف أو خوص أو غيرهما ، و كأنه وصف المشبه به أي الكلاب المعلمة .

١٧ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن عمير ذكره قال : قيل للرضا عليه السلام : إنك تتكلم بهذا الكلام و السيف يقطر دماً ؟ فقال : إن الله وادياً من ذهب حماء بأضع خلقه النمل فلو رامته البخاتي لم تصل إليه .

١٨ - توحيد المفضل : قال : قال الصادق عليه السلام : فكراً مفضل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص ، و الكلس ، و الجبس ، و الزرايخ و المرتك ، و القوينا^(٢) و الزبيق ، و النحاس ، و الرصاص ، و الفضة ، و الذهب ، و الزبرجد ، و الياقوت ، و الزمرد ، و ضروب الحجارة ، و كذلك ما يخرج منها من القار ، و الموميا ، و الكبريت ، و النفط و غير ذلك مما يستعمله الناس في مآربهم . فهل يخفى على ذي عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها ؟ ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من صنعها على حرصهم و اجتهادهم في ذلك ، فإنهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر و يستفيض في العالم حتى تكثر الفضة و الذهب ، و يسقطا عند الناس ، فلا يكون لهما

(١) شغلوا (ظ) .

(٢) القوينا (خ) .

قيمة ، و يبطل الاتفاح بهما في الشرى و البيع و المعاملات ، ولا كان يجبي السلطان الأموال ولا يدخرهما أحد للأعقاب ، وقد أعطى الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس و الزجاج من الرمل ، و الفضة من الرصاص ، و الذهب من الفضة و أشباه ذلك مما لا مضرّة فيه . فانظر كيف أعطوا إرادتهم في ما لا ضرر فيه ، و منعوا ذلك في ما كان ضاراً لهم لو ناولوه . و من أوغل في المعادن انتهى إلى وادعظيم يجري منصلاً بماء غزير ، لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ، و من ورائه أمثال الجبال من الفضة . تفكّر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم ، فإنه أراد - جل ثناؤه - أن يرى العباد مقدرته ^(١) وسعة خزائنه ، ليعلموا أنه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل ، لكن لاصلاح لهم في ذلك لأنه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس و قلة اتفاعهم به . و اعتبر ذلك بأنه قد يظهر الشيء الطريف مما يحدثه الناس من الأواني والأمتعة ، فمادام عزيزاً قبلاً فهو نفيس جليل آخذ الثمن ، فإذا فشاو أكثر في أيدي الناس سقط عندهم و خست قيمته . و نفاسة الأشياء من عزتها .

بيان : الكلس - بالكسر - : الصاروج ، و الجبس - بالكسر - : الجص ، و في أكثر النسخ « الجبسين » ولم أجده في ما عندنا من كتب اللغة ، لكن في لغة الطب كما في أكثر النسخ . و المرتك - كمقعد - المراد اسنج ، و « القوبنا » بالباء الموحدة أو الباء المثناة من تحت ، ولم أجدهما في كتب اللغة ، لكن في القاموس : القونة القطعة من الحديد أو الصفر يرقع بها الإثاء . و في بعض النسخ « و التوتيا » و في كتب اللغة أنه حجر يكتحل به . و القار : القير . و جبي الخراج جباية : جمعه . و الأيغال : المبالغة في الدخول و الذهاب . و انصت : مضى و سبق .

تتميم نفعه عميم

اعلم أن الذي يستفاد من الآيات المتظاهرة و الأخبار المتواترة هو أن تأثيره سبحانه في الممكنات لا يتوقف على المواد و الاستعدادات ، و إنما أمره إذا أراد شيئاً

(١) قدرته (ظ) .

أن يقول له كن فيكون^(١) . و هو سبحانه جعل للأشياء منافع و تأثيرات و خواص^٢ أودعها فيها ، و تأثيراتها مشروطة بإذن الله تعالى و عدم تعلق إرادته القاهرة بخلافها ، كما أنه أجرى عادته بخلق الإنسان من اجتماع الذكر والأنثى و تولد النطفة منهما و قرارها في رحم الأنثى و تدبر^٣ جها علقه و مضغه و هكذا فإذا أراد غير ذلك فهو قادر على أن يخلق من غير أب كعيسى ، و من غير أم^٤ أيضاً كآدم و حواء ، و كخفاش عيسى و طير إبراهيم و غير ذلك من المعجزات المتواترة عن الأنبياء في إحياء الموتى . و جعل الإحراق في النار ، فلماً أراد غير ذلك قال للنار : كونى برداً و سلاماً على إبراهيم .. و جعل الثقيل يرسب في الماء و ينحدر من الهواء ، فأظهر قدرته بمشي كثير على الماء و رفعهم إلى السماء و جعل في طبع الماء الانحدار فأجرى حكمه عليه بأن تقف أمثال الجبال منه في الهواء حتى^٥ تعبر بنو إسرائيل من البحر . و مع عدم القول بذلك لا يمكن تصديق شيء من

(١) لا بأس بتذييل لهذا التعميم يجعل نفعه أعم و فائدته أتم ، فنقول ،

هناك أمور لا مجال للارتياح فيها لمن له قدم في العلوم الإلهية ،

(الاول) كل ما سوى الله تعالى مخلوق له محتاج إليه في جميع شؤونه الوجودية ، سواء

في ذلك الشؤون العلمية و الإرادية و غيرها .

(الثاني) أن الله تعالى غنى عن جميع ما سواه و لا يحتاج إلى غيره في شيء أصلاً ، و ليس

لقدرته تعالى حد و نهاية ، فهو القادر على كل أمر ممكن في ذاته ، و ليس لقدرته على شيء

من الأشياء شرط و لا مانع ، سبحانه و تعالى عما يصفون .

(الثالث) كل ممكن في ذاته يستوى نسبه إلى الوجود و العدم ، و لا يهد في ترجيح أحدهما

من مرجح و هذا حكم ضروري لا يكاد يشك فيه عاقل فضلاً عن الإنكار اللهم إلا من لم يتصور

طرفي القضية أو عرض له شبهة لم يستطع دفعها أو مكابر ينكر باللسان ما يعترف به قلباً . و

هذا أساس جل إبراهيم التوحيد بل المعارف الحققة .

(الرابع) طريق معرفة الملل و المرجحات - سوى ما يعرفه الإنسان وجداناً و بالضرورة -

اختبار ارتباط وجود شيء بشيء و كشف حدود ذلك الارتباط ، و هذا من معرفة صنع الله تعالى

و كشف مجارى مشيئته في خلقه ، لامن باب كشف شرائط قدرته تعالى على الأشياء فتفتن . و

من الواضح أن معرفة سبب ما اشياء لا تنفي سببية شيء آخر له وقد ثبت في محله أن هذا ليس ←

المعجزات اليقينية المتواترة عن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام . وكذا جرى عادته على انعقاد الجواهر في المعادن بأسباب من المؤثرات الأرضية و السماوية لبعض المصالح ، فإذا أراد إظهار كمال قدرته ورفع شأن وليه يجعل الحصى في كفه دفعة جوهرًا ثمينًا ، و الحديد في يد نبيته عجيبًا ، و يخرج الأجساد البالية دفعة من التراب في يوم الحساب . فهذه كلها و أمثالها لا تستقيم مع الإزعان بقواعدهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة .

و قال بعضهم حذرًا من التشهير و التفكير : إعادة النفس إلى بدن مثل بدنها الذي كان لها في الدنيا مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة كما نطق

من صدور الواحد من الكثير لكان تعدد الحيزيات ولا اظن أن يرتاب أحد في سببه الاسباب والعلل لمسبباتها ومعلولاتها و ارتباط الثانية بالاولى ارتباطاً ذاتياً وجودياً إلا ان تمرض شبهة لمن لا يستطيع على حلها كالاشاعة حيث قالوا بان عادة الله جرت على ايجاد شيء عقيب شيء آخر دون ان يرتبط به ارتباطاً وجودياً ، والتزموا بذلك زعماً منهم ان القول بالعلية وارتباط المملول بالعله ينافي التوحيد ، وجهلاً بأن هذا منهم هدم لاساس التوحيد وإنكار لسنة الله تعالى في خلقه .

(الخامس) كل علة غير الواجب تعالى ليس مستقلة في التأثير كما أنه ليس مستقلاً في الوجود ، فكما انها تحتاج في ذاتها إلى علة اخرى حتى تنتهي إلى الواجب تبارك و تعالى فكذا في أفعالها و جميع شؤونها فما من اثر وجودي في شيء من الاشياء من حيث هو اثر وجودي إلا و هو مستند إلى الله تعالى قبل استناده إلى سائر علله و يشهد لهذا المعنى آيات كثيرة جداً نسب فيها اعمال العباد والمخلوقات إلى الله تعالى أو انيط فيها تأثير الاشياء باذن الله تعالى و مشيئته ، لكن استناد الافعال والاثار إلى الله سبحانه لا يوجب سلب انتسابها إلى عللها المتوسطة و تأثير العلل باذن ربها ، فاستناد خلق الانسان إلى الله تعالى لا ينافي توسط ملائكة و تأثير اسباب و معدات بل يستلزمها ، لا لانه سبحانه يحتاج إليها و قدرته على الخلق يتوقف عليها بل لان مرتبة الفعل هي التي تقتضي ذلك ، فكل مملول له مرتبة تخصه و حدود يتشخص بها بحيث لو تبدل بعضها إلى بعض لا تقلب إلى شيء آخر ، كما ان كل عدد له مرتبة خاصة لا يتقدم عليها ولا يتأخر عنها و إلا لا تقلب إلى عدد آخر ، و فيض الوجود مطلق لا يقيد من ناحية ذات المفيض تعالى بشيء بل مجارى الفيض هي التي تحدده حتى تتقدر باقدار خاصة تسماها ظروف المعاليل المتأخرة و ما ننزله إلا بقدر معلوم ، فتقدره انما هو عند نزوله و اما عنده تعالى فالخزائن التي لا تتناهي . وقد جرت سنته تعالى باجراء الامور من اسبابها و لن تجد لسنة الله تبديلاً ←

به الشريعة ممكن غير مستحيل ، ولا استبعاد أيضاً فيها ولا يلزم أن يكون حدوث لياقته واستعداده لتعلقها مما يحصل له شيئاً فشيئاً ككونه أو لآ نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظاماً ثم طفلاً إلى تمام الخلقة حسب ما يقتضيه التوالد والتناسل ، فإن ذلك نحو خاص من الحدوث ، والحدوث لا ينحصر للإنسان في هذا النحو، لجواز أن يتكون دفعة تامة كمالاً لأجل خصوصية بعض الأزمنة والأوقات ، والأوضاع الفلكية ترجح إرادة الله

→ وان تجدلسته الله تعويلا . نعم ، من الاسباب ما يكون واضحاً وكيفية تأثيره و شرائطه معروفة ومنها ما يكون خفياً لا يطلع عليها إلا الخواص بمد جهدهم بالغ وتجارب كثيرة ، ومنها ما يكون غير عادي لا يستطيع الحصول عليه إلا لمن شاء الله تعالى فرهما يدعى من لا يعرف هذين النوعين من الاسباب انحصار سبب شيء في ما هو الواضح المتعارف ، كما كان الناس يزعمون استحالة كثير من الامور التي حصلت اليوم ببركة العلم الحديث ، و كما كان كثير من الاقوام يزعمون استحالة حدوث بعض الايات قبل مشاهدتها ويسندونها إلى سحر الاعين بعد رؤيتها ، لكن العقل السليم لا يابى وجود اسباب خفية على الناس وغير طائفة لهم كما لا يتكرر تأثير نفوس قدسية بأمر الله تعالى ولا يعد المعجزات و خوارق العادات تجويزاً للمحال ولا ناقضاً لقانون العملية ، لكن يابى استناد الحوادث إيماناً كانت بلا واسطة إلى الله تعالى لاستلزام ذلك اختلال سلسلة الملل و الممايل و تقدر الفيض من غير مقدر و الترجيح بلا مرجح و أما مرجحية ارادة الله تعالى و مقدرتها للفيض فالارادة ان فرضت حادثة فرداته سبحانه استلزمت سيرورة الدات محلا للمحوادث و معرضاً للكيفيات - جل و تعالى عن ذلك علواً كبيراً - و ان فرضت حادثة في خارج ذاته كانت مخلوقة له محتاجة إلى ارادة اخرى متسلسلة وتغيير العبارة والتعبير بالمشيئة لا يحل المشكلة وان فرضت قديمه لزم انفكاك المملول عن الملة و أما الارادة المنتزعة عن مقام الفعل فمنشأ انتزاعها نفس الفعل فلا تكون مرجحة له و هذا ليس بمعنى اشتراط قدرته تعالى على الفعل بحصول الاسباب و اجتماع الشرائط و استعداد المواد ، فان قدرته تعالى ليست محدودة بشيء و لا متوقفة على شيء ، بل بمعنى نقص المقدور و محدوديته ذاتاً و تأخره عن علله رتبة و ارتباطه بها ثبوتاً ، و بمباراة اخرى المملول الخاص هو الذي يكون محدوداً بحدود و قيود خاصة وإلا لم يكن ذلك المملول لأن الله تعالى لا يكون قادراً على ايجاد هذا المملول إلا بهذه الخصوصيات كما انه لا ينافي تكون الاشياء بنفس امر الله تعالى ، فان أمره يوجب وجودها في ظرفها و

تعالى^(١) في إيجاد الناس و تكوين أجسادهم دفعة واحدة ، و نفتح أرواحهم في أجسادهم المتكوّنة نفخة واحدة ، بتوسط بعض ملائكته . فردّ الله تعالى بواسطة واهب الصور تلك الصور إلى موادّها لحصول المزاج الخاصّ مرّةً أخرى كما تتكوّن ألوف كثيرة من أصناف الحيوانات كالذباب وغيرها في الصيف من العفونات تكوّنًا دفعيًّا ، ولا يلزم أن يكون نحو التعلّق واحداً في المبدئ و الإعادة ، بل يجوز أن يكون التعلّق الآخري إلى البدن على وجه لا يكون مانعاً من حصول الأفعال الغريبة والآثار العجيبة ، و مشاهدة أمور غيبية لم يكن من شأن النفس مشاهدتها إيّاها في النشأة الدنيوية ، وكذا اقتدارها على إيجاد صور عجيبة غريبة حسنة أو قبيحة مناسبة لأوصافها و أخلاقها - انتهى - و أنت تعلم إننا تأملت في مجاري كلامه أنّه مع إعمال التقيّة فيه لوح إلى مرامه .

ونقل بعض قدماء الأطباء عن جالينوس في بيان تشريح الأعضاء و فوائدها أنّه قال : و شعر الحاجبين أيضاً ممّا لم يقصر فيه ولم يتوان عنه ، و هو و الأشعار دون سائر الشعر جعل له مقدار يقف عنده فلا يطول أكثر منه ، و أمّا شعر الرأس و اللحية فإنّه يطول كثيراً ، و السبب في ذلك أنّ شعر الرأس و اللحية له منفعتان : إحداهما تغطية ماتحته من الأعضاء و سترها ، و الأخرى إفناء الفضول الغليظة . و منفعتها من جهة التغطية و الستر تختلف على وجوه شتى ، و ذلك لأنّ حاجتنا إلى التغطية و الستر تختلف بقدر اختلاف

→ على حدودها ، و تميز الحدود و القيود من شؤون الوجود بأمر الله تعالى لا من قيود أمره و إيجادهم فانهم .

إذا عرفت هذه الامور علمت ان قواعد الفلسفة لا تنفي خوارق العادات و تكون الاشياء من غير طرية ، اسبابها المتعارفة ، كما لا توجب محدودية قدرته تعالى و توقّفها على حصول استمدادات للمواد ، و ان افكر ذلك منكر فلا يماح به على القواعد العقلية كما لا يماح بفلط المحاسب على قواعد الحساب ، فنفس القواعد امر و اجرائها في موارد امر آخر . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

(١) لا يخفى ما في هذه العبارة ، فارادة الله تعالى قاهرة للاشياء لا مقهورة لها و مترجحة

بها ، إلا أن يكون مراده ما أشرنا إليه سابقاً .

الأسنان و أزمان السنة و البلدان و إخراج البدن ، لأن حاجة الرجل التام إلى طول الشعر ليست كحاجة الصبي الصغير إلى ذلك ، ولا كحاجة الشيخ الفاني ولا كحاجة المرأة ، وكذلك أيضاً ليست الحاجة إلى طول الشعر في الصيف و الشتاء سواء ، ولا في البلاد الحارة و الباردة ، ولا حاجة من كانت عينه معتلة من الرمذ أو كان رأسه يصدع إلى ذلك كحاجة من هو صحيح البدن لاعلة به ، فاحتيج لذلك أن نكون نحن نجعل طول الشعر في الأوقات المختلفة بأقذار مختلفة . بحسب ما يوافق كل وقت منها . وأمّا الحاجبان و الأشفار فإنه إن زيد فيه أو نقص منه فسدت منفعته ، و ذلك أن الأشفار تحوط العين بمنزلة الجدار ليحجب عنها و يمنع من أن يسقط فيها شيء من الأجرام الصغار إذا كانت مفتوحة . و شعر الحاجبين جعل يلقي ما ينحدر من الرأس قبل وصوله إلى العين بمنزلة الصور المانع ، فمتى قصرت من طوله أو قللت من عدده أكثر مما ينبغي كان ما يدخل على منفعته من الفساد بحسب ما ينقص من المقدار الذي يحتاج إليه . و ذلك أن الأشفار حينئذ تطلق ما قد كانت تمنعه قبل النقصان من الوصول إلى العين ، و شعر الحاجبين يرسل ما قد كان يحبسه و يمنعه من الوصول إلى العين من الأشياء التي تسيل من الرأس . فإن أنت طوّلت هذا الشعر و كثرت فوق المقدار الذي ينبغي لم يقم حينئذ للعين مقام الحاجب ولا مقام السور المانع ، لكنّه يغطي العين و يعلو عليها حتى يصير منه في مثل حبس ضيق . و ذلك أنه يستتر الحدقة و يحجبها حتى تظلم ، و الحدقة أحوج الحواس كلها إلى أن لا تحجب ولا يحال بينها و بين ما يدركه البصر . و إذا كان الأمر على ما وصفت فما الذي ينبغي أن نقول فيه ؟ أنقول : إن الخالق أمر هذا الشعر أن يبقى على مقدار واحد ولا يطول أكثر منه ، و أن الشعر قبل ذلك الأمر فأطاع فبقي لا يخالف ما أمر به إمّا للفرع و الخوف من المخالفة لأمر الله ، و إمّا للمجاملة و الاستحياء من الله الذي أمره بهذا الأمر ، و إمّا لأن الشعر نفسه يعلم أن هذا أولى به و أحمد من فعله . أمّا موسى فهذارأيه في الأشياء الطبيعية ، و هذا الرأي عندي أحمد و أولى أن يتمسك به من رأي أفيقورس ، إلا أن الأجود لا يضرب عنهما جميعاً و الاحتفاظ بأن الله هو مبدئ خلق

كل شيء كما قال موسى ، وزيادة المبدأ الذي من المادة . فإن خالقنا إنما جعل الأشفار وشعر الحاجبين يحتاج أن يبقى على مقدار واحد من الطول ، لأن هكذا كان أوفق وأصلح ، فلما علم أن هذا الشعر كان ينبغي أن يجعل على هذا جعل تحت الأشفار جرمًا صلبًا يشبه الغضروف يمتد في طول الجفن ، وفرش تحت الحاجبين جلدة صلبة ملزقة بغضروف الحاجبين ، وذلك^(١) أنه لم يكن يكفي في بقاء الشعر على مقدار واحد من الطول بأن يشاء الخالق أن يكون هكذا ، كما أنه لو شاء أن يجعل الحجر دفعة إنسانًا لم يكن ذلك بممكن . و الفرق في ما بين إيمان موسى وإيماننا وأفلاطون وسائر اليونانيين هو هذا : موسى يزعم أنه يكفي بأن يشاء الله أن يزين المادة و يهيئها لا غير ، فيتزين و يتهيأ على الممكن ، وذلك أنه يظن أن الأشياء كلها ممكنة عند الله فإنه لو شاء الله أن يخلق من الرماد فرسًا أو ثورًا دفعة لفعل . وأما نحن فلانعرف هذا ، و لكننا نقول : إن من الأشياء أشياء في أنفسها غير ممكنة ، وهذه الأشياء لا يشاء الله أصلًا أن تكون ، وإنما يشاء أن تكون الأشياء الممكنة ، وأيضًا لا يختار إلا أوجودها و أوقفها و أفضلها . ولذا لما كان الأصلح و الأوفق للأشفار و شعر الحاجبين أن يبقى على مقداره من الطول على عدده الذي هو عليه دائماً أبداً لسنا نقول في هذا الشعر إن الله إنما شاء أن يكون على ما هو عليه فصار من ساعته على ما شاء الله ، و ذاك أنه لو شاء ألف مرة أن يكون هذا الشعر على هذا لم يكن ذلك أبداً بعد أن يجعل منشأه من جلدة رخوة ، إلا أنه لو لم يغرَس أصول الشعر في جرم صلب لكان مع ما يتغير كثير مما هو عليه لا يبقى أيضاً قائماً منتصباً . وإذا كان هكذا فإننا نقول : إن الله سبب لا مرين : أحدهما اختيار أوجود الحالات و أصلحها و أوقفها لما يفعل . و الثاني اختيار المادة الموافقة . و من ذلك أنه لما كان الأصلح و الأوجود أن يكون شعر الأشفار قائماً منتصباً و أن يدوم بقاءه على حالة واحدة في مقدار طولته و في عدده ، جعل مغرس الشجر و مركزه في جرم صلب ، ولو أنه غرسه في جرم رخول كان أجهل من موسى ، و أجهل من قائد جيش سخييف يضع أساس سور مدينة أو حصنه

على أرض رخوة غارقة بالماء . و كذلك بقاء شعر الحاجبين و دوامه على حالة واحدة إنما جاء من قبل اختياره للمادة ، و كما أنّ العشب و سائر النبات ما كان منه ينبت في أرض رطبة سميحة خصبة فإنه يطول و ينشأ نشوءاً حسناً ، و ما كان منه في أرض صخرية جافة فإنه لا ينمو ولا يطول ، كذلك أحد الأمرين - انتهى كلامه ضاعف الله عذابه و انتقامه - .

و أقول : قد لاح من الكلام الرديء المشتمل على الكفر الجليّ أمور :

الاول ما أسلفنا من أنّ الأ نبياء المخبرين عن وحى السماء لم يقولوا بتوقف تأثير الصانع - تعالى شأنه - على استعداد المواد ، ولا استحالة تعلق إرادته بإيجاد شيء من شيء بدون مرور زمان أو إعداد ، و له أن يخلق كل شيء كان من أي شيء أراد .

الثاني أنّ الحكماء لم يكونوا يعتقدون نبوة الأ نبياء ولم يؤمنوا بهم ، وأنهم يزعمون أنّهم أصحاب نظر وأصحاب آراء مثلهم ، يخطئون ويصيبون ، ولم يكن علومهم مقتبسة من مشكاة أنوارهم كما زعمه أتباعهم .

الثالث أنّهم كانوا منكرين لأكثر معجزات الأ نبياء عليهم السلام فإن أكثرها مآعدّها من المستحيلات .

الرابع : أنّهم كانوا في جميع الأعصار معارضين لأرباب الشرائع و الديانات كما هم في تلك الأزمنة كذلك ^(١) .

(١) من الناس من يفرط في حسن الظن بفلاسفة اليونان لا سيما الاقدمين منهم ، و يظن أن علومهم مأخوذة من الانبياء - عليهم السلام - بل يظن أن فيهم من كان نبياً ، ثم يتعب نفسه في تفسير الكلمات المنقولة عنهم و المترجمة من كتبهم و تأويلها بما يوافق الحق في زعمه و منهم من يفرط في حقهم بل في حق من سمى فيلسوفاً من علماء الاسلام ، و يتهم فلاسفة الاسلام أيضاً بأنهم أدخلوا انفسهم في المسلمين ليضيعوا عليهم دينهم و يفسدوا عليهم عقائدهم ، و ربما يقع التصارع بين الطرفين فيتمسك كل منهما لاثبات مدعاه بما لا يليق التمسك به للمحققين . و لعمري كلاهما خارجان عن طور العدل و الحكم بالقسط ، و الذي نرى لزوم التنبيه عليه امور ،

١ - ان وقوع الاختلاف الكثير بين الفلاسفة منذ العهد الاقدم دليل على أن كل رأى ←

قال الشيخ المفيد - قدس سره - في كتاب المقالات : أقول : إن الطباع معان تحل الجسم يتبها بها للانفعال كالبرص وما فيه من الطبيعة التي بها يتبها لحللول الحس فيه والإدراك . ثم قال : وإن ما يتولد بالطبع فإتما هو مسببه بالفعل في المطبوع وأنه لا فعل على الحقيقة لشيء من الطباع ، وهذا مذهب أبي القاسم الكعبي ، وهو خلاف مذهب المعتزلة في الطباع وخلاف الفلاسفة الملحدين أيضاً في ما ذهبوا إليه من أفعال الطباع . ثم قال : قد ذهب كثير من الموحدين إلى أن الأجسام كلها مركبة من الطبائع الأربع ، وهي : الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة . واحتجوا في ذلك بانحلال كل جسم إليها وبما يشاهدونه من استحالتها كاستحالة الماء بخاراً ، والبخار ماءً ، والموات حيواناً ، والحيوان مواتاً ، ووجود النارية والمائية والهوائية والترايبية في كل جسم وأنه لا ينفك جسم من الأجسام من ذلك ولا يعقل على خلافه ولا ينحل إلا إليه ، وهذا ظاهر مكشوف لست أجد لدفعه حجة أعتمد عليها ، ولا أراه مفسداً لشيء من التوحيد أو العدل أو الوعيد أو النبوات أو الشرائع فأطرحه لذلك بل

جـ من كل فيلسوف ليس بحيث يمد وحيماً منزلاً ونصاً محكماً يستحق بذل الجهود في تفسيره وتأويله والتوفيق بينه وبين آراء سائر الحكماء وتطبيقه على المعارف الدينية الحقيقية .

٢ - ان كثيراً من مدارك التأييد والظمن ينتهي إلى ما ترجم عن كتب لا يعرف مؤلفها ومصنفها ، ولا يوثق بناقلها ومترجمها ، مثل ما ينسب طبيب إلى جالينوس ، أو شكاك إلى سقراطاً وربما ينسب كتاب إلى فيلسوف و يترجم بما انه حاك عن آراء مكتب خاص من المكاتب الفلسفية ثم بعد حين يشكك في النسبة وفي الترجمة وينسب إلى فيلسوف آخر من مكتب مخالف للمكتب الاول ، و يلتبس له شواهد وقرائن ربما لا تترجع على شواهد النسبة الاولى . و ما ندرى لعله لعبت بكثير من هذه التراجم أيدي خائنة ، أو حرفتها اقلام قاصرة أو مقصرة ، أضف إلى ذلك عويصة الاصطلاحات العلمية و نقلها إلى لسان آخر . فكيف نتمتع على مثلها في تمظيم رجال أو تحطيمهم ؟ لا سيما إذا انجر الامر إلى تقديسهم والحكم بلزوم اتباعهم والافتداء بهم بما أنهم أئمة المعرفة وأصحاب الكشف واليقين ، اوالى تكفيرهم والحكم عليهم بالخلود في النار ومضاعفة المذابح !

٣ - انه لو سلم لإلحاد متفلسف وانكاره للشرائع والنبوات فليس ذلك بحيث يسرى العادة إلى كل من سمى فيلسوفاً حتى وان كان مصرحاً بتصديق الانبياء ثم يجب علينا ان لا نقصر في

هو مؤيد للدين مؤكّد لأدلة الله تعالى على ربوبيته وحكمته و توحيده ، و ممن دان به من رؤساء المتكلمين النظام ، و ذهب إليه البلخي* و من اتبعه في المقال .

وقال الشيخ الرضي* أمين الدين الطبرسي* - نور الله مرقده - في مجمع البيان في تفسير سورة الفيل بعد إيراد القصّة المشهورة : و فيه حجة لائحة قاصمة لظهور الفلاسفة و الملحدين و المنكرين للآيات الخارقة للعادات ، فإنّه لا يمكن نسبة شيء ممّا ذكره الله من أمر أصحاب الفيل إلى طبع و غيره ، كما نسبوا الصيحة والريح العقيم والخسف وغيرها ممّا أهلك الله تعالى به الأُمم الخالية إلى ذلك ، إنذلا يمكنهم أن يروا في أسرار الطبيعة إرسال جماعات من الطير معها أحجار معدّة مهيبّة لهلاك أقوام معيّنين قاصدات إيّاهم دون من سواهم ، فترميهم بها حتّى تهلكهم و تدنّس عليهم ، لا يتعدى ذلك إلى غيرهم . ولا يشكّ من له مسكة من عقل ولبّ أن هذا لا يكون إلاّ من فعل الله

جـ قدحه والظمن عليه دون أن نحمل كلامه على التقيّة من المسلمين والخوف من التكفير والتشهير و الحاصل أن الحكم ليس دائراً مدار الاسم ، فليس طمن ققيه على الفلاسفة الملحدين داليل على بطلان رأى كل فيلسوف فى كل عصر و فى كل مسألة ، كما ان تحليل حكيم للفلاسفة الالهيين لا يصير دليلا على حقيقة جميع آراء الفلاسفة فى جميع الازمنة و الامكنة ا و الحق أحق أن يتبع أينما وجد .

٤- ان الذى ثبت من مدح الفلاسفة الالهيين أنهم رفعوا لواء التوحيد فى عهد وفى أرض كان يسيطر فكرة الشرك و الوثنية على القلوب ، و وجهوا أنظار الجمهور إلى ما وراء الطبيعة بينما كان ائمة الكفر يدعون الناس إلى الطبيعة والدنر ، و قادوا باهمم إلى العالم الابدى و حياة الاخرة حينما كانت تقصر على العالم المادى و تنخلد إلى الارض و الحياة الدنيا . و إذا كانت علوم الطب و الهندسة و امثالها ترتفع من مدى النبوة فلا غرو ان تكون منشأ تلك المعارف العالية تماثل رجال الوحى و ان وقع فيها بعد حين تحريف اوسوء تعبير و تفسير . و أما أنهم هل كانوا يدينون دين الحق ، أو كانوا يرفضون دعوة الانبياء و يجحدون الحق بما تمت عليهم الحجة وقامت عليهم البينة ، أو كانوا مختلفين فى ذلك ، فذلك مما لم يتحقق لنا بمد و لعل من يصر على أنهم ملحدون جاحدون للحق و يدعو عليهم بمضاعفة المذاب له حجة على مدعاه ، والله عليهم بذات الصدور . نستعين بالله تعالى من لحن القول و لهو الحديث و نسأله التوفيق لملازمة الحق و سواء الطريق .

تعالى مسبب الأسباب ، ومذلل الصعاب ، وليس لأحد أن ينكر هذا ، لأنّ نبينا صلى الله عليه وآله لما قرأ هذه السورة على أهل مكة لم ينكروا ذلك بل أقرّوا به وصدقوه مع شدة حرصهم على تكذيبه واعتنائهم بالردّ عليه ، وكانوا قريبي العهد بأصحاب الفيل ، فلولم يكن لذلك عندهم حقيقة وأصل لأنكروه وجحدوه. وكيف وإنهم قد أرتخوا بذلك كما أرتخوا بيناء الكعبة وموت قصي بن كعب وغير ذلك . وقد أكثر الشعراء ذكر الفيل ونظموه ونقلته الرواة عنهم .

وأقول : هذه الجناية على الدين ، و تشهير كتب الفلاسفة بين المسلمين ، من بدع خلفاء الجور المعاندين لأئمة الدين ، ليصرفوا الناس عنهم وعن الشرع المبين . ويدلّ على ذلك ما ذكره الصفدي في شرح لامية العجم : إنّ المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى - أظنه صاحب جزيرة قبرس - طلب منهم خزانة كتب اليونان - وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد - فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك فكلهم أشار بعدم تجهيزها إليه إلاّ الأمطان واحد فأنه قال : جهّزها إليهم ، ما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلاّ أفسدتها وأوقعت الاختلاف بين علمائها . وقال في موضع آخر : إنّ المأمون لم يتسكّر النقل والتعريب - أي لكتب الفلاسفة - بل نقل قبله كثير ، فإنّ يحيى بن خالد بن برمك عرب من كتب الفرس كثيراً مثل « كليلة ودمنة » وعرب لأجله كتاب « المجسطي » من كتب اليونان . والمشهور أنّ أول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما أطلع بكتب الكيمياء . ويدلّ على أنّ الخلفاء وأتباعهم كانوا مائلين إلى الفلسفة ، وأنّ يحيى البرمكي كان محباً لهم ناصراً لمذهبهم ما رواه الكشي بإسناده عن يونس بن عبد الرحمن ، قال : كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجد على هشام شيئاً من طعنه على الفلاسفة ، فأحبّ أن يغري به هارون ويضربه على القتل - ثم ذكر قصة طويلة في ذلك أوردناها في باب أحوال أصحاب الكاظم عليه السلام وفيها : - أنّه أخفى هارون في بيته ودعا هشاماً ليناظر العلماء وجرّوا الكلام إلى الإمامة وأظهر الحقّ فيها ، وأراد هارون قتله فهرب ومات من ذلك الخوف - زحمه الله - . وعدّ أصحاب الرجال من كتبه « كتاب الردّ على أصحاب الطوائف » و

« كتاب الردّ على أرسطاطا ليس » في التوحيد . وعدّ الشيخ منتجب الدين في فهرسه من كتب قطب الدين الراوندي « كتاب تهافت الفلاسفة » وعدّ النجاشي من كتب الفضل بن شاذان « كتاب ردّ على الفلاسفة » وهو من أجلة الأصحاب . و طعن عليهم الصدوق - ره - في مفتتح كتاب « إكمال الدين » . وقال الرازي عند تفسير قوله تعالى « كلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم » : فيه وجوه - ثم ذكر من جملة الوجوه - أن يريد علم الفلاسفة و الدهريين من بني يونان ، و كانوا إذا سمعوا بوحى الله صغروا علم الأنبياء إلى علمهم . وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له : أو هاجرت إليه ؟ فقال : نحن قوم مهذبون فلا حاجة إلى من يهذبنا . وقال الرازي في « المطالب العالية » : أظنّ أن قول إبراهيم لأبيه « ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً » إنما كان لأجل أن أباه كان على دين الفلاسفة ، وكان ينكر كونه تعالى قادراً و ينكر كونه تعالى عالماً بالجزئيات فلا جرم خاطبه بذلك الخطاب .

٢٥

﴿ باب نادر ﴾

١ - الخصال : عن أبيه ، عن محمد بن يحيى العطار ، عن محمد بن أحمد ، عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال : ما خلق الله عز وجل خلقاً إلا وقد أمر عليه آخر يغلبه به ، و ذلك أن الله تبارك و تعالى لما خلق السحاب (١) فخرت و زخرت و قالت : أي شيء يغلبني ؟ فخلق الله عز وجل الفلك فأدارها بها وذلّلها . ثم إن الأرض فخرت و قالت : أي شيء يغلبني ؟ فخلق الجبال فأثبتها في ظهرها أو تادأ منعها من أن تميد بما عليها فذلّت و استقرت . ثم إن الجبال فخرت على الأرض فشمخت و استطالت و قالت : أي شيء يغلبني ؟ فخلق الله الحديد فقطعها فقرت الجبال وذلّت . ثم إن الحديد فخر على الجبال وقال :

(١) في المصدر « البحار » و هو الصواب ظاهراً .

أي شيء يغلبني فخلق الله النار فأذابت الحديد فذل الحديد . ثم إن النار زفرت و شهقت و فخرت و قالت : أي شيء يغلبني ؟ فخلق الماء فأطفأها فذلت . ثم إن الماء فخر و زخر و قال : أي شيء يغلبني ؟ فخلق الريح فحركت أمواجه و أثارته ما في قعره و حبسته عن مجاريه فذل الماء . ثم إن الريح فخرت و عصفت و أرخت أذيالها و قالت : أي شيء يغلبني ؟ فخلق الإنسان فاحتال و اتخذ ما يستتر به من الريح و غيرها فذلت الريح . ثم إن الإنسان طغى و قال : من أشد مني قوة ؟ فخلق الموت فقهره فذل الإنسان . ثم إن الموت فخر في نفسه فقال الله - جل جلاله - : لا تفخر ، فانني أذبحك^(١) بين الفريقين : أهل الجنة و النار ، ثم لا أحييك أبداً ، فذل و خاف^(٢) .

بيان : « فخلق الله الفلك فأدارها بها » لعل المعنى أن الأفلاك بأجرامها النيرة مسلطة على السحاب تبعثها و تثيرها و تدنيها^(٣) و تفرقها . وقد مر برواية الكليني هكذا : « و ذلك أن الله تبارك و تعالى لما خلق البحار السفلى فخرت و زخرت و قالت : أي شيء يغلبني ؟ فخلق الأرض فسطحها على ظهرها فذلت ، ثم إن الأرض فخرت - إلى آخر الخبر - » و هو الظاهر ، بل لا يستقيم ما في الخصال كما لا يخفى ، و قد سبق شرح الخبر في الباب الأول .

٢ - الخصال : عن أبيه ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي نجران عن عاصم بن حميد ، عن محمد بن قيس ، عن أبي جعفر عليه السلام : في ما سأل رسول معاوية لأسئلة ملك الروم الحسن بن علي عليه السلام قال : و أمّا عشرة أشياء بعضها أشد من بعض فأشد شيء خلقه الله عز و جل الحجر ، و أشد من الحجر الحديد يقطع به الحجر ، و أشد من الحديد النار تذيب الحديد و أشد من النار الماء يطفىء النار ، و أشد من الماء السحاب يحمل الماء ، و أشد من السحاب الريح يحمل السحاب ، و أشد من الريح الملك الذي يرسلها ، و أشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك ، و أشد من ملك الموت الموت الذي يميت ملك الموت ، و أشد من الموت أمر [الله] رب العالمين

(١) في المصدر ، ذابحك .

(٢) الخصال : ٥٨ .

(٣) تذييها (خ) .

الَّذِي يَمِيتُ الْمَوْتِ (١) .

٣ - كتاب الغارات : لا إبراهيم بن محمد الثقفي ، عن الشعبي ، قال : قال ابن الكواء لأمير المؤمنين عليه السلام : أي [شيء] خلق الله أشد ؟ قال : إن أشد خلق الله عشرة : الجبال الرواسي ، والحديد تنحت به الجبال ، والنار تأكل الحديد ، والماء يطفئ النار ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض تحمل الماء ، والريح تقل السحاب والإنسان يغلب الريح يتقيها بيديه و يذهب لحاجته ، والسكر يغلب الإنسان ، والنوم يغلب السكر ، والهم يغلب النوم ، فأشد خلق ربك الهم .

٤ - العلل : عن أحمد بن محمد العلوي ، عن محمد بن إبراهيم بن أسباط ، عن أحمد ابن محمد بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن عبدالله ، عن عيسى بن جعفر العلوي العمري عن آبائه عن عمر بن علي ، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام أنه سئل : مما خلق الله عز وجل الذر الذي يدخل في كوة البيت ؟ فقال : إن موسى عليه السلام لما قال : رب أرني أنظر إليك ، قال الله عز وجل : إن استقر الجبل لنوري فأنت ستقوى علي أن تنظر إلي ، وإن لم يستقر فلا تطيق إبصاري لضعفك ، فلما تجلى الله تبارك وتعالى للجبل تقطع ثلاث قطع : قطعة ارتفعت في السماء ، و قطعة غاضت تحت الأرض ، و قطعة تفتت ، فهذا الذر من ذلك القبار غبار الجبل (٢) .

بيان : هذا الخبر على تقدير صحته و صدوره عن الإمام ، لعل المعنى أن له أيضاً مدخلة في تلك الذرات في بعض البلاد أو كلها بأن تكون تفرقت بقدرة الله تعالى في جميع البلاد .

(١) الخصال ، ٥٨٠ .

(٢) علل الشرائع ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

٣٦

﴿ باب ﴾

﴿ الممدوح من البلدان و المذموم منها و غيرها ﴾

الآيات :

يونس : ولقد بوأنا بني إسرائيل مبعوثاً صدق و رزقناهم من الطيبات (١) .
 الانبياء : و نجيناه و لو طأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين (٢) . وقال تعالى :
 و لسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها (٣) .
 المؤمنون : و آويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين (٤) .

القصص : آس من جانب الطور ناراً - إلى قوله تعالى - فلما أتيها نودي من
 شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنني أنا الله رب العالمين (٥) .
 سبأ : بلدة طيبة و رب غفور - إلى قوله تعالى - وجعلنا بينهم وبين القرى التي
 باركنا فيها قرى ظاهرة (٦) .

النازعات : أذناربه ربّه بالوادي المقدس طوى (٧) .

البلد : لا أقسم بهذا البلد و أنت حلّ بهذا البلد (٨) .

التين : و التين و الزيتون و طور سينين و هذا البلد الأمين (٩) .

تفسير : « مبعوثاً صدق » أي مكاناً محموداً حسناً ، و هو بيت المقدس و الشام ، و

(٢) الانبياء ، ٧١ .

(١) يونس ، ٩٣ .

(٣) المؤمنون ، ٥٠ .

(٣) الانبياء ، ٨١ .

(٦) سبأ ، ١٥ - ١٨ .

(٥) القصص ، ٢٩ - ٣٠ .

(٨) البلد ، ١ - ٢ .

(٧) النازعات ، ١٦ .

(٩) التين ، ١ - ٣ .

قيل : يريد به مصر . وقال عليّ بن إبراهيم : ردّهم إلى مصر و غرق فرعون (١) . « و رزقناهم من الطيبات » أي النعم اللذيذة « إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين » قيل : هي أرض الشام ، أي نجينا إبراهيم ولوطاً من « كوئا » إلى الشام ، وإنما قال « باركنا فيها » لأنّها بلاد خصب ، وقيل : إلى أرض بيت المقدس لأنّها بها مقام الأنبياء . و الحاصل أن أكثر أنبياء بني إسرائيل بعثوا في الشام وبيت المقدس ، فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادئ الخيرات الدنيّة و الدنيويّة . و قيل : نجّاهما إلى مكّة كما قال « إنّ أوّل بيت وضع للناس للذي ببكّة مباركاً وهدى للعالمين (٢) » روي ذلك عن ابن عباس . « إلى الأرض التي باركنا فيها » وهي أرض الشام لأنّها كانت مأواه كما ذكره المفسرون . « و آويناها » أي عيسى و أمّه « إلى ربوة » قال الطبرسيّ - ره - : أي جعلنا مأواهما مكاناً مرتفعاً مستويّاً واسعاً . و الربوة هي الرملة من فلسطين ، عن أبي هريرة . و قيل : دمشق ، عن سعيد بن المسيّب ، و قيل : مصر ، عن ابن زيد . و قيل : بيت المقدس ، عن قتادة و كعب ، قال كعب : وهي أقرب الأرض إلى السماء . و قيل : هي حيرة الكوفة و سوادها ، و القرار مسجد الكوفة و المعين الفرات ، عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام . و قيل : ذات قرار أي ذات موضع قرار أي هي أرض مستوية يستقرّ عليها ساكنوها ، و قيل : ذات ثمار ، لأنّه لأجل الثمار يستقرّ فيها ساكنوها ، و معين ماء جار و ظاهر للعيون (٣) .

« في البقعة المباركة » قال الطبرسيّ - ره - : هي البقعة التي قال فيها لموسى « اخلع نعليك إنّك بالواد المقدّس طوى » و إنّما كانت مباركة لأنّها معدن الوحي و الرسالة و كلام الله تعالى . و قيل : مباركة كثيرة (٤) الثمار و الأشجار و الخير و النعم بها ، و الأوّل أصحّ (٥) - انتهى - و أقول : روى في التهذيب عن الصادق عليه السلام أنّه قال :

(١) تفسير القمي ، ٢٩٢ .

(٢) آل عمران ، ٩٦ .

(٣) مجمع البيان ، ج ٧ ، ص ١٠٨ .

(٤) في المجمع : لكثرة الأشجار و الأثمار .

(٥) مجمع البيان ، ج ٧ ، ص ٢٥١ .

شاطيء الوادي الأيمن الذي ذكره الله في القرآن هو الفرات ، والبقعة المباركة هي كربلاء « بلدة طيبة » قيل : أي هذه بلدة تزده أرضها عذبة تخرج النبات وليست بسبخة وليس فيها شيء من الهوام المؤذية . وقيل : أراد به صحة هوائها وعذوبة مائها وسلامة تربتها وأنه ليس فيها حرٌّ يؤذي في القيظ وبرد يؤذي في الشتاء . « وبين القرى التي باركنا فيها » أي بالتوسعة على أهلها ، أو بما مرّ وهي قرى الشام ، وفي تفسير علي بن إبراهيم : هي مكة^(١) . « قرى ظاهرة » أي متواصلة يظهر بعضها لبعض . وقد مرّ تأويل « القرى التي باركنا فيها » بالأئمة عليهم السلام و « القرى الظاهرة » برواة أخبارهم و فقهاء شيعتهم و « السير » بالعلم « آمنين » من الشك والضلال . « بالوادي المقدس » أي المطهر « طوى » اسم الوادي الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام .

« لا أقسم بهذا البلد » قال الطبرسي - ره - : أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام « وأنت حل بهذا البلد » وأنت يا محمد مقيم به وهو محلك ، وهذا تنبيه على أن شرف البلد بشرف من حل فيه من الرسول الداعي إلى توحيده وإخلاص عبادته وبيان أن تعظيمه له وقسمه به لأجله عليه السلام و لكونه حالاً فيه ، كما سميت المدينة « طيبة » لأنها طابت به حياً وميتاً . وقيل : معناه لا أقسم بهذا البلد وأنت حل فيه منتهك الحرمه ، فلم يبق للبلد حرمة حيث هتك حرمتك ، عن أبي مسلم ، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كانت قريش تعظم البلد وتستحلّ حرمها فيه فقال : لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ، يريد : أنهم استحلوك فيه فكذبوك وشتموك وكانوا لا يأخذ الرجل منهم فيه قاتل أبيه . ويتقلدون لحاء شجر الحرم فيأمنون بتقليدهم إياه فاستحلوا من رسول الله عليه السلام ما لم يستحلوا من غيره فعاب الله ذلك عليهم^(٢) . وقال - قدس سره - في قوله سبحانه « و التين و الزيتون » : أقسم الله سبحانه بالتين الذي يؤكل والزيتون الذي يعصر منه الزيت ، عن ابن عباس وغيره . وقيل : التين الجبل

(١) تفسير القمي : ٣٨٠ .

(٢) مجمع البيان : ١٠٥ ، ص ٤٩٢ .

الذي عليه دمشق ، و الزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس ، عن قتادة . وقال عكرمة :
 هما جبالان ، وإنما سميا بهما لأنهما نبتا^(١) بهما ، وقيل : التين مسجد دمشق والزيتون
 بيت المقدس ، عن كعب الأ جبار وغيره . وقيل : التين مسجد نوح عليه السلام الذي بنى على
 الجودي ، و الزيتون بيت المقدس ، عن ابن عباس . وقيل : التين مسجد الحرام و
 الزيتون المسجد الأقصى ، عن الضحاك . « و طور سينين » يعني الجبل الذي كلم الله
 عليه موسى عليه السلام عن الحسن . وسينين و سيناء واحد ، وقيل : إن سينين معناه المبارك
 الحسن كأنه قيل : جبل الخير الكثير لأنه إضافة تعريف ، عن مجاهد و قتادة . وقيل :
 معناه كثير النبات والشجر ، عن عكرمة . وقيل : إن كل جبل فيه شجر مشر^(٢) فهو
 سينين و سيناء بلغة النبط ، عن مقاتل ، وروي عن موسى بن جعفر عليه السلام : و طور سيناء
 « وهذا البلد الأمين » يعني مكة البلد الحرام يأمن فيه الخائف في الجاهلية والإسلام
 فالأمين بمعنى المؤمن ، مؤمن^(٣) من يدخله ، وقيل : هو بمعنى الآمن ، ويؤيده قوله
 « إننا جعلناه حرماً آمناً^(٤) » .

الكشي : قال : وجدت بخط جبرئيل بن أحمد ، حدثني محمد بن عيسى ، عن
 محمد بن الفضيل ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن الهيثم بن واقد ، عن ميمون بن
 عبد الله ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن علياً عليه السلام لما أراد الخروج من
 البصرة قام على أطرافها ثم قال : لعنك الله يا أثنى الأرض تراباً ، و أسرعها خراباً ، و
 أشدّها عذاباً ، فيك الداء الدوي^(١) : قيل : ما هو يا أمير المؤمنين ! قال : كلام القدر الذي
 فيه القرية على الله ، و بغضنا أهل البيت ، و فيه سحق الله و سحق نبيّه ، و كذبهم علينا
 أهل البيت واستحلالهم الكذب علينا .

٢ - معاني الاخبار و الخصال : عن الحسين بن ^(٥) إدريس ، عن أبيه ، عن

(١) في المصدر : ينبتان

(٢) فيه ، وتمر . (٣) في المصدر ، يؤمن .

(٤) مجمع البيان : ج ١٠ ، ص ٥١٠ .

(٥) ددا في الخصال ، و رواها في المعاني عن أبيه عن محمد بن يحيى العطار ، عن

محمد بن أحمد بن خالد عن أبي عبد الله الرازي - الخ - .

محمد بن أحمد الأشعري ، عن أبي عبد الله الرازي ، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان عن موسى بن بكر ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله اختار من البلدان أربعة ، فقال عز وجل « و التين و الزيتون و طور سينين و هذا البلد الأمين » فالتين المدينة و الزيتون بيت المقدس ، و طور سينين الكوفة ، و هذا البلد الأيمن مكة - الخبر - (١) .

بيان : لعله إنما كنى عن المدينة بالتين لوفوره وجودته فيها ، أولكونها من أشرف البلاد كما أن التين من أفاضل الثمار كما سيأتي . و كنى عن الكوفة بطور سينين لأن ظهرها و هو النجف كان محل مناجاة سيد الأوصياء كما أن الطور كان محل مناجاة الكليم ، أو لأن الجبل الذي سأل عليه موسى الرؤية فتقطع وقع جزء منه هناك كما ورد في بعض الأخبار ، أو أنه لما أراد ابن نوح أن يعتصم بهذا الجبل تقطع فصار بعضها في طور سيناء ، أو أنه هو طور سيناء حقيقة و غلط فيه المفسرون واللغويون كما روى الشيخ في التهذيب بإسناده عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان في وصية أمير المؤمنين عليه السلام أن أخرجوني إلى الظهر فإذا تصوت بأقدامكم واستقبلتكم ريح فادفوني ، وهو أول طور سيناء . ففعلوا ذلك .

٣ - **المجالس لابن الشيخ :** عن أبيه ، عن المفيد ، عن أحمد بن محمد بن الوليد عن أبيه ، عن الصفار ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن الحسن بن أبي فاختة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما قتل الحسين عليه السلام بكت عليه السماوات السبع و الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب في الجنة و النار وما يرى وما لا يرى إلا ثلاثة أشياء : البصرة ، و دمشق ، و آل الحكم بن العاص - الخبر - .

بيان : بكاء البلاد و البقاع بكاء أهلها و ظهور آثار الحزن فيهم .

٤ - **العلل :** في خبر الشامي أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن أكرم وادٍ على وجد الأرض ، فقال له : وادٍ يقال له « سرانديب » (٢) سقط فيه آدم من السماء . و

(١) معاني الاخبار ، ٣٦٥ ، الخصال ، ١٠٥ .

(٢) سرانديب (خ) .

سأله عن شرّ وادٍ على وجه الأرض فقال : وادٍ باليمن يقال له « برهوت » و هو من أودية جهنّم (١) .

بيان : قال في النهاية : في حديث عليّ « شرّ بئر في الأرض برهوت » هي بفتح الباء والراء بئر عميقة بحضرموت لا استطاع النزول إلى قعرها . وقيل : برهوت بضمّ الباء و سكون الراء ، فتكون تأوها على الأوّل زائدة و على الثاني أصليّة ، أخرجها الهرويّ عن عليّ ، وأخرج الطبرانيّ في المعجم عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ . و قال الفيروزآبادي : برهوت وادٍ و بئر بحضرموت - انتهى - و كونه من أودية جهنّم لشباهته بها و لتعذيب أرواح الكفّار فيه كما ورد في الأخبار ، ويحتمل أن يكون لجهنّم طريق إليه .

٥ - الخصال : عن أحمد بن الحسن القطّان و عليّ بن أحمد بن موسى ، عن أحمد ابن يحيى بن زكريّا القطّان ، عن بكر بن عبد الله بن حبيب ، عن تميم بن بهلول ، عن أبي معاوية الضير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن محمد الطيّب قال : ستّة عشر صنفاً من أمة جدّي لا يحبّوننا ولا يحبّبوننا إلى الناس - إلى أن قال - و أهل مدينة تدعى « سجستان » هم لنا أهل عداوة و نصب ، وهم شرّ الخلق و الخليقة ، عليهم من العذاب ما على فرعون و هامان و قارون ، و أهل مدينة تدعى « الريّ » هم أعداء الله و أعداء رسوله و أعداء أهل بيته يرون حرب أهل بيت رسول الله ﷺ جهاداً و مالهم مغنماً و لهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا و الآخرة و لهم عذاب مقيم ، و أهل مدينة تدعى « الموصل » هم شرّ من على وجه الأرض ، و أهل مدينة تسمى « الزوراء » تبنى في آخر الزمان يستشفون بدمائنا ، ويتقرّبون ببيغضنا ، يوالون في عداوتنا ، و يرون حربنا فرضاً ، و قتالنا حتماً . يا بنيّ فاحذر هؤلاء ثمّ احذرهم فإنّه لا يخلو اثنان منهم بأحد من أهلك إلّا همّوا بقتله - الخبر (٢) - .

بيان : الموصل - بفتح الميم و سكون الواو - معروف ، و الزوراء يطلق على دجلة

(١) الملل : ج ٢ ، ص ٢٨٢ .

(٢) الخصال : ٩٦٠ .

بغداد وعلى بغداد لأن أبوابها الداخلة جعلت مزورة عن الخارجة ، ويمكن أن تتبدل أحوال أهل هذه البلاد باختلاف الأزمنة ويكون ما ذكر في الخبر حالهم في ذلك الزمان .

٦ - **العلل** : عن علي بن عبد الوراق ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد ابن عيسى و الفضل بن عامر ، عن سليمان بن مقبل ، عن محمد بن زياد الأزدي ، عن عيسى بن عبد الله الأشعري عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : حدثني أبي عن جدي عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما أُسري بي إلى السماء حملني جبرئيل على كتفه الأيمن فنظرت إلى بقعة بأرض الجبل حمراء أحسن لوناً من الزعفران و أطيّب ريحاً من المسك ، فإذا فيها شيخ على رأسه برنس ، فقلت لجبرئيل : ما هذه البقعة الحمراء التي هي أحسن لوناً من الزعفران و أطيّب ريحاً من المسك ؟ قال : بقعة شيعتك وشيعة وصيّك عليّ . فقلت : من الشيخ صاحب البرنس ؟ قال : إبليس . قلت : فما يريد منهم ؟ قال : يريد أن يصدّهم عن ولاية أمير المؤمنين و يدعوهم إلى الفسق و الفجور ، فقلت : يا جبرئيل أهو بنا إليهم ، فأهوى بنا إليهم أسرع من البرق الخاطف والبصر اللامح . فقلت : قم يا ملعون ! فشارك أعداءهم في أموالهم وأولادهم ونسائهم ، فإن شيعتي وشيعة عليّ . ليس لك عليهم سلطان . فسميت « قم » (١) .

بيان : البرنس قلنسوة طويلة كان النساءك يلبسونها في صدر الإسلام ، ذكره الجوهري .

٧ - **الاختصاص** : روى علي بن محمد العسكري عن أبيه ، عن جده ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما أُسري بي إلى السماء الرابعة نظرت إلى قبّة من لؤلؤ لها أربعة أركان و أربعة أبواب كأنها من إستبرق أخضر ، قلت : يا جبرئيل ما هذه القبّة التي لم أر في السماء الرابعة أحسن منها ؟ فقال : حبيبي محمد ، هذه صورة مدينة يقال لها « قم » يجتمع فيها عباد الله المؤمنون ينتظرون محمداً و شفاعته للقيامة و الحساب ، يجري عليهم الغمّ و الهمّ و الأحزان و المكارد . قال : فسألت علي بن محمد العسكري عليه السلام : متى ينتظرون الفرج ؟ قال : إذا ظهر الماء علي وجه الأرض (٢) .

(٢) الاختصاص : ١٠١ .

(١) الملل ، ٢٣ ، ص ٢٥٩ .

تاريخ قم : عن أبي مقاتل الديلمي عنه عليه السلام مثله .

بيان : المراد به إما ظهور الماء في أصل البلد ، أو لم يكن في هذا الزمان فيه ماء جارٍ أصلاً ، كما ذكر في تاريخ قم مبدأ حدوث الوادي بقم و أنه كانت فيه قنوات ولم يكن فيه نهر جارٍ .

٨ - تفسير علي بن ابراهيم : عن الحسين بن عبد الله السكيني ، عن أبي سعيد البجلي ، عن عبد الملك بن هارون ، عن أبي عبد الله عن آباءه - صلوات الله عليهم - قال لما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أمر معاوية و أنه في مائة ألف ، قال : من أي القوم ؟ قالوا : من أهل الشام . قال : لا تقولوا من أهل الشام ، ولكن قولوا : من أهل الشام ، هم أبناء مصر لعنوا على لسان داود عليه السلام فجعل الله منهم الفردة و الخنازير - الخبر (١) - .

بيان : يمكن الجمع بين الآيات و الأخبار الواردة في مدح الشام و مصر و زمه بما أوامناً إليه سابقاً من اختلاف أحوال أهله في الأزمان ، فإنه كان في أول الزمان محل الأتباء و الصلحاء فكان من البلاد المباركة الشريفة ، فلما صار أهله من أشقى الناس و أكفرهم صار من شر البلاد ، كما أن يوم عاشوراء كان من الأيام المتبركة - كما يظهر من بعض الأخبار - فلما قتل فيه الحسين عليه السلام صار من أنحس الأيام .

٩ - قرب الاسناد : عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن البرزطي ، قال : قلت للرضا عليه السلام : إن أهل مصر يزعمون أن بلادهم مقدسة . قال : و كيف ذلك ؟ قلت : جعلت فداك ، يزعمون أنه يحشر من جيلهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ! قال : لا ، لعمرى ما ذاك كذلك ، و ما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر ، و لا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها . ولقد أوحى الله تبارك و تعالى إلى موسى عليه السلام أن يخرج عظام يوسف منها ، فاستدل موسى على من يعرف القبر ، فدل على امرأة عمياء زمنة ، فسألها موسى أن تدله عليه ، فأبت إلا على خصلتين : فيدعو الله فيذهب زمانتها و يصيرها معه في الجنة في الدرجة التي هوفها ، فأعظم ذلك موسى ، فأوحى الله إليه

(١) تفسير القمي ، ٥٩٦ .

وما يعظم عليك من هذا أعطها ما سألت . ففعل فتوعدته (١) طلوع القمر ، فحبس الله القمر حتى جاء موسى لموعده ، فأخرجه من النيل في سبط مرمر ، فحمله موسى عليه السلام ولقد قال رسول الله ﷺ : لا تغسلوا رؤسكم بطينها ولا تأكلوا في فخارها فإنه يورث الذلّة و يذهب الغيرة . قلنا له : قد قال ذلك رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم (٢) .

العياشي : عن علي بن أسباط عن الرضا عليه السلام مثله .

١٠ - **البصائر** : عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن أبي جميلة ، عن محمد الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة .

بيان : أي قبولاً كاملاً كما في الخبر الآتي .

١١ - **البهائر** : عن يعقوب بن يزيد ، عن ابن سنان ، عن عتيبة بن يساف القصب عن أبي بصير ، قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إن ولايتنا عرضت على السموات والأرض والجبال والأمصار ما قبلها قبول أهل الكوفة .

١٢ - **النهج** : من كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة : كأنني بك يا كوفة تمدّين مدّة الأديم العكاظي ، تُعركين بالنوازل ، و تُركبين بالزلازل ، وإنني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوء إلا ابتلاه الله بشاغل ، و رماه بقاتل .

بيان : « الأديم » الجلد أو مدبوغه ، و « عكاظ » بالضم موضع بناحية مكة كانت العرب تجتمع في كل سنة و يقيمون به سوقاً مدة شهر و يتعاكظون أي يتفاخرون و يتناشدون ، و ينسب إليه الأديم لكثرة البيع فيه ، و الأديم العكاظي مستحکم الدباغ شديد المدّة ، و ذلك وجه الشبه ، و العرك : الدلك و الحك ، و عركه : أي حمل عليه الشر ، و عركت القوم في الحرب : إذا مارسهم حتى أتعبتهم (٣) « و النوازل » المصائب و الشدائد ، و « الزلازل » البلايا . و « تركبين » - على بناء المجهول كالفعلين السابقين -

(١) في المصدر و بعض نسخ الكتاب ، فوعدته

(٢) قرب الاسناد ، ٢٢٠ .

(٣) اتبعتهم (خ) .

أي تُجعلين مركوبة لها أو بها على أن تكون الباء للسببية كالسابقة . و الشدائد التي أصابت الكوفة وأهلها معروفة مذكورة في السير . و روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا . و عن الصادق عليه السلام أنه قال : تربة تحبنا ونحبها . و عنه عليه السلام : اللهم ارم من رماها ، و عاد من عادها . و قال محمد بن الحسين الكيدير في شرح النهج : فمن الجابرة الذين ابتلاهم الله بشاغل فيها زياد ، وقد جمع الناس في المسجد ليلعن علياً - صلوات الله عليه - فخرج الحاجب و قال : انصرفوا ، فإن الأمير مشغول ، وقد أصابه الفالج في هذه الساعة ! و ابنه عبيد الله بن زياد وقد أصابه الجذام ، و الحجاج بن يوسف وقد تولدت الحيات في بطنه حتى هلك ، و عمر بن هبيرة و ابنه يوسف وقد أصابهما البرص ، و خالد القسري قد حبس فطولب حتى مات جوعاً . و أمّا الذين رماهم الله بقاتل فعبده الله بن زياد ، ومصعب بن الزبير ، وأبو السرايا و غيرهم قتلوا جميعاً ، و يزيد بن المهلب قتل على أسوأ حال .

١٣ - القصص : بالإسناد إلى الصدوق ، بإسناده عن ابن محبوب ، عن داود الرقي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان أبو جعفر - صلوات الله عليهما - يقول : نعم الأرض الشام و بش القوم أهلها اليوم ، و بش البلاد مصر ، أما إننا سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل ، ولم يكن دخل بنو إسرائيل مصر إلا من سخطه و معصية منهم لله ، لأن الله عز و جل قال « ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم (١) » ، يعني الشام ، فأبوا أن يدخلوها و عصوا فتأهوا في الأرض أربعين سنة . قال : و ما كان خروجهم من مصر و دخولهم الشام إلا من بعد توبتهم و رضا الله عنهم . ثم قال أبو جعفر - صلوات الله عليه - إنني أكره أن آكل شيئاً طبخ في فخار مصر ، و ما أحب أن أغسل رأسي من طينها مخافة أن تورثني تربتها الذل و تذهب بغيرتي .

العياشي : عن داود مثله .

١٤ - القصص : بالإسناد إلى الصدوق ، عن أبيه ، عن سعد ، عن ابن أبي الخطاب عن ابن أسباط ، عن الحسين بن أحمد ، عن أبي إبراهيم الموصلي ، قال : قلت لأبي

عبدالله عليه السلام : إن بني ^(١) ينازعني مصر . فقال : مالك و مصر ؟ أما علمت أنها مصر الحتوف ١٤ ولا أحسبه إلا قال : يساق إليها أقصر الناس أعمارا .

١٥ - و منه : بهذا الإسناد ، عن ابن أسباط ، عن أحمد بن محمد بن الحضير ، عن يحيى بن عبدالله بن الحسن ، رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اتحوا مصر ولا تطلبوا الملك فيها . ولا أحسبه إلا قال : وهو يورث الديانة .
بيان : قال في القاموس : نحاء قصده كاتحاه .

١٦ - القصص : بالإسناد المتقدم عن ابن أسباط ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : لا تأكلوا في فخارها ولا تغسلوا رؤسكم بطينها فإنها تورث الذلّة و تذهب بالغيرة .

١٧ - كامل الزيارة : عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن الحسين بن عبيدالله عن الحسن بن علي بن أبي عثمان ، عن عبد الجبار ، عن أبي سعيد ، عن الحسين بن ثوير و يونس و أبي سلمة السراج و المفضل بن عمر قالوا سمعنا أبا عبدالله عليه السلام يقول ملأ مضي أبو عبدالله الحسين بن علي - صلوات الله عليهما - بكى عليه جميع ما خلق الله إلا ثلاثة أشياء : البصرة ، و دمشق ، و آل عثمان ^(٢) .

١٨ - الكشي : عن محمد بن مسعود و علي بن محمد معاً ، عن الحسين بن عبيدالله عن عبدالله بن علي ، عن أحمد بن حمزة ، عن عمران القمي ، عن حماد الزاب قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام ونحن جماعة إذ دخل عليه عمران بن عبدالله القمي فسأله و برّه و بشّه ، فلما أن قام قلت لأبي عبدالله عليه السلام : من هذا الذي بررت به هذا البرّ فقال : من أهل البيت النجباء - يعني أهل قم - ما أرادهم جبار من الجبابرة إلا قصمه الله .

١٩ - و منه : بهذا الإسناد ، عن أحمد بن حمزة ، عن المرزبان بن عمران ، عن أبان بن عثمان ، قال : دخل عمران بن عبدالله على أبي عبدالله عليه السلام فقال له : كيف أنت ؟ و كيف ولدك ؟ و كيف أهلك ؟ و كيف بنو عمك ؟ و كيف أهل بيتك ؟ ثم حدثته ملياً ، فلما خرج قيل لأبي عبدالله عليه السلام : من هذا ؟ قال : هذا نجيب قوم النجباء ، ما

(١) ابني (خ) .

(٢) كامل الزيارة : ٨٠ .

نصب لهم جبار إلا قصمه الله . قال حسين : عرضت هذين الحديثين على أحمد بن حمزة فقال : أعرفهما ولا أحفظ من رواهما لي .

٢٠ - كتاب تاريخ قم تأليف الحسن بن محمد بن الحسن القمي* : قال روى سعد ابن عبدالله بن أبي خلف ، عن الحسن بن محمد بن سعد ، عن الحسن بن علي الخزازي* عن عبدالله بن سنان ، سئل أبو عبدالله عليه السلام : أين بلاد الجبل ؟ فأنا قد روينا أنه إذا رد إليكم الأمر يخسف ببعضها . فقال : إن فيها موضعاً يقال له « بحر » ويسمى بقم وهو معدن شيعتنا ، فأما الري فويل له من جناحيه ، وإن الأمان فيه من جهة قم وأهله . قيل : وما جناحاه ؟ قال عليه السلام : أحدهما بغداد ، والآخر خراسان ، فإنه تلقتني فيه سيوف الخراسانيين وسيوف البغداديين ، فيعجل الله عقوبتهم ويهلكهم فيأوي أهل الري إلى قم فيؤوئوهم أهلهم ثم ينتقلون منه إلى موضع يقال له « أردستان » .

٢١ - وبإسناده عن عبد الواحد البصري* ، عن أبي وائل ، عن عبدالله الليثي* عن ثابت البناني* (١) عن أنس بن مالك قال : كنت ذات يوم جالساً عند النبي ﷺ إذ دخل عليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال ﷺ : إلي يا أبا الحسن ، ثم اعتنقه وقبل [ما] بين عينيه وقال : يا علي إن الله عز اسمه عرض ولايتك على السموات ، فسبقت إليها السماء السابعة فزيّنها بالعرش ، ثم سبقت إليها السماء الرابعة فزيّنها بالبيت المعمور ، ثم سبقت إليها السماء الدنيا فزيّنها بالكواكب ، ثم عرضها على الأرضين فسبقت إليها مكة فزيّنها بالكعبة ، ثم سبقت إليها المدينة فزيّنها بي ، ثم سبقت إليها الكوفة فزيّنها بك ، ثم سبق إليها قم فزيّنها بالعرب وفتح إليه باباً من أبواب الجنة .

٢٢ - وعن محمد بن قتيبة الهمداني* والحسن بن علي الكشمارجاني* (٢) عن علي ابن النعمان ، عن أبي الأكراد علي بن ميمون الصائغ ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

(١) في أكثر النسخ « ثابتة الشباني » وفي بعضها « ثابت النباني » والظاهر ان الصواب ما أئتمناه في المتن وهو ثابت بن أسلم البناني - بضم الموحدة منسوب الى بنائه وهم بنو سعد بن لوى - وهو الذي يروي عن أنس بن مالك وغيره .

(٢) الكشمارجاني (خ) .

إن الله احتج بالكوفة على سائر البلاد وبالْمؤمنين من أهلها على غيرهم من أهل البلاد واحتج ببلدة قم على سائر البلاد ، و بأهلها على جميع أهل المشرق و المغرب من الجن و الإنس ، ولم يدع الله قم وأهله مستضعفاً بل وفقهم و أيدهم . ثم قال : إن الدين و أهله بقم ذليل ، ولولا ذلك لأسرع الناس إليه فخرّب قم وبطل أهلها فلم يكن حجة على سائر البلاد ، و إذا كان كذلك لم تستقر السماء و الأرض ولم ينظروا طرفة عين و إن البلايا مدفوعة عن قم و أهله ، و سيأتي زمان تكون بلدة قم و أهلها حجة على الخلائق ، و ذلك في زمان غيبة قائمنا عليه السلام إلى ظهوره ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ، و إن الملائكة لتدفع البلايا عن قم و أهله ، و ما قصده جبار بسوء إلا قصمه قاصم الجبارين و شغله عنهم بدهية أومصية أوعدو ، و ينسى الله الجبارين في دولتهم ذكر قم و أهله كما نسوا ذكر الله .

٢٣ - ثم قال : و روي بأسانيد عن الصادق عليه السلام أنه ذكر كوفة وقال : ستخلو كوفة من المؤمنين و يأزر عنها العلم كما تأزر الحية في جحرها ، ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم ، و تصير معدناً للعلم و الفضل حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتى المخدرات في الحجال ، و ذلك عند قرب ظهور قائمنا ، فيجعل الله قم و أهله قائمين مقام الحجة ، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ولم يبق في الأرض حجة ، فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد في المشرق و المغرب ، فيتم حجة الله على الخلق حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين و العلم ، ثم يظهر القائم عليه السلام و يسير سبباً لنعمة الله و سخطه على العباد ، لأن الله لا ينتقم من العباد إلا بعد إنكارهم حجة .

٢٤ - و عن أبي مقاتل الديلمي نقيب الري ، قال : سمعت أبا الحسن علي بن محمد عليه السلام يقول : إنما سمي قم به لأنه لما وصلت السفينة إليه في طوفان نوح عليه السلام قامت ، و هو قطعة من بيت المقدس .

٢٥ - و عن الحسن بن يوسف ، عن خالد بن يزيد ^(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

(١) في أكثر النسخ « خالد بن أبي يزيد » و الظاهر أنه أبو يزيد خالد بن يزيد العكلى الثقة ، فاشتبه على بعض النساخ كنيته بكنية أبيه .

- إن الله اختار من جميع البلاد كوفة وقم وتفليس .
- ٢٦ - وعن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي جميلة المفضل ابن صالح ، عن رجل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا عمّت البلدان الفتن فعليكم بقم وحواليها ونواحيها ، فإن البلاء مدفوع عنها .
- ٢٧ - وعن أحمد بن خزرج بن سعد ، عن أخيه موسى بن خزرج ، قال : قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام : أتعرف موضعاً يقال له « واردة هار » ؟ قلت : نعم ، ولي فيه ضيعتان . فقال : الزمه وتمسك به . ثم قال ثلاث مرّات : نعم الموضع واردة هار .
- ٢٨ - وعن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن خالد البرقي ، عن سعد بن سعد الأشعري ، عن جماعة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا عمّت البلايا فالأمن في كوفة ونواحيها من السواد وقم من الجبل ، ونعم الموضع قم للخائف الطائف .
- ٢٩ - وعن محمد بن سهل بن اليسع ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا فقد الأمان من العباد وركب الناس على الخيول واعتزلوا النساء والطيب فالهرب الهرب عن جوارهم . فقلت : جعلت فداك ، إلى أين ؟ قال : إلى الكوفة ونواحيها ، أو إلى قم وحواليها فإن البلاء مدفوع عنهما .
- ٣٠ - وعن يعقوب بن يزيد ، عن محمد بن أبي عمير ، عن جميل بن درّاج ، عن زرارة بن أعين ، عن الصادق عليه السلام قال : أهل خراسان أعلامنا ، وأهل قم أنصارتنا ، وأهل كوفة أوتادنا ، وأهل هذا السواد منّا ونحن منهم .
- ٣١ - وعن سهل بن زياد ، عن عبد العظيم الحسني ، عن إسحاق الناصح مولى جعفر ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : قم عش آل محمد و ماوى شيعتهم ، ولكن سيهلك جماعة من شبابهم بمعصية^(١) آبائهم والاستخفاف والسخرية بكبرائهم ومشايخهم ومع ذلك يدفع الله عنهم شرّ الأعادي وكلّ سوء .
- ٣٢ - وعن سهل ، عن الحسين بن محمد الكوفي ، عن محمد بن حمزة بن القاسم العلوي ، عن عبد الله بن العباس الهاشمي ، عن محمد بن جعفر ، عن أبيه الصادق عليه السلام

(١) بقوبة (خ) .

قال : إذا أصابتكم بليّة وعناء فعليكم بقم ، فإنّه ماوى الفاطميّين ، ومستراح المؤمنين و سيأتي زمان ينفر أولياؤنا و محبّونا عنّا و يبعدون منّا ، و ذلك مصلحة لهم لكيلا يعرفوا بولايتنا ، و يحقنوا بذلك دماءهم و أموالهم . وما أراد أحد بقم و أهله سوءاً إلاّ أذله الله و أبعده من رحمتد .

٣٣ - وعن سهل ، عن أحمد بن عيسى البرزّاز القميّ ، عن أبي إسحاق العلاف النيشابوريّ ، عن واسط بن سليمان ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : إنّ للجنة ثمانية أبواب ، و لأهل قم واحد منها ، فطوبى لهم ، ثمّ طوبى لهم ، ثمّ طوبى لهم .
٣٤ - و عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كنّا عنده جالسين إذ قال مبتدئاً : خراسان ! خراسان ! سجستان ! سجستان ! كأنّي أنظر إلى أهلها راكبين على الجمال مسرعين إلى قم .

٣٥ - وعن يعقوب بن يزيد ، عن أبي الحسن الكرخيّ ، عن سليمان بن صالح قال : كنّا ذات يوم عند أبي عبدالله عليه السلام فذكر قنن بني عبّاس وما يصيب الناس منهم فقلنا : جعلنا فداك ، فأين المفزع والمفرّ في ذلك الزمان ؟ فقال : إلى الكوفة وحواليها و إلى قم و نواحيها . ثمّ قال : في قم شيعتنا و مواليها ، و تكثرت فيها العمارة ، و يقصده الناس و يجتمعون فيه حتّى يكون الجمر بين بلدتهم .
و في بعض روايات الشيعة أنّ قم يبلغ من العمارة إلى أن يشتري موضع فرس بألف درهم .

٣٦ - و في خطبة الملاحم لأمير المؤمنين عليه السلام التي خطب بها بعد وقعة الجمل بالبصرة قال : يخرج الحسينيّ صاحب طبرستان مع جمّ كثير من خيله و رجله حتّى يأتي نيسابور فيفتحها و يقسم أبوابها ثمّ يأتي إصبهان ، ثمّ إلى قم ، فيقع بينه و بين أهل قم وقعة عظيمة يقتل فيها خلق كثير فينهمز أهل قم ، فينهب الحسينيّ أموالهم و يسبي ذراريهم و نساءهم و يخرب دورهم ، فيفرع أهل قم إلى جبل يقال لها « و راردهار » فيقيم الحسينيّ ببلدهم أربعين يوماً ، و يقتل منهم عشرين رجلاً ، و يصلب منهم رجلين ثمّ يرحل عنهم .

٣٧- وعن علي بن عيسى ، عن أيوب بن يحيى الجندل ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : رجل من أهل قم يدعوا الناس إلى الحق ، يجتمع معه قوم كزبر الحديد ، لاتزله الرياح العواصف ، ولا يملون من الحرب ، ولا يجبنون ، وعلى الله الله يتوكلون ، والعاقبة للمتقين .

٣٨- و بإسناده عن عفتان البصري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لي : أتدري لِمَ سمي قم ؟ قلت : الله ورسوله وأنت أعلم . قال : إنما سمي قم لأن أهلها يجتمعون مع قائم آل محمد - صلوات الله عليه - ويقومون معه ويستقيمون عليه وينصرونه .

٣٩- وعن علي بن عيسى ، عن علي بن محمد الربيع ، عن صفوان بن يحيى يساع السابري قال : كنت يوماً عند أبي الحسن عليه السلام فجرى ذكر قم وأهلها وميلهم إلى المهدي عليه السلام فترحم عليهم وقال : رضي الله عنهم . ثم قال : إن للجنة ثمانية أبواب وواحد منها لأهل قم ، وهم خيار شيعتنا من بين سائر البلاد ، حمر الله تعالى ولايتنا في طينتهم .

٤٠- و روى بعض أصحابنا قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالسا إذ قرأ هذه الآية « حتى إذا جاء وعد أوليها بعثنا عليهم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » فقلنا : جعلنا فداك ، من هؤلاء ؟ فقال ثلاث مرّات : هم والله أهل قم .

٤١- و روى عن عدة من أهل الري أنهم دخلوا على أبي عبد الله عليه السلام وقالوا : نحن من أهل الري . فقال : مرحباً يا خواننا من أهل قم ! فقالوا : نحن من أهل الري فأعاد الكلام ، قالوا ذلك مراراً وأجابهم بمثل ما أجاب به أولاً ، فقال : إن لله حرماً وهو مكة ، و إن للرسول ^(١) حرماً وهو المدينة ، و إن لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة ، و إن لنا حرماً وهو بلدة قم ، و ستدفن فيها امرأة من أولادي تسمى فاطمة

فمن زارها وجبت له الجنة . قال الراوي : و كان هذا الكلام منه قبل أن يولد الكاظم عليه السلام .

٤٢ - وفي روايات الشيعة أن رسول الله ﷺ لما أُسري به رأى إبليس باركاً بهذه البقعة فقال له : قم ياملعون ! فسميت بذلك .

٤٣ - وروي عن الأئمة عليهم السلام : لولا القميون لصاع الدين .

٤٤ - وروي مرفوعاً إلى محمد بن يعقوب الكليني بإسناده إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام قال : إذا عمّت البلدان الفتن فعليكم بقم وحواليها ونواحيها ، فإنّ البلاء مرفوع عنها .

٤٥ - وقال عليه السلام لزيد بن آدم القمي حين قال الشيخ عنده : ياسيدي إنّي أريد الخروج عن أهل بيتي ، فقد كثرت السفهاء . فقال : لا تفعل ، فإنّ البلاء يدفع بك عن أهل قم ، كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام .

٤٦ - وعن سهل بن زياد ، عن علي بن إبراهيم الجعفري ، عن محمد بن الفضيل عن عدّة من أصحابه ، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال : إنّ لعلي قم ملكاً رفرف عليها بجناحيه لا يريد لها جبار سوء إلاّ أنا به الله كذوب الملح في الماء . ثمّ أشار إلى عيسى بن عبدالله فقال : سلام الله على أهل قم . يسقي^(١) الله بلادهم الغيث ، و ينزل الله عليهم البركات ، و بيدل الله سيئاتهم حسنات ، هم أهل ركوع وسجود وقيام وقعود ، هم الفقهاء العلماء الفهماء ، هم أهل الدراية والرواية وحسن العبادة .

٤٧ - وقال أبو عبدالله الفقيه الهمداني في كتاب البلدان : إنّ أبا موسى الأشعري روى أنّه سأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن أسلم المدن وخير المواضع عند نزول الفتن وظهور السيف ، فقال : أسلم المواضع يومئذ أرض الجبل ، فإذا اضطربت خراسان ووقعت الحرب بين أهل جرجان وطبرستان وخربت سجستان فأسلم المواضع يومئذ قصبه قم تلك البلدة التي يخرج منها أنصار خير الناس أباً وأماً وجداً وعمّة وعمّة تلك التي تسمى الزهراء . بها موضع قدم جبرئيل ، وهو الموضع الذي نبع منه الماء

الَّذِي مِنْ شَرِبَ مِنْهُ أَمِنَ مِنَ الدَّاءِ ، وَ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ عَجَنَ الطِّينَ الَّذِي عَمِلَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، وَمِنْهُ يَغْتَسِلُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ يَخْرُجُ كَبْشُ إِبْرَاهِيمَ وَعَصَامُوسَى وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ .

٤٨ - وَمِنْ رَوَايَاتِ الشَّيْخَةِ فِي فَضْلِ قَمٍ وَأَهْلِهَا مَارَوَاهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَابْنُ الْحَسَنِ ابْنُ مُوسَى بْنِ بَابُوِيَه بِأَسَانِيدٍ ذَكَرَهَا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ لَمْ يَسْأَلْكَ أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا يَسْأَلُكَ أَحَدٌ بَعْدِي ! فَقَالَ : عَسَاكَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ ^(١) ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : إِيَّيْ وَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ بِشِيرًا وَ نَذِيرًا مَا أَسْأَلُكَ إِلَّا عَنْهُ . فَقَالَ : مَحْشَرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَّا بَقْعَةً بِأَرْضِ الْجَبَلِ يُقَالُ لَهَا قَمٌ ، فَإِنَّهُمْ يَحَاسِبُونَ فِي حَفْرِهِمْ وَ يَحْشَرُونَ مِنْ حَفْرِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ . ثُمَّ قَالَ : أَهْلُ قَمٍ مَغْفُورٌ لَهُمْ . قَالَ : فَوَثْبُ الرَّجُلِ عَلَى رِجْلَيْهِ وَقَالَ : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ هَذَا خَاصَّةٌ لِأَهْلِ قَمٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَمَنْ يَقُولُ بِمَقَالَتِهِمْ . ثُمَّ قَالَ : أَزِيدُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَظَرْتُ إِلَى بَقْعَةٍ بِأَرْضِ الْجَبَلِ خَضْرَاءُ أَحْسَنَ لَوْنًا مِنَ الزَّعْفَرَانِ وَأَطْيَبَ رَائِحَةً مِنَ الْمَسْكِ وَإِذَا فِيهَا شَيْخٌ بَارِكَ عَلَى رَأْسِهِ بَرْنَسٌ ، فَقُلْتُ : حَبِيبِي جِبْرِئِيلُ مَا هَذِهِ الْبَقْعَةُ ؟ قَالَ : فِيهَا شَيْخَةٌ وَصِيَّتُكَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . قُلْتُ : فَمَنْ الشَّيْخُ الْبَارِكُ فِيهَا ؟ قَالَ : ذَلِكَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ - عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ - قُلْتُ : فَمَا يَرِيدُ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : يَرِيدُ أَنْ يَصُدَّهُمْ عَنْ وِلَايَةِ وَصِيَّتِكَ عَلِيٍّ وَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْفَسْقِ وَ الْفُجُورِ . فَقُلْتُ : يَا جِبْرِئِيلُ أَهْوَبْنَا إِلَيْهِ ، فَأَهْوَى بِنَا إِلَيْهِ فِي أَسْرَعِ مَنْ بَرَقَ خَاطِفٍ . فَقُلْتُ لَهُ : قَمٌ يَامْلَعُونَ فَشَارَكَ الْمَرْجُتَةَ فِي نِسَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، لِأَنَّ أَهْلَ قَمٍ شِيعَتِي وَشَيْعَةَ وَصِيَّتِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

٤٩ - وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَهْلُولٍ ، عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْعَبْدِيِّ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : تَرَبَّةُ قَمٍ مَقْدَسَةٌ وَ أَهْلِهَا مَنْنًا وَ نَحْنُ مِنْهُمْ لَا يَرِيدُهُمْ جِبَّارٌ بِسُوءٍ إِلَّا عَجَلَّتْ عَقُوبَتُهُ مَا لَمْ يَخُونُوا

(١) المحشر والمنشر (خ) .

إخوانهم^(١) ! فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم جابرة سوء! أما إنهم أنصارقائنا ودعاة^(٢) حقنا. ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم اعصمهم من كل فتنة ونجسهم من كل هلكة.

ثم ذكر صاحب التاريخ المشاهد و القبور الواقعة في بلدة قم فقال: منها قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر عليه السلام و روي أن زيارتها تعادل الجنة.

وروي مشايخ قم أنه لما أخرج المأمون علي بن موسى الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو في سنة مائتين خرجت فاطمة أخته في سنة إحدى ومائتين تطلبه، فلما وصلت إلى «ساوه» مرضت فسألت: كم بيني وبين «قم»؟ قالوا: عشرة فراسخ، فأمرت خادمها فذهب بها إلى قم وأزلها في بيت موسى بن خزرج بن سعد. والأصح أنه لما وصل الخبر إلى آل سعد اتفقوا وخرجوا إليها أن يطلبوا منها النزول في بلدة قم، فخرج من بينهم موسى بن خزرج، فلما وصل إليها أخذ بزمام ناقتها وجرها إلى قم وأزلها في داره، فكانت فيها ستة^(٣) عشر يوماً ثم مضت إلى رحمة الله ورضوانه، فدفنها موسى بعد التغسيل والتكفين في أرض له، وهي التي الآن مدفنها وبنى على قبرها سقفاً من البواري إلى أن بنت زينب بنت الجواد عليه السلام عليها قبة. وحدثني الحسين بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد أنه لما توفيت فاطمة - رضي الله عنها - وغسلوها وكفنوها ذهبوا بها إلى بابلان ووضعوها على سرداب حفروه لها، فاختلف آل سعد بينهم في من يدخل السرداب ويدفنها فيه، فاتفقوا على خادم لهم شيخ كبير صالح يقال له «قادر» فلما بعثوا إليها رأوا ركبين سريعين مثلثمين يأتيان من جانب الرملة، فلما قربا من الجنازة نزلا وصلياً عليها ودخلا السرداب وأخذوا الجنازة فدفنها، ثم خرجا وركبا وذهبا ولم يعلم أحد منهما. والمحراب الذي كانت فاطمة عليها السلام تصلي إليها موجود إلى الآن في دار موسى بن الخزرج. ثم ماتت أم محمد بنت موسى بن محمد بن علي الرضا عليه السلام فدفنها في جنب فاطمة - رضي الله عنها -

(١) مالم يحولوا أحوالهم (خ) .

(٢) رعاة (خ) .

(٣) في بعض النسخ «سبعة عشر» .

ثم توفيت ميمونة أختها فدفنوها هناك أيضاً و بنوا عليهما أيضاً قبّة ، و دفن فيها أمّ إسحاق جارية محمد و أمّ حبيب جارية محمد بن أحمد الرضا و أخت محمد بن موسى . ثم قال : و منها قبر أبي جعفر موسى بن محمد بن عليّ الرضا عليه السلام قال : و هو أوّل من دخل من السادات الرضويّة قم ، و كان مبرقعاً دائماً فأخرجه العرب من قم ، ثم اعتذروا منه و أدخلوه و أكرموه و اشتروا من أموالهم له داراً و مزارع ، و حسن حاله ، و اشترى من ماله أيضاً قرى و مزارع ، فجاءت إليه أخواته زينب و أمّ محمد و ميمونة بنات الجواد عليه السلام ثم « برييه » بنت موسى فدفن كلهن عندفاطمة - رضي الله عنها - و توفّي موسى ليلة الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر من سنة ست و تسعين و مائتين و دفن في الموضع المعروف أنه مدفنه . و منها قبر أبي عليّ محمد بن أحمد بن موسى بن محمد بن عليّ الرضا عليه السلام توفّي في سنة خمس عشر و ثلثمائة ، و دفن في مقبرة محمد بن موسى . ثم ذكر مقابر كثير من السادات الرضويّة و كثير من أولاد محمد بن جعفر الصادق عليه السلام و كثير من أحفاد عليّ بن جعفر و قبور كثير من السادات الحسينيّة ، و كان أكثر أهل قم من الأشعريّين ، و قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم اغفر للأشعريّين صغيرهم و كبيرهم . و قال الأشعريّون منّي وأنا منهم . و روي عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن خالد ، عن أبي البختريّ ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الأزد والأشعريّون و كندة منّي لا يعدلون ولا يجبنون . و بهذا الإسناد عن أبي البختريّ عن الزهريّ ، عن زيد بن أسلم قال . قال رسول الله صلى الله عليه وآله للأشعريّين لما قدموا : أنتم المهاجرون إلى الأنبياء من ولد إسماعيل . ثم ذكر أخباراً كثيرة في فضائلهم ، ثم قال : من مفاخرهم أن أوّل من أظهر التشيع بقم موسى بن عبدالله بن سعد الأشعريّ .

و منها أنه قال الرضا عليه السلام لزكريّا بن آدم بن عبدالله بن سعد الأشعريّ : إن الله يدفع البلاء بك عن أهل قم كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بقبر موسى بن جعفر عليه السلام و منها أنهم وقفوا المزارع و العقارات الكثيرة على الأئمّة عليهم السلام ، و منها أنهم أوّل من بعث الخمس إليهم . و منها أنهم عليهم السلام أكرموا جماعة كثيرة منهم بالهدايا و التحف و الأكفان كأبي جرير زكريّا بن إدريس ، و زكريّا بن آدم ، و عيسى بن عبدالله بن

سعد وغيرهم ممن يطول بذكرهم الكلام ، وشرّفوا بعضهم بالخواتيم والخلع ، وأنّهم اشقروا من دعبل الخزاعيّ ثوب الرضا عليه السلام بألف دينار من الذهب . ومنها أن الصادق عليه السلام قال لعمران بن عبدالله : أظنك الله يوم لا ظلّ إلا ظله . انتهى ما أخرجته من تاريخ قم ، ومؤلفه من علماء الإمامية .

بيان : يظهر من هذا التاريخ أن « واردة هار » اسم بعض رساتيق قم و توابعه وقال : فيه سبع عشرة قرية وكان من رساتيق إصبهان فألحق بقم . والجمر اسم نهر من الأنهار التي كانت قبل بناء بلدة قم كما يلوح من التاريخ . و روى الكشيّ خبر زكريّا ابن آدم عن محمد بن قولويه ، عن سعد بن عبدالله ، عن محمد بن حمزة ، عن زكريّا بن آدم قال : قلت للرضا عليه السلام : إنني أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السفهاء فيهم ، فقال : لا تفعل ، فإن أهل بيتك يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام .

٥٠ - **المجازات النبوية :** قال النبي صلى الله عليه وآله : أمرت بقريّة تأكل القرى تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد . يريد عليه السلام الهجرة إلى المدينة ، قال السيّد - ره - : فقوله « أمرت بقريّة تأكل القرى » مجاز ، والمراد أن أهلها يقهرون أهل القرى فيملكون بلادهم وأموالهم ، فكأنّهم بهذه الأحوال يأكلونهم . وخرج هذا القول على طريقة للعرب معروفة لأنّهم يقولون « أكل فلان جاره » إذا عدا عليه فاتتهك حرمة واصطفى حربيته . وعلى ذلك قول علقمة ابن عقيّل بن علقمة لأبيه في أبيات :

أكلت بيتك أكل الضب حتى وجدت مداراة الكل ^(١) الويل

ومن ذلك قوله عليه السلام في غزوة الحديبية « ويح قريش أكلهم ^(٢) الحرب » يريد أنّها قد أفنت رجالهم واتهكت أموالهم ، فكانت من هذا الوجه كأنّها آكلة لهم قال ذلك في حديث طويل ، والمراد بقوله « تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد » أنّ أهلها يتمحّضون فينتفي عنها الأشرار ، ويبقى فيها الأخيار ، ويفارقها الأخلاط

(١) الكلا (خ) .

(٢) اكلهم (خ) .

والأقشاب ، ولا يصبر عليها إلا الصميم واللباب ، فيكون بمنزلة الكير الذي ينفي الأخشاب والأدران ، ويخلص الرصاص ، وهذا أيضاً مجاز . وقد ورد هذا الخبر بلفظ آخر ذكره عمر بن عبد العزيز قال : سمعنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : المدينة تنفي خبث الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد . والمعنى في اللفظين واحد .

٥١ - كتاب جعفر بن محمد بن شريح : عن المعلّى الطحّان ، عن محمد بن زياد ، عن ميمون ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل عليه أُناس من اليمن قال : مرحباً برهط شعيب وأحبار موسى .

٥٢ - وعنه قال : سمعت قيس بن الربيع يرفعه إلى النبي ﷺ قال : حضرموت خير من الحارثيين .

٥٣ - مجالس الشيخ : عن أحمد بن عبدون ، عن علي بن محمد بن الزبير ، عن علي بن الحسن بن فضال ، عن العباس بن عامر ، عن عبد الله بن الوليد قال : دخلنا على أبي عبد الله ﷺ فسلمنا عليه وجلسنا بين يديه فسألنا : من أتمم ؟ قلنا : من أهل الكوفة فقال : أما إنّه ليس من بلد من البلدان أكثر محباً لنا من أهل الكوفة ثم هذه العصابة خاصة ، إن الله هداكم لأمر جهله الناس ، أحببتمونا وأبغضنا الناس ، وصدقتمونا وكذبنا الناس ، واتبعتمونا وخالفنا الناس ، فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا - الخبر - .

بيان : « ثم هذه العصابة » أي هم فيها أكثر من غيرها من البلدان ، والمراد عصابة الشيعة فإنّ المحب أعم منها . والعصابة - بالكسر - : الجماعة من الناس .

٥٤ - مجالس الشيخ : عن الحسين بن عبيد الله الغضائري ، عن الثعلبيري عن محمد بن همام ، عن عبد الله الحميري ، عن الطيلاسي ، عن زريق الخلفاني قال : كنت عند أبي عبد الله ﷺ يوماً إذ دخل عليه رجلان من أهل الكوفة من أصحابنا ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : أنعرفهما؟ قلت : نعم ، هما من مواليك ، فقال : نعم ، والحمد لله الذي جعل أجلة موالي بالعراق - الخبر - .

٥٥ - أقول : وجدت بخط الشيخ محمد بن علي الجباعي - رحمه الله - : قال

الشيخ محمد بن مكّي - قدّس الله روحه - وجد بخطّ جمال الدين ابن المطهر : وجدت بخطّ والدي - ره - قال : وجدت رقعة عليها مكتوب بخطّ عتيق ماصورته : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أخبرنا به الشيخ الأجلّ العالم عزّ الدين أبوالمكارم حمزة بن عليّ ابن زهرة الحسينيّ الحلبيّ إملاءً من لفظه عند تزوله بالحلّة السيفيّة - وقد وردها حاجاً سنة أربع وسبعين وخمسائة - ورأيت يلفت يمنة ويسرة ، فسألته عن سبب ذلك ، قال : إنني لأعلم أنّ مدينتكم هذه فضلاً جزيلاً . قلت : وما هو ؟ قال : أخبرني أبي ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد بن قولويه ، عن الكلينيّ قال : حدّثني عليّ بن إبراهيم عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي حمزة الثماليّ ، عن الأصبح بن نبائه قال : صحبت مولاي أمير المؤمنين عليه السلام عند وروده إلى صفين وقد وقف على تلّ عرير (١) ثمّ أوماً إلى أجمة ما بين بابل و التلّ وقال : مدينة وأيّ مدينة ! فقلت له : يامولاي أراك تذكر مدينة ، أكان ههنا مدينة وانمحت آثارها ؟ فقال : لا ، ولكن ستكون مدينة يقال لها الحلّة السيفيّة يمدّها رجل من بني أسد يظهر بها قوم أخيار لو أقسم أحدهم على الله لأبرّ قسمه .

بيان : « عرير » بالمهملتين أي مفرد ، وفي القاموس : العرير الغريب في القول أو بالمعجمتين أي منيع رفيع . والحلّة - بالكسر - : بلدة معروفة ، و وصفها بالسيفيّة لأنّها بناها سيف الدولة .

٥٤ - و وجدت أيضاً بخطّ الشيخ المتقدّم نقلاً من خطّ الشهيد - قدّس سرّه - : قال الراونديّ : قال الباقر عليه السلام : إنّ الله وضع تحت العرش أربعة أساطين و سمّاه « الضراح » ثمّ بعث ملائكة فأمرهم ببناء بيت في الأرض بمثاله و قدره ، فلمّا كان الطوفان رفع ، فكانت الأنبياء يحجّونه ولا يعلمون مكانه حتّى بوأ الله لابراهيم فأعلمه مكانه ، فبناه من خمسة أجبل : من حراء ، و ثبير ، و لبنان ، و جبل الطور ، و جبل الخمر . قال الطبريّ : وهو جبل بدمشق .

بيان : قال الفيروزآباديّ : الخمر - بالتحريك - : جبل بالقدس . وقال : لبنان

- بالضم - : جبل بالشام .

٥٧- كنز الكراچكى : قال : روى الشريف أبو محمد الحسن بن محمد الحسيني عن علي بن عثمان الأشج المعروف بأبي الدنيا (١) قال : حدثني أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من أحب أهل اليمن فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني .

٥٨- شرح النهج لابن ميثم : قال : لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من حرب الجمل خطب الناس بالبصرة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال : يا أهل البصرة ! يا أهل المؤتفكة ائتمفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله تمام الرابعة ! يا جند المرأة وأعوان البهيمة ، رغا (٢) فأجبتهم ، وعقر فانهزمتهم (٣) أخلاقكم دقاق ، ودينكم نفاق وماؤكم زعاق (٤) بلادكم أتن بلاد الله تربة ، وأبعدها من السماء ، بهاتسعة أعشار الشر المحتبس فيها بذنبه ، والخارج منها بعفوالله ، كأني أنظر إلى قريبتكم هذه وقد طبقتها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جوجو طير في لجة بحر - وساق إلى قوله : إناهم رأوا البصرة قد تحوالت أخصاصها دوراً ، وآجامها قصوراً ، فالهرب ! الهرب ! فإنه لا بصرة لكم يومئذ .

(١) حكى السيد نعمة الله الجزائري عن السيد هاشم بن الحسين الاحسائي عن استاده الشيخ محمد الحرفوشي قال ، لما كنت بالشام عمدت يوماً إلى مسجد مشهور بميد من العمران فرأيت شيخاً أزهر الوجه عليه ثياب بيض و هيئة جميلة . . . ثم تحققت منه الاسم و النسبة ثم بعد جهد طويل قال : أنا معمر أبو الدنيا المغربي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام و حضرت معه صفين و هذه الشجة في وجهي من رمحة فرسه - سلام الله عليه - ثم ذكر لي من الصفات و العلامات ما تحققت معه صدقه في كل ما قال ثم استجزته كتب الاخبار فاجازني عن أمير المؤمنين و عن جميع ائمتنا حتى انتهى في الاجازة إلى صاحب الدار - عجل الله فرجه - و له قصص عجيبة منها ما رواها عنه ابو محمد العلوي حدثه بها في دار عمه طاهر بن يحيى ، و كيف كان فحديثه يعد حسناً إن لم يكن صحيحاً .

(٢) أي صوت و ضج .

(٣) فهر يتم (خ) .

(٤) أي من لا يطلق شر به .

ثم التفت عن يمينه فقال : كم بينكم وبين الأُبلة ؟ فقال له المنذر بن الجارود : فذاك أبي وأُمِّي : أربعة فراسخ . قال له : صدقت ، فوالذي بعث محمدًا ﷺ وأُكرمه بالنبوة ، وخصه بالرسالة ، وعجل بروحه إلى الجنة لقد سمعت منه كما تسمعون منِّي أن قال : يا علي هل علمت أن بين التي تسمى البصرة والتي تسمى الأُبلة أربعة فراسخ وسيكون في التي تسمى الأُبلة موضع أصحاب العشور ، يقتل في ذلك الموضع من أمتي سبعون ألف شهيد ، هم يومئذ بمنزلة شهداء بدر .

فقال له المنذر : يا أمير المؤمنين ، ومن يقتلهم ؟ فذاك أبي وأُمِّي . قال : يقتلهم أخوان وهم جيل كأنهم الشياطين ، سود ألوانهم ، منتنة أرواحهم ، شديد كلبهم ، قليل سلبهم ، طوي لمن قتلوه . ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم أذلة عند المتكبرين من أهل ذلك الزمان ، مجهولون في الأرض ، معروفون في السماء ، تبكي السماء عليهم وسكانها ، والأرض وسكانها - ثم هملت عيناه بالبكاء ثم قال : - ويحك يا بصرة من جيش لارهج له ولا حس ! فقال له المنذر : يا أمير المؤمنين ، وما الذي يصيبهم من قبل الفرق مما ذكرت ؟ وما الويح ؟ فقال : هما بابان : فالويح باب رحمة ، والويل باب عذاب يا ابن الجارود ، نعم ، تارات عظيمة : منها عصابة يقتل بعضها بعضاً ، ومنها فتنة يكون بها إخراج منازل وخراب ديار و انتهاك أموال و سباء نساء يذبحن ذبحاً ، يا ويل أمرهن حديث عجيب ! ومنها أن يستحل بها الدجال الأكبر الأعور الممسوح العين اليمنى والأخرى كأنها ممزوجة بالدم لكأنها في الحمرة علقمة ، ناتيء الحدقة كهيشة حبة العنب الطافية على الماء ، فيتبعه من أهلها عدّة من قتل بالاُبلة من الشهداء ، أناجيلهم في صدورهم ، يُقتل من يقتل ، ويهرب من يهرب ، ثم رجف ، ثم قذف ، ثم خسف ثم مسخ ، ثم الجوع الأغبر ، ثم الموت الأحمر وهو الغرق .

يا منذر إن للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزبر الأول ^(١) لا يعلمها إلا العلماء : منها الخريبة ، ومنها تدمر ، ومنها المؤتفكة - وساق إلى أن قال - يا أهل البصرة إن الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خبطة شرف ولا كرم إلا وقد جعل

(١) في بعض النسخ المخطوطة « زبر الاول » وهو الصواب ظاهراً .

فيكم أفضل ذلك ، و زادكم من فضله بمنته ما ليس لهم : أنتم أقوم الناس قبلة ، قبلتكم على المقام حيث يقوم الإمام بمنكة ، و قارئكم أقرأ الناس ، و زاهدكم أزهد الناس ، و عابدكم أعبد الناس ، و تاجركم أتجر الناس و أصدقهم في تجارته ، و متصدقكم أكرم الناس صدقة ، و غنيكم أشد الناس بذلاً و تواضعاً ، و شريفكم أحسن الناس خلقاً و أنتم أكثر الناس جواراً ، و أقلهم تكلفاً لما لا يعنيه ، و أحرصهم على الصلاة في جماعة ثمرتكم أكثر الثمار ، و أموالكم أكثر الأموال ، و صغاركم أكيس الأولاد ، و نساؤكم أمنع النساء و أحسنهن تبعلاً ، سخر لكم الماء يغدو عليكم و يروح صلاحاً لمعاشكم و البحر سبباً لكثرة أموالكم ، فلو صبرتم و استقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقبلاً و ظلاً ظليلاً ، غير أن حكم الله ماض ، و قضاؤه نافذ لا معقب لحكمه و هو سريع الحساب . يقول الله « و إن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معدنوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً ^(١) » - ثم ساق الخطبة إلى قوله - إن رسول الله ﷺ قال لي يوماً و ليس معه غيري : إن جبرئيل الروح الأمين حملني على منكبه الأيمن حتى أراني الأرض و من عليها و أعطاني أقاليدها و علمني ما فيها و ما قد كان على ظهرها و ما يكون إلى يوم القيامة و لم يكبر ذلك [علي] كما لم يكبر على أبي آدم علمه الأسماء كلها و لم تعلمها الملائكة المقربون ، و إنني رأيت بقعة على شاطئ البحر تسمى البصرة ، فإذا هي أبعد الأرض من السماء و أقربها من الماء ، و أنها لأسرع الأرض خراباً و أخشنها تراباً و أشدّها عذاباً ، و لقد خسف بها في القرون الخالية مراراً ، و ليأتين عليها زمان ، و إن لكم يا أهل البصرة و ما حولكم من القرى من الماء ليوماً عظيماً بلاؤه ، و إنني لأعلم موضع منفجره من قرئتكم هذه ، ثم أمور قبل ذلك تدهمكم عظيمة أخفيت عنكم و علمناها ، فمن خرج عنها عند دنو غرقها فبرحة من الله سبقت له ، و من بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه و ما الله بظلام للعبيد .

توضيح : المؤتفة : المنقلبة ، و الانقلاب هنا إما حقيقة كقرى قوم لوط أو لأنها غرقت كأنها انقلبت . طبقها الماء - بالتشديد - أي غطّاها و عمّها و

الأخصاص : جمع خص - بالضم - بيت يعمل من الخشب والقصب . والآجام : جمع أجمة - بالتحريك - وهي منبت القصب ، وقيل : هي الشجر الكثير الملتف . والابلة - بضم - الهمزة والباء وتشديد اللام - : الموضع الذي به مدينة البصرة اليوم وكان من قرى البصرة وساتينها يومئذ ، وكانوا يعدونه إحدى الجنات الأربع ، وفي الأجلة اليوم موضع العشارين حسب ما أخبر به . والجيل - بالكسر - : الصنف من الناس وقيل : كل قوم يختصون بلغة فهم جيل . والأرواح : جمع الريح بمعنى الرائحة . و الكلب - بالتحريك - : الشر والأذى وشبه جنون يعرض لمن عضه الكلب الكلب . والسلب - بالتحريك - : ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه و معه [من] سلاح و ثياب و دابة و غيرها . ينفر لجهادهم : أي يخرج لقتالهم . ويقال « هملت عينه » أي فاضت بالدمع . والرهج - بالتحريك - الغبار . والحس - بالكسر - صوت المشي و الصوت الخفي و هو إشارة إلى صاحب الزنج كما مر . والتارات جمع التارة بمعنى المرة ، أي فتن عظيمة مرّة بعد أخرى . والعصبة - بالضم - : الجماعة أو بالتحريك بمعنى الأقرباء . و انتهاك الأموال : أخذها بما لا يحل . و سباء النساء - بالكسر و المد - : أسرهن . و « يستحل بها الدجال » أي يتخذها منزلاً ويسكنها . والدجال من الدجل وهو الخلط و التلبيس و الكذب ، و وصفه بالأكبر يدل على تعدد من يدعي الأباطيل . و الأعور من ذهب إحدى عينيه . و الممسوح صفة مخصصة للأعور . و النائي : المرتفع . و طفا على الماء : علا ولم يرسب . و الرجفة : الزلزلة و الاضطراب . و القذف : الرمي بالحجارة ونحوها . و الخسف : الذهاب في الأرض ، و خسف المكان أن يغيب في الأرض . و المسخ : تحويل صورة إلى ما هو أقبح منها . و وصف الجوع بالأغبر إمّا لأنّ الجوع يكون في السنين المجذبة ، و سنوا الجذب تسمى غبراً لا غبراً رافقها من قلة الأمطار و أرضها من عدم النبات ، أو لأنّ وجه الجائع يشبه الوجه المغبر . و الموت الأحمر يعبر به في الأكثر عن القتل ، و فسرهننا بالفرق . و الخريبة - بضم الخاء المعجمة و فتح الراء المهملة و الباء الموحدة - : علم محلّة من محال البصرة كانوا يسمونها البصرة الصغرى . و تدمر - كتنصر - : من الدمار بمعنى الهلاك ، و في اللغة أنّها بلد بالشام .

والخطّة - بالضم - : الأمر والقصة . والأقاليد : جمع إقليد - بالكسر - وهو المفتاح . ولم يكبر ذلك علي : أي قويت عليه وقدرت ، أولم أستعظمها من فضل ربي . والتنوين في « زمان » للتفخيم أي زمان شديد فظيع . والمرابطة : الإِرصاد لحفظ الثغر .

٥٩ - أقول : وروى القاضي نور الله التستري [قدس الله روحه] في كتاب «مجالس المؤمنين» عن الصادق عليه السلام أنه قال : إن لله حرماً وهو مكة ، ألا إن لرسول الله حرماً وهو المدينة ، ألا وإن لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة ، ألا وإن قم الكوفة الصغيرة . ألا إن للجنة ثمانية أبواب ثلاثة منها إلى قم ، تقبض فيها امرأة من ولدي اسمها فاطمة بنت موسى ، وتدخل بشفاعتها شيعة الجنة بأجمعهم .

٤٠ - وعن سعد بن سعد عن الرضا عليه السلام قال : يا سعد من زارها فله الجنة .

٤١ - وعنه عليه السلام قال : إذا عمّت البلدان الفتن والبلايا فعليكم بقم وحواليها ونواحيها ، فإنّ البلايا مدفوع (١) عنها .

٤٢ - وعن الرضا عليه السلام قال : للجنة ثمانية أبواب فثلاثة منها لأهل قم ، فطوبى لهم ثم طوبى لهم .

٤٣ - وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : صلوات الله على أهل قم ، ورحمة الله على أهل قم ، سقى الله بلادهم الغيث - إلى آخر ما مرّ عن الصادق عليه السلام .

٤٤ - وأقول : روى الشيخ الأجلّ عبد الجليل الرازي في كتاب القصص بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله قال : لما عرج بي إلى السماء مررت بأرض بيضاء كقورية شممت بها رائحة طيبة ، فقلت : يا جبرئيل ما هذه البقعة ؟ قال : يقال لها « آبة » عرضت عليها رسالتك وولاية ذرّيتك فقبلت ، وإنّ الله يخلق منها رجالاتك وتولون ذرّيتك فبارك الله عليها وعلى أهلها .

٤٥ - معجم البلدان : قال : روي أنه في التورية مكتوب : الري باب من أبواب الأرض وإليها متجر الخلق . وقال الأصمعي : الري عروس الدنيا وإليها متجر

(١) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا ، والظاهر « مدفوعة » .

الناس . قال : وروي عن جعفر الصادق عليه السلام أن الري وقزوين وسواه ملعونات شؤمات .
٥٤ - كشف الغمة : عن ابن أعثم الكوفي ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :
ويحاً للطالقان فإن الله تعالى بها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضة ، و لكن بها رجال
مؤمنون عرفوا الله حق معرفته وهم أنصار المهدي في آخر الزمان .

٥٧ - وأقول : وجدت في أصل عتيق من أصول أصحابنا أظن أنه لو والد الصدوق
أومئ عاصره عن عبدالعزيز بن جعفر بن محمد ، عن عبدالعزيز بن يونس الموصلية ، عن
إبراهيم بن الحسين ، عن محمد بن خلف ، عن موسى بن إبراهيم عن الكاظم عن أبيه عن
آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قزوين باب من أبواب الجنة .

٥٨ - الدر المنثور : من عدة كتب عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ملكاً : ما أطيبك من بلدة وأحبك إليّ ، لولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت .
وفي رواية أخرى : ما سكنت غيرك (١) .

٥٩ - و عن عبدالرحمان بن سابط قال : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينطلق إلى
المدينة استلم الحجر وقام وسط المسجد و التفت إلى البيت فقال : إني لأعلم ما وضع
الله في الأرض بيتاً أحب إليه منك ، وما في الأرض بلد أحب إليه منك ، و ما خرجت
عنك رغبة و لكن الذين كفروا هم أخرجوني (٢) .

٤٠ - كتاب قسمة أقاليم الأرض وبلدانها تأليف بعض المخالفين : قال : بلد المهدي
مدينة حسنة حصينة بناها المهدي الفاطمي و حصنها وجعل لها أبواباً من حديد ، في
كل باب ما يزيد على المائة قنطار ، ولما بناها وأحكمها قال : الآن أمنت على الفاطميين .
بيان : أقول : لهذه المدينة قصة طويلة غريبة أوردتها في كتاب الغيبة .

٧١ - و من الكتاب المذكور : قال دخل ذوالقرنين جزيرة عظيمة فوجد بها قوماً
قد أنحلَّتْهم العبادة حتى صاروا كالحمم السود فسلم عليهم فردوا عليه السلام فسألهم : ما عيشكم
يا قوم في هذا المكان ؟ قالوا : مارزقنا الله من الأسماك وأنواع النبات و نشرب من هذه

(١) الدر المنثور ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

(٢) الدر المنثور : ج ١ ، ص ١٢٣ .

المياه العذبة . قال لهم ألا أنقلكم إلى عيشة أطيب مما أنتم فيه وأخصب ؟ فقالوا له : و ما نضع به ؟ إن عندنا في جزيرتنا هذه ما يعني جميع العالم و يكفيهم لو صاروا إليه و أقبلوا عليه ! قال : و ما هو ؟ فانطلقوا إلى وادٍ لا نهاية لطوله و عرضه و هو منضد من ألوان الدرّ و الياقوت و الزبرجد و البلخش و الأحجار التي لم تر في الدنيا و الجواهر التي لا تقوّم ، و رأى شيئاً لا يحتمله العقول ولا يوصف ، ولو اجتمع العالم على نقله أو بعضه لعجزوا ، فقال : لا إله إلا الله و سبحان من له الملك العظيم و يخلق الله ما لا يعلمه الخلاق . ثم انطلقوا به من شفير ذلك الوادي حتى أتوا به إلى مستواضع من الأرض به أصناف الأشجار ، و أنواع الثمار ، و ألوان الأزهار ، و أجناس الأطيّار ، و خريز الأناهار ، و أفياء و ظلال ، و نسيم ذواعتدال ، و نزه و رياض ، و جنّات و غياض ، فلما رأى ذوالقرنين ذلك سبح الله العظيم و استصغر أمر الوادي و ما به من الجواهر عند ذلك المنظر البهيج الزاهر . فلما تعجب قالوا له : في ملك في الدنيا بعض ما ترى ؟ قال : لا و حقّ عالم السرّ و النجوى . فقالوا : كل هذا بين أيدينا و لا تميل أنفسنا إلى شيء من ذلك و اقتنعنا بما تقوى به على عبادة الربّ الخالق ، و من ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه ، فسرعنّا و دعنا بحالنا ، أرشدنا الله وإياك . ثم ودّعوه و فارقوه و قالوا له : دونك و الوادي فاحمل منه ما تريد . فأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً . قال : ثم أتى ذوالقرنين جزيرة عظيمة فرأى بها قوماً لباسهم ورق الشجر ، و بيوتهم كهوف في الصخر و الحجر فسألهم عن مسائل في الحكمة ، فأجابوه بأحسن جواب و ألطف خطاب ، فقال لهم : سلوا حوائجكم لتقضى ، فقالوا له : تسأل الخلد في الدنيا . فقال : و أنى به لنفسى ؟ و من لا يقدر على زيادة نفس من أنفاسه كيف يبلغكم الخلد ؟ فقال كبيرهم : نسألك صحّة في أبداننا ما بقينا . فقال : و هذا أيضاً لأقدر عليه . فقالوا : فعرّفنا بقیة أعمارنا فقال : لا أعرف ذلك لروحي فكيف بكم ؟ فقالوا له : فرغنا نطلب ذلك ممن يقدر على ذلك و أعظم من ذلك . وجعل الناس ينظرون إلى كثرة جنوده و عظمة موكبه ، و بينهم شيخ صعلوك لا يرفع رأسه ، فقال له ذوالقرنين : مالك لا تنظر إلى ما ينظر إليه الناس ؟ قال الشيخ : ما أعجبني الملك الذي رأيتته قبلك حتى أنظر إليك وإلى ملكك . فقال :

وما ذاك؟ قال الشيخ: كان عندنا ملك و آخر صلوك (١) فماتا في يوم واحد ثم جئت إليهما و اجتهدت أن أعرف الملك من الصلوك (٢) فلم أعرفه . قال : فتركهم ذوالقرنين و انصرف عنهم .

٤٢ - العيون : عن تميم بن عبدالله القرشي ، عن أبيه ، عن أحمد بن علي الأتصاري ، عن أبي الصلت الهروي قال : كنت عند الرضا عليه السلام فدخل عليه قوم من أهل قم فسلموا عليه فرد عليهم و قر بهم ثم قال لهم : مرحباً بكم و أهلاً ! فأتتم شيعتنا حقاً ، فسيأتي عليكم يوم تزورون فيه تربتي بطوس ، ألا فمن زارني و هو على غسل خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (٣) .

٧٣ - و منه : عن محمد بن أحمد السنائي ، عن محمد بن جعفر الأسدي ، عن سهل ابن زياد ، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسنی قال : سمعت علي بن محمد العسكري عليه السلام يقول : أهل قم و أهل آبه مغفور لهم لزيارتهم لجدتي علي بن موسى الرضا عليه السلام بطوس ألا و من زاره فأصابه في طريقه قطرة من السماء حرّم الله جسده على النار (٤) .

٧٤ - الكافي : عن أبي علي الأشعري ، عن محمد بن سالم : و علي بن إبراهيم عن أبيه ، جميعاً عن أحمد بن النضر ؛ و محمد بن يحيى ، عن محمد بن أبي القاسم ، عن الحسين ابن أبي قتادة ، جميعاً عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : خرج رسول الله ﷺ لعرض الخيل - و ساق الحديث إلى قوله - فمرّ بفرس (٥) فقال عيينة ابن حصين : إن من أمر هذا الفرس كيت و كيت . فقال رسول الله ﷺ : ذرنا فأنا أعلم بالخيل منك . فقال : و أنا أعلم بالرجال منك . فغضب رسول الله ﷺ حتى ظهر الدم في وجهه ، فقال له : فأبي الرجال أفضل؟ فقال عيينة بن حصين : رجال يكونون بنجد يضعون سيوفهم على عواتقهم ، و رماحهم على كواكب خيلهم ، ثم يضربون بها قدما .

(١) صلوك (خ) . (٢) الصلوك (خ) .

(٣) و (٤) العيون ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .

(٥) في بعض النسخ « فمر به فرس » .

فقال رسول الله ﷺ : كذبت ، بل رجال أهل اليمن أفضل ، الإيمان يمانى^(١) ، و الحكمة يمانية ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من أهل اليمن . الجفاء والقسوة في الفداء دين أصحاب الوبر ربعة ومضر من حيث يطلع قرن الشمس ، ومذحج أكثر قبيل يدخلون الجنة ، وحضرموت خير من عامر بن صعصعة - وروى بعضهم : خير من الحرث بن معاوية - وبجيلة خير من رعل وذكوان ، وإن يهلك لحيان فلاأبالي . ثم قال : لعن الله الملوك الأربعة : جعداً ، وميخوساً ، وميشرحاً ، وأبضعة ، وأختهم العمردة - وساق الحديث إلى قوله - لعن الله رعلأ وذكوان وعضلاً ولحيان والمجذمين من أسد وغطقان وأباسفيان بن حرب وشهبلاً ذا الأسنان وابني مليكة^(٢) بن جزييم ومروان وهوزة وهوزة^(٣) .

٤٥ - كتاب جعفر بن محمد بن شريح : عن معلى الطحان ، عن يزيد بن جابر ، عن عبد الله بن بشير ، عن ابن عيينة بن حصين قال : عرض رسول الله ﷺ يوماً خيلاً وعنده أبي - عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر - فقال رسول الله ﷺ : أنا أبصر بالخيول منك . فقال عيينة : وأنا أبصر بالرجال منك يا رسول الله . فقال النبي صلى الله عليه وآله : كيف ؟ قال : فقال : إن خير الرجال الذين يضعون أسياهم على عواتقهم ، ويعرضون رماحهم على مناكب خيولهم من أهل نجد . فقال النبي ﷺ : كذبت ، إن خير الرجال أهل اليمن ، والإيمان يمانى ، وأنا يمانى ، وأكثر قبائل دخول الجنة يوم القيامة مذحج ، وحضرموت خير من بني الحرث بن معاوية حتى من كندة ، إن يهلك لحيان فلاأبالي ، فلعن الله الملوك الأربعة : جعداً ، وميخوساً ، وميشرحاً وأبضعة ، وأختهم العمردة .

بيان : قال الجوهري : قال أبو عبيدة : يقال « كان من الأمر كيت وكيت - بالفتح -

(١) يمان (خ) .

(٢) ملكة (خ) .

(٣) الكافي : ٨٤ ، ص ٧٠-٧٢ .

(٤) وفي بعض النسخ « يزيد بن جابر » وفي بعضها « يزيد بن جابر » ، وأياً ما كان

فلم نجد له ذكراً في كتب الرجال .

و كيت و كيت - بالكسر - ، و التاء فيهما هاء في الأصل فصارت تاءاً . و في النهاية : الكوائب جمع كائبة ، وهي من الفرس : مجتمع كئفيه قدام السرج . و قال : رجل قدم - بضمّتين - أي شجاع ، و مضى قدماً أي لم يعرج ولم ينثن . و قال : فيه « الإيمان يمان و الحكمة يمانية » إنّما قال ذلك لأنّ الإيمان بدار من مكّة وهي من تهامة و تهامة من أرض اليمن ولهذا يقال : الكعبة اليمانية . و قيل : إنّها قال هذا القول للأ نصار لأنّهم يمانون وهم نصرّوا الإيمان و المؤمنين و آوهم فنسب الإيمان إليهم . و قال الجوهري : اليمن بلاد للعرب ، و النسبة إليهم يمني ، و يمان مخففة و الألف عوض من ياء النسب فلا يجتمعان ، قال سيويه : و بعضهم يقول يمانني بالتشديد - انتهى - . و قال في شرح السنة : هذان تاء على أهل اليمن لا يسراعهم إلى الإيمان و حسن قبولهم إيّاه .

قوله **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ** « لولا الهجرة » لعلّ المعنى : لولا أنّي هجرت عن مكّة لكنت اليوم من أهل اليمن إذ مكّة منها ، أو المراد أنّه لولا أنّ المدينة كانت أوّلاً دار هجرتي واخترتها بأمر الله لا اتخذت اليمن و طناً ، أو الغرض أنّه لولا أنّ الهجرة أشرف لعدت نفسي من الأ نصار . و في النهاية : فيه أنّ الجفاء و القسوة في الفدادين . الفدادون بالتشديد هم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم و مواشيهم ، واحدهم فداد ، يقال : فدّ الرجل يفدّ فديداً إذا اشتدّ صوته ، و قيل : هم المكثرون من الإبل . و قيل : هم الجمالون و البقارون و الحمّارون و الرعيان ، و قيل . إنّما هو الفدادين - مخففاً - واحدها فدان - مشدداً - وهي البقر التي يحرث بها ، و أهلها أهل جفاء و قسوة ^(١) - انتهى - . قوله « أصحاب الوبر » أي أهل البوادي ، فإنّ بيوتهم يتخذونها منه . قوله : « من حيث يطلع قرن الشمس » قال الجوهري : قرن الشمس أعلاها و أوّل ما يبدو منها في الطلوع - انتهى - و لعلّ المراد أهل البوادي من هاتين القبيلتين الكائنتين في مطلع الشمس أي في شرقي المدينة . و روى في شرح السنة بإسناده عن عقبة بن عمرو قال : أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال : الإيمان يمان ههنا ، إلا أنّ القسوة و غلظ القلوب في الفدادين عند أصول أناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة و مضر

(١) في النهاية : أهل جفاء و قلظة . ج ٣ ، ص ١٨٧ .

و بإسناده عن ابن عمر أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق ويقول : إن الفتنه ههنا ! إن الفتنه ههنا ! من حيث يطلع قرن الشيطان . و قال النووي : قرنا الشيطان قبل المشرق أي جماعه المغويان أو شيعته من الكفار ، يريد مزيد تسلطه في المشرق ، وكان ذلك في عهده ﷺ و يكون حين يخرج الدجال من المشرق ، وهو في ما بين ذلك منشأ الفتن العظيمه و مثار الترك العاتية - انتهى - ولا يبعد أن يكون في هذا الخبر أيضاً « قرن الشيطان » فصحف . و قال الجوهرى : مذحج - كمسجد - : أبو قبيلة من اليمن . و قال : حضرموت اسم بلد و قبيلة أيضاً ، وهما اسمان جعلوا واحداً إن شئت بنيت الاسم الأول على الفتح و أعربت الثاني بإعراب ما لا ينصرف قلت : هذا حضرموت ، و إن شئت أضفت الأول إلى الثاني قلت : هذا حضرموت ، أعربت حضراً وخفضت موتاً ، وكذلك القول في سام أبرص ورام هرمز . و قال : عامر بن صعصعة أبو قبيلة وهو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . و في القاموس : بجيلة - كسفينه - : حي باليمن من معد . و رعل و ذكوان قبيلتان من بني سليم . و قال : لحيان أبو قبيلة . و قال : مخوس - كمنبر - و مشرح و جمد و أبضعة بنو معدى كرب الملوك الأربعة الذين لعنهم رسول الله ﷺ و لعن أختهم العمردة و فدوا مع الأشعث فأسلموا ثم ارتدوا و قتلوا يوم النجير ، فقالت نائحتهم « يا عين بكى للملوك الأربعة » و قال : العمرد - كعملس - : الطويل من كل شيء - إلى أن قال - و بهاء : أخت الذين لعنهم النبي ﷺ - انتهى - و «المجذمين» لعل المراد بهم المنسوبون إلى الجذيمة ، و لعل أسداً و غطفان كليهما منسوبتان إليها . قال الجوهرى : جذيمة قبيلة من عبد القيس ينسب إليهم جذمي - بالتحريك - وكذلك إلى جذيمة بني أسد . و قال الفيروز آبادي : نخلقان - محرقة - حي من قيس . و لعل شهبلا - بالشين المعجمة و الباء الموحدة ، و في بعض النسخ بالسین المهملة و الياء المثناة - اسم ، وكذا ما بعده إلى آخر الخبر أسماء رجال . و أقول : قدمضت الأخبار الكثيرة في ذم البصرة في كتب الفتن ، وسيأتي أخبار مدح الكوفة والغري و كربلا و طوس و مكة و المدينة في كتاب المزار و كتاب الحج لم نوردتها ههنا حذراً من التكرار .

٧٤ - **اكمال الدين** : عن عبدالله بن محمد بن عبد الوهّاب ، عن أحمد بن محمد بن عبدالله بن زيد الشعراني من ولد عمّار بن ياسر - رضي الله عنه - يقول : حكى أبو القاسم محمد بن القاسم البصري أن أبا الحسن حمادويه بن أحمد بن طولون كان قد فتح عليه من كنوز مصر ما لم يرزق أحد قبله ، فأغري بالهرمين فأشار عليه ثقافته وحاشيته و بطاقته أن لا يتعرض لهدم الأهرام ، فإنه ما تعرض أحد لها فطال عمره فليج في ذلك ، وأمر ألفاً من الفعلة أن يطلبوا الباب وكانوا يعملون سنة حواله حتى ضجروا وكلوا ، فلما همّوا بالانصراف بعد الأياس منه و ترك العمل وجدوا سرباً فقدّروا أنه الباب الذي يطلبونه فلما بلغوا آخره وجدوا بلاطة قائمة من مرمر فقدّروا أنها الباب فاحتالوا فيها إلى أن قلعوها وأخرجوها ، فإذا عليها كتابة يونانية ، فجمعوا حكماء مصر و علماءها فلم يهتدوا لها ، و كان في القوم رجل يعرف بأبي عبدالله المدائني أحد حفاظ الدنيا و علمائها ، فقال لأبي الحسن ^(١) حمادويه بن أحمد : أعرف في بلد الحبشة أسقفاً قد عمّر وأتى عليه ثلاثمائة و ستون سنة يعرف هذا الخط ، وقد كان عزم على أن يعلمنيه فلحرصني على علم العرب لم أقم عليه و هو باق . فكتب أبو الحسن إلى ملك الحبشة يسأله أن يحمل هذا الأسقف إليه ، فأجابه أن هذا قد طعن في السن و حطمه الزمان و إنما يحفظه هذا الهواء ، و يخاف عليه إن نقل إلى هواء آخر و إقليم آخر و لحقته حركة و تعب و مشقة السفر أن يتلف ، و في بقائه لنا شرف و فرج و سكينه ، فان كان لكم شيء يقرأه أو يفسره أو ^(٢) مسألة تسألونه فالكتب بذلك . فحملت البلاطة في قارب إلى بلد أسوان من الصعيد الأعلى ، و حملت من أسوان على العجلة إلى بلاد الحبشة وهي قريبة من أسوان ، فلما وصلت قرأها الأسقف و فسّر ما فيها بالحبشية ثم نقلت إلى العريّة فاذا فيها مكتوب : « أنا الريّان بن دومغ » فسئل أبو عبدالله عن الريّان من هو ؟ قال : هو والد العزيز ملك يوسف عليه السلام و اسمه الريّان بن دومغ ، وقد كان

(١) الجيش (خ) .

(٢) و (خ) .

عمر العزيز سبعمائة سنة و عمر الريان والده ألف و سبعمائة سنة و عمر دومغ ثلاثة آلاف سنة . فاذا فيها :

« أنا الريان بن دومغ ، خرجت في طلب علم النيل ، لأعلم فيضه و منبعه إذ كنت أرى مغيضه ^(١) فخرجت و معي ثمن صعبت أربعة آلاف [ألف] رجل ، فسرت ثمانين سنة إلى أن انتهيت إلى الظلمات و البحر المحيط بالدنيا ، فرأيت النيل يقطع البحر المحيط و يعبر فيه ولم يكن له منفذ و تماوت أصحابي و بقيت ^(٢) في أربعة آلاف رجل فخشيت على ملكي فرجعت إلى مصر و بنيت الأهرام و البرابي و بنيت الهرمين و أودعتهما كنوزي و ذخائري ، و قلت في ذلك شعراً :

ولا علم لي بالغيب والله أعلم
و أحكمته والله أقوى و أحكم
فأعجزني و المرء بالعجز ملجم
و حولي بنو حجر و جيش عرمرم
و عارضني ليج من البحر مظلم
لذي هيئة بعدي ولا متقدم
بمصر ولا الأيام بؤس و أنعم
و باني برايبها بها و المقدم
على الدهر لا تبلى ولا تتهدم
و للدهر أمر مرة و تهجم
ولي لربّي آخر الدهر يسجم
ولا بد أن يعلو و يسمو به السم
و تسعون أخرى من قتيل و ملجم

و أدرك علمي بعض ما هو كائن
و أتقنت ما حاولت إتقان صنعه
و حاولت علم النيل من بدء ^(٣) فيضه
ثمانين شاهوراً قطعت مسائلاً
إلى أن قطعت الجنّ و الأيس كلهم
فأيقنت أن لا منفذاً بعد منزلي
فايت إلى ملكي و أرسيت نادياً
أنا صاحب الأهرام في مصر كلها
تركت بها آثار كفتي و حكمتي
و فيها كنوز جمّة و عجائب
سيفتح أقبالي و يبدي عجائبي
بأكناف بيت الله تبدو أموره
ثمان و تسع و اثنتان و أربع

. (٢) فبقيت (خ) .

. (١) مغيضه (خ) .

. (٣) بعد (خ) .

ومن بعد هذا كرّ تسعون تسعة
و تبدى كنوزي كلها غير أنني
رمزت مقالتي في صخور قطعها
و تلك البرابي تستخرّ و تهدم
أرى كلّ هذا أن يفرقه الدم
ستفنى و أفنى بعدها ثم أعدم^(١)

فحينئذ قال أبو الحسن حمادويه بن أحمد : هذا شيء ليس لأحد فيها حيلة إلاّ القائم
من آل محمد عليه السلام وردت البلاطة مكانها كما كانت . ثم إنّ أبا الحسن^(٢) بعد ذلك
بسنة قتله طاهر الخادم على فراشه و هو سكران ، و من ذلك الوقت عرف خبر الهرمين
و من بناهما . فهذا أصحّ ما يقال في خبر النيل و الهرمين .

بيان : السرب - بالتحريك - : الحفير تحت الأرض . و البلاطة - بالفتح - :
الحجارة التي تفرش في الدار . و القارب : السفينة الصغيرة . و الأسوان - بالضمّ و
يفتح - بلد بالصعيد بمصر . كلّ ذلك ذكره الفيروزآبادي . وقال : الهرمان - بالتحريك -
بناءان أو ليان بناهما إدريس عليه السلام لحفظ العلوم فيهما عن الطوفان ، أو بناء سنان بن
المشلسل أو بناء الأوائل لما علموا بالطوفان من جهة النجوم و فيهما كلّ طبّ و طلسم
و هنالك أهرام صغار كثيرة - انتهى - . و قال أبو ريحان في كتاب الآثار الباقية :
إنّ الفرس و عاقمة المجوس أنكروا الطوفان بكليته ، وزعموا أنّ الملك متصل فيه من
لدى « كيومرث گل شاه » الذي هو الإنسان الأوّل عندهم ، و وافقهم على إنكارهم إيّاه
الهند و الصين و أصناف الأمم المشرقيّة ، و أقرّ به بعض الفرس و وصفوه بغير الصفة
الموصوف بها في كتب الأنبياء ، و قالوا : كان من ذلك شيء بالشام و المغرب في زمان
طهمورث لم يعمّ العمران كلها ولم يفرق فيه إلاّ أهمّ قليلة ، وإنّه لم يجاوز عقبه حلوان
و لم يبلغ ممالك المشرق . و قالوا : إنّ أهل المغرب لما أئذّر به حكماؤهم بنوا أبنية
كالهرمين المبنيّتين في أرض مصر ، و قالوا : إذا كانت الآفة من السماء دخلناها وإذا كانت من
الأرض سعدناها ، فزعموا أنّ آثار ماء الطوفان و تأثيرات الأمواج بيّنة على أنصاف
هذين الهرمين لم يجاوزهما . و قيل : إنّ يوسف عليه السلام بناهما و جعل فيهما الطعام و

(١) عدم (خ) .

(٢) أبا الجيش (خ) .

الميرة سني القحط . و قالوا : إن طهمورث لما اتصل به الإذاروزلك قبل كونه بمأتين وإحدى و ثلاثين سنة أمر باختيار موضع في مملكته صحيح الهواء والتربة ، فلم يجدوا أحقّ بهذه الصفة من إصبهان ، فأمر بتجليد العلوم ودفنها في أسلم المواضع منه ، وقد يشهد لذلك ما وجد في زماننا بجيء^(١) من مدينة إصبهان من التلال التي انشقت عن بيوت مملوءة أعدالاً كثيرة من لحاء الشجرة التي يلتبس بها القسي و الترسة و يسمى « التوز » مكتوبة بكتابة لم يدر ما هي و ما فيها - انتهى - .

٧٧ - المناقب : عن محمد بن الفيض ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال أبو جعفر الدوانيقي^(٢) للصادق عليه السلام : تدري ما هذا ؟ قال : وما هو ؟ قال : جبل هناك يقطر منه [في السنة] قطرات فيجمد^(٣) فهو جيد للبياض يكون في العين يكحل به فيذهب باذن الله تعالى . قال : نعم ، أعرفه وإن شئت أخبرتك باسمه وحاله . هذا جبل كان عليه نبي من أنبياء بني إسرائيل هارياً من قومه ، فعبده الله عليه ، فعلم قومه فقتلوه ، وهو يبكي على ذلك النبي ، وهذه القطرات من بكائه له ، و من الجانب^(٤) الآخر عين تنبع من ذلك الماء بالليل و النهار ولا يوصل إلى تلك العين^(٥) .

٧٨ - الدر المنثور : قال : أخرج الزبير بن بكار في الموقوفيات عن عبد الله بن عمر و بن العاص ، قال : عجائب الدنيا أربعة : امرأة كانت معلقة بمنارة الإسكندرية فكان يجلس الجالس تحتها فيبصر من بالقسطنطينية و بينهما عرض البحر ؛ و فرس كان من نحاس بأرض أندلس^(٦) قائلاً بكفه كذا باسط يده أي ليس خلفي مسلك ، فلا يظأ تلك البلاد أحد إلا أكلته النمل ؛ و منارة من نحاس عليها راكب من نحاس بأرض

(١) يجيء (خ) .

(٢) الدوانيقي (خ) .

(٣) كذا في جميع النسخ ، و الظاهر « فجمد » .

(٤) في أكثر النسخ « و من جانب الآخر » والصواب ما في المتن موافقاً لنسخة مخطوطة .

(٥) المناقب : ج ٤ ، ص ٢٣٦ .

(٦) الاندلس (خ) .

عاد ، فإذا كانت الأشهر الحرم اكرم هطل منه الماء و سقوا^(١) و صبّوا في الحياض فإذا انقضت الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء ؛ و شجرة من نحاس عليها سودانية^(٢) من نحاس بأرض رومية ، فإذا كان أوان الزيتون صفرت السودانية التي من نحاس فتجيء كل سودانية من الطيارات بثلاث زيتونات : زيتونتين برجليها ، و زيتونة بمنقارها حتى تلقيه على تلك السودانية التي هي من نحاس ، فيعصر أهل رومية ما يكفيهم لإدامهم و سرجهم سنتهم إلى قابل^(٣) .

٧٩ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن أبي يحيى الواسطي عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن من وراء اليمن وادياً يقال له «وادي برهوت» ولا يجاوز ذلك الوادي إلا الحيات السود والبوم من الطير^(٤) في ذلك الوادي بشر يقال لها « بلموت »^(٥) يغدى و يراح إليها بأرواح المشركين ، يسقون من ماء الصديد ، خلف ذلك الوادي قوم يقال لهم « الذريح » لما أن بعث الله عز و جل محمداً صلى الله عليه و آله صاح عجل لهم فيهم و ضرب بذنبه و نادى فيهم : يا آل الذريح ! - بصوت فصيح - أتى رجل بتهمة يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله . قالوا : لأمر ما أنطق الله هذا العجل ! قال : فنأدى فيهم ثانية ، فعزموا على أن يبنوا سفينة ، فبنوها و نزل فيها سبعة منهم ، و حملوا من الزاد ما قذف الله في قلوبهم ، ثم رفعوا شراعاً^(٦) و سيّبوها في البحر ، فما زالت تسير بهم حتى رمت بهم بجدة ، فأتوا النبي صلى الله عليه و آله فقال لهم النبي صلى الله عليه و آله : أتم أهل الذريح نادى فيكم العجل ! قالوا : نعم ، قالوا : اعرض علينا يا رسول الله الدين و الكتاب ، فعرض عليهم رسول الله الدين و الكتاب و السنن

(١) في المصدر ، فإذا كانت الأشهر الحرم هطل منه الماء فشرّب الناس و سقوا ...

(٢) في مخطوطة « سودانية » و كذا في ما يأتي .

(٣) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٩٧ .

(٤) في المصدر : الطيور .

(٥) في بعض النسخ و كذا في المصدر ، بلهوت .

(٦) في بعض النسخ و كذا في المصدر : شراعها .

و الفرائض و الشرائع كما جاء من عند الله - عز ذكره - و ولى عليهم رجلاً من بني هاشم سيره معهم ، فما بينهم اختلاف حتى الساعة (١) .

٨٠ - حياة الحيوان : الأهرام من عجائب أبنية الدنيا ، وهي قبور الملوك ، أرادوا أن يتميزوا على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عليهم في حياتهم ، قيل : إن البأمون لما وصل إلى مصر أمر بنقب أحد الهرمين فنقب بعد جهد جهيد و غرامة نفقة عظيمة فوجد داخله مراقي دمها و يعسر سلوكها ، و وضع في أعلاها بيت مكعب طول كل ضلع من أضلاعه ثمانية أذرع ، و في وسطه حوض فيه مائة رمة بالية قد أتت عليها العصور فكف عن نقب ما سواه . و نقل أن هرمس الأول أخنوخ وهو إدريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان ، فأمر بينيان الأهرام ، و يقال : إنه ابتناها في مدة ستة أشهر و كتب فيها : قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة عام و الهدم أيسر من البنيان ! و كسوناها الديباج فليكسها الحصر و الحصر أيسر من الديباج . و قال ابن الجوزي في كتاب « سلوة الأحران » : و من عجائب الهرمين أن سمك كل واحد منهما أربع مائة ذراع من رخام و زمرّد و فيها مكتوب : أنا بنيتها (٢) بملكي فمن ادعى قوة فليهدمها (٣) فإن الهدم أيسر من البناء .

قال ابن المنادي : بلغنا أنهم قد رآوا الدنيا مراراً فأذا هو لا يقوم بهدمها - والله أعلم - .



(١) روضة الكافي : ٢٦١ .

(٢) بنيتها (خ) .

(٣) فليهدمها (خ) .

﴿باب نادر﴾

أقول : وجدت في بعض الكتب القديمة هذه الرواية، فأوردتها بلفظها ، ووجدتها أيضاً في كتاب « ذكر الأقاليم و البلدان و الجبال و الأنهار و الأشجار » مع اختلاف يسير في المضمون و تباين كثير في الألفاظ أشرت إلى بعضها في سياق الرواية ، وهي هذه :

مسائل عبدالله بن سلام وكان اسمه « اسماويل » فسماه النبي ﷺ عبدالله ، عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : لما بعث النبي ﷺ أمر علياً أن يكتب كتاباً إلى الكفار و إلى النصارى و إلى اليهود ، فكتب كتاباً أملاًه جبرئيل على النبي ﷺ فكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم » من محمد رسول الله إلى يهود خيبر أما بعد فإن الأرض لله و العاقبة للمتقين و السلام على من اتبع الهدى و لاحول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم ختم الكتاب و أرسله إلى يهود خيبر . فلما وصل الكتاب إليهم أتوا إلى شيخهم ابن سلام فقالوا : يا ابن سلام هذا كتاب محمد إليك فقرأم علينا فقرأ عليهم فقال لهم : ما تريدون من هذا الكلام ؟ و قد أرى فيه علامات وجدنا في التوراة أن هذا محمد الذي بشرنا به موسى ابن عمران . فقالوا : ينسخ كتابنا و يحرقم علينا ما أحل لنا من قبل . فقال لهم ابن سلام يا قوم اخترتم الدنيا على الآخرة و العذاب على المغفرة ! فقالوا : يا ابن سلام لو كان محمد على ديننا لكان أحب إلينا من غيره . فقال : أنا أروح إليه و أسأله عن أشياء من التوراة فإن أجبني عنها دخلت في دينه و خلّيت دين اليهودية ، و قام و أخذ التورات و استخرج منها ألف مسألة و أربعمئة مسألة و أربع مسائل من غامض المسائل فأخذها و أتى بها إلى محمد وهو في مسجده فقال : السلام عليك يا محمد و على أصحابك ، فقالوا : و على من اتبع الهدى السلام و رحمة الله و بركاته ، من أنت يا هذا الرجل ؟ قال : أنا عبدالله بن سلام ، و

أنا من رسل بني إسرائيل و ممن قرأ التوراة ، وأنا رسول اليهود إليك مع شيء لتبينه لنا ماهو و أنت من المحسنين . فقال النبي ﷺ : اجلس يا ابن سلام وسل عما شئت وإن شئت أخبرتك عما تسألني عنه . فقال : أخبرني يا محمد فأنتني أزداد فيك يقيناً . فقال : يا ابن سلام جئت تسألني عن ألف مسألة وأربعمائة مسألة وأربع مسائل نسختها من التوراة . فنكس عبدالله بن سلام رأسه و بكى و قال : صدقت يا محمد . فقال : أنبي أنت أم رسول ؟ فقال : يا ابن سلام إن الله بعثني نبياً ورسولاً وأنا خاتم النبيين ، أفما قرأت في التوراة « محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تربهم ركعاً سجداً ^(١) - الآية - » ؟ و أنزل علي « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله و خاتم النبيين ^(٢) » قال : صدقت يا محمد ، أخبرني أكليم أنت أم وحي ؟ قال : يا ابن سلام بل وحي يا تينني به جبرائيل عن رب العالمين . قال : صدقت يا محمد ، أخبرني كم خلق الله نبياً من بني آدم ؟ قال : يا ابن سلام ، خلق الله مائة ألف نبي و أربعة و عشرين ألف نبي . قال : صدقت يا محمد ، أخبرني كم المرسلون منهم ؟ قال : يا ابن سلام كان المرسلون ثلاثمائة و ثلاثة عشر . قال : صدقت يا محمد فأخبرني من كان أول الأنبياء ؟ قال : آدم . قال : صدقت يا محمد ، أخبرني آدم كان نبياً مرسلأ ؟ قال : نعم ، أفما قرأت في التوراة « قال يا آدم أبئبهم بأسمائهم ^(٣) - الآية - » ؟ قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن رسل العرب كم كانوا ؟ قال : ستة ^(٤) أو لهم إبراهيم و إسماعيل و لوط و صالح و شعيب و محمد . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني كم كان بين موسى و عيسى من نبي ؟ قال : ألف ، قال : صدقت يا محمد ، فعلى أي دين كانوا ؟ قال : على دين الله تعالى و دين ملائكته و دين الإسلام . قال : وما الإسلام ؟ وما الإيمان ؟ قال : أمّا الإسلام فتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و الإقرار بأن محمداً عبده و رسوله و إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و صوم شهر رمضان و الحج إلى بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلاً ، و أمّا الإيمان فتؤمن بالله و ملائكته و الكتاب و النبيين و البعث بعد الموت و القدر

(٢) الاحزاب : ٤٠

(١) الفصح ، ٢٩٠ .

(٤) سبعة (غ) .

(٣) البقرة ، ٣٣ .

خيره و شره من الله تعالى . قال : صدقت يا محمد ، أخبرني كم من دين الله تعالى ؟ قال : دين واحد وهو الإسلام . قال : صدقت يا محمد ، فيم كانت الشرائع ؟ قال : كانت مختلفة في الأمم الماضية . قال : صدقت يا محمد ، فأهل الجنة يدخلون بالإسلام أم بالإيمان أم بأعمالهم ؟ قال : يا ابن سلام استوجبوا الجنة بالإيمان و يدخلون برحمة الله و يقسمونها ^(١) بأعمالهم . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني كم أنزل الله كتاباً ؟ قال : يا ابن سلام أنزل الله مائة كتاب و أربعة كتب . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني علي من أنزلت هذه الكتب ؟ قال : يا ابن سلام ، أنزل الله عز وجل على آدم أربعة ^(٢) عشرة صحيفة و أنزل على إبراهيم عشرين صحيفة - وفي قول أربعة ^(٣) عشرة صحيفة - و على شيث بن آدم خمسين صحيفة ، و أنزل على إدريس ثلاثين ^(٤) صحيفة ، و أنزل الزبور على داود و أنزل التوراة على موسى ، و أنزل الإنجيل على عيسى ، و أنزل علي الفرقان . قال : صدقت يا محمد ، فهل أنزل عليك كتاباً ؟ قال : نعم ، قال : و أي كتاب هو ؟ قال : الفرقان قال : يا محمد لم سمّاه الرب فرقاناً ؟ قال : يا ابن سلام لأنه يفرق الآيات و السور و أنزل بغير الألواح و غير الصحف ، و التوراة و الإنجيل و الزبور كلها جملة في الألواح قال : صدقت يا محمد ، فهل في كتابك شيء من هذه الصحف ؟ قال : نعم يا ابن سلام . قال : ما هو يا محمد ؟ فقرأ النبي صلى الله عليه و آله و سلم « قد أفلح من تزكى - إلى قوله - صحف إبراهيم و موسى ^(٥) » قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني ما ابتداء القرآن و ما ختمه ؟ قال : يا ابن سلام ابتدأه بسم الله الرحمن الرحيم ، و ختمه صدق الله العلي العظيم . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن خمسة أشياء خلقها الله بيده ما هي ؟ قال : يا ابن سلام إن الله عز وجل خلق الجنة عدن بيده ، و غرس شجرة طوبى بيده ، و صور آدم بيده ، و كتب التوراة بيده ، و بنى السماوات بيده - قال صدقت يا محمد - و السماوات مطويات بيمينه . قال : صدقت [قال] يا ابن سلام أما سمعت قوله تعالى « و السماء

(١) يقسمونها (خ)

(٢) (٣ و ٢) كذا .

(٤) عشرين (خ)

(٥) الأعلى : ١٩ .

بيناها بأيدينا وإنا لموسعون^(١) قال : صدقت يا محمد ، أخبرني من أخبرك بهذا ، قال : أخبرني جبرائيل . قال : عن من ؟ قال : عن ميكائيل . قال : عن من ؟ قال : عن إسرئيل . قال : عن من ؟ قال : عن اللوح المحفوظ . قال : عن من ؟ قال : عن القلم . قال : عن من ؟ قال : عن رب العالمين . قال : وكيف ذلك يا محمد ؟ قال [النبي ﷺ] : يأمر الله القلم يكتب في اللوح ، وينزل في اللوح على إسرئيل ، ويبلغ إسرئيل ميكائيل ويبلغ ميكائيل جبرائيل . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن جبرائيل في زي الذكران أم في زي الإناث ؟ قال : يا ابن سلام بل هو في زي الذكران . قال : فأخبرني ما طعامه وما شرابه ؟ قال : يا ابن سلام طعامه التسبيح و شرابه التهليل . قال : صدقت يا محمد فأخبرني ما طوله ؟ وما عرضه ؟ وما صفته ؟ وما لباسه ؟ قال : يا ابن سلام على قدر الملائكة لا بالطويل الأعلى ولا بالقصير الأدنى ، أغر ، مكحول ، ضوءه كضوء النهار عند مظلمة الليل ، له أربعة وعشرون جناحاً خضراء^(٢) مكللة بالدر و الياقوت مخنومة باللؤلؤ عليه وشاح بطافته من إستبرق و ظهارته الوقار و الكرامة ، وجهه كالزعفران ، أفضى الأنف ، مدور الحدق^(٣) لا يأكل ولا يشرب ولا يمل ولا يسهو و هو قائم بوحى الله تعالى إلى يوم القيامة . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن بدء خلق الدنيا ، وأخبرني عن بدء خلق آدم كيف خلقه الله تعالى ؟ قال : نعم يا ابن سلام ، إن الله - سبحانه و تعالى ، تقدمت أسماؤه ولا إله غيره - خلقه من طين بيده ، و خلق الطين من الزبد ، و خلق الزبد من الموج ، و خلق الموج من الماء . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن آدم لم سمي آدم ؟ قال : يا ابن سلام لأنه خلق من طين الأرض و أديمها . قال : صدقت يا محمد ، فأدم خلق من الطين كله أو بعضه أو من طين واحد ؟ قال : يا ابن سلام بل خلقه الله من الطين كله ، ولأن آدم خلق من طين واحد لم يعرف بعضهم بعضاً وكانوا على صورة واحدة . قال : صدقت يا محمد ، هل لهم مثل بذلك^(٤) في الدنيا ؟ قال : نعم يا ابن سلام

. (٢) خضراً (خ) .

. (١) الزمر ، ٦٧ .

. (٣) الحدقة (خ) .

. (٤) في مخطوطه : هل هم كذلك في الدنيا .

أفما تنظر إلى التراب منه أبيض ، ومنه أسود ، ومنه أحمر ، ومنه أصفر ، ومنه أشقر ومنه أغبر ، ومنه أزرق ، وفيه عذب و خشن ، وفيه لين ، وكذلك بنو آدم فيهم خشن و فيهم لين و فيهم عذب كذلك [التراب] قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني من آدم لما خلقه الله عز وجل من أين دخلت الروح فيه ؟ قال : يا ابن سلام دخلت من فيه . قال : صدقت يا محمد ، أدخلت فيه على رضا أم علي كره ؟ قال : يا ابن سلام أدخله (١) الله كرهاً و يخرجها كرهاً . قال : صدقت يا محمد ، ما قال الله لآدم ؟ قال : يا ابن سلام قال الله لآدم : يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة فكلامها رغداً حيث شئتما ولا تقر با هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . قال : صدقت يا محمد ، فكم أكل منها حبة ؟ قال : حبتين قال : وكم أكلت حواء ؟ قال : حبتين . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني ما صفة الشجرة ! وكم لها غصن (٢) ؟ وكم كان طول السنبلة ؟ قال : يا ابن سلام كان لها ثلاثة أعصان ، و كان طول كل سنبلة ثلاثة أشبار . قال : صدقت يا محمد ، فكم سنبلة فرك منها آدم ؟ قال : سنبلة واحدة . قال : صدقت يا محمد ، فكم كان في السنبلة من حبة ؟ قال : كان فيها خمس حبات . قال : فأخبرني ما صفة الحبة ؟ قال : يا ابن سلام كانت بمنزلة البيض الكبار . قال فأخبرني عن الحبة التي بقيت مع آدم ما صنع بها ؟ قال : يا ابن سلام أنزلت مع آدم من الجنة فزرع آدم تلك الحبة فتناسل من تلك الحبة البركة (٣) . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن آدم أين أهبط من الأرض ؟ قال : أهبط بالهند . قال : صدقت يا محمد ، فأين أهبطت حواء ؟ قال : بجدة ، قال : صدقت يا محمد [فأين أهبطت الحبة (٤) ؟ قال : باصبهان ، قال : صدقت يا محمد] فأين أهبط إبليس ؟ قال : ببيسان . قال : صدقت يا محمد ، قال : ما أغزر علمك ! و ما أصدق لسانك ! فأخبرني ما كان لباس آدم لما أهبط من الجنة ؟ قال : ثلاث أوراق من ورق الجنة متوشحاً بالواحدة ، متزراً بالأخرى متعمماً بالثالثة . [قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني في أي مكان اجتمعوا ؟ قال : بعرفات]

(١) كذا . (٢) كذا .

(٣) فتناسل منها الحب في الارض بيورك فيها .

(٤) في بعض النسخ « الحبة » .

قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني خلقت حواء من آدم أم آدم من حواء ؟ قال : يا ابن سلام خلقت حواء من آدم ، ولو أن خلق آدم من حواء لكان الطلاق بيد النساء ولم يكن بيد الرجال . قال : فأخبرني خلقت من كلبه أو من بعضه ؟ قال : خلقت من بعضه ولو خلقت من كلبه لكان القضاء في النساء ولم يكن في الرجال . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن باطنه خلقت أم من ظاهره ؟ قال : يا ابن سلام بل خلقت من باطنه ، ولو خلقت من ظاهره لكشفت النساء من أبدانهن كما تكشف الرجال .

قال : فمن يمينه خلقت أم من شماله ؟ قال : بل خلقت من شماله ، ولو خلقت من يمينه لكان حظ الأنثى مثل حظ الذكر وشهادتها كشهادته ، ومن أجل ذلك جعل الله للذكر مثل حظ الأنثيين . قال : فأخبرني من أي موضع خلقت ؟ قال : يا ابن سلام خلقت من ضلعه الأيسر ^(١) . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني من كان يسكن الأرض قبل آدم ؟ قال : الجن . قال : فبعد الجن ؟ قال : الملائكة . قال : فبعد الملائكة ؟ قال : آدم و ذريته . قال : وكم كان بين الجن وبين آدم ؟ قال سبعة آلاف سنة . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن آدم فهل حج إلى بيت الله الحرام ؟ قال : نعم ، قال : فمن حلق رأس آدم ؟ قال : جبرئيل . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني هل أختن آدم أم لا ؟ قال : نعم يا ابن سلام ، ختن نفسه بيده . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن الدنيا لم سميت دنيا ؟ قال : يا ابن سلام لأن الدنيا خلقت من دون الآخرة ، ولو خلقت مع الآخرة لم تكن كما لم تكن ^(٢) الآخرة . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن القيامة لم سميت قيامة ؟ قال : يا ابن سلام لأن مقام الخلائق فيها للحساب . قال : فأخبرني لم سميت الآخرة آخرة ؟ قال : لأنها متأخرة [عنها] بعد الدنيا لا يوصف سنوها ، ولا تحصى أيامها ولا يموت ساكنها . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن أول يوم خلق الله تعالى الدنيا فيه ، قال : يوم الأحد . قال : ولم سماه أحداً ؟ قال : لأن الله واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً . قال : صدقت يا محمد . فالأثنين لم

(١) الأيسر (خ) .

(٢) كذا والظاهر « لانفسى » .

سمي اثنين؟ قال: لأنه ثاني يوم الدنيا. قال: فالثلاثاء لم سمي الثلاثاء؟ قال: لأنه ثالث يوم الدنيا. قال: فالأربعاء لم سمي الأربعاء؟ قال: لأنه رابع يوم الدنيا. قال: فالخميس لم سمي خميساً؟ قال: لأنه خامس يوم الدنيا. قال: فالجمعة لم سمي جمعة؟ قال: لأنه يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود و هو سادس يوم من أيام الدنيا. قال: فالسبت لم سمي سبتاً؟ قال: يا ابن سلام لأنه يوم يوكل فيه ملك، لأنه مع كل عبد ملكان: ملك عن يمينه، وملك عن شماله. فالذي عن يمينه يكتب الحسنات والذي عن شماله يكتب السيئات. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن مقعد الملوك من العبد و ما قلمهما؟ و مادواتهما؟ و مالوحيهما؟ و ما مدادهما؟ قال: يا ابن سلام مقعدهما على كتفيه، و قلمهما لسانه، و دواتهما فوه، و مدادهما ريقه، و لوحهما فؤاده، يكتبان أعماله إلى مماته. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما خلق الله في ذلك اليوم؟ قال: ن و القلم و ما يسطرون. قال: فأخبرني كم طول القلم؟ و كم عرضه؟ و كم أسنانه؟ قال: يا ابن سلام طول القلم خمسمائة عام، و له ثلاثون سنناً يخرج المداد من بين أسنانه و يجري في اللوح المحفوظ ما يكون و ما هو كائن إلى يوم القيامة بأمر الله عز و جل. قال: صدقت يا محمد، كم لحظة لله عز و جل في كل يوم و ليلة؟ قال: يا ابن سلام ثلاثمائة و ستون لحظة: يمضي و يقضي و يرفع و يضع و يسعد و يشقي و يعز و يسذل و يعلمي و يقهر و يغني و يقفر. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما خلق الله تعالى بعد ذلك؟ قال: يا ابن سلام السماء السابعة ممالي العرش، و أمرها أن ترتفع إلى مكانها فارتفعت ثم خلق الستة الباقية، و أمر كل سماء أن تستقر مكانها فاستقرت. قال: صدقت يا محمد فلم سماها سماءاً؟ قال: لارتفاعها. قال: فأخبرني ما بال سماء الدنيا خضراء؟ قال: يا ابن سلام اخضرت من جبل قاف. قال: صدقت يا محمد. فأخبرني مم خلقت؟ قال: خلقت من موج مكفوف. قال: و ما الموج المكفوف؟ قال: يا ابن سلام ماء قائم لا اضطراب له، و كانت (١) الأصل دخاناً. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن السماوات ألها أبواب؟ قال: نعم لها أبواب

(١) كذا والظاهر . وكان في الاصل .

وهي مغلقة ، ولها مفاتيح وهي مخزونة . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن أبواب السماء ماهي ؟ قال : ذهب . قال فما أفعالها ؟ قال : من نور . قال : فمفاتيحها ؟ قال : بسم الله العظيم . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن طول كل سماء وعرضها ، وكم ارتفاعها ؟ وما سكّانها ؟ قال : يا ابن سلام طول كل سماء خمسمائة عام وعرضها كذلك و بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام ، و سكّان كل سماء جند من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن السماء الثانية مما خلقت ؟ قال : من الغمام . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن السماء الثالثة مم خلقت ؟ قال : من زبرجدة خضراء . قال : فالرابعة ؟ قال : من ذهب أحمر . قال : صدقت يا محمد ، فالخامسة ؟ قال : من ياقوتة حمراء . قال : فالسادسة ؟ قال من فضة بيضاء . قال فالسابعة ؟ قال : من ذهب . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني ما فوق السماء السابعة ؟ قال : بحر الحيوان . قال : فما فوقه ؟ قال : بحر الظلمة . قال : فما فوقه ؟ قال : بحر النور . قال : فما فوقه ؟ قال : الحجب . قال : فما فوقه ؟ قال : سدرة المنتهى . قال : فما فوق سدرة المنتهى ؟ قال : جنّة المأوى . قال : فما فوق جنّة المأوى ؟ قال : حجاب المجد . قال : فما فوق حجاب المجد ؟ قال : حجاب الحمد . قال : فما فوق حجاب الحمد ؟ قال : حجاب الجبروت . قال : فما فوق حجاب الجبروت ؟ قال : حجاب العزّة . قال : فما فوق حجاب العزّة ؟ قال : حجاب العظمة . قال : فما فوق حجاب العظمة ؟ قال : حجاب الكبرياء . قال : فما فوق حجاب الكبرياء ؟ قال : الكرسي . قال : صدقت يا محمد ، قال : قد أوتيت علوم الأولين والآخرين وإنك لتنطق بالحق اليقين . قال : فما فوق الكرسي ؟ قال : العرش . قال : فما فوق العرش ؟ قال : الله تعالى وهو فوق الفوق و علمه تحت التحت . قال : صدقت يا محمد . قال : فأخبرني هل يستوي مخلوق على عرشه ؟ قال : معاذ الله يا ابن سلام . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن الشمس والقمر أهما مؤمنان أم كافرين ؟ قال : يا ابن سلام بل هما مؤمنان طائعان لله عز وجل مسخران تحت قهر المشيئة . قال : صدقت يا محمد ، قال : فأخبرني ما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور ؟ قال : يا ابن سلام إن الله محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة نعمة من الله و فضلاً ، ولولا ذلك ما عرف الليل من النهار ولا النهار من الليل .

قال صدقت يا محمد ، فأخبرني عن الليل لم سمّي ليلاً ؟ قال : لأنه يلايل الرجال من النساء جعله الله إلغاً ولباساً . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني لم سمّي النهار نهاراً ؟ قال : يا ابن سلام لأنّ فيه كلّ من الخلق يطلب معاشه . قال : صدقت يا محمد ، قال : فأخبرني عن النجوم كم جزءاً هي ؟ قال : يا ابن سلام ثلاثة أجزاء : جزء منها بأركان العرش يصل ضوؤها إلى السماء السابعة ، والجزء الثاني بسماء الدنيا كأمثال القناديل المعلقة وهي تضيء لسكّانها و ترمي الشياطين بشررها إذا استرقوا السمع ، و الجزء الثالث معلقة في الهواء وهي ضوء البحار وما فيها وما عليها . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني ما بال النجوم تبان صغاراً وكباراً ؟ قال : يا ابن سلام لأنّ بينها و بين سماء الدنيا بحاراً تضرب الرياح أمواجها فتبان من تحتها صغاراً أو كباراً ، ومقدار النجوم كلّها مقدار واحد . قال صدقت يا محمد ، فأخبرني كم ريحاً بيننا و بين سماء الدنيا ؟ قال : ثلاثة أرياح : الريح العقيم التي أرسلت على قوم عاد حملت الأشجار والثمار ، والريح التي هي سوداء مظلمة يعذب بها أهل النار ، و [ريح] تحمل البحار ، ورياح لأهل الأرض بها حملت الأشجار والثمار تغدو في جوانبها ، ولولا تلك الرياح لاحتقرت الأرض و الجبال من حرّ الشمس . قال : صدقت يا محمد . فأخبرني عن حملة العرش كم هم صنفاً ؟ قال : ثمانون صنفاً ، طول كلّ صنف ألف ألف فرسخ ، وعرضه خمسمائة عام ، و رؤسهم تحت العرش وأقدامهم تحت سبع أرضين ، ولو أنّ طائراً يطير من اذن أحدهم اليمنى إلى اليسرى ألف سنة من سنين (١) الدنيا لم يبلغ إلى الأذن الآخر حتى يموت هرماً - أي شيخاً - لهم ثياب من درّ و ياقوت شعرهم كالزعفران ، طعامهم التسبيح ، و شرابهم التهليل . و الصنف الأوّل نصفه ثلج و نصفه نار لا يذيب النار الثلج ولا الثلج يطفىء النار ، و الصنف الثاني نصفه رعد و نصفه برق ، و الصنف الثالث نصفه ماء و نصفه مدر لا الماء يذيب المدر ولا المدر يذيب الماء ، و الصنف الرابع نصفه ريح و نصفه ماء لا الريح يهيج الماء ولا الماء يسبق الريح . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن طائر يطير بين السماء و الأرض ليس له في السماء مكان ولا في الأرض مسكن ما هم يا محمد ؟ قال : يا ابن سلام تلك حيّات

(١) سنى (خ) .

أعرافها كأعراف الخيل تبيض في الجو على أذناها ، و تفرخ على مناكبها في الهواء إلى يوم القيامة . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن مولود أشد من أبيه . قال : يا ابن سلام ذلك الحديد يولد من الحجر وهو أشد من الحجر . قال : صدقت يا محمد ، قال : فأخبرني عن بقعة أصابتها الشمس مرة واحدة فلا تعود إليها إلى يوم القيامة . قال : يا ابن سلام ذلك موضع أغرق الله فيه فرعون حين انفلق البحر و انطبق عليه . قال : صدقت يا محمد فأخبرني عن بيت له اثنا عشر باباً أُخرج منه اثنا عشر عيناً لاثنى عشر سبطاً . قال النبي ﷺ : لما جاوز [موسى] بني^(١) إسرائيل البحر و دخل بهم إلى البرية فشكوا إلى موسى العطش فمرّ بحجر مربع فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك الحجر ، ف ضرب به موسى ، فانفجر منه اثنا عشرة عيناً لاثنى عشر سبطاً من بني إسرائيل ، قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن نبيّ لا من الجنّ و لا من الإنس ، و لا من الطير و لا من الوحش قال : يا ابن سلام ذلك النملة التي أذرت قومها حين قالت « يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم^(٢) » ، قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن من أوحى الله إليه لا من الجنّ و لا من الملائكة و لا من الإنس و لا من الوحش ما هو ؟ قال : يا ابن سلام النحل أوحى الله إليها « أن اتخذي من الجبال بيوتاً و من الشجر و مما يعرشون^(٤) » ، قال : صدقت يا محمد قال : فأخبرني ما أوحى الله إليه من الأرض ما هو ؟ قال : يا ابن سلام أوحى الله إلى جبل طور سيناء أن ارفع موسى إلى السماء حتى يتناول الألواح من ربّ العالمين . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن مخلوق أوّله عود و آخره روح . قال : يا ابن سلام تلك عصا موسى بن عمران ، أمره الله أن يلقبها في بيت المقدس فألقاها فإذا هي حيّة تسعى . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن ثلاث^(٥) ذكور لم يولدوا عن فعل . قال : يا ابن سلام ذلك عيسى بن مريم و آدم و كبش إسماعيل . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني

(١) كذا و الظاهر « بني إسرائيل » .

(٢) في أكثر النسخ « لاثنى عشر » .

(٣) النمل ، ١٨ . (٤) النحل ، ٦٨ .

(٥) كذا في جميع النسخ .

عن وسط الدنيا في أي موضع هو؟ قال : بيت المقدس ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأن فيه المحشر والمنشر والصراف والميزان . قال : صدقت يا محمد ، قال : فأخبرني عن الفلك المشحون ما هو ؟ قال : يا ابن سلام ، السفن المبنية في البحر ، أما قرأت في التوراة « و حملناه على ذات ألواح و دسر ^(١) » ؟ قال : صدقت يا محمد ، قال : ما الألواح ؟ قال : الأشجار التي سقت ^(٢) طولاً هي الألواح . فأخبرني عن الدر . قال : يا ابن سلام المسامير و العوارض [من] الحديد . قال : صدقت يا محمد ، قال : فأخبرني كم كان طول السفينة ؟ وكم عرضها ؟ وكم كان ارتفاعها ؟ قال : يا ابن سلام كان طولها ثلاثمائة ذراع و عرضها مائة وخمسين ذراعاً و ارتفاعها مائتي ذراع . قال : صدقت يا محمد ، قال : فأخبرني من أين ركبها نوح ؟ قال : من العراق ، قال : أين ثبت ؟ قال : طافت بالبيت العتيق أسبوعاً و بيت المقدس أسبوعاً و استوت على الجودي . قال : صدقت يا محمد ، قال : فأخبرني عن البيت المعمور أين كان لما أغرق الله الدنيا ؟ قال : يا ابن سلام رفعه الله تعالى إلى السماء السابعة قبل الطوفان . قال : صدقت يا محمد [قال : فأخبرني أين كانت الصخرة وقت الطوفان ؟] قال : و أمر الله تعالى أباقيس أن يحمل الصخرة في بطنه . قال : فالبيت المقدس لما أغرق الله الدنيا أين كان ؟ قال : في جبل أبي قبيس . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن مولود لم يشبه أباه و ربما أشبه خاله و ربما أشبه عمه . قال : يا ابن سلام إذا جامع الرجل امرأته فإن غلبت شهوة المرأة على شهوة الرجل خرج الولد إلى خاله و إن غلبت شهوة الرجل على شهوة المرأة خرج إلى عمه و إن استويا خرج الولد إلى أمه وأبيه . قال : صدقت يا محمد .

أقول : في الرواية الأخرى هكذا « قال : فأخبرني عن المولود إذا لم يشبه أباه و ربما يشبه خاله و عمه . قال : إذا جامع الرجل امرأته فإن غلبت شهوة الرجل شهوة المرأة خرج الرجل إلى أبيه أشبه و إن غلبت شهوة المرأة خرج الولد بأمه أشبه ، و إن استويا خرج شبيهاً بهما ، فإن سبقت شهوة الرجل خرج الولد بعمه أشبه ، و إن سبقت

(١) القمر ، ١٣ .

(٢) في مخطوطة « شقت » .

شهوة المرأة كان الولد يخاله أشبهه . قال : صدقت ، رجعتنا إلى الرواية الأولى :

قال : فأخبرني هل يعذب الله عبده بلا حجة ؟ قال : معاذ الله يا ابن سلام ، إن الله تبارك وتعالى عدل لا يجور في قضائه . قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن أطفال المشركين في الجنة أم في النار ؟ قال : يا ابن سلام ، الله أولى بهم ، ولكن إذا كان يوم القيامة وجمع الخلق لفصل القضاء أمر الله تعالى بأطفال المشركين فيؤتى بهم فيقول لهم : عبادي وأبناء عبادي وإمائي ، من ربكم ؟ وما دينكم ؟ وما أعمالكم ؟ فيقولون : اللهم أنت ربنا وأنت خالقنا ولم نكن شيئاً وأمتنا ولم تجعل لنا لساناً فنطق به ولا عقلاً نعقل به ولا قوة في الأعضاء تعبد بها ولا علم لنا إلا ما علمتنا فيقول الله لهم - وهو أجل قائل - فالآن لكم السنة وعقول وقوة للحركة في الأعضاء فإن أمرتكم بأمر يا عبادي تفعلوه ؟ فيقولون : السمع والطاعة لك يا إلهنا وخالقنا ورازقنا وما لكنا . فيأمر الله تعالى [مالك] فتزجر جهنم حتى تفور ويأمر أطفال المشركين : ألقوا أنفسكم في تلك النار . فمن سبق له في علم الله أن يكون سعيداً ألقى نفسه فيها ، فتكون النار عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم خليل الرحمن ، ومن سبق له في علم الله أن يكون شقيماً امتنع أن يلقي نفسه في تلك النار فيكونون تبعاً لآبائهم وأمهاتهم في النار ، والفرقة الأخرى يخرجون إلى الجنة مع المؤمنين ، قال : صدقت ، [قال : بررت وبيئت وأزلت الشك يا محمد فزدني يقيناً] فأخبرني عن الأرض لم سميت أرضاً ؟ قال : لأنها أرض يداس عليها . قال : فمم خلقت ؟ قال : من زبرجد [من الزبد] قال : فالزبرجدة مم خلقت ؟ قال : من الموج ، قال : فالموج مم خلق ؟ قال : من البحر . قال : صدقت يا محمد ، فكيف ذلك ؟ قال : إن الله عز وجل لما خلق البحر أمر الريح أن تضرب الأمواج بعضها في بعض فاضطرب الأمواج حتى ظهر الزبد ، ثم أمرها أن تجتمع فاجتمعت ، ثم أمرها أن تلين فلانت ، ثم أمرها أن تعتدل فاعتدلت ، ثم أمرها أن تمتد فامتدت فصارت أرضاً قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني من أين سكونها ؟ قال : من جبل قاف وهو أصل أوتاد الأرض التي نحن عليها . قال : فأخبرني ما تحت هذه الأرض ؟ قال : تحتها ثور ، قال : وما صفته ؟ قال : يا ابن سلام ، له أربع قوائم ، وهو قائم على صخرة بيضاء . قال : فأخبرني

ماصقته؟ قال : يا ابن سلام ، له أربعون قرناً و أربعون سنناً ، رأسه بالمشرق و ذنبه بالمغرب وهو ساجد لله تعالى إلى يوم القيامة ، من القرن إلى القرن مسيرة خمسين ألف سنة . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني ماتحت الصخرة ؟ قال : تحتها جبل يقال له الصعود . قال : و لمن ذلك الجبل ؟ قال : لأهل النار ، يصعد المشركون إلى يوم القيامة و هو مسيرة ألف سنة - حتى إذا بلغوا أعلا ذلك الجبل ضربوا بمقامع فيسقطون إلى أسفله فيسحبون ^(١) على وجوههم . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني ماتحت ذلك الجبل ؟ قال : أرض ، قال : وما اسمها ؟ قال : جارية ، قال : وما تحتها ؟ قال : بحر ، قال : وما اسمه ؟ قال : سهك . قال : صدقت يا محمد ، قال : فما تحت ذلك البحر ؟ قال : أرض ، قال : وما اسمها ؟ قال : ناعمة ، قال : وما تحتها ؟ قال : بحر ، قال : وما اسمه ؟ قال : الزاخر قال : وما تحته ؟ قال : أرض ، قال : وما اسمها ؟ قال : فسيحة ، قال : فصف لي هذه الأرض ، قال : يا ابن سلام ، هي أرض بيضاء كالشمس و ريحها كالمسك و ضوءها كالقمر و نباتها كالزعفران يحشرون ^(٢) عليها المتقون يوم القيامة . قال : صدقت يا محمد ، قال : فأخبرني أين تكون هذه الأرض التي نحن عليها اليوم ؟ قال النبي ﷺ : يا ابن سلام تبدل هذه الأرض غيرها . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني ماتحت تلك الأرض ؟ قال : البحر ، قال : وما اسمه ؟ قال : القمقام ، قال : وما فيه ؟ قال : الحوت ، قال : وما اسمه ؟ قال : يهموت ^(٣) قال : صدقت يا محمد . قال : فصف لي الحوت . قال : يا ابن سلام رأسه بالمشرق و ذنبه بالمغرب . قال : فما على ظهره ؟ قال : الأرض والبحار والظلمة والجبال . قال : فما بين عينيه ؟ قال : سبعة أبحر في كل بحر سبعون ألف مدينة في كل مدينة ألف لواء تحت كل لواء سبعون ألف ملك . قال : فما يقولون ؟ قال : يقولون لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني ماتحت الريح ، قال : الظلمة ، قال : فما تحت الظلمة ؟ قال :

(١) في اكثر النسخ « فيسحبون » والصواب ما في المتن موافقاً لنسخة مخطوطة .

(٢) كذا والطاهر « يحشرون » .

(٣) في بعض المخطوطات « بهموت » وفي بعضها « بلهوت » .

الثرى ، قال : فما تحت الثرى ؟ قال : لا يعلمه إلا الله عز وجل . قال : صدقت يا محمد فأخبرني عن ثلاث من رياض الجنة في الأرض أين تكون ؟ قال : يا ابن سلام ، أولها مكة ، وثانيها بيت المقدس ، وثالثها مدينة محمد . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن أربع مدائن من مدائن الجنة في الدنيا . قال : أولها إرم ذات العماد ، والثانية المنصورية^(١) وهي مدينة بالشام ، و الثالثة قيسارية وهي مدينة بساحل البحر في الشام ، والرابعة هي البلقاء وهي أرمنيّة^(٢) . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن أربع منابر من منابر الجنة في الدنيا أي موضع هي ؟ قال : يا ابن سلام ، أولها قيروان وهي إفريقية ، والثانية باب الأبواب وهي بأرض أرمنيّة^(٣) ، والثالثة عبادان^(٤) وهي بأرض العراق ، والرابعة بخراسان وهي خلف نهر يقال له جيحون . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن أربع مدائن من مدائن جهنم في الدنيا . قال : يا ابن سلام ، أولها مدينة فرعون في أرض مصر ، والثانية أنطاكية وهي بأرض الشام ، و الثالثة بأرض سيحان وهي بأرض أرمنيّة^(٥) الرابعة المدائن وهي بأرض العراق . قال : صدقت يا محمد ، قال : فأخبرني عن أربعة أنهار في الدنيا وهي من أنهار الجنة . قال : أولها الفرات وهو بأرض^(٦) الشام ، و الثاني النيل وهو بأرض مصر ، والثالث نهر سيحان وهو نهر الهند ، والرابع جيحون وهو بأرض بلخ . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن شيء لاشيء ، و شيء بعض شيء وشيء لا يفنى^(٧) منه شيء . قال : يا ابن سلام . أما شيء لاشيء فهي الدنيا يذهب نعيمها ويموت ساكنها ، ويخمد ضوءها ؛ وأما الشيء بعض الشيء وقوف الخلائق في صعيد واحد فهو شيء بعض شيء ، و أما شيء لا يفنى^(٨) منه شيء فالجنة و النار لا يفنى^(٩)

(١) المنصورة من بلاد الهند (خ) .

(٢ و ٣) أرمنيّة (خ) (٤) عبادان (خ) .

(٥) أرمنيّة (خ) . (٦) في حدود الشام (خ) .

(٧) في أكثر النسخ لا يفنى ، و الظاهران الصواب ما في المتن موافقاً لبعض النسخ

المخطوطة .

(٨) لا يفنى (خ) . (٩) يفنى (خ) .

من الجنة نعيمها ولا ينقص من النار عذابها ، فمن قال من العباد إن نعيمها يفنى (١) أو عذاب الله ينقضي فهو كافر بالله في كل شيء . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن جبل قاف ما خلفه؟ وما دونه؟ قال : يا ابن سلام ، خلفه أرض ذهب وسبعون أرضاً من فضة وسبعة (٢) أرضين من مسك .

قال : فما سكان هذه الأرضين ؟ قال الملائكة قال : كم طول كل أرض منها ؟ وكم عرضها ؟ قال : طول كل أرض منها عشرة آلاف سنة و عرضها كذلك قال : صدقت يا محمد ، فما وراء ذلك ؟ قال : حجاب الريح ، قال : فما وراء ذلك ؟ قال [من صح] (٣) كيف محيط بالدنيا كلها تسبح الله تعالى . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن أهل الجنة يأكلون و يشربون ولا يتغوثون ولا يبولون ؟ قال نعم يا ابن سلام ، مثلهم في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه يأكل مما تأكل أمه و يشرب مما تشربه ولا يبول ولا يتغوط و لوراث في بطنها وبال لا تشق بطنها . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن أنهار الجنة ماهي ؟ قال : يا ابن سلام ، لبن لم يتغير طعمه ، و خمر ، و عسل مصفى ، و ماء غير آسن قال : صدقت يا محمد ، فجامدة هي أم جارية ؟ قال : بل جارية بين أشجارها . قال : فهل تنقص أم تزيد ؟ قال لا يا ابن سلام ، قال : فهل لذلك مثل في الدنيا ؟ قال : نعم ، قال وما هو ؟ قال يا ابن سلام انظر إلى البحار تمطر فيها السماء و تمدها الأنهار من الأرض فلا تزيد ولا تنقص قال : وصف لي أنهار الجنة . قال : يا ابن سلام . في الجنة نهر يقال له الكوثر رائحته أطيب من رائحة المسك الأذفر والعنبر ، حباه الدر والياقوت عليه ختام من اللؤلؤ الأبيض ، و هو منزل أولياء الله تعالى .

قال : صدقت يا محمد فصف لي أشجار الجنة . قال : في الجنة شجرة يقال لها طوبى ، أصلها من در و أغصانها من الزبرجد و ثمرها الجواهر ، ليس في الجنة غرفة ولا حجرة ولا موضع إلا وهي متدلية عليه . قال : صدقت يا محمد ، فهل في الدنيا لها من مثل ؟ قال : نعم ، الشمس المشرقة تشرق على بقاع الدنيا ولا يخلو من شعاعها مكان . قال : صدقت يا محمد ، فهل في الجنة ريح ؟ قال : نعم ، يا ابن سلام

(١) يفنى (خ) .

(٢) كذا والظاهر سبع .

(٣) كذا ، وكان فيه تصحيحاً .

فيها ريح واحدة خلقت من نور مكتوب عليها الحياة^(١) واللذات يقال لها البهاء، فاذا اشتاق أهل الجنة أن يزوروا ربهم هبت تلك الريح عليهم [التي] لم تخلق من حر ولا من برد بل خلقت من نور العرش تنفخ في وجوههم ، فتبهي وجوههم وتطيب قلوبهم ويزدادوا نوراً على نورهم ، وتضرب أبواب الجنان ، وتجري الأنهار ، وتسبح الأشجار وتغرد الأطيوار ، فلوأن من في السماوات والأرض قيام يسمعون ما في الجنة من سرور و طرب لمات الخلائق شوقاً إلى الجنة ، و الملائكة يدخلون عليهم^(٢) فيقولون كما قال الله عز وجل في محكم كتابه العزيز « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين^(٣) سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»^(٤) قال : صدقت يا محمد .

قال : فأخبرني عن أرض الجنة ماهي ؟ قال : يا ابن سلام ، أرضها من ذهب ، و ترابها المسك والعنبر ، ورضراضها الدر والياقوت ، وسقفها عرش الرحمن . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني مما يأكل أهل الجنة إذا دخلوها ، قال : يا ابن سلام ، يأكلون من كبد الحوت الذي يحمل الأرض و ما عليها و اسمه « بهموت » قال صدقت يا محمد . قال : فأخبرني عن أهل الجنة كيف يصرفون ما يأكلون من ثمارها ؟ وكيف يخرج من أجوافهم ؟ قال : يا ابن سلام ، ليس يخرج من أجوافهم شيء ، بل عرفاً صيباً أطيّب من المسك و أزكى من العنبر ، ولوأن عرق رجل من أهل الجنة مزج به البحار لآسكر ما بين السماء و الأرض من طيب رائحته . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن لواء الحمد ما صقته ؟ وكم طوله ؟ وكم ارتفاعه ؟ قال : يا ابن سلام ، طوله ألف سنة ، و أسنانه من ياقوتة [حمراء و ياقوتة] خضراء ، قوائمه من فضة بيضاء ، له ثلاث ذوائب من نور : ذؤابة بالمشرق ، و ذؤابة بالمغرب ، و الثالثة في وسط الدنيا . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني كم سطر فيه مكتوب ؟ قال : ثلاثة أسطر : السطر الأول وّل بسم الله الرحمن الرحيم ، و السطر

(١) العبيات (خ) .

(٢) في اكثر النسخ « يدخلون عليهم الملائكة » .

(٣) الزمر : ٧٣ .

(٤) الرعد : ٢٦ .

الثاني الحمد لله رب العالمين ، والسطر الثالث لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . قال: صدقت يا محمد ، فأخبرني عن الجنة و النار أيتهما خلق الله قبل ؟ قال : يا ابن سلام ، خلق الله الجنة قبل النار ، ولو خلق النار قبل الجنة لخلق العذاب قبل الرحمة . قال : فأخبرني عن الجنة أين هي ؟ قال : في السماء السابعة و النار في تخوم الأرض السفلى . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني كم للجنة من باب ؟ وكم للنار من باب ؟ قال : يا ابن سلام للجنة ثمانية أبواب ، و للنار سبعة أبواب . قال : فأخبرني كم بين الباب و الباب من الجنة ؟ قال : مسيرة ألف سنة . قال : وكم ارتفاعه ؟ قال : خمسمائة عام ، عليه سرادق من ذهب بطاقته من زمرد ، على كل باب جنود من الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى . قال : فأخبرني فما (١) يقولون ؟ قال : يقولون : طوبى لأهل الجنة وما يلقون من نعيم الله . قال : فصف لي من يدخل الجنة ، قال : يا ابن سلام ، يدخلونها أبناء ثلاثين و بنات ثلاثين سنة في حسن يوسف و طول آدم وخلق محمد . قال : فصف لي بعض نعيم أهل الجنة . قال : إن أدنى من في الجنة - و ليس في الجنة دني - لو نزل به جميع من في الأرض لا وسعهم طعاماً ولا ينقص منه شيء ، ولو أن رجلاً من أهل الجنة يبصق في البحار المالحة لعذبت ، ولو نزل من زؤابته من السماء إلى الأرض بلغ ضوءها كضوء الشمس و نور القمر . قال : صدقت يا محمد ، فصف لي الحور العين . قال : يا ابن سلام ، الحور العين بيض الوجوه ، فحام العيون بمنزلة جناح النسر ، صفاؤها كصفاء النؤلؤ الأبيض الذي في الصدف الذي لم تمسه الأيدي . قال : فصف لي النار . قال : يا ابن سلام ، أو قد عليها ألف عام حتى احمرت ، و ألف عام حتى ابيضت ، و ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة مزوجة بغضب الله تعالى ، لا يهدأ لهيبها ، ولا يخمد جهرها . يا ابن سلام لو أن جمرة من جهرها ألقيت في دار الدنيا لألهمت (٢) ما بين المشرق و المغرب لعظم خلقها ، و هي سبعة أطباق : الطبقة الأولى للمنافقين ، و الثانية للمجوس ، و الثالثة للنصارى ، و الرابعة لليهود ، و الخامسة سقر ، و السادسة السعير - و أمسك النبي ﷺ

(١) مما (خ) .

(٢) لسدت (خ) .

عن السابعة و بكى حتى ارفضت^(١) دموعه على لحيته و قال - أما السابعة وهي أهونها لأهل الكباثر من أممي . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن القيامة وكيف تقوم ؟ قال : يا ابن سلام ، إذا كان يوم القيامة كورت الشمس واسودت ، و طمست النجوم ، وسيرت الجبال ، و عطلت العشار ، و بدلت الأرض غير الأرض . قال : صدقت يا محمد . قال : النبي ﷺ : يقام الخلائق لفصل القضاء ، و يمد الصراط ، و ينصب الميزان ، وتنشر الدواوين ، و يبرز الرب لفصل القضاء . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني كيف يميت الله الخلائق يوم القيامة ؟ قال : يا ابن سلام ، يأمر الله ملك الموت فيقف على صخرة بيت المقدس ، فيضع يمينه على السماوات و يده اليسرى تحت الثرى و يصبح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ملك مقرّب ولا إنس ولا جان ولا طائر يطير إلا خرو ميتاً ، فتبقى السماوات خالية من سكّانها ، و الأرض خراباً من عمّارها ، و العشار معطّلة ، و البحار جامدة حينئها ، و الجبال مدكدكة ، و الشمس منكسفة ، و النجوم منطمسة . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني عن ملك الموت هل يذوق الموت أم لا ؟ قال : يا ابن سلام ، إذا أمات الله الخلائق ولم يبق شيء له روح يقول الله عزّ وجلّ : يا ملك الموت ! من أبقيته من خلقي ؟ - و هو أعلم - فيقول : يا رب أنت أعلم منّي بما بقي من خلقي ، ما خلق إلاّ وقد ذاق الموت إلاّ عبدك الضعيف ملك الموت . فيقول الله عزّ وجلّ : يا ملك الموت أذقت عبادي و أنبيائي و أوليائي و رسلي الموت ، وقد سبق في علمي القديم - و أناء لام الغيوب - أن كلّ شيء هالك إلاّ وجهي [و هذه نوبتك !] فيقول : إلهي و سيدي ارحم عبدك ملك الموت فإنه ضعيف . فيقول الله عزّ وجلّ له : يا ملك الموت ، ضع يمينك تحت خدك الأيمن بين الجنة و النار .

قال عبدالله بن سلام : بأبي أنت و أممي يا رسول الله ، و كم بين الجنة و النار ؟ قال : مسيرة ثلاثين ألف سنة من سنين^(٢) الدنيا - فيضطجع ملك الموت على يمينه و يضع يده اليمنى تحت خده الأيمن ، و يده الشمال على وجهه و يصرخ صرخة فلو أن أهل السماوات و الأرض أحياء لما توالشده صرخته . قال : صدقت يا محمد

(١) اي سات و ترششت .

(٢) سنى (خ) .

فأخبرني ما يصنع الله بالسموات إنا مات سكاؤها؟ قال: يطويها بيمينه كطي السجل للكتب ثم يقول الله - جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره ولا معبود سواه - : أين الملوك ر أبناء الملوك؟ أين الجبابرة وأبناء الجبابرة؟ فلا يجيبه أحد، ثم يقول: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، فيرد على نفسه: الملك لله الواحد القهار. اليوم تجزي كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني كيف يحشر الله الخلائق يوم القيامة بعد موتهم؟ قال النبي ﷺ: يا ابن سلام، يحيي الله إسرافيل وهو أول من يحييه من خدمه وهو صاحب الصور أو لا^(١) فيأمره الله عز وجل أن ينفخ في الصور. قال: فأخبرني ما يقول إسرافيل في الصور؟ قال: يا ابن سلام، يقول أيتها العظام البالية، والأعضاء المتفرقة، والشعور المنفصلة، هلموا إلى العرض على الله تعالى الملك الجبار خالق السماوات والأرض ثم ينفخ في الصور^(٢) أخرى فإزاهم قيام ينظرون. قال: فكم طول كل نفخة؟ قال: هيسرة أربعين ألف سنة. قال: صدقت يا محمد، فكم كلمة يتكلم فيه إسرافيل؟ قال: ست كلمات، قال: وما تلك الكلمات؟ قال: الكلمة الأولى يكون الناس طيناً، والكلمة الثانية يكونون صوراً، والكلمة الثالثة تستوي الأبدان، والكلمة الرابعة يجري الدم في العروق، والكلمة الخامسة ينبت الشعر والكلمة السادسة قوموا، فإزاهم قيام ينظرون. قال: صدقت يا محمد، فأخبرني كيف يقوم الخلائق يوم القيامة من القبور؟ قال: يا ابن سلام، يقومون عراة حفاة أبدانهم خالية بطونهم، مظلمة أبصارهم، ورجلة! قال^(٣): الرجال ينظرون إلى النساء، والنساء ينظرون إلى الرجال؟ قال: هيهات يا ابن سلام! لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه من شدة هول القيامة. قال: صدقت يا محمد، ثم أمسك ابن سلام عن الكلام، قال: النبي ﷺ: سل عما شئت يا ابن سلام، فقال: الحمد لله الذي من علي بالنظر إلى

(١) في مخطوطة، وهو أول من يحييه من المقربين وهو صاحب الصور في أمره الله...

(٢) فيه (خ).

(٣) في بعض النسخ: حال الرجال والنساء، الرجال - الخ - وفي بعضها «جال»

بالجيم، وفي بعضها: قال، الرجال إلى النساء والنساء إلى الرجال ينظرون؟

وجبهك المليح ، فأخبرني إذا كان يوم القيامة أين يحشر الخلائق ؟ قال النبي ﷺ :
يحشر الله الخلائق إلى بيت المقدس ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : يأمر الله عز وجل نارا فتحيط
بالدنيا و تضرب وجوه الخلائق فيهربون منها و يمرّون على وجوههم فيجتمعون إلى
بيت المقدس قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني ما يصنع الله بالطفل الصغير والشيخ الكبير ؟
قال : يا ابن سلام ، من كان مؤمناً بالله سارت به الملائكة وانقضت النار عن وجهه ، ومن
كان كافراً تلفح وجهه النار حتى يؤتى به إلى بيت المقدس . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني
كم تكون صفوف الخلائق ؟ قال : يا ابن سلام ، مائة وعشرون صفّاً . قال : فكم طول
كل صف ؟ وكم عرضه ؟ قال : يا ابن سلام ، طوله مسيرة أربعين ألف سنة وعرضه عشرون
ألف سنة ، قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني كم صفّ المؤمنين وكم صفّ الكافرين ؟ قال :
صفوف المؤمنين ثلاث^(١) صفوف ، ومائة وسبعة عشر صفّاً للكافرين . قال : صدقت يا محمد
قال : فما صفة المؤمنين ؟ وما صفة الكافرين ؟ قال : يا ابن سلام ، أمّا المؤمنون ففرّ
محبجلون من أثر الوضوء و السجود ، و أمّا الكافرون فمسودّون الوجوه فيؤتى بهم إلى
الصراط . قال : وكم طول الصراط ؟ قال مسيرة ثلاثون^(٢) ألف سنة ، قال : صدقت يا محمد
فأخبرني كيف تمرّ الخلائق على الصراط ، قال : يا ابن سلام ، يكسوا الله الخلائق نوراً
فأمّا نور المسلمين ونور المؤمنين فمن نور العرش ، ونور الملائكة من نور الكرسي ونور
الجنة فلا يطفأ نورهم أبداً ، و أمّا الكافرون فمن الأرض والجبال . قال : فأخبرني عن
أول من يجوز على الصراط ، قال : المؤمنون ، قال : صدقت يا محمد ، فصف لي ذلك ، قال :
يا ابن سلام ، في المؤمنين من يجوز على الصراط عشرين عاماً فإذا بلغ أو لهم الجنة
تركب الكفار على الصراط ، حتى إذا توسطوا أطفأ الله نورهم فيبقون بلا نور ، فينادون
بالمؤمنين : انظرونا نقتبس من نوركم ، فيقال لهم : أليس فيكم الأنبياء والأصحاب
والإخوة ؟ فيقولون : أولم نكن معكم في دار الدنيا ؟ قالوا : « بلى و لكنكم قننتم
أنفسكم وتربّصتم وارتبتم وقرّتمكم الأمانى حتى جاء أمر الله وقرّكم بالله الغرور . فالقوم

. (١) كذا ، والظاهر « ثلاثة » .

. (٢) كذا ، والظاهر « ثلاثين » .

لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ما يؤيكم النار هي موليكم وبئس المصير (١) «
 فيأمر الله عز وجل جهنم فتصيح بهم صيحة على وجوههم فيقعون في النار حيارى نادمين
 وينجو المؤمنون (٢) بركة الله وعونه. قال : صدقت يا محمد فأخبرني ما يصنع الله بالموت ؟ قال :
 يا ابن سلام ، إذا استوى أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار أتى بالموت كأنه كبش
 أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال لأهل الجنة يا أولياء الله هذا الموت ، أتعرفونه
 فيقولون : نعم ، فيقولون لهم : نذبحه ؟ فيقولون : نعم يا ملائكة ربنا ، انذبحوه حتى
 لا يكون موت أبداً . فيقولون لأهل النار : يا أعداء الله ! هذا الموت هل تعرفونه ؟
 فيقولون : نعم ، فتقول الملائكة : نذبحه ؟ فيقولون : يا ملائكة ربنا لا نذبحوه ودعوه
 لعل الله يقضي علينا بالموت فنستريح . قال النبي ﷺ : و يذبح الموت بين الجنة
 والنار فيياس أهل النار من الخروج منها وتطمئن قلوب أهل الجنة للخلود فيها ، فعندي
 لك أن تسلم ، قال : صدقت يا محمد ، [و نهض على قدميه] وقال : امدد يدك الشريفة
 أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنك (٣) رسول الله ، وأن الجنة
 حق ، والميزان حق ، والحساب حق ، والساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من
 في القبور . فكبرت الصحابة عند ذلك و سماء رسول الله « عبدالله (٤) بن سلام » وصار
 من الصحابة ونعمة على اليهود .

توضيح : إنما أوردت هذه الرواية لاشتهارها بين الخاصة والعامة ، وذكر
 الصدوق - ره - وغيره من أصحابنا أكثر أجزاءها بأسانيدهم في مواضع ، وقد مر بعضها .
 و إنما أوردتها في هذا المجلد لمناسبة أكثر أجزاءه لأبوابه ، و في بعضها مخالفة للسائر
 الأخبار ، فهي إما محمولة على أنه ﷺ أخبره موافقاً لما في كتبهم ليصير سبباً لإسلامه

(١) الحديد ، ١٤ - ١٥ .

(٢) كذا ، في جميع النسخ ، والصواب « وينجو المؤمنون » أو « وينجي المؤمنون » .

(٣) لرسول (خ) .

(٤) في أكثر النسخ « عبد سلام بن سلام » .

أو غير ذلك من الوجود والمحامل التي تظهر على الناقد البصير ، وفي بعضها تصحيفات نرجو من الله الظفر بنسخة أخرى لتصحيحها .

قوله « كان نبياً مرسلًا » كأن المعنى : هل كان في الجنة نبياً مرسلًا؟ فأجاب صلى الله عليه وآله بأنه كان نبياً مرسلًا على الملائكة حيث أمر بإبائهم . وفي عهد إبراهيم من رسل العرب مخالفة للمشهور . قوله « فتشهد » أي ظاهراً . قوله « فتؤمن » أي باطناً و قلباً .

قوله « أربعة كتاب » لا يوافق الإجمال التفصيل ، و لعل في أحدهما خطأ أو تصحيحاً . وسؤاله « هل أنزل عليك كتاب » بعد قوله « وأنزل علي الفرقان » لا يخلو من شيء إلا أن يكون حمل ذلك على أنه قدر أنه سينزل . و « ختمه صدق الله ... » يعني أنه ينبغي أن يختم به ، لا أنه جزؤه . و في القاموس : « بيسان » قرية بالشام ، و قرية بمرود ، و موضع باليمامة . أقول : و في بعض النسخ بالنون ، والأول أظهر ، و له شواهد . « ولم يكن في الرجال » أي مختصاً بهم . قوله « لأن الله واحد » كأنه على هذا يعني يوم الأحد يوم الله . قوله « لأنه يوم » لعل المعنى : أول يوم مع أن وجه التسمية لا يلزم اطراده . قوله « وعلمه تحت التحت » أي أحاط علمه بكل تحت ولا ينافي ارتفاع ذاته و علوه على كل شيء إحاطة علمه بكل شيء مما في العرش أو تحت الثرى .

و في القاموس : غرد الطائر - كفرح - و غرد تغريداً و أغرد و تغرد : رفع صوته و طرب به . و في النهاية : الرضاض : الحصى الصغار . قوله « فحام العيون » لعله من القحمة بمعنى السواد . و في القاموس : العشاء من النوق التي مضت لحملها عشرة أشهر أو ثمانية أوهي كالنساء من النساء ، والجمع : عشاوات و عشار ، والعشار اسم يقع على النوق حتى ينتج بعضها و بعضها ينتظر تاجها . وقال : الدكداك (١) - و يكسر - من الرمل ما تكبس و استوى و ما التبذ منه بالأرض أو هي أرض فيها غلظ ، و

(١) في القاموس : الدكداك و يكسر و الدكداك من الرمل . الخ و ينتهي الى قوله

أرض مدكدكة مدعوكة كثر بها الناس فكثرت آثار المال والأبوال حتى تفسدها انتهى - .
 و انقراض النار عن وجهه كناية عن سرعة زهابها عنه و عدم إضرارها به كما ينقض
 الطائر أو الكوكب في الهواء . و « تلفح وجهه النار » أي تحرقه . و قال في النهاية :
 فيه « أمتي القر الملحجلون » أي بيض مواضع الضوء من الأيدي والأقدام . استعار
 أثر الضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه الفرس
 و يديه ورجليه (١) .

﴿ أبواب ﴾

* (الانسان و الروح و البدن و اجزائه و قواهما و احوالهما) *

٤٨

﴿ باب ﴾

* (انه لم سمى الانسان انساناً و المرأة مرأة و النساء نساءً) *

* (و الحواء حواء) *

١ - العلل : عن علي بن أحمد بن محمد بن جعفر الأسيدي ، عن معاوية بن حكيم عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمى الانسان إنساناً لأنه ينسى ، و قال الله عز وجل " ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ^(١) .

بيان : الا انسان فعلان عند البصريين لموافقته مع الأُس لفظاً و معنىً ، و قال الكوفيون : هو إفعان من « نسي » أصله إنسيان على إفعلان ، فحذفت الياء استخفافاً لكثرة ما يجري على ألسنتهم فاذا صغروه ردوه إلى أصله لأن التصغير لا يكثر ، و هذا الخبر يدل على مذهب الكوفيين ، و رواه العائمة عن ابن عباس أيضاً قال الخليل في كتاب العين : سمى الانسان من النسيان ، و الانسان في الأصل : إنسيان ، لأن جماعة أناسي ، و تصغيره أنيسيان ، بترجيع المدّة التي حذفت و هو ^(٢) الياء وكذلك إنسان العين . و حكى الشيخ في التبيين عن ابن عباس أنه قال : إنما سمى إنساناً لأنه عهد إليه فنسي . قال الله تعالى « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً » وقال الراغب في مفرداته : الا انسان ، قيل : سمى بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام

(١) العلل ج ١ ، ص ١٤ . و الاية في سورة طه ، آية ١١٥ .

(٢) كذا ، و الصواب : و هي .

له إلا بآنس بعضهم ببعض ، و لهذا قيل : الإِنسان مدنيّ بالطبع ، من حيث إنّه لا قوام لبعضهم إلا ببعض ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه . وقيل : سمى بذلك لأنّه يأنس بكلّ ما يألفه . وقيل : هو إفعالان و أصله إنسيان سمى بذلك لأنّه عهد إليه فنسي .

٢ - العلال : عن عليّ بن أحمد بن محمد ، عن محمد بن أبي عبد الله الكوفيّ ، عن موسى بن عمران النخعيّ ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفليّ ، عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سميت المرأة امرأة لأنّها خلقت من المرء ، يعني خلقت حواء من آدم (١) .

٣ - معاني الاخبار : مرسلًا : معنى الإِنسان أنّه ينسى ، ومعنى النساء أنّهنّ أنس للرجال ، و معنى المرأة أنّها خلقت من المرء (٢) .

بيان : كون النساء من الأنس إمّا مبنيّ على القلب ، أو على الاشتقاق الكبير أو على أنّه إذا أنسوا بهنّ نسوا غيرهنّ فاشتقاقه من النسيان .

٤ - الدر المنثور : عن ابن عباس قال : خلق الله آدم من أديم الأرض يوم الجمعة بعد العصر ، فسمّاه آدم ، ثمّ عهد إليه فنسي ، فسمّاه الإِنسان . قال ابن عباس فباللّهم اغابت الشمس من ذلك اليوم حتّى أهبط من الجنّة . قال : وإنّما سميت المرأة امرأة لأنّها خلقت من المرء ، و سميت حواء لأنّها أمّ كلّ حيّ (٣) .

٥ - العلال لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم : قال : كان مكث آدم في الجنّة نصف ساعة ثمّ أهبط إلى الأرض لتمام تسع ساعات من يوم الجمعة وذلك في وقت صلوة العصر قال : و سميت العصر لأنّ آدم عصر بالبلاء . قال : ألقى الله النوم على آدم فأخذ ضلعه القصير (٤) من جانبه الأيسر فخلق منه حواء فلم يؤذّه ذلك ، ولو آذاه ذلك ما عطف عليها أبدًا . فقال آدم : ما هذه ؟ قال : هذه امرأة لأنّها من المرء خلقت ، قال : ما اسمها ؟ قال : حواء ، لأنّها خلقت من شيء حيّ . فقال ابن عباس : سميت حواء لأنّها أمّ

(١) العلال ، ج ١ ، ص ١٦ .

(٢) معاني الاخبار ، ٤٨ .

(٣) الدر المنثور : ج ١ ، ص ٥٢ . (٤) القصيري (خ) .

كلّ حيّ . قال جعفر : سمّين النساء لأنّس آدم بحواء حين أُهبط إلى الأرض ولم يكن له أنس غيرها .

فائدة : اعلم أنّه قد اتّفقت كلمة الملمّين من المسلمين و اليهود و النصارى على أنّ أوّل البشر هو آدم ، و أمّا الآخرون فخالفوا فيه على أقوال : أمّا الفلاسفة فزعموا أنّه لا أوّل لنوع البشر ولا لغيرهم من الأنواع المتوالدة ، و أمّا الهند فمن كان منهم على رأي الفلاسفة فهو يوافقهم في ما ذكر ، و من لم يكن منهم على رأي الفلاسفة وقال بحدوث الأجسام لا يثبت^(١) آدم و يقول : إنّ الله تعالى خلق الأفلاك وخلق فيها طباعاً محرّكة لها بذاتها فلما تحرّكت وحشوها أجسام لاستحالة الخلاء و كانت الأجسام على طبيعة واحدة فاختلقت طبائعها بالحركة الفلكيّة ، و كان القريب من الفلك أسخن و أطف ، و البعيد أبرد و أكثف ، ثمّ اختلطت العناصر و تكوّنت منها المرگبات ، و ممّا تكوّن منه نوع البشر كما يتكوّن الدود في الفاكهة و اللحم ، و البقّ في البطائح و المواضع العفنة ، ثمّ تكوّن البشر بعضه من بعض بالتوالد ، و نسي التخليق الأوّل الذي كان بالتولّد ، و من الممكن أن يقول : يتولّد بعض البشري في بعض الأراضي القاصية مخلوقة بالتولّد ، و إنّما انقطع التولّد لأنّ الطبيعة إذا وجدت للتكوّن^(٢) طريقاً استغنت عن طريق ثان . و أمّا المجوس فلا يعرفون آدم ، ولا نوحاً ولا ساماً ولا حاماً و [لا] يافت . و أوّل متكوّن من البشر عندهم كيومرث ، و لقبه كوهشاه أي ملك الجبل و قد كان كيومرث في الجبال ، و منهم من يسمّيه كملشاه أي ملك الطين لأنّه لم يكن حينئذ بشر يملكهم . و قيل : تفسير كيومرث : حيّ ناطق ميّت ، قالوا : و كان قد رزق من الحسن ما لا يقع عليه بصر حيوان إلّا و له و اغمي عليه . و يزعمون أنّ مبدأ تكوّنّه و حدوثة أنّ يزدان و هو الصانع الأوّل عندهم فكّر في أمر أهرمن - و هو الشيطان عندهم - فكرة أوجبت أن عرق جبينه ، فمسح العرق و رمى به فصارت منه كيومرث . و لهم خبط طويل في كيفيّة تكوّن أهرمن عن فكرة يزدان أو من إعجابه بنفسه أو من توحّشه ، و

(١) لم يثبت (خ) .

(٢) للتكوّن (خ) .

بينهم خلاف في قدم أهرمن و حدوثه . ثم اختلفوا في مدة بقاء كيومرث في الوجود، فقال الأكثرون : ثلاثون سنة ، وقال الأقلون : أربعون سنة ، وقال قوم منهم : إن كيومرث مكث في الجنة التي في السماء ثلاثة آلاف سنة ، وهي : ألف الحمل ، و ألف الثور، و ألف الجوزاء ؛ ثم اهبط إلى الأرض و كان بها آمناً مطمئناً ثلاثة آلاف سنة أخرى وهي : ألف السرطان ، و ألف الأسد ، و ألف السنبله ؛ ثم مكث بعد ذلك ثلاثين أو أربعين سنة في حرب و خصام بينه و بين أهرمن حتى هلك . و اختلفوا في كيفية هلاكه مع اتفاقهم على أنه هلك قتلاً ، فالأكثرون قالوا : إنه قتل ابناً لأهرمن يسمى «جزوزد» فاستغاث أهرمن منه إلى يزدان ، فلم يجد بداً من أن يقاصه حفظاً للعهود التي كانت بينه و بين أهرمن ، فقتله باين أهرمن . و قال قوم : بل قتله أهرمن في صراع كان بينه و بين أهرمن ، و ذكروا في كيفية أن كيومرث كان هو القاهر لأهرمن في بادىء الحال و أنه ركبها و جعل يطوف به في العالم إلى أن سأله أهرمن عن أي الأشياء أخوف (١) و أهولها عنده . فقال له : باب جهنم ، فلما بلغ به أهرمن إليها جمع به حتى سقط من فوقه ولم يستمسك ، فعلاه و سأله عن أي الجهات يتدىء به في الأكل ، فقال له : من جهة الرجل لاكون (٢) ناظراً حسن العالم مدة ما ، فابتدأه أهرمن فأكله من عند رأسه فبلغ إلى موضع الخصي و أوعية المنى من الصلب ، فقطر من كيومرث قطرتا نطفة على الأرض ، فنبت منهما ريباستان في جبل باصطخر ، ثم ظهرت على نينك الرياستين الأعضاء البشرية في أول الشهر التاسع و تمت أجزاءه فتصور منها بشران : ذكر و أنثى ، و هما ميثا و ميثانه ، و هما بمنزلة آدم و حواء عند الملكيين ، و يسميهما مجوس خوارزم : مرد ، و مردانه ، و زعموا أنهما مكثا خمسين سنة مستغنيين عن الطعام و الشراب منعمن غير متأذيين بشيء حتى ظهر لهما أهرمن في صورة شيخ كبير فحملهما على تناول فواكه الأشجار و أكل منها و هما يبصرانه شيخاً فعاد شاباً ، فأكل منها حينئذ فوقاً في البلبايا ، و ظهر فيهما الحرص حتى تزوجا و ولد لهما ولد فأكله حرصاً ثم

(١) أخوف له (ع)

(٢) فاكون (ع) .

ألقى الله تعالى في قلوبهم ألفة فولد بعد ذلك ستة أبطن كل بطن ذكراً أنثى ، وأسماؤهم في كتاب زردشت معروفة ، ثم كان البطن السابع « سيامك » و « فرواك » فتزاجا ، فولد لهما الملك المعروف الذي لم يعرف قبله ملك ، وهو هوشنج . وهو الذي خلف جدّه كيومرث و عقد التاج و جلس على السرير و بنى مدينتين : بابل ، و السوس .

أقول : هذه هي الخرافات التي ذكرها ، و الآيات و الأخبار ناطقة بما هو الحق المبين و تبطل أقوال الفرق المضلين .

٣٩

﴿ باب ﴾

﴿ فضل الانسان و تفضيله على الملك و بعض جوامع أحواله ﴾

الآيات :

البقرة : و إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة - إلى قوله سبحانه - و كان من الكافرين ^(١) .

الانعام : وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقرّ ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ^(٢) .

الحجر : ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ^(٣) .

الاسراء : ولقد كرّمنا بني آدم و حملناهم في البرّ و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ^(٤) .

الانبياء : خلق الإنسان من عجل ^(٥) .

الفرقان : وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً ^(٦) .

. (٢) الانعام : ٩٨ .

. (١) البقرة : ٣٠ ، ٣٤ .

. (٤) الاسراء ، ٧٠ .

. (٣) الحجر ، ٢٦ .

. (٦) الفرقان : ٥٤ .

. (٥) الانبياء ، ٣٧ .

الروم : الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوّة ثم جعل من بعد قوّة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير (١) .

الاحزاب : إنّنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنّه كان ظلوماً جهولاً ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً (٢) .
فاطر : ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك (٣) .

يس : سبحانه الذي خلق الأزواج كلها ممّا تنبت الأرض ومن أنفسهم وممّا لا يعلمون (٤) .

الصفات : إنّنا خلقناهم من طين لازب (٥) .

الزمر : خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها (٦) .

المؤمن : وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات (٧) .

الرحمن : خلق الانسان علمه البيان (٨) . وقال تعالى : خلق الانسان من صلصال كالفخار (٩) .

التغابن : هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير (١٠) .

البلد : لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالاً لبدأ أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولساناً وشفقتين وهديناه النجدين (١١) .

التين : لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين (١٢) .

(١) الروم ، ٥٣ .

(٢) الاحزاب ، ٧٢ ، ٧٣ .

(٣) فاطر ، ٢٨ .

(٤) يس : ٣٦ .

(٥) الصفات : ١١ .

(٦) الزمر ، ٦ .

(٧) المؤمن ، ٦٣ .

(٨) الرحمن ، ٦٤ .

(٩) التغابن ، ٢ .

(١٠) التين ، ١٠-١١ .

(١١) التين ، ٤-٥ .

العلق: اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم (١) .

تفسير: « وإذ قال ربك للملائكة « هذه الآيات مما استدلّ بد على تفضيل الإنسان على الملائكة ، وسيأتي وجه الاستدلال بها . « من نفس واحدة » أي من آدم عليه السلام لأن الله تعالى خلقنا منه جميعاً ، وخلق حواء من فضل طينته ، أو من ضلع من أضلاعه ، ومن علينا بهذا لأنّ الناس إذا رجعوا إلى أصل واحد كانوا أقرب إلى التآلف « فمستقرّ ومستودع » أي مستقرّ في الرحم إلى أن يولد ومستودع في القبر، أو مستقرّ في بطون الأمهات ومستودع في الأضلاب ، أو مستقرّ على ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة ، أو مستقرّها أيام حياتها ومستودعها حيث (٢) يموت وحيث يبعث ، أو مستقرّ في القبر ومستودع في الدنيا ، أو مستقرّ فيه الإيمان ومستودع يسلب منه كما ورد في الخبر .

« من صالصال » أي طين يابس يصلصل أي يصوت إذا نقر ، وقيل : من صالصل إذا تثن تضعيف صلّ . « من حمأ » من طين تغيّر واسودّ من طول مجاورة الماء . « مسنون » أي مصوّر من سنّة الوجه، أو مصبوب ليبيس ، أو مصوّر كالجواهر المذابة تصبّ في القوالب من السنّ وهو الصبّ ، كأنه أفرغ الحمأ فصورّ منها تمثال إنسان أجوف ، فيبس حتى نقر وصلصل ، ثمّ غير ذلك طوراً بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه ، أو منتن من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به فإنّ ما يسيل منهما يكون منتناً يسمّى سنين . « ولقد كرّمنا بني آدم » قال الرازي : اعلم أنّ الإنسان جوهر مركّب من النفس والبدن، فالنفس الإنسانيّة أشرف النفوس الموجودة في العالم السفليّ ، لأنّ النفس النباتيّة قواها الأصليّة ثلاثة وهي : الاغتذاء ، والنموّ ، والتوليد . والنفس الحيوانيّة لها قوتان أخريان : الحاسة ، والمحركة بالاختيار . ثمّ إنّ النفس الإنسانيّة مختصّة بقوة أخرى ، وهي القوّة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء كما هي ، وهي التي يتجلّى

(١) الماق : ١-٥ .

(٢) حين (خ) .

فيها نور معرفة الله ، و يشرق فيها ضوء كبريائه ، و هو الذي يطّلع على أسرار عالمي الخلق و الأمر ، و يحيط بأقسام مخلوقات الله من الأرواح و الأجسام كما هي ، و هذه القوة من سنخ الجواهر القدسيّة ، و الأرواح المجرّدة الإلهيّة ، فهذه القوة لانسيّة لها في الشرف و الفضل إلى تلك القوى الخمسة النباتيّة و الحيوانيّة ، و إذا كان الأمر كذلك ظهر أن النفس الإنسانيّة أشرف النفوس الموجودة في هذا العالم . و أمّا بيان أن البدن الإنسانيّ أشرف أجسام هذا العالم فالمفسّرون ذكروا أشياء :

أحدها : روى ميمون بن مهران عن ابن عبّاس في قوله « ولقد كرّمنا بني آدم » قال : كل شيء يأكل بغيره إلاّ ابن آدم ، فإنّه يأكل بيديه . عن الرشيد أنّه أحضرت الأطعمة عنده ، فدعا بالملاعق و عنده أبو يوسف فقال له : جاء في تفسير ^(١) قوله تعالى « ولقد كرّمنا بني آدم » : و جعلنا لهم أصابع يأكلون بها ، فأحضرت الملاعق فردّها و أكل بأصابعه .

و ثانيها : قال الضحّاك : بالنطق و التميّز ^(٢) و تحقيق الكلام أن من عرف شيئاً فإنّما أن يعجز عن تعريف غيره كونه عارفاً بذلك الشيء أو يقدر على هذا التعريف أمّا القسم الأوّل فهو جملة حال الحيوان سوى الإنسان ، فإنّه إذا حصل في باطنها ألم أو لذّة فإنّها تعجز عن تعريف غيرها تلك الأحوال تعريفاً تامّاً و افيّاً . و أمّا القسم الثاني فهو الإنسان ، فإنّه يمكنه تعريف غيره كلّ ما عرفه و وقف عليه و أحاط به فكونه قادراً على هذا النوع من التعريف هو المراد بكونه ناطقاً . و بهذا البيان يظهر أن الإنسان الأخرس داخل في هذا الوصف ، لأنّه وإن عجز عن تعريف غيره ما في قلبه بطريق اللسان فإنّه يمكنه ذلك بطريق الإشارة و بطريق الكتابة و غيرهما ، ولا يدخل فيه الببغاء ، لأنّه و إن قدر على تعريفات قليلة فالقدرة له على تعريف جميع الأحوال على سبيل الكمال و التمام .

وثالثها : قال عطاء بامتداد القائمة . و اعلم أن هذا الكلام غير تمام ، لأنّ

(١) في المصدر : جاء في التفسير عن جدك في قوله ...

(٢) فيه ، التميّز .

الأشجار أطول قامةً من الإنسان ، بل ينبغي أن يشترط فيه شرط ، وهو طول القامة مع استكمال القوة العقلية و القوة الحسية والحركية .

ورابعها : قال يمان: بحسن الصورة، والدليل عليه قوله تعالى «وصوركم فأحسن صوركم» ولما ذكر الله تعالى خلقه الانسان قال «فتبارك الله أحسن الخالقين» وقال «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة» وإن شئت فتأمل عضواً واحداً من أعضاء الإنسان وهو العين، فخلق الحدقة سوداء ، ثم أحاط بذلك السواد بياض العين ، ثم أحاط بذلك البياض سواد الأشفار ، ثم أحاط بذلك السواد بياض الأجفان ، ثم خلق فوق بياض الجفن سواد الحاجبين ، ثم خلق فوق ذلك السواد بياض الجبهة ، ثم خلق فوق الجبهة سواد الشعر. وليكن هذا المثال الواحدُ نموذجاً لك في هذا الباب .

وخامسها قال بعضهم : من كرامات الآدمي أن آتاه الله الخط . وتحقيق الكلام في هذا الباب أن العلم الذي يقدر الإنسان الواحد على استنباطه يكون قليلاً ، أما إذا استنبط الإنسان علماً و أودعه في الكتاب وجاء الإنسان الثاني و استعان بهذا الكتاب وضم إليه من عند نفسه أشياء أخرى، ثم لا يزالون يتعاقبون وضم كل متأخر مباحث كثيرة إلى علوم المتقدمين ، كثرت العلوم وقويت الفضائل و المعارف ، و انتهت المباحث العقلية و المطالب الشرعيه أقصى الغايات و أكمل النهايات ، و معلوم أن هذا الباب لا يتأتى إلا بواسطة الخط و الكتب ، ولهذه الفضيلة الكاملة قال تعالى « اقرأ و ربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » .

و سادسها أن أجسام هذا العالم إما البسائط و إما المركبات ، أما البسائط فهي الأرض ، و الماء ، و الهواء ، و النار . و الإنسان ينتفع بكل هذه الأربعة ، أما الأرض فهي لنا كالإم الحاضنة ، قال تعالى « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » و قد سماه الله تعالى بأسماء بالنسبة إلينا ، وهي : الفراش ، و المهاد ، و المهد و أما الماء فانتفاعنا في الشرب و الزراعة و الحراثة ظاهر ، و أيضاً سخّر البحر لناكل لحماً طرياً و نستخرج منه حلية نلبسها و نرى الفلك مواخر . و أما الهواء فهو مادة حياتنا ، و لولا هبوب الرياح لاستولى التنن على هذه المعمورة . و أما النار فيها طبخ

الأغذية و الأشربة ونضجها ، وهي قائمة مقام الشمس والقمر في الليالي المظلمة ، وهي الدافعة لضرر البرد . و أما المركبات فهي إما الآثار^(١) العلوية ، وإما المعادن ، وإما النبات ، وإما الحيوان . و الإنسان كالمستولي على كل هذه الأقسام و المنتفع بها و المستسخر لكل أقسامها ، فهذا العالم بأسرها جرى مجرى قرية معمورة و خان مغلقة^(٢) و جميع منافعها و مصالحها مصروفة إلى الإنسان و الإنسان فيه كالرئيس المخدم و الملك المطاع ، و سائر الحيوانات بالنسبة إليه كالعبيد ، و كل ذلك يدل على كونه مخصوصاً من عند الله بمزيد التكريم و التفضيل .

و سابعها أن المخلوقات تنقسم إلى أربعة أقسام : إلى ما حصلت له هذه القوة العقلية الحكيمية و لم تحصل له القوة الشهوانية و هم الملائكة ، و إلى ما يكون بالعكس و هم البهائم ، و إلى ما خلا عن القسمين و هو النبات و الجمادات ، و إلى ما حصل النوعان فيه و هو الإنسان ، و لا شك أن الإنسان لكونه مستجمعاً للقوة العقلية القدسية و القوة الشهوانية البهيمية و الغضبية السبعية يكون أفضل من البهيمية و السبع ، و لا شك أيضاً أنه أفضل من الأجسام الخالية عن القوتين مثل النبات و المعادن و الجمادات و إذا ثبت ذلك ظهر أن الله تعالى فضل الإنسان على أكثر أقسام المخلوقات . بقي ههنا بحث في أن الملك أفضل من^(٣) البشر ، و المعنى أن الجوهر البسيط الموصوف بالقوة العقلية القدسية المحضة أفضل^(٤) من البشر المستجمع لهاتين القوتين ، و ذلك بحث آخر .

و ثامنها الموجود إما أن يكون أزلياً و أديتاً معاً و هو الله سبحانه ، و إما أن لا يكون أزلياً و لا أديتاً و هو عالم الدنيا مع كل ما فيه من المعادن و النبات و الحيوان و هذا أخس الأقسام ، و إما أن يكون أزلياً و لا يكون أديتاً ، و هذا ممتنع الوجود لأن ما ثبت قدمه امتنع عدمه ، و إما أن لا يكون أزلياً و لكنّه يكون أديتاً و هو

(١) كذا في المصدر ، و في بعض النسخ « الابهاء » و في بعضها « الايات » .

(٢) في المصدر : معد .

(٣) و (٤) في المصدر « أم » في الموضعين .

الإِنسان و الملك ، ولا شك أن هذا القسم أشرف من القسم الثاني و الثالث ، وذلك يقتضي كون الإِنسان أشرف من أكثر المخلوقات .

و تاسعها العالم العلوي أشرف من العالم السفلي ، و روح الإِنسان من جنس الأرواح العلوية و الجواهر القدسيّة ، وليس في موجودات العالم السفلي شيء حصل من العالم العلوي إلا الإِنسان ، فوجب كون الإِنسان أشرف موجودات العالم السفلي .

وعاشرها أشرف الموجودات هو الله تعالى ، و إذا كان كذلك فكل موجود كان قرّبه من الله أتمّ و جب أن يكون أشرف ، لكن أقرب موجودات هذا العالم من الله تعالى هو الإِنسان ، بسبب أن قلبه مستنير بمعرفة الله ، و لسانه مشرف بذكر الله ، و جوارحه و أعضاؤه مكرمة بطاعة الله ، فوجب الجزم بأن أشرف موجودات هذا العالم السفلي هو الإِنسان ، و لما ثبت أن الإِنسان موجود ممكن لذاته لا يوجد إلا بما يجاد الواجب لذاته ثبت أن كلما حصل للإِنسان من المراتب العالية و الصفات الشريفة فهي إنما حصلت بإحسان الله و إنعامه ، فلهذا المعنى قال تعالى « ولقد كرّمنا بني آدم » و من تمام كرامته على الله أنه لما خلقه في أوّل الأمر وصف نفسه بأنه أكرم ، فقال « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإِنسان من علق اقرأ و ربك الأكرم الذي علم بالقلم » و وصف نفسه بالتكريم عند تربيته الإِنسان فقال « ولقد كرّمنا بني آدم » و وصف نفسه بالكريم في آخر أحوال الإِنسان فقال : « يا أيّها الإِنسان ما غرّك ربك الكريم » و هذا يدل على أنه لا نهاية لكريم الله تعالى و تفضّله و إحسانه مع الإِنسان .

الحادي عشر قال بعضهم : هذا التكريم معناه أنه تعالى خلق آدم بيده و خلق غيره بطريق كرم فيكون ، و من كان مخلوقاً بيدي الله كانت العناية به أتمّ ، فكان (١) أكرم و أكمل ، و لما جعلنا من أولاده و جب كون بني آدم أكرم و أكمل .

« و حملناهم في البرّ و البحر » قال ابن عباس : في البرّ على الخيل و البغال و الحمير و الإبل ، و في البحر على السفن ، و هذا أيضاً من مؤكّدات التكريم المذكور

(١) في بعض النسخ « أتم و أكمل » و في المصدر : كانت العناية به أتم و أكمل وكان

أولاً ، لأنه تعالى سخر هذه الدواب له حتى يركبها ويحمل عليها و يغزو و يقاتل و يذب عن نفسه . و كذلك تسخير الله تعالى المياه و السفن و غيرها ليركبها و ينقل عليها و يتكسب بها بما ^(١) يختص به ابن آدم ، كل ذلك مما يدل على أن الإنسان في هذا العالم كالرئيس المتبوع و الملك المطاع .

« و رزقناهم من الطيبات » و ذلك لأن الأغذية إما حيوانية و إما إنسانية و كلا القسمين فإن الإنسان إنما يغتذي بالطف بأنواعها و أشرف أقسامها بعد التنقية التامة و الطبخ الكامل و النضج البالغ ، و ذلك مما لا يصلح إلا للإنسان . « و فضلناهم » الفرق بين التفضيل و التكريم أنه تعالى فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمر خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل و النطق و الخط و الصورة الحسنة و القامة المديدة ، ثم إنه تعالى عرضه بواسطة ذلك العقل و الفهم لاكتساب العقائد الحقة و الأخلاق الفاضلة فالأول هو التكريم و الثاني هو التفضيل .

« على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » لم يقل : و فضلناهم على الكل ، فهذا يدل على أنه حصل في مخلوقات الله تعالى شيء لا يكون إلا إنسان مفضلاً عليه ، و كل من أثبت هذا القسم قال إنه هو الملائكة ، فلزم القول بأن الملك أفضل من الإنسان ، و هذا القول مذهب ابن عباس و اختيار الرجّاح على ما رواه الواحدي في البسيط . و اعلم أن هذا الكلام مشتمل على بحثين :

أحدهما أن الأنبياء أفضل أم الملائكة ، وقد سبق القول فيه في سورة البقرة .
و الثاني أن عوام الملائكة و عوام المؤمنين أيهما أفضل ، منهم من قال بتفضيل المؤمنين على الملائكة ، و احتجوا عليه بما روي عن زيد بن أسلم أنه قال : قالت الملائكة : ربنا إنك أعطيت بني آدم دنيا ^(٢) يأكلون فيها و يتنعمون و لم تعطنا ذلك في الآخرة ، فقال تعالى : و عزتي و جلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له « كن » فكان . فقال أبو هريرة : المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ، هكذا

(١) في المصدر ، مما .

(٢) د : الدنيا .

أورده الواحدي في البسيط . و أما القائلون بأن الملك أفضل من البشر على الإطلاق فقد عولوا على هذه الآية و هو في الحقيقة تمسك بدليل الخطاب ^(١) (انتهى) .
 وقال الطبرسي - قدس سره - : استدل بعضهم بهذا على أن الملائكة أفضل من الأنبياء ، قال : لأن قوله « على كثير » يدل على أن ههنا من لم يفضلهم عليه ، و ليس إلا الملائكة ، لأن بني آدم أفضل من كل حيوان سوى الملائكة بالاتفاق ، وهذا باطل من وجوه :

أحدها أن التفضيل ههنا لم يرد به الثواب ، لأن الثواب لا يجوز التفضيل به ابتداءً ، وإنما المراد بذلك ما فضلهم الله به من فنون النعم التي عددنا بعضها .

و ثانيها أن المراد بالكثير الجميع ، فوضع الكثير موضع الجميع ، والمعنى : أننا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير ، كما يقال : بذلت له العريض من جاهي ، وأبخته المنيع من حريمي . ولا يراد بذلك أنني بذلت له عريض جاهي و منعت ما ليس بعريض و أبخته منيع حريمي ولم أبحه ما ليس منيعاً ، بل المقصود أنني بذلت له جاهي الذي من صفته أنه عريض ، و في القرآن و محاورات العرب من ذلك ما لا يحصى ، ولا يخفى ذلك على من عرف كلامهم .

و ثالثها أنه إذا سلم أن المراد بالتفضيل زيادة الثواب و أن لفظة « من » في قوله « ممن خلقنا » تفيد التبويض فلا يمتنع أن يكون جنس الملائكة أفضل من جنس بني آدم ، لأن الفضل في الملائكة عام لجميعهم أو أكثرهم ، و الفضل من ^(٢) بني آدم يختص بقليل من كثير ، و على هذا فغير منكر أن يكون الأنبياء أفضل من الملائكة و إن كان جنس الملائكة أفضل من جنس بني آدم ^(٣) (انتهى) .

وأقول : كلامه - ره - في هذه الآية مأخوذ مما سنقله عن السيد المرتضى - رضي الله عنه - .

(١) مفاتيح النيب ، ج ٢١ ، ص ١٢ - ١٦ .

(٢) في المصدر : في .

(٣) مجمع البيان ، ج ١٦ ، ص ٤٢٩ .

« خلق الإنسان من عجل » قال البيضاوي^١ : كأنه خلق منه لفرط استعجاله و قلة تأنيه ، كقولك : خلق زيد من الكرم ، وجعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع ، هو منه مبالغة في لزومه له ، و لذلك قيل : إنه على التلب ، ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجاله الوعيد^(١) (انتهى) و في تفسير علي^٢ بن إبراهيم قال : لما أجرى الله في آدم الروح^(٢) من قدميه فبلغت إلى ركبتيه أراد أن يقوم فلم يقدر ، فقال الله : خلق الإنسان من عجل^(٣) .

« خلق من الماء بشراً » قيل : يعني الذي خمّر به طينة آدم ثم جعله جزءاً من مادة البشر ليجتمع و يسلس و يقبل الأشكال بسهولة ، أو النطفة « فجعله نسباً وصهراً » أي قسمه قسمين : ذوي نسب ، أي ذكوراً ينسب إليهم ؛ و ذوات صهر ، أي إناثاً يصادر بهن^٣ « و كان ربك قديراً » حيث خلق من مادة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة و طباع متباينة ، و جعله قسمين متقابلين .

و روي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال : إن الله تبارك و تعالی خلق آدم من الماء العذب و خلق زوجته من سنخه فبرأها من أسفل أعضائه ، فجرى بذلك الضلع بينهما سبب و نسب ثم زوجها إياه ، فجرى بينهما بسبب ذلك صهر ، فذلك قوله « نسباً وصهراً » فالنسب ما كان بسبب الرجال ، والصهر ما كان بسبب النساء ، وقد أوردنا أخباراً كثيرة في أبواب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : أنها نزلت في النبي وأمير المؤمنين و تزويج فاطمة صلوات الله عليهم .

« الله الذي خلقكم من ضعف » قيل : أي ابتدأكم ضعفاء ، أو خلقكم من أصل ضعيف و هو النطفة « ثم جعل من بعد ضعف قوّة » و هو بلوغكم الأشد « ثم جعل من بعد قوّة ضعفاً و شيبة » إذا أخذ منكم السن « يخلق ما يشاء » من ضعف و قوّة و شيبة^(٤) .

(١) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٨٢ .

(٢) في المصدر ، روحه .

(٣) تفسير القمي ، ٤٢٩ .

(٤) في بعض النسخ المخطوطة ، شبيبة و شيبة .

« إننا عرضنا الأمانة » هذه الآية من المتشابهات ، وقد اختلف في تأويله المفسرون والروايات على وجوه :

الاول : أن المراد بالأمانة التكليف بالأوامر والنواهي ، والمراد بعرضها على السماوات والأرض والجبال العرض على أهلها ، وعرضها عليهم هو تعريفه إيّاهم أن في تضييع الأمانة الإثم العظيم ، وكذلك في ترك أوامر الله تعالى وأحكامه ، فبين سبحانه جرأة الإنسان على المعاصي وإشفاق الملائكة من ذلك ، فيكون المعنى عرضنا الأمانة على أهل السماوات والأرض والجبال من الملائكة والانس والجن « فأبين أن يحملنها » أي فأبى أهلن أن يحملوا تركها وعقابها والمأثم فيها « وأشفقن منها » أي أشفق أهلن^(١) عن حملها « وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً » لنفسه بارتكاب المعاصي « جهولاً » بموضع الأمانة في استحقاق العقاب على الخيانة فيها ، فالمراد بحمل الأمانة تضييعها . قال الزجاج : كل من خان الأمانة فقد حملها ، ومن لم يحمل الأمانة فقد أدّاها .

والثاني : أن معنى « عرضنا » عارضنا وقابلنا ، فإن عرض الشيء على الشيء ومعارضته به سواء والمعنى أن هذه الأمانة في جلاله موقعها وعظم شأنها لوقيست السماوات والأرض والجبال وعورضت بها لكنت هذه الأمانة أرجح وأثقل وزناً ، ومعنى قوله « فأبين أن يحملنها » ضعف عن حملها كذلك « وأشفقن منها » لأن الشفقة ضعف القلب ، ولذلك صار كناية عن الخوف الذي يضعف عنده القلب ، ثم قال : إن هذه الأمانة التي من صفتها أنها أعظم من هذه الأشياء العظيمة تغلدها الإنسان ، فلم يحفظها بل حملها وضيعها لظلمه على نفسه ولجهله بمبلغ الثواب والعقاب .

والثالث ما ذكره البيضاوي حيث قال : تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة ، وسمّاها أمانة من حيث إنها واجبة الأداء ، والمعنى أنها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك لأبين أن يحملنها ، وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فازالراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين « إنّه

كان ظلوماً « حيث لم يف بها ولم يراع حقها » جهولاً « بكنه عاقبتها ، وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب ^(١) (انتهى) .

و قال الطبرسي - قدس سره - : إنه على وجه التقدير أجرى ^(٢) عليه لفظ الواقع ، لأن الواقع أبلغ من المقدر ، معناه : لو كانت السماوات والأرض والجبال عاقلةً ثم عرضت عليها الأمانة وهي وظائف الدين أصولاً وفروعاً عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها وشدتها وقوتها ، ولا تمتعت من حملها خوفاً من القصور عن أداء حقها ، ثم حملها الإنسان مع ضعف جسمه ، ولم يخف الوعيد لظلمه وجهله ، وعلى هذا يحمل ماروي عن ابن عباس أنها عرضت على نفس السماوات والأرض فامتنعت من حملها .

و الرابع أن معنى العرض والإباء ليس هو على ما يفهم بظاهر الكلام، بل المراد تعظيم شأن الأمانة ، لامخاطبة الجماد ، والعرب تقول «سألت الربيع وخاطبت الدار فامتنعت عن الجواب» وإنما هو إخبار عن الحال عبر عنه بذكر الجواب والسؤال ، و تقول « أتى فلان بكذب لا تحمله الجبال » وقال سبحانه « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » و خطاب من لا يفهم لا يصح . فالأمانة على هذا ما أودع الله سبحانه السماوات والأرض والجبال من الدلائل على وحدانيته وربوبيته فأظهرتها للإنسان الكافر كتمها وجحدتها لظلمه ^(٣) . ويرجع إليه ما قيل : المراد بالأمانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية ، و بعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره ، و بحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها ، و منه قولهم « حامل الأمانة ومحملها » لمن لا يؤد بها فبترأ ذمته ، فيكون الإباء عنه إتياناً بما يمكن أن يتأتى منه ، والظلم والجهالة للخيانة والتقصير .

والخامس ما قيل : إنه تعالى لما خلق هذه الأجرام فيها فهماً ^(٤) وقال لها :

(١) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٢) في المصدر : الا انه اجرى ..

(٣) مجمع البيان : ج ٨ ، ص ٣٧٤ .

(٤) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا والظاهر و جعل فيها فهماً .

إنني قد فرضت فريضة و خلقت جنّة لمن أطاعني فيها ، و ناراً لمن عصاني ، فقلن : نحن مسخرات على ما خلقتنا ، لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثواباً ولا عقاباً ، و لما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فتحمله ، و كان ظلوماً لنفسه بتحمّله ما يشقّ عليها جهولاً بوخامة عاقبته .

والسادس ما قيل : إن المراد بالأمانة العقل و التكليف ، و بعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن ، و بائنهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة و الاستعداد ، و بحمل الإنسان قابليته و استعداده لها ، و كونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوة الغضبية و الشهوية ، و على هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه فإن من فوائد العقل أن يكون مهيمناً على القوتين ، حافظاً لهما عن التعدي و مجاوزة الحد^(١) و معظم مقصود التكليف تعديلهما و كسر سورتهم .

و السابع أن المراد بالأمانة أداء الأمانة ضدّ الخيانة ، أو قبولها ، و تصحيح تنمة الآية على أحد الوجوه المتقدمة .

الثامن : أن المراد بالأمانة الإمامة^(٢) و الخلافة الكبرى ، و حملها ادّعاؤها بغير حق ، و المراد بالإنسان أبو بكر ، و قد وردت الأخبار الكثيرة في ذلك أوردتها في كتاب الإمامة وغيرها ، فقد روي بأسانيد عن الرضا عليه السلام قال : الأمانة الولاية من ادّعاها بغير حق كفر ، و قال علي بن إبراهيم : الأمانة هي الإمامة والأمر و النهي ، عرضت على السماوات والأرض والجال « فأبين أن يحملنها » قال : أبين أن يدّعوها أو يغصبوها أهلها « و أشفقن منها و حملها الإنسان » الأول « إنّه كان ظلوماً جهولاً^(١) » . و عن الصادق عليه السلام : الأمانة الولاية ، و الإنسان أبو الشرور المنافق . و عن الباقر عليه السلام : هي الولاية ، أبين أن يحملنها كفراً ، و حملها الإنسان ، و الإنسان أبو فلان .

و مما يدلّ على أن المراد بها التكليف ما روي أن علياً عليه السلام كان إذا حضروا

(١) الحدود (خ) .

(٢) الأمانة (خ) .

(٢) تفسير علي بن إبراهيم . ٥٣٥ (مقطاً) .

الصلوة تغير لونه ، فسئل عن ذلك فقال : حضر وقت أمانته عرضها الله على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها .

و مما يدل على كون المراد بها الأمانة المعروفة ما في نهج البلاغة في جملة وصاياهم للمسلمين : ثم أداء الأمانة ، فقد خاب من ليس من أهلها ، إنها عرضت على السماوات المبنية ، و الأرض المدحوة ، و الجبال ذات الطول المنصوبة ، فلا أطول ولا أعرض ولا أعظم منها ، ولو امتنع شيء منها بطول أو عرض أو قوة أو عز لا تمتنع ، و لكن أشفقن من العقوبة ، و عقلن ما جهل من هو أضعف منهن وهو الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولاً . وعن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الرجل يبعث إلى الرجل يقول : ابتع لي ثوباً ، فيطلب في السوق فيكون عنده مثل ما يجده في السوق ، فيعطيه من عنده ، قال : لا يقربن هذا ولا يدنس نفسه ، إن الله عز وجل يقول : « إنا عرضنا الأمانة - الآية - » .

والحق أن الجميع داخل في الآية بحسب بطونها ، كما قيل : إن المراد بالأمانة التكليف بالعبودية لله على وجهها و التقرب بها إلى الله سبحانه كما ينبغي لكل عبد بحسب استعدادها لها ، و أعظمها الخلافة الإلهية لأهلها ، ثم تسليم من لم يكن من أهلها لأهلها ، و عدم ادعاء منزلتها لنفسه ، ثم سائر التكليف ، و المراد بعرضها على السماوات و الأرض و الجبال النظر إلى استعدادهن لذلك ، و بإيائهن الإباء الطبيعي الذي هو عبارة عن عدم اللياقة ، و تحمّل الإنسان إيائها تحمّله لها من غير استحقاق تكبيراً على أهلها ، أو مع تقصيره بحسب وصف الجنس باعتبار الأغلب ، فهذه معانيها الكليّة و كل ماورد في تأويلها في مقام يرجع إلى هذه الحقائق كما يظهر عند التدبر و التوفيق من الله سبحانه .

قال السيّد المرتضى - رضي الله عنه - في أجوبة المسائل العكبريّة حيث سئل عن تفسير هذه الآية : إنه لم يكن عرض في الحقيقة على السماوات و الأرض و الجبال بقول صريح أو دليل ينوب مناب القول ، و إنما الكلام في هذه الآية مجازاً يريد به الإيضاح عن عظم الأمانة و ثقل التكليف بها و شدته على الإنسان ، و إن السماوات و الأرض و الجبال لو كانت ممّا يقبل لأبت حمل الأمانة ولم تؤدّ مع ذلك حقها ، و

نظير ذلك قوله تعالى « تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ^(١) ، و معلوم أن السماوات والأرض والجبال حماد لاتعرف الكفر من الإيمان ولكن المعنى في ذلك إعظام ما فعله المبطلون ، وتفوقه به الضالون ، وأقدم به المجرمون من الكفر بالله تعالى ، وأنه من عظمه جار مجرى ما يتحمل باعتماده على السماوات والأرض والجبال ، وأن الوزر به كذلك ، و كان الكلام في معناه ما جاء به التنزيل مجازاً واستعارة كما ذكرناه ، و مثل ذلك قوله تعالى « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار - الآية -^(٢) » و معلوم أن الحجارة حماد لايعلم فيخشى أو يرجو ويؤمل وإنما المراد بذلك تعظيم الوزر في معصية الله تعالى و ما يجب أن يكون العبد عليه من خشية الله [تعالى] وقد بين الله ذلك بقوله في نظير ما ذكرناه « ولو أن قرآناً سرت به الجبال - الآية -^(٣) » فبين بهذا المثل عن جلاله القرآن و عظم قدره وعلو شأنه وأنه لو كان كلام يكون به ماعده ووصفه لكان بالقرآن لعظم قدره على سائر الكلام وقد قيل : إن المعنى في قوله « إننا عرضنا الأمانة » عرضها على أهل السماوات وأهل الأرض و أهل الجبال ، والعرب يخبر عن أهل الموضع بذكر الموضع و يسميهم باسمه قال الله تعالى « و أسأل القرية التي كنت فيها و العير^(٤) » يريد أهل القرية و أهل العير و كان العرض على أهل السماوات و أهل الأرض و أهل الجبال قبل خلق آدم و خيبروا بين التكليف لما كلفه آدم و بنوه فأشفقوا من التفريط فيه و استعفوا منه فأعفوا ، فتكلفه الإنسان ففرض فيه ، وليست الآية على ما ظنّه السائل أنّها هي الوديعة و ما في بابها و لكنّها التكليف الذي وصفناه . و لقوم من أصحاب الحديث الذاهبين إلى الإمامة جواب تعلقوا به من جهة بعض الأخبار و هي أن الأمانة هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام ، و أنّها عرضت قبل خلق آدم على السماوات و الأرض و الجبال ليأتواها على شروطها فأبين من حملها على ذلك خوفاً من تضييع الحق فيها و كلفها الناس فتكلفوها ، ولم يؤد أكثرهم حقها (انتهى) .

. (٢) البقرة : ٧٤ .

. (١) مريم : ٩١ .

. (٤) يوسف ، ٨٢ .

. (٣) الرعد : ٣٣ .

« ليعذب الله المنافقين » تعليل للحمل من حيث إنه نتيجة* كالتأديب للضرب في « ضربته تأديباً » وذكر التوبة في الوعد إشعار بأن* كونهم ظلوماً جهولاً في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات « وكان الله غفوراً رحيماً » حيث تاب على فرطاتهم، وأثاب بالفوز على طاعتهم . « كذلك » أي باختلاف الثمار والجبال .

« خلق الأزواج كلها » أي الأنواع والأصناف « مما تنبت الأرض » من النبات والشجر « ومن أنفسهم » الذكر والأنثى « ومما لا يعلمون » أي وأزواجاً مما لم يطلعهم الله عليه ، ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته ، وسيأتي تأويل آخر برواية علي* ابن إبراهيم .

« من طين لازب » أي متمزج متماسك يلزم بعضه بعضاً ، يقال : طين لازب يلزق باليد لاشتداده ، وقال علي* بن إبراهيم : يعني يلزق^(١) باليد . « ثم جعل منها زوجها » أي من جزئها ، أو من طينتها ، أو من نوعها ، أولاً جلها ولا تنفعاها .

« فأحسن صوركم » بأن خلقكم منتصب القامة ، بادي البشرة ، متناسب الأعضاء والنخطيطات ، متهيئاً لمزاولة الصنائع و اكتساب الكمالات « و رزقكم من الطيبات » أي اللذائذ .

« علمه البيان » قيل : إيماء بأن* خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوانات من البيان ، وهو التعبير عما في الضمير وإفهام الغير لما أدركه لتلقي الوحي و تعرف الحق وتعلم الشرع . وفي تفسير علي* بن إبراهيم : عن أبيه ، عن الحسين بن خالد، عن الرضا عليه السلام في قوله « الرحمن علم القرآن » قال : الله علم محمد* القرآن ، قلت : « خلق الإنسان » ؟ قال : ذلك أمير المؤمنين ، قلت : « علمه البيان » ؟ قال : علمه تبيان كل شيء يحتاج الناس إليه - الخبر -^(٢) .

« من صلصال كالفخار » قيل : الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة ، والفخار الخزف ، وقد خلق الله آدم من تراب جعله طيناً ، ثم حمأ مسنوناً ، ثم صلصلاً ، فلا يخالف

(١) في المصدر ، يلصق . تفسير القمي ، ٥٥٥ .

(٢) تفسير القمي : ٦٥٨ .

ذلك قوله « من تراب » ونحوه .

« فمنكم كافر » أي يصير كافراً ، أو كان في علم الله أنه كافر . وفي الكافي وتفسير علي بن إبراهيم ، عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن تفسير هذه الآية فقال : عرف الله إيمانهم بولايتنا وكفرهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاق في صلب آدم وهم ذر^(١) .

« لقد خلقنا الإنسان في كبد » قيل : في تعب ومشقة ، فإنه يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة . وقال علي بن إبراهيم : أي منتصباً^(٢) . وسيأتي تفسيره في الخبر أنه منتصب في بطن أمه .

« ألم نجعل له عينين » يبصر بهما « ولساناً » يترجم عن ضمائره « وشفتين » يستر بهما فاه ، ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها « وهديناه النجدين » طريقي الخير والشر ، وقيل : الثديين ، وأصله المكان المرتفع . وفي الكافي عن الصادق عليه السلام : نجد الخير والشر . وفي مجمع البيان عن أمير المؤمنين عليه السلام : سبيل الخير وسبيل الشر . وعنه عليه السلام أنه قيل له : إن أناساً يقولون في قوله « وهديناه النجدين » إنهما الثديان ، فقال : لا ، هما الخير والشر^(٣) .

« لقد خلقنا الإنسان » قيل : يريد به الجنس « في أحسن تقويم » أي تعديل بأن خص باتصاف القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات « ثم رددناه أسفل سافلين » بأن جعلناه من أهل النار ، أو إلى أسفل سافلين وهو النار ، وقيل : أرنذ العمر ، وقال علي بن إبراهيم : نزلت في الأول ، وفي المناقب عن الكاظم عليه السلام قال : الإنسان الأول ، ثم رددناه أسفل سافلين بينغضه أمير المؤمنين .

وأقول : على سبيل الاحتمال يمكن أن يكون رده إلى أسفل سافلين ابتلاءً بالقوى الشهوانية والعلائق الجسمانية ، فإن روحه كان من عالم القدس ، فلمّا ابتلي

(١) الكافي ، ج ١ ، ص ٣١٣ ، وتفسير القمي ، ٦٨٢ .

(٢) تفسير القمي ، ٢٢٥ .

(٣) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٢٩٤ .

بعد التعلُّق بالبدن بالصفات البهيمية والعلائق الدنيئة^(١) فقد تنزل من أعلى عليين إلى أسفل سافلين ، فهم باقون في تلك الدرجات منهمكون في تلك التعلقات « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فإنهم نفضوا عن أذيالهم أدناس تلك النشأة الفانية، واختاروا الدرجات العالية ، فرجعوا إلى النشأة الأولى وتعلقت أرواحهم بالملاء الأعلى، فصاروا أشرف من الملائكة المقرَّبين ، وسكنوا في غرفات الجنان آمنين .

« باسم ربك الذي خلق » أي جميع المخلوقات على مقتضى حكمته . وعن الباقر عليه السلام : خلق نورك القديم قبل الأشياء « من علق » أي من دم جامد بعد النطفة « الذي علم بالقلم » قال علي بن إبراهيم علم الإنسان بالكتابة^(٢) التي بها يتم أمور الدنيا في مشارق الأرض ومغاربها^(٣) . « علم الإنسان ما لم يعلم » من أنواع الهدى والبيان ، وقال علي بن إبراهيم : قال : يعني علم علياً من الكتابة لك ما لم يعلم قبل ذلك^(٤) . قيل : عدد سبحانه مبدأ أمر الإنسان ومنتهاه إظهاراً لما أنعم عليه من نقله من أخس المراتب إلى أعلاها تقريراً لربوبيته و تحقيقاً لأكرميته .

فائدة : اعلم أن المسلمين اختلفوا في تفضيل الملائكة على البشر أو العكس، فذهب أكثر الأشاعرة إلى أن الأنبياء أفضل من الملائكة ، وصرح بعضهم بأن عوام البشر من المؤمنين أفضل من عوام الملائكة ، و خواص الملائكة أفضل من عوام البشر أي غير الأنبياء ، و ذهب أكثر المعتزلة إلى أن الملائكة أفضل من جميع البشر ، ولا خلاف بين الإمامية في أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام أفضل من جميع الملائكة ، والأخبار في ذلك مستفيضة أوردنا [ها] في كتاب النبوة و سائر مجلدات الحجّة ، و أمّا سائر المؤمنين ففي فضل كلهم أو بعضهم على جميع الملائكة أو بعضهم ، فلا يظهر من الآيات والأخبار ظهوراً بيناً يمكن الحكم بأحد الجانبين ، فنحن فيه من المتوقفين .

قال الشيخ المفيد - قدس الله سره^(٥) - في كتاب المقالات : اتفقت الإمامية على أن أنبياء الله ورسله من البشر أفضل من الملائكة ، و وافقهم على ذلك أصحاب

(١) المدنية (خ) . (٢) في المصدر : الكتابة .

(٣ و ٤) تفسير القمي ، ٧٣١ . (٥) روحه (خ) .

الحديث ، و أجمعت المعتزلة على خلاف ذلك ، وزعم الجمهور منهم أن الملائكة أفضل من الأنبياء والرسل ، وقال نفر منهم سوى من ذكرناه بالوقف في تفضيل أحد الفريقين على الآخر ، و كان اختلافهم في هذا الباب على ما وصفناه و إجماعهم على خلاف القطع بفضل الأنبياء على الملائكة [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ] حسب ما شرحناه .

ثم قال : أمّا الرسل من الملائكة و الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فقولني فيهم مع أئمة آل محمد عليهم السلام كقولني في الأنبياء و الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، و أمّا باقي الملائكة فإنهم وإن بلغوا بالملائكة فضلاً ، فالأئمة من آل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أفضل منهم و أعظم ثواباً عند الله عز و جل بأدلة ليس موضعها هذا الكتاب (انتهى) .

وقال صاحب الياقوت : الأنبياء أفضل من الملائكة ، لاختصاصهم بشرف الرسالة مع مشقة التكليف . و قال العلامة - قدس سره - في شرحه : اختلف الناس في ذلك فذهب ^(١) الإمامية و جماعة من الأشاعرة إلى أن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أشرف من الملائكة و قالت المعتزلة و الفلاسفة : بل الملائكة أشرف . و قال الصدوق - قدس سره - في رسالة العقائد : اعتقدنا في الأنبياء و الرسل و الحجج عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أنهم أفضل من الملائكة ، ثم ذكر الدلائل و بسط القول فيها كما ذكرناه في كتاب الإمامة .

و قال السيد الشريف المرتضى - رضي الله عنه - في كتاب الغرر و الدرر في تفضيل الأنبياء على الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : اعلم أنه لا طريق من جهة العقل إلى القطع بفضل مكلف على الآخر ، لأن الفضل المرعى في هذا الباب هو زيادة استحقاق الثواب ، ولا سبيل إلى معرفة مقادير الثواب من ظواهر فعل الطاعات ، لأن الطاعتين قد تتساوى في ظاهر الأمر حالهما وإن زاد ثواب واحدة على الأخرى زيادة عظيمة ، و إذا لم يكن للعقل في ذلك مجال فالمرجع فيه إلى السمع ، فإن دلّ سمع مقطوع به من ذلك على شيء عوّل عليه ، وإلا كان الواجب التوقف عنه و الشك فيه ، و ليس في القرآن ولا في سمع مقطوع على صحته ما يدلّ على فضل نبيّ على ملك ولا ملك على نبيّ . و سنبين أن آية واحدة مما يتعلق به في تفضيل الأنبياء على الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يمكن أن يستدلّ بها

(١) فذهبت (خ) .

على ضرب من الترتيب نذكره .

و المعتمد - في القطع على أن الأنبياء أفضل من الملائكة - على إجماع الشيعة الإمامية على ذلك ، لأنهم لا يختلفون في هذا ، بل يزيدون عليه و يذهبون إلى أن الأئمة عليهم السلام أفضل من الملائكة أجمعين ، و إجماعهم حجة ، لأن المعصوم في جملتهم وقد بيننا في مواضع من كتبنا كيفية الاستدلال بهذه الطريقة ، و رتبناه و أجبنا عن كل سؤال يسأل عنه فيها ، و بيننا كيف الطريق مع غيبة الإمام إلى العلم بمذاهبه و أقواله ، و شرحنا ذلك ، فلامعنى للتشاغل به ههنا . و يمكن أن يستدل على ذلك بأمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ، و أنه يقتضى تعظيمه عليهم و تقديمه و إكرامه و إذا كان المفضول لا يجوز تعظيمه و تقديمه على الفاضل علمنا أن آدم عليه السلام أفضل من الملائكة ، و كل من قال إن آدم أفضل من الملائكة ذهب إلى أن جميع الأنبياء عليهم السلام أفضل من جميع الملائكة ، و لا أحد من الأمة فصل بين الأمرين .

فان قيل : و من أين أنه أمرهم بالسجود على جهة التقديم و التعظيم ؟

قلنا : لا يخلو تعبدهم بالسجود له من أن يكون على سبيل القبلة و الجهة من غير أن يقترن به تعظيم و تقديم ، أو يكون على ما ذكرناه ، فان كان الأول لم يجز أنفة إبليس من السجود و تكبره عنه ، و قوله « رأيتك هذا الذي كرمت علي » (١) ، و قوله « أنا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين » (٢) ، و القرآن كله ناطق بأن امتناع إبليس من السجود إنما هو لاعتقاده التفضيل به و التكرمة ، فلو لم يكن الأمر على هذا لوجب أن يرد الله تعالى عنه و يعلمه أنه ما أمره بالسجود على وجه تعظيمه له و لا تفضيله ، بل على الوجه الآخر الذي لاحظنا للتفضيل فيه ، و ما جاز إغفال ذلك و هو سبب معصية إبليس و ضلالاته ، فلما لم يقع ذلك دل على أن الأمر بالسجود لم يكن إلا على جهة التفضيل و التعظيم ، و كيف يقع شك في أن الأمر على ما ذكرناه ، و كل نبي أراد تعظيم آدم عليه السلام و وصفه بما اقتضى الفخر و الشرف نفسه باسجاد الملائكة له ، و جعل

(١) أسرى ، ٦٢ .

(٢) الاعراف ، ١١ ، ص ٧٦ .

ذلك من أعظم فضائله ، وهذا مما لا شبهة فيه .

فأما اعتماد بعض أصحابنا في تفضيل الأنبياء على الملائكة على أن المشقة في طاعة الأنبياء ﷺ أكثر وأوفر من حيث كانت لهم شهوات في القبائح ونفار عن الواجبات فليس بمعتمد ، لأننا لا نقطع على أن مشاق الأنبياء أعظم من مشاق الملائكة في التكليف والشك في مثل ذلك واجب ، وليس كل شيء لم يظهر لنا ثبوته وجب القطع على انتفائه ونحن نعلم على الجملة أن الملائكة إذا كانوا مكلفين فلا بد من أن تكون عليهم مشاق في تكليفهم لولا ذلك ما استحقوا ثواباً على طاعتهم ، والتكليف إنما يحسن في كل مكلف تعريضاً للثواب ، ولا يكون التكليف شاقاً عليهم إلا و تكون لهم شهوات فيما حظر عليهم ونفار مما أوجب ، وإذا كان الأمر على هذا فمن أين يعلم أن مشاق الأنبياء عليهم السلام أكثر من مشاق الملائكة ، وإذا كانت المشقة عامة لتكليف الأمة ولا طريق إلى القطع على زيادتها في تكليف بعض و نقصانها في تكليف آخرين فالواجب التوقف والشك ، ونحن الآن نذكر شبه من فضل الملائكة على الأنبياء ﷺ وتكلم عليها بعون الله :

فمما تعلقوا به في ذلك قوله تعالى حكاية عن إبليس مخاطباً لآدم وحواء ﷺ
 « ما هنا كما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (١) » ،
 فرغبهما في تناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتى تناولا وعصيا ، وليس يجوز أن يرغب عاقل في أن يكون على منزلة هي دون منزلته حتى يحمله ذلك على خلاف الله تعالى ومعصيته ، وهذا يقتضي فضل الملائكة على الأنبياء ﷺ . وتعلقوا أيضاً بقوله تعالى « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون (٢) » وتأخير ذكر الملائكة في مثل هذا الخطاب يقتضي تفضيلهم ، لأن العادة إنما جرت أن يقال : لن يستنكف الوزير أن يفعل هذا ولا الخليفة ، فيقدم الأذن و يؤخر الأعمى ، ولم تجر بأن يقال : لن يستنكف الأمير أن يفعل كذا ولا الحارس ، وهذا يقتضي تفضيل الملائكة

(١) الاعراف ، ١٦٠ .

(٢) النساء ، ١٧١ .

على الأنبياء عليهم السلام . و تعلقوا بقوله تعالى : « و لقد كرّمنا بني آدم و حملناهم في البر » و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً (١) » قالوا : و ليس بعد بني آدم مخلوق يستعمل في الخبر عنه لفظه « من » التي لا تستعمل إلا في العقلاء إلا الجنّ و الملائكة ، و لما لم يقل : و فضلناهم على من ، بل قال : على كثير ممن خلقنا ، علم أنه إنما أخرج الملائكة ممن فضل بني آدم عليه ، لأنه لا خلاف في بني آدم أنه أفضل من الجنّ ، و إذا كان وضع الخطاب يقضي مخلوقاً لم يفضل بنو آدم (٢) فلا شبهة في أنهم الملائكة . و تعلقوا بقوله تعالى « و لا أقول لكم عندي خزائن الله و لا أعلم الغيب و لا أقول إني ملئك (٣) » فلولا أن حال الملائكة أفضل من حال النبيّ لما قال ذلك .

فيقال لهم في ما تعلقوا به أو لا : لم زعمتم أن قوله تعالى « إلا أن تكونا ملكين » معناه : أن تصيرا أو تتقلبا إلى صفة الملائكة ؟ فإن هذه اللفظة ليست بصريح لما ذكرتم بل أحسن الأحوال أن تكون محتملة له ، و ما أنكرتم أن يكون المعنى أن المنهيّ عن تناول الشجرة غير كما ، و إذا النهي يختصّ الملائكة و الخالدين دونكما ، و يجري ذلك مجرى قول أحدنا لغيره : ما نهيت عن كذا إلا أن تكون فلاناً ، و إنما يعني أن المنهيّ هو فلان دونك ، و لم يرد : إلا أن تتقلب فتصير فلاناً ، و لما كان غرض إبليس إيقاع الشبهة لهما فمن أوكد الشبهة إيهامهما أنهما لم ينهيا و إنما المنهيّ غيرهما . و من وكيد ما نفسد به هذه الشبهة أن يقال : ما أنكرتم أن يكونا رغبا في أن ينقلا إلى صفة الملائكة و خلقهم كما رغبتكما إبليس في ذلك ، و لا تدلّ هذه الرغبة على أن الملائكة أفضل منهما ، لأنه بالتقلب إلى خلقه غيره لا يتقلب و لا يتغير الحقيقة بانقلاب الصورة و الخلق ، فإنه إنما يستحقّ الثواب على الأعمال دون الهيئات (٤) و غير ممتنع أن

(١) الاسراء : ١٠٠ .

(٢) كذا ، و الصواب : بنو آدم عليه .

(٣) الانعام : ٥٠ .

(٤) الهيئته (خ) .

يكونا رغبا في أن يصيرا على الهيئة الملائكة^(١) وصورها ، وليس ذلك يرغبه في الثواب ولا الفضل ، فإن الثواب فضل لا يتبع الهيئات و الصور ، ألا ترى أنهما رغبا في أن يكونا من الخالدين ، وليس الخلود مما يقتضي مزية في ثواب ولا فضلا فيه ، وإنما هو نفع عاجل ، وكذلك لا يمتنع أن يكون الرغبة منهما في أن يصيرا ملكين إنما كانت على هذا الوجه .

و يمكن أن يقال للمعتزلة خاصة و كل من أجاز على الأنبياء الصغائر : ما أنكرتم أن يكونا اعتقدا أن الملك أفضل من النبي و غلطا في ذلك وكان منهما ذنباً صغيراً؟ لأن الصغائر عندهم تجوز على الأنبياء ، فمن أين لكم إذا اعتقدا أن الملائكة أفضل من الأنبياء و رغبا في ذلك أن الأمر على ما اعتقدهم مع تجوزكم عليهم الذنوب؟ و ليس لهم أن يقولوا : إن الصغائر إنما تدخل في أفعال الجوارح دون القلوب ، لأن ذلك تحكّم بغير برهان ، وليس يمتنع على أصولهم أن تدخل الصغائر في أفعال القلوب و الجوارح معاً ، لأن حد الصغيرة عندهم ما نقص عقابه عن ثواب طاعات فاعله ، وليس يمتنع معنى هذا الحد في أفعال القلوب كما لا يمتنع في أفعال الجوارح .

و يقال لهم فيما تعلقوا به ثانياً : ما أنكرتم أن يكون هذا القول إنما توجه إلى قوم اعتقدوا أن الملائكة أفضل من الأنبياء فأخرج الكلام على حسب اعتقادهم و أخر ذكر الملائكة لذلك؟ و يجري هذا القول مجرى قول من قال منّا لغيره : لن يستنكف أي أن يفعل كذا ولا أبوك ، و إن كان القائل يعتقد أن أباه أفضل ، و إنما أخرج الكلام على حسب اعتقاد المخاطب لا المخاطب .

و مما يجوز أن يقال أيضاً : أنه لا تفاوت في الفضل بين الأنبياء و الملائكة و إن ذهبنا إلى أن الأنبياء أفضل منهم ، و مع التقارب و التداوي يحسن أن يؤخر ذكر الأفضل الذي لا تفاوت بينه و بين غيره في الفضل ، و إنما مع التفاوت و التناهي لا يحسن ذلك ، ألا ترى أنه يحسن أن يقول القائل : ما يستنكف الأمير فلان من كذا ، ولا الأمير

(١) في مخطوطة « على الهيئة على الملائكة » وسائر النسخ موافق للمتن ، والظاهر ،

على هيئة الملائكة .

فلان من كذا ، وإن كانا متساويين متناظرين أو متقاربين ، ولا يحسن أن يقول : ما يستنكف الأمير من كذا ولا الحارس ، لأجل التفاوت . و أقوى من هذا أن يقال : إنما اُختر ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لأن جميع الملائكة أكثر ثواباً لا محالة من المسيح منفرداً وهذا لا يقتضي أن كل واحد منهم أفضل من المسيح ﷺ ، وإنما الخلاف في ذلك . و يقال لهم في ما تعلقوا به ثالثاً : ما أنكرتم أن يكون المراد بقوله تعالى «على كثير ممن خلقنا تفضيلاً» أنا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير ولم يرد التبويض ، و يجري ذلك مجرى قوله تعالى «ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً»^(١) معناه : لا تشتروا بها ثمناً قليلاً فكل ثمن تأخذونه عنها قليل ، ولم يرد التخصيص و المنع من الثمن القليل خاصة . و مثله قول الشاعر :

من أناس ليس في أخلاقهم ☆ عاجل الفحش ولا سوء الجزع
و إنما أراد نفي الفحش كله عن أخلاقهم و إن وصفه بأنه عاجل ، و نفي الجزع عنهم و إن وصفه بالسوء ، و هذا من غريب البلاغة ودقيقها ، و نظائره في الشعر والكلام الفصيح لا تحصى ، و قد كنتنا أملينا في تأويل هذه الآية كلاماً منفرداً استقصيناه و شرحنا هذا الوجه و أكثرنا من ذكر أمثله .

و وجه آخر في تأويل هذه الآية ، و هو أنه غير ممتنع أن يكون جميع الملائكة أفضل من جميع بني آدم و إن كان في جملة بني آدم من الأنبياء ﷺ من يفضل كل واحد منهم على كل واحد من الملائكة ، لأن الخلاف إنما هو في فضل كل بني آدم على كل ملك ، و غير ممتنع أن يكون جميع الملائكة فضلاء يستحق كل واحد منهم الجزيل الأكثر من الثواب ، فيزيد ثواب جميعهم على ثواب جميع بني آدم ، لأن الأفاضل من بني آدم أقل عدداً ، و إن كان في بني آدم آحاد كل واحد منهم أفضل من كل واحد من الملائكة .

و وجه آخر و مما يمكن أن يقال في هذه الآية أيضاً : أن مفهوم الآية إذا تؤمّلت يقتضي أنه تعالى لم يرد الفضل الذي هو زيادة الثواب ، و إنما أراد النعم و

المنافع الدنيوية ، ألا ترى إلى قوله تعالى « ولقد كرّمنا بني آدم » و الكرامة إنما هي الترقية و ما يجري مجراء ، ثم قال « و حملناهم في البر » و البحر و رزقناهم من الطيبات ، و لا شبهة في أن الحمل لهم في البر و البحر و رزق الطيبات خارج مما يستحق به الثواب و يقتضي التفضيل الذي وقع إطلاقه فيه ، و يجب أن يكون ما عطف عليه من التفضيل داخلاً في هذا الباب و في هذا القبيل ، فإنه أشبه من أن يكون المراد به غير ما سياق الآية و ارد [به] مبني عليه ، و أقل الأحوال أن تكون لفظة « فضلناهم » مجتمعةً للأمريين ، فلا يجوز الاستدلال بها على خلاف ما نذهب إليه .

و يقال لهم فيما تعلقوا به رابعاً : لا دلالة في هذه الآية على أن حال الملائكة أفضل من حال الأنبياء ، لأن الغرض في الكلام إنما هو نفي ما لم يكن عليه ، لا التفضيل لذلك على ما هو عليه . ألا ترى أن أحدنا لو ظن أنه على صفة و هو ليس عليها جاز أن ينفيها عن نفسه بمثل هذا اللفظ و إن كان على أحوال هي أفضل من تلك الحال و أرفع ، و ليس يجب إذا انتفى مما تبرأ منه من علم الغيب و كون خزائن الله تعالى عنده أن يكون فيه فضل أن يكون ذلك معتمداً في كل ما يقع النفي له و التبرؤ منه ، و إذا لم يكن ملكاً عنده خزائن الله تعالى جاز أن ينتفي من الأمريين من غير ملاحظة ، لأن حاله دون هاتين الحالين .

و مما يوضح هذا و يزيل الإشكال فيه أنه تعالى حكى عنه قوله في آية أخرى « ولا أقول للذين ترددي أعينكم لن يؤتيتهم الله خيراً (١) » و نحن نعلم أن هذه منزلة غير جليلة ، و هو على كل حال أرفع منها و أعلى ، فما المنكر أن يكون نفي الملكية عنه في أنه لا يقتضي أن حاله دون حال الملك بمنزلة نفي هذه المنزلة . و التعلق بهذه الآية ضعيف جداً ، و فيما أوردناه كفاية و بالله التوفيق (انتهى) .

و ذكر - رضي الله عنه - نحواً من هذا في أجوبة المسائل التي وردت عليه من الري .

وقال الدواني في شرح العقائد : هم أي الأنبياء أفضل من الملائكة العلوية عند

أكثر الأشاعرة ، ومن الملائكة السفلية بالاتفاق ، وعمامة البشر من المؤمنين أيضاً أفضل من عمامة الملائكة ، وعند المعتزلة وأبي عبد الله الحلبي^(١) والقاضي أبي بكر منا الملائكة أفضل ، والمراد بالأفضل أكثر ثواباً ، وذلك أن عبادة الملائكة فطرية لامزاحم لهم عنها بخلاف عبادة البشر، فإن لهم مزاحمات فتكون عبادتهم أشق ، وقال النبي ﷺ « أفضل الأعمال أضرها^(٢) » أي أشقها .

قلت : وعلى هذا يندفع ما يتوهم أن إساءة الأدب مع الملائكة كفر ومع آحاد المؤمنين ليس بكفر ، فتكون الملائكة أفضل ، لأن ذلك يدل على أن كون الملك أشرف بسبب كثرة مناسبته مع المبدأ في النزاهة وقلة الوسط ، لا على أنه أفضل بمعنى كونه أكثر ثواباً .

وقال شارح المقاصد : ذهب جمهور أصحابنا و الشيعة إلى أن الأنبياء أفضل من الملائكة خلافاً للمعتزلة والقاضي وأبي عبد الله الحلبي ، وصرح بعض أصحابنا بأن عوام البشر من المؤمنين أفضل من عوام الملائكة ، و خواص الملائكة أفضل من عوام البشر أي غير الأنبياء . لنا وجوه عقلية ونقلية :

الاولى : أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم ، والحكيم لا يأمر بسجود الأفضل للأدنى ، وإباء إبليس واستكباره و التعليل بأنه خير من آدم لكونه من نار و آدم من طين يدل على أن المأمور به كان سجد تكرمه و تعظيم ، لا سجد تحية وزيارة ، ولا سجد الأعلى للأدنى إعظماً له و رفعا لمنزلته وهضمًا لنفوس الساجدين .

الثاني : أن آدم أنبأهم بالأسماء و بما علمه الله من الخصائص ، والمعلم أفضل من المتعلم ، وسوق الآية ينادي على أن الغرض إظهار ما خفي عليهم من أفضلية آدم ، و دفع ما توهموا فيه من النقصان ، ولذا قال تعالى « ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض^(٣) » وبهذا يندفع ما يقال : إن لهم أيضاً علوماً جمّة أضاعف العلم بالأسماء

(١) الحلبي (خ) .

(٢) احمزها (خ) .

(٣) البقرة ، ٣٣ .

لما شاهدوا من اللوح وحصّلوا في الأزمنة المتطاولة بالتجارب والأُنظار المتوالية .
الثالث : قوله تعالى : « إن الله اصطفى آدم ونوحاً و آل إبراهيم وآل عمران على العالمين ^(١) » وقد خصّ من آل إبراهيم و آل عمران غير الأنبياء بدليل الإجماع فيكون آدم ونوح وجميع الأنبياء مصطفون ^(٢) على العالمين الذين منهم الملائكة ، إنزلاً منحصّصاً للملائكة من العالمين ، ولا جهة لتفسيره بالكثير من المخلوقات .

الرابع : أن للبشر شواغل عن الطاعات العلميّة و العمليّة ، كالشهوة والغضب وسائر الحاجات الشاغلة والموانع الخارجة والداخلة ، فالمواظبة على العبادات وتحصيل الكمالات بالقهر و الغلبة على ما يصاد " القوة العاقلة يكون أشقّ و أفضل و أبلغ في استحقاق الثواب . ولا معنى للأفضليّة سوى استحقاق الثواب والكرامة .

لا يقال : لو سلّم انتفاء الشهوة و الغضب وسائر الشواغل في حقّ الملائكة فالعبادة مع كثرة البواعث والشواغل إنّما يكون أشقّ و أفضل من الأخرى إذا استويا في المقدار و باقي الصفات ، وعبادة الملائكة أكثر و أدوم . فإنّهم يستبحون الليل والنهار لا يقترنون والإخلاص الذي به القوام و النظام و اليقين الذي هو الأساس و التقوى التي هي الثمرة فيهم أقوى وأقوم ، لأنّ طريقهم العيان لا البيان والمشاهدة لا المراسلة .

لأننا نقول : انتفاء الشواغل في حقّهم ممّا لا ينازع فيه أحد ، و وجود المشقّة والألم في العبادة و العمل عند عدم المنافي و المضادّ ممّا لا يعقل قلت أو كثرت ، و كون باقي الصفات في حقّ الأنبياء أضعف و أدنى ممّا لا يسمع ولا يقبل . وقد يتمسك بأنّ للملائكة عقلاً بلا شهوة ، وللبهائم شهوة بلا عقل ، وللإنسان كليهما ، فإذا ترجّح شهوته على عقله يكون أدنى من البهائم لقوله تعالى « بل هم أضلّ ^(٣) » ، فإذا ترجّح عقله على شهوته يجب أن يكون أعلا من الملائكة ، وهذا عائد إلى ما سبق لأنّ تمام تقريره هو أن الكافر آثر النقصان مع التمكن من الكمال ، و كلّ من فعل كذا فهو أضلّ

(١) آل عمران : ٣٣ .

(٢) كذا في جميع النسخ ، و الصواب « مصطفين » .

(٣) الفرقان : ٤٤ .

وأردل ممن آثره بدونه ، لأنَّ إيثار الشيء مع وجود المضادِّ والمنافي أرجح وأبلغ من إيثاره بدونه ، فيلزم أن يكون من آثار الكمال مع التمكّن من النقصان أفضل وأكمل ممن آثره بدونه .

و أمّا التمسك بقوله [تعالى] « ولقد كرّمنا بني آدم » و التكريم المطلق لأحد الأجناس يشعر بفضله على غيره ، فضعيف ، لأنَّ التكريم لا يوجب التفضيل سيّما مع قوله تعالى « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا » فإنّه يشير بعدم التفضيل على القليل و ليس غير الملائكة بالإجماع ، كيف وقد وصف الملائكة أيضاً بأنّهم عباد مكرمون . ثمّ قال : و احتجّ المخالفون أيضاً بوجوه نقلية و عقلية :

أمّا النقليات فمنها قوله تعالى « ولله يسجد ما في السموات و ما في الأرض من دابة و الملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربّهم من فوقهم و يفعلون ما يؤمرون ^(١) » خصّهم بالتواضع و ترك الاستكبار في السجود ، و فيه إشارة إلى أنّ غيرهم ليس كذلك وأنّ أسباب التكبر والتعظم حاصلة لهم ؛ و وصفهم باستمرار الخوف و امتثال الأوامر و من جعلتها اجتناب المنهيات .

و منها : قوله [تعالى] « و من عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يستحون الليل و النهار لا يقترنون ^(٢) » و صفهم بالقرب و الشرف عنده ، و بالتواضع و المواظبة على الطاعة و التسبيح .

و منها قوله تعالى « بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون - إلى أن قال - وهم من خشيته مشفقون ^(٣) » و صفهم بالكرامة المطلقة والامتثال والخشية و هذه الأمور أساس كافّة الخيرات .

و الجواب : أنّ جميع ذلك إنّما يدلّ على فضيلتهم لا على أفضليّتهم لا سيّما

على الأنبياء .

(١) النحل : ٤٩ - ٥٠ .

(٢) الانبياء : ١٩٠ - ٢٠ .

(٣) الانبياء : ٢٦ - ٢٨ .

و منها قوله تعالى « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنِّي ملك (١) » فإن مثل هذا الكلام إنَّما يحسن إذا كان الملك أفضل .

و الجواب : أنه إنَّما قال ذلك حين استعجله قريش العذاب الذي أوعدوا به بقوله تعالى « و الذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون (٢) » و المعنى أني لست بملك حتى يكون لي القوَّة و القدرة على إنزال العذاب بإذن الله كما كان لجبرئيل عليه السلام ، أو يكون له العلم بذلك بإخبار من الله تعالى بلا واسطة .

و منها قوله تعالى « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين (٣) » أي إلا كراهة أن تكونا ملكين ، يعني أن الملائكة بالمرتبة العليا ، و في الأكل من الشجرة ارتقاء إليهما .

و الجواب : أن ذلك تمويه من الشيطان و تخييل أن ما يشاهد في الملك من حسن الصورة و عظم الخلق و كمال القوَّة يحصل بأكل الشجرة ، ولو سلَّم فغايتها التفضيل على آدم قبل النبوة .

و منها قوله تعالى « علمه شديد القوى (٤) » يعني جبرئيل عليه السلام ، و المتعلم أفضل من المتعلم .

و الجواب : أن ذلك بطريق التبليغ و إنَّما التعليم من الله تعالى .

و منها قوله تعالى « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرَّبون (٥) » أي لا يترفع عيسى من العبويَّة و لا من هو أرفع منه درجة ، كقولك : لن يستنكف من هذا الأمر الوزير و لا السلطان ، و او عكست أحلت (٦) بشهادة علماء البيان ، و البصراء بأساليب الكلام . و عليه قوله تعالى « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى (٧) »

(١) الأنعام : ٥٠٠ . (٢) الأنعام : ٤٩ .

(٣) الاعراف : ١٩ . (٤) النجم : ٥ .

(٥) النساء : ١٧١ . (٦) حلت (خ) .

(٧) البقرة : ١٢٠ .

أي مع أنهم أقرب مودة لأهل الإسلام ، ولهذا خص الملائكة بالمقر بين منهم لكونهم أفضل .

و الجواب : أن الكلام سيق لرد مقالة النصارى وغيرهم في المسيح وادعائهم فيه مع النبوة البتة ، بل الألوهية والترفع عن العبودية ، لكونه روح الله ولد بلا أب لكونه يبرئ الأكمه والأبرص ، والمعنى : لا يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو فوقه في هذا المعنى ، وهم الملائكة الذين لا أب لهم ولا أم ، ولا يقدر على ما لا يقدر عليه عيسى عليه السلام ، ولادلالة على الأفضلية بمعنى كثرة الثواب وسائر الكمالات ألا ترى أن فيما ذكرت من المثال لم يقصد الزيادة والرفعة في الفضل والشرف والكمال بل في ما هو مظنة الاستنكاف والرضا كالعلة والاستكبار والاستعلاء في السلطان وقرب المودة في النصارى .

ومنها : أطراد تقديم ذكر الملائكة على ذكر الأنبياء والرسل ، ولا تعقل له جهة سوى الأفضلية .

والجواب : أنه يجوز أن يكون بجهة تقدمهم في الوجود ، أو في قوة الإيمان بهم والاهتمام به لأنه أخفى ، فالإيمان بهم أقوى وبالتحريض عليه أخرى .
وأما العقليات : فمنها أن الملائكة روحانيات مجردة في ذاتها ، متعلقة بالهياكل العلوية ، مبرأة عن ظلمة المادة ، وعن الشهوة والغضب اللذين هما مبدعا الشرور والقبايح ، متصفة بالكمالات العلمية والعملية بالفعل ، من غير شوائب الجهل والنقص والخروج عن القوة إلى الفعل على التدرج ومن احتمال الغلط ، قوينة على الأفعال العجيبة ، وإحداث السحب والزلازل وأمثال ذلك ، مطلعة على أسرار الغيب ، سابقة إلى أنواع الخير ، ولا كذلك حال البشر .

والجواب : أن مبنى ذلك على قواعد الفلسفة دون الملثة .

ومنها : أن أعمالهم الموجبة للمثوبات أكثر لطول زمانهم ، وأدوم لعدم تحلل الشواغل ، وأقوم لسلامتها عن مخالطة المعاصي المنقصة للثواب ، وعلوهم أكمل وأكثر لكونهم نورانيين يشاهدون اللوح المحفوظ المنتقش بالكائنات وأسرار المغيبات .

والجواب : أن هذا لا يمنع كون أعمال الأنبياء وعلومهم أفضل وأكثر ثواباً لجهات آخر ، كقهر المضاد والمنافي ، وتحمل المتاعب والمشاق ونحو ذلك على ما سر (انتهى) .

واقول : والعمدة في ذلك الأخبار الكثيرة الدالة على فضل الأنبياء والأئمة عليهم السلام على الملائكة ، وإن كان فيها ما يوهم خلاف ذلك ، وهي متفرقة في أبواب مجلدات الحجّة ، لم نوردنا ههنا حذراً من الإطناب وحجم الكتاب .

١ - **الاحتجاج :** في ما سأل الزنديق الصادق عليه السلام : الرسول أفضل أم الملك المرسل إليه ؟ قال عليه السلام : بل الرسول أفضل (١) .

٢ - **مجالس ابن الشيخ :** عن أبيه ، عن جماعة ، عن أبي المفضل الشيباني عن علي بن محمد بن الحسن النخعي ، عن جده سليم بن إبراهيم بن عبيد ، عن نصر بن مزاحم المنقري ، عن إبراهيم بن الزبرقان ، عن عمرو بن خالد ، عن زيد بن علي ، عن أبيه عليه السلام في قوله تعالى « ولقد كرّمنا بني آدم » يقول : فضلنا بني آدم على سائر الخلق « وحملناهم في البرّ والبحر » يقول : على الرطب واليابس « ورزقناهم من الطيبات » يقول : من طيبات الثمار كلها « وفضلناهم » يقول : ليس من دابة ولا طائر إلا هي تأكل وتشرب فيها لا ترفع يدها إلى فيها طعاماً ولا شرباً غير ابن آدم ، فإنّه يرفع إلى فيه بيده طعامه ، فهذا من التفضيل .

بيان : لعلّه أراد بالرطب الحيوانات المتحرّكة النامية ، وباليابس الأخشاب اليابسة التي تعمل منها السفن ، ويحتمل كون النشر على خلاف ترتيب اللف ، فالرطب البحر ، واليابس البرّ .

٣ - **مجالس ابن الشيخ :** عن أبيه ، عن جماعة ، عن أبي المفضل ، عن أحمد بن الحسن بن هارون ، عن يحيى بن السريّ الضرير ، عن محمد بن حازم أبي معاوية الضرير قال : دخلت على هارون الرشيد ، قيل لي ، وكانت بين يديه المائدة ، فسألني عن تفسير هذه الآية « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات

— الآية — « فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد تأول لها جدك عبد الله بن عباس ، أخبرني الحججاج بن إبراهيم الخوزي ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس في هذه الآية « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات » قال : كل دابة تأكل فيها إلا ابن آدم فإنه يأكل بالأصابع . قال أبو معاوية : قبلغني أنه رمى بملقعة كانت بيده من فضة ، وتناول من الطعام بما صبعه .

٤ — ومنه : عن أبيه ، عن جماعة ، عن أبي المفضل ، عن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، عن يحيى بن عبد الحميد الحماني ، عن حججاج بن تميم ، عن ميمون بن مهران . عن ابن عباس في قوله تعالى عز وجل « ولقد كرمنا بني آدم — تفضيلاً » قال : ليس من دابة إلا وهي تأكل فيها إلا ابن آدم فإنه يأكل بيده .

٥ — العلل : عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن ابن الحكم ، عن عبد الله بن سنان ، قال : سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقلت : الملائكة أفضل أم بنوا آدم ؟ فقال : قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إن الله عز وجل ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة ، وركب في البهائم شهوة بلا عقل ، وركب في بني آدم كليهما ، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلب ^(١) شهوته عقله فهو شر من البهائم ^(٢) .

٦ — صحيفة الرضا : بالإسناد عنه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مثل المؤمن عند الله كمثل ملك مقرب ، وإن المؤمن عند الله عز وجل أعظم من الملك ، وليس شيء أحب إلى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة ^(٣) .

٧ — ومنه : بهذا الإسناد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن المؤمن ليعرف في السماء

(١) في المصدر : غابت

(٢) علل الشرائع : ج ١ ، ص ٥ .

(٣) صحيفة الرضا : ٦ .

كما يعرف الرجل أهله وولده ، وإنه أكرم عند الله^(١) عز وجل من ملك مقرب^(٢) .
 ٨ - العياشي : عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » قال : خلق كل شيء منكباً غير الإنسان فإنه خلق منتصباً .
 ٩ - الكافي : عن العدة ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن غالب بن عثمان عن بشير الدهان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال الله عز وجل : يا ابن آدم اذكرني في ملائكتك في ملائكة خير من ملائكتك^(٣) .

١٠ - و منه : بالإسناد المتقدم عن ابن فضال ، رفعه قال : قال الله عز وجل
 لعيسى عليه السلام : يا عيسى اذكرني في نفسك اذكرني في نفسي ، و اذكرني في ملائكتك اذكرني
 في ملائكتك من ملائكة آدميين^(٤) .

بيان : ربما يستدل بالخبرين على كون الملائكة أفضل من بني آدم ، ويمكن أن يجاب بأن خيرية ملائكة الملائكة باعتبار كون الجميع معصومين بخلاف ملائكة البشر لا ينافي كون بعض البشر أفضل من الملائكة ، على أنه يمكن أن يكون المراد بالملائكة الثاني ما يشتمل على أرواح النبيين عليهم السلام ، لكن وقع التصريح في بعض الأخبار بملائكة من الملائكة .

١١ - كتاب تفضيل أمير المؤمنين : الكراجكي ، عن علي بن الحسن بن مندة ، عن الحسن بن يعقوب البرز أذ ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : لما حمل المأمون أبا هدية مولى أنس إلى خراسان بلغني ذلك ، فخرجت في لقائه فصادفني في بعض المنازل ، فرأيت رجلاً طويلاً خفيف العارضين منحنياً من الكبر وقد اجتمع عليه الناس ، فقلت له : حدثني - رحمك الله - فإني أتيتك من بلد بعيد أسمع منك ، فلم يحدثني من الزحمة التي كانت عليه ، ثم رحل فتبعته إلى المرحلة الأخرى فلما نزل أتيتته فقلت له : حدثني

(١) في المصدر ، على الله .

(٢) الصحيفة : ٨ .

(٣) الكافي : ج ٢ ، ص ٤٩٨ .

(٤) د ج ٢ ، ص ٥٠٢ .

— رحمتك الله تعالى — قال: أنت صاحبي بالأمس؟ قلت: نعم، قال: إذا والله لا أحد منك إلا قائماً لما بدامنني إليك، لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كان عنده علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار، ثم قام قائماً وقال: كنت رأيت مولاي أنس بن مالك وهو معصب بعصابة بيضاء، فقلت: وما هذه العصابة؟ قال: هذه دعوة علي بن أبي طالب، فقلت: وكيف؟ فقال: أهدي إلى رسول الله ﷺ طائر ورسول الله ﷺ في بيت أم سلمة رضي الله عنها وأنا حينئذ أحجب رسول الله ﷺ فأصلحته أم سلمة رضي الله عنها وأنت به رسول الله ﷺ وقالت أم سلمة: الزم الباب لينال رسول الله ﷺ منه، فلزمت الباب وقدّمته إلى النبي ﷺ، فلما وضعته بين يديه رفع رسول الله ﷺ يديه وقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر، فسمعت دعوة رسول الله ﷺ وأجبت أن يكون رجلاً من قومي، فأتى علي بن أبي طالب، فقلت: إن رسول الله ﷺ عنك مشغول فانصرف، ثم دعا رسول الله ﷺ ثانية وقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر، فأتى علي بن أبي طالب، فقلت: إن رسول الله ﷺ عنك مشغول فانصرف، ثم رفع رسول الله ﷺ رأسه ودعا ثالثة وقال: يا رب ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر فأتى علي فقلت: رسول الله ﷺ عنك مشغول، فقال: وما يشغل رسول الله ﷺ عني؟ ودفعني فدخل، فلما رآه رسول الله ﷺ قبل ما بين عينيه وقال: يا أخي! من الذي حبسك عني وقد دعوت الله ثلاثاً أن يأتيني بأحب خلقه إليه يأكل معي من هذا الطائر؟ فقال يا رسول الله؟ قد جئت ثلاثاً كل ذلك يردني أنس، فقال: لم رددت علياً؟ قلت: يا رسول الله إنني سمعت دعوتك فأجبت أن يكون رجلاً من الأنصار فأفتخر به إلى الأبد، فقال علي ﷺ: اللهم أرم أنساً بوضح لا يستره من الناس، فظهر علي هذا الذي ترى وهي دعوة علي.

بيان: في سائر الأخبار أن دعوة أمير المؤمنين عليه السلام حين استشهده فأبى أن يشهد وهذا من الأخبار المتواترة، ومما احتج به يوم الشورى فصدّقه، ويدل على أنه عليه السلام أفضل [جميع] خلق الله، وخرج الرسول ﷺ بالإجماع والنصوص المتواترة

فيدل علي فضله على الملائكة ، وكل من قال بفضله قال بفضل سائر الأئمة وجميع الأنبياء عليهم السلام فثبت فضل الجميع .

١٢ - ومن الكتاب المذكور : عن محمد بن أحمد بن شاذان ، عن طلحة بن أحمد عن عبد الحميد القنّاد ، عن هشام بن بشير ، عن ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : علي أفضل من خلق الله غيري ، والحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنة ، وأبوهما خير منهما ، وإن فاطمة سيّدة نساء العالمين ، ولو أن فاطمة خيراً من علي لم أزوجها منه .

١٣ - ومنه : عن ابن شاذان ، عن محمد بن عبد الله ، عن جعفر بن علي الدقاق عن عبد الله بن محمد الكاتب ، عن سليمان بن الربيع ، عن نصر بن مزاحم ، عن علي بن عبد الله ، عن الأشعث ، عن مرة ، عن أبي ذر ، قال : نظر النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : خير الأولين والآخريين من أهل السماوات والأرضين ، هذا سيّد الصديقين ، وسيّد الوصيّين ، وإمام المتّقين ، وقائد الغر المحجلّين ، إذا كان يوم القيامة جاء علي ناقة من نوق الجنة ، قد أضاءت القيامة من نورها ، علي رأسه تاج مرصع بالزبرجد والياقوت ، فتقول الملائكة : هذا ملك مقرّب ، ويقول النبيون : هذا نبي مرسل ، فينادي مناد من تحت بطنان العرش : هذا الصديق الأكبر ، هذا وصي حبيب الله رب العالمين ، هذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فيجيء علي حتى يقف على متن جهنم ، فيخرج منها من يحب ، ويأتي أبواب الجنة فيدخل فيها أوليائه بغير حساب .

١٤ - ومنه : عن ابن شاذان ، عن الحسن (١) بن أحمد ، عن أبي بكر بن محمد عن عيسى بن مهران ، عن عيسى بن عبد الحميد ، عن قيس بن الربيع ، عن الأعمش عن عباية ، عن حميد المغربي ، قال : قال أمير المؤمنين رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : أنا سيّد الأولين والآخريين ، وأنت يا علي سيّد الخلائق بعدي ، أو لنا كآخرا .

أقول : الاستدلال بهذه الأخبار بتقريب مأمّر .

١٥ - ومن الكتاب المذكور : عن ابن شاذان ، عن جعفر بن محمد بن عمرو - روى
 اللحام ، عن حسين بن محمد ، عن أحمد بن علوية ، عن إبراهيم بن محمد الثقفى ، عن عبد الله
 ابن صالح ، عن حريز بن عبد الحميد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : سمعت
 رسول الله ﷺ يقول : لما أُسري بي إلى السماء ما مررت بملاء من الملائكة إلا سألتني
 عن علي بن أبي طالب ، حتى ظننت أن اسم علي بن أبي طالب في السماوات أشهر من
 اسمي ، فلما بلغت السماء الرابعة و نظرت إلى ملك الموت قال لي : يا محمد ! ما خلق الله
 خلقاً إلا وأنا أقبض روحه إلا أنت وعلي ، فإن الله جل جلاله يقبض أرواحكم بقدرته
 و جرت تحت العرش إذ أنا ^(١) بعلي بن أبي طالب واقفاً تحت العرش ، فقلت : يا علي
 سبقتنى ؟ فقال جبرئيل : من هذا الذي تكلمه يا محمد ؟ فقلت : هذا علي بن أبي طالب ، فقال :
 يا محمد ! ليس هذا علي بن أبي طالب ، ولكنه ملك من الملائكة خلقه الله تعالى على صورة
 علي بن أبي طالب ﷺ فنحن الملائكة المقربون كلما اشتقنا إلى وجه علي بن أبي طالب
 عليه السلام زرنا هذا الملك ، لكرامة علي بن أبي طالب على الله سبحانه .
أقول : دلالة أو لا و آخراً على فضله لا يخفى على المتأمل ، ودلت عليه الأخبار
 المستفيضة الدالة على مهابة الله به ﷺ ليلة المبيت و يوم أحد ، وقول جبرئيل ﷺ :
 أنا منكما .

١٦ - العيون و العلل و كمال الدين : عن الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي
 عن فرات بن إبراهيم ، عن ابن عقدة ، عن العباس بن عبد الله البخاري ، عن محمد بن
 القاسم بن إبراهيم ، عن أبي الصلت الهروي ، عن الرضا ، عن آباءه ، عن أمير المؤمنين
 عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : ما خلق الله عز وجل خلقاً أفضل مني ولا أكرم
 عليه مني ، قال علي ﷺ : فقلت : يا رسول الله فأنت أفضل أو جبرئيل ؟ فقال ﷺ :
 يا علي ! إن الله تبارك و تعالى فضل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين ، و فضلني
 على جميع النبيين و المرسلين . و الفضل بعدي لك يا علي و للأئمة ﷺ من بعدك
 و إن الملائكة لخدنا و خدام محبيننا ، يا علي ! الذين يحملون العرش و من حوله

(١) إذا أنا (خ) .

يسبّحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا ، يا علي ! لولا نحن ما خلق آدم ، ولا حواء ، ولا الجنة ، ولا النار ، ولا السماء ، ولا الأرض ، فكيف لانكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسيّحه وتهليله وتقديسه ؟ - و ساق الحديث إلى قوله - فكيف لانكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون لكوننا في صلبه ؟ و إنه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرئيل مني مني ، وأقام مني مني ، ثم قال لي : تقدّم يا محمد ، فقلت له : يا جبرئيل ! أتقدّم عليك ؟ فقال : نعم ، لأنّ الله تبارك و تعالي فضل أنبياءه على الملائكة^(١) أجمعين ، و فضلك خاصّة - إلى آخر الخبر بطوله - (٢) .

١٧ - العلل : بإسناده إلى عمر و بن جميع ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان جبرئيل عليه السلام إذا أتى النبي صلى الله عليه وآله قعد بين يديه قعدة العبيد^(٣) و كان لا يدخل حتى يستأذنه (٤) .

١٨ - الاحتجاج و تفسير الامام : قال : سأل المنافقون النبي صلى الله عليه وآله فقالوا : يا رسول الله أخبرنا عن عليّ هو أفضل أم ملائكة الله المقربون ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : وهل شرّفت الملائكة إلا [بحبّها] لمحَمَّد و عليّ و قبولها لولايتها ؟ إنه لا أحد من محبّي عليّ نظّف قلبه من قدر الغشّ و الدغل و الغلّ و نجاسة الذنوب إلا كان أظهر و أفضل من الملائكة - الخبر - (٥) .

١٩ - كمال الدين : بإسناده إلى الرضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا سيّد من خلق الله ، و أنا خير من جبرئيل و إسرافيل و حملة العرش و جميع الملائكة المقربين و أنبياء الله المرسلين - الحديث - .

(١) في الملل ، ملائكته .

(٢) علل الشرائع : ج ١ ، ص ٦ ، العيون : ج ١ ، ص ٢٦٢ .

(٣) في المصدر ، العبد .

(٤) ملل الشرائع : ج ١ ، ص ٧ .

(٥) الاحتجاج ، ٣١٠ .

و أقول: الأخبار في ذلك كثيرة قد أوردناها في أبواب فضائل النبي ﷺ و الأئمة عليهم السلام فليرجع إليها .

تذييل

قال السيد الأجل المرتضى في كتاب الفرر بعد أن سئل عن تفسير قوله تعالى « خلق الإنسان من عجل » : قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل ، نحن نذكرها و نرجح الأرجح منها :

فأولها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الإنسان بكثرة العجلة ، وأنه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور ، لهج باستدناء ما يجلب إليه نفعاً أو يدفع عنه ضرراً ، و لهم عادة في استعمال مثل هذا اللفظ عند المبالغة ، كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم : ما خلقت إلا من نوم ، و ما خلق فلان إلا من شر ، إذا أرادوا كثرة وقوع الشر منه ، و ربما قالوا : إنما أنت أكل وشرب ، و ما أشبه ذلك . قالت الخنساء تصف بقرة :

ترتع مارتعحت حتى إذا ادكرت * و إنما هي إقبال و إدبار .

و إنما أرادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الإقبال و الإدبار منها ، و يشهد لهذا التأويل قوله عز وجل في موضع آخر « و كان الإنسان عجولاً » و يطابقه أيضاً قوله تعالى « فلا تستعجلون » لأن وصفهم بكثرة العجلة وأن من شأنهم فعلها تويخاً لهم و تقريباً ، ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من حيث كانوا متمكّنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال ، و قادرين على التثبت و التأيد .

و ثانيها ما أجاب به أبو عبيدة وقطرب [بن المستنير] و غيرهما من أن في الكلام قلباً ، و المعنى : خلق العجل من الإنسان ، و استشهدوا على ذلك بقوله سبحانه « وقد بلغني الكبير » أي قد بلغت الكبير ، و بقوله تعالى « ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة » و المعنى أن العصبة تنوء بها ، و تقول العرب : عرضت الناقة على الحوض ، و إنما هو : عرضت الحوض على الناقة ، ثم ذكر - ره - شواهد و آياتاً كثيرة في ذلك ، ثم قال : و يبقى على صاحب هذا الجواب مع التغاضي له عن حمل كلامه تعالى على القلب أن

يقال : و ما المعنى و الفائدة في قوله عز وجل " خلق العجل من الإنسان " ؟ أتريدون بذلك أن الله تعالى خلق العجلة في الإنسان ؟ و هذا لا يجوز ، لأن العجلة فعل من أفعال الإنسان ، فكيف تكون مخلوقة فيه لغيره ؟ ولو كان كذلك لما جاز أن ينهأهم عن الاستعجال في الآية فيقول « سأريكم آياتي فلا تستعجلون » لأنه لا ينهأهم عما خلقه فيهم ، فإن قالوا : لم يرد أنه تعالى خلقها ، لكنّه أراد كثرة فعل الإنسان لها و أنه لا يزال يستعملها ، قيل لهم : هذا هو الجواب الذي قد مناه من غير حاجة إلى القلب و التقديم و التأخير ، و إذا كان هذا المعنى يتم و ينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا إليه . وقد ذكر أبو القاسم البلخي هذا الجواب في تفسيره و اختاره و قواه ، و سأل نفسه عنه و قال : كيف جاز أن يقول : فلا تستعجلون ، و هو خلق العجلة فيهم ؟ و أجاب بأنه قد أعطاهم قدرة على مغالبة طبائعهم و كفتها ، وقد يكون الإنسان مطبوعاً عليها و هو مع ذلك مأمور بالتثبت قادر على أن يجانب العجلة ، و ذلك كخلقها في البشر شهوة النكاح ، و أمرهم في كثير من الأوقات بالامتناع منه ، و هذا الذي ذكره البلخي تصريح بأن المراد بالعجل غيره ، و هو الطبع الداعي إليه ، و الشهوة المتناولة له ، و يجب أيضاً أن يكون المراد بـ « من » ههنا « في » لأن شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الإنسان ، وإنما تكون فيه ، و هذا تجوز على تجوز ، و توسع على توسع ، لأن القلب أولاً مجاز ، ثم هو من بعيد المجاز ، و ذكر العجل و المراد به غيره مجاز آخر ، و إقامة « من » مقام « في » كذلك ، على أنه تعالى إنانهاهم عن العجلة بقوله عز وجل " فلا تستعجلون " أي معنى لتقديم قوله : إنني خلقت شهوة العجلة فيهم ، و الطبع الداعي إليها - على ما عبّر به البلخي - ؟ و هذا إلى أن يكون عذراً لهم أقرب منه إلى أن يكون حجة عليهم ، و أيسر الأحوال أن لا يكون عذراً ولا احتجاجاً ، فلا يكون لتقديمه معنى . وفي الجواب الأول حسن تقديم ذلك على طريق الذم و التوبيخ و التفرغ من غير إضافة له إليه عز وجل ، فالجواب الأول أوضح و أصح .

و ثالثها جواب روي عن الحسن ، قال : يعني بقوله « من عجل » أي من ضعف

وهي النطفة المنتنة المهينة الضعيفة ، و هذا قريب إن كان في اللغة شاهد على أن العجل

يكون عبارة عن الضعف أو عن معناه .

و رابعها ما حكى أن أبا الحسن الأخفش أجاب به ، و هو أن يكون المراد أن الإنسان خلق من تعجيل الأمر ، لأنه تعالى قال : « إننا قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ^(١) » فإن قيل : كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد « فلا تستعجلون » ؟ قلنا : يمكن أن يكون وجه المطابقة أنه لما استعجلوا بالآيات واستبطؤوها أعلمهم تعالى أنه ممن لا يعجزه شيء إذا أرادته ولا يمتنع عليه ، وأن من خلق الإنسان بلا كلفة ولا مؤونة بأن قال له كن فكان ، مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر و يحار فيها كل ناظر لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات .
وخامسها ما أجاب به بعضهم من أن العجل الطين ، فكأنه تعالى قال : خلق الإنسان من طين ، كما قال في موضع آخر « بدأ خلق الإنسان من طين ^(٢) » واستشهد بقول الشاعر :

والنبع يخرج بين الصخر ضاحية ✽ والنخل ينبت بين الماء والعجل
و وجدنا قوماً يطعنون في هذا الجواب ويقولون : ليس بمعروف أن العجل هو الطين ، وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أن العجل الحمأة ، ولم يستشهد عليه إلا أن البيت الذي أشدناه يمكن أن يكون شاهداً له ، وقد رواه تغلب عن ابن الأعرابي و خالف في شيء من ألفاظه ، و إذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى « فلا تستعجلون » على نحو ما ذكرناه ، و هو أن من خلق الإنسان مع الحكمة الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات ، أو يكون المعنى أنه لا يجب بمن خلق من الطين المهين وكان أصله هذا الأصل الحقيق الضعيف أن يهزأ برسلك الله تعالى و آياته و شرائعه ، لأنه تعالى قال قبل هذه الآية : « و إذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكر آلهتكم ^(٣) » .

(١) المحل ٤٠٠ .

(٢) ألم السجدة ٧٠ .

(٣) الانبياء ٢٦٠ .

وسادسها أن يكون المراد بالإنسان آدم عليه السلام ومعنى « من عجل » أي في سرعة من خلقه ، لأنَّه تعالى لم يخلقه من نطفة ، ثمَّ من علقه ، ثمَّ من مضغة كما خلق غيره وإنَّما ابتداء الله ابتداءً وأنشأه إنشاءً ، فكأنَّه تعالى نبه بذلك على الآية العجيبة في خلقه له ، وأنَّه عزَّ وجلَّ يري عباده من آياته وبيِّناته [أوَّلاً] أوَّلاً ما تقتضيه مصالحهم و تستدعيه أحوالهم .

و سابعها ما روي عن مجاهد وغيره أنَّ الله تعالى خلق آدم بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلاً بد غروب الشمس ، وروي أنَّ آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح و بلغت أعالي جسده ولم تبلغ أسافله قال : ربَّ استعجل بخلقى قبل غروب الشمس .

وثامنها ما روي عن ابن عباس والسدِّي أنَّ آدم عليه السلام لما خلق وجعلت الروح في أكثر جسده وثب عجلان مبادراً إلى ثمار الجنة . وقال : قوم بل هم بالوثوب، فهذا معنى قوله « خلق الإنسان من عجل » وهذه الأجوبة الثلاثة المتأخِّرة مبنية على أنَّ المراد بالإنسان فيها آدم عليه السلام دون غيره .

٤٠

﴿ باب آخر ﴾

نورد ما ذكره محمد بن بحر الشيباني المعروف بالدُهني^(١) في كتابه من قول مفضلي الأَنْبياء والرسل [و الأئمَّة] و الحجج على الملائكة صلوات الله عليهم أجمعين على ما

(١) كذا في جميع نسخ البحار ، والمشهور ضبطه بالراء المهملة المضمومة نسبة الى « رهنة » قرية بكرمان ، وحكى ابن داود عن نسخة « الدهنى » بالذال قال النجاشي ، محمد ابن بحر الرهني ؛ ابو الحسن الشيباني ساكن فرماشير من ارض كرمان قال اصحابنا انه كان في مذهبه ارتفاع ، وحديثه قريب من السلامة ، ولادري من اين قيل وقال في محكي الفهرست ، محمد بن بحر الرهني من اهل سجستان و كان من المتكلمين وكان عالماً بالاخبار فقيهاً الا انه متهم بالغلو وله نحو من خمسمائة مصنف ورسالة - انتهى - والظاهر ان منشأ اتهامه بالغلومبالفته في تفضيل الاثمة وعلو رتبهم عليهم السلام ولم يثبت منه قول يحاول اوتحاد أو تفويض ونحوها فلا يبعد كونه حسناً .

أورده الصدوق - ره - في كتاب علل الشرائع ناقلاً عنه حيث قال :

قال مفضلوا الأنبياء والرسل والحجيج على الملائكة : إننا نظرنا إلى جميع ما خلق الله عز وجل من شيء علا علواً طبعاً واختياراً أو علي به قسراً واضطراباً ، وما سفلاً طبعاً واختياراً أو ما سفلاً به قسراً واضطراباً ، فإنها هي ثلاثة أشياء باجماع : حيوان نام وجماد ، وأفلاك سائرة ، و بالطبع الذي طبعها عليه صانعها دائرة ، و في ما دونها عن إرادة خالقها مؤثرة . وإنهم نظروا في الأنواع الثلاثة و في الأشياء التي هي أجناس منقسمة إلى جنس الأجناس الذي هو شيء إذ يعطي كل شيء اسمه .

قالوا : ونظرنا أي الثلاثة هو نوع لما فوقه و جنس لما تحته أنفع وأرفع ، وأبها أدون وأوضع . فوجدنا أرفع الثلاثة الحيوان ، وذلك بحق الحياة التي بان بها النامي والجماد ، و إنما رفعة الحيوان عندنا في حكمة الصانع و ترتيبها أن الله تقدست أسماؤه جعل النامي له أعذاء ، وجعل له عند كل داء دواء ، و في ما قدر له صحة وشفاء فسبحانه ما أحسن ما دبّره في ترتيب حكمته ! إذ الحيوان الرفيع مما دونه يغذو ، و منه لوقاية الحر والبرد يكسو ، و عليه أيام حياته ينشو . وجعل الجماد له مركزاً ومكدياً فاهتمنه له امتئاناً ، وجعل له مسرحاً وأكناً ، و مجامع و بلداناً ، و مصانع وأوطاناً ، و جعل له حزناً محتاجاً و سهلاً محتاجاً إليه ، و علواً ينتفع به لو ، و سفلاً ينتفع به و بمكاسبه برّاً و بحراً . فالحيوان مستمتع ، فيستمتع بما جعل له فيه من وجوه المنفعة و الزيادة و الزبول عند الزبول ^(١) و تتخذ المركز عند التجسيم و التأليف من الجسم المؤلف ، تبارك الله رب العالمين .

قالوا : ثم [إننا] نظرنا ، فإننا الله عز وجل قد جعل المتخذ بالروح و النمو والجسم أعلى و أرفع مما يتخذ بالنمو والجسم و التأليف و التصريف ، ثم جعل الحي الذي هو بالحياة التي هي غيره نوعين : ناطقاً و أعجم ، ثم أبان الناطق من الأعجم بالناطق و البيان اللذين جعلهما له ، فجعله أعلى منه بفضيلة النطق و البيان . ثم جعل

(١) في بعض النسخ « الذبول » في الموضمين ، و في نسخة « الذلول » في الموضع

الناطق نوعين : حجة ومحجوجاً ، فجعل الحجة أعلى من المحجوج ، لا بإتة الله الحجة واختصاصه إياه بعلم علوي يخصصه له دون المحجوجين ، فجعله معلماً من جهة باختصاصه إياه ، وعلماً بأمره إياه أن يعلم بأن الله عز وجل معلم الحجة دون أن يكله إلى أحد من خلقه ، فهو متعال به ، و بعضهم يتعالى على بعض بعلم يصل إلى المحجوجين من جهة الحجة .

قالوا : ثم رأينا أصل الشيء الذي هو آدم ، فوجدناه قد جعله [علماً] على كل روحاني خلقه قبله ، وجسماني ذراه وبرأه منه ، فعلمه علماً خصه به لم يعلمهم قبل ولا بعد ، وفهمه فهماً لم يفهمهم قبل ولا بعد . ثم جعل ذلك العلم الذي علمه ميراثاً فيه لا إقامة الحجج من نسله على نسله ، ثم جعل آدم لرفعة قدره وعلو أمره للملائكة الروحانيين قبلة ، و أقامه لهم محنة ، فابتلاهم بالسجود إليه ، فجعل - لامحالة - من أسجد له له أعلى و أفضل ممن أسجدهم ، ولأن من جعل بلوى وحجة أفضل ممن حجته به ، و لأن إسجاده جل وعز إياهم للخضوع ألزمهم الاتضاع منهم له ، و المأمورين بالاتضاع بالخضوع والخشوع والاستكانة دون من أمرهم بالخضوع له ، ألا ترى إلى من أبقى الاتمار لذلك الخضوع و لتلك الاستكانة فأبى واستكبر ولم يخضع لمن أمره له بالخضوع كيف لعن وطرد عن الولاية ، و أدخل في العداوة ، فلا يرجى له من كبوته الإقالة آخر الأبد فرأينا السبب الذي أوجب الله عز وجل لآدم عليهم فضلاً ، فإذا هو العلم خصه الله عز وجل دونهم ، فعلمه الأسماء ، و بين له الأشياء ، فعلا بعلمه من لا يعلم . ثم أمره جل وعز أن يسألهم سؤال تنبيه لاسؤال تكليف عما علمه بتعليم الله عز وجل إياه مما لم يكن علمهم ، ليريهم جل وعز علو منزلة العلم ورفعة قدره ، كيف خص العلم محلاً و موضعاً اختاره له ، و أبان ذلك المحل عنهم بالرفعة و الفضل .

ثم علمنا أن سؤال آدم إياهم عما سألهم عنه مالميس في وسعهم وطوقهم الجواب عنه سؤال تنبيه لاسؤال تكليف ، لأنه جل وعز لا يكلف مالميس في وسع المكلف القيام به . فلما لم يطبقوا الجواب عما سألوا علمنا أن السؤال كان كالتقرير منه لهم يقرن^(١)

(١) في الملل . يقرر .

به اتضاعهم بالجهالة عما علمه إياه ، وعلو خطره وقدره ، واختصاصه ^(١) إياه بعلم لم يخصهم به ، فالتزموا الجواب بأن قالوا : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ^(٢) » . ثم جعل الله عز وجل آدم عليه السلام معلم الملائكة بقوله « أنبئهم » لأن الإنباء من النبأ تعليم ، والأمر بالإنباء من الأمر تكليف يقتضي طاعة وعصيانياً ، والإصغاء من الملائكة للتعليم والتوقيف والتفهيم والتعريف تكليف يقتضي طاعة وعصيانياً ، فمن ذهب منكم إلى فضل المتعلم على المعلم ، والموقف على الموقف ، والمعرف على المعرف ، كان في تفضيله تعكيس لحكمة الله عز وجل ، وقلب لترتيبها التي رتبها الله عز وجل ، فإنه على قياد مذهبه أن تكون الأرض التي هي المركز أعلى من النامي الذي هو عليها الذي فضله الله عز وجل بالنمو ، و النامي أفضل وأعلى من الحيوان الذي فضله الله جل جلاله بالحياة والنمو والروح ، والحيوان الأعجم الخارج عن التكليف والأمر والزجر أعلى وأفضل من الحيوان الناطق المكلف للأمر والزجر ، والحيوان الذي هو المحجوج أعلى من الحجّة التي هي حجّة الله عز وجل فيها ، والمتعلم أعلى من المعلم وقد جعل الله عز وجل آدم حجّة على كل من خلق من روحاني وجسماني إلا من جعل له أولية الحجّة . فقدروي لنا أن حبيب بن مظاهر الأسدي - بيض الله وجهه - أنه قال للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام : أي شيء كنتم قبل أن يخلق الله عز وجل آدم عليه السلام ؟ قال : كنا أشباح نوردور حول عرش الرحمن ، فنعلم للملائكة التسبيح والتهليل والتحميد . و لهذا تأويل دقيق ليس هذا مكان شرحه ، وقد بيناه في غيره . قال مفضلوا الملائكة : إن مدار الخلق روحانياً كان أو جسمانياً على الدنو من الله عز وجل والرفعة والعلو ، والزلفة والسمو ، وقد وصف الله جلّت عظمتة الملائكة من ذلك بمالم يصف به غيرهم ، ثم وصفهم بالطاعة التي عليها موضع الأمر والزجر والثواب والعقاب ، فقال عز وجل « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ^(٣) »

(١) باختصاصه (خ)

(٢) البقرة : ٣٢

(٣) التحريم : ٦

ثم جعل محلهم الملكوت الأعلى ، فبراهينهم على توحيده أكثر ، و أدلتهم عليه أشهر و أوفر ، و إذا كان ذلك كذلك كان حظهم من الزلفة أجل ، و من المعرفة بالصانع أفضل .

قالوا : ثم رأينا الذنوب و العيوب الموردة النار و دار البوار كلها من الجنس الذي فضلتهم على من قال الله عز و جل في نعمهم لما نعمهم و وصفهم بالطاعة لما وصفهم « لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون » قالوا : كيف يجوز فضل جنس فيهم كل عيب و لهم كل ذنب على من لا عيب فيهم و لا ذنب منهم لا صفائر ولا كبائر ؟

و الجواب : أن مفضلتي الأنبياء و الحجج عليهم السلام قالوا : إننا لا نفضل ههنا الجنس على الجنس ، و لكننا فضلنا النوع على النوع من الجنس ، كما أن الملائكة كلهم ليسوا كإبليس و هاروت و ماروت لم يكن البشر كلهم كفرعون الفراعنة و كشياطين الإنس المرتكبين المحارم ، المقدمين على المآثم . و أما قولكم في الزلفة و القربة فإنكم إن أردتم زلفة المسافات و قربة المداناة فالله عز و جل أجل ، و مما توهمتموه أتزه ، و في الأنبياء و الحجج من هو أقرب إلى قربه بالصالحات ، و القربات ^(١) الحسنات ، و بالنيات الطاهرات من كل خلق خلقهم ، و القرب و البعد من الله جلّت عظمته بالمسافة و المدى تشبيه له بخلقه ، و هو من ذلك تزيه .

و أما قولهم في الذنوب و العيوب فإن الله جلّت أسماؤه جعل الأمر و الزجر أسباباً و عللاً ، و الذنوب و المعاصي وجوهاً ، فالله جلّ جلاله هو الذي جعل قاعدة الذنوب من جميع المذنبين من الأولين و الآخرين إبليس ، و هو من حزب الملائكة و ممن كان في صفوفهم ، و هو رأس الأبالسة ، و هو الداعي إلى عصيان الصانع ، و الموسوس و المزيّن لكل من تبعه و قبل منه و ركن إليه الطغيان ، و قد أمهل الملعون لبلوى أهل البلوى في دار الابتلاء ، فكم من بريّة نبيه ، و في طاعة الله عز و جل و جبه ، و عن معصيته بعيد و قد أقمأ إبليس و أقصاه و زجره و نفاه ، فلم يلوله على أمر إذا أمره و لا انتهى عن زجره إذا زجره لمات في قلوب الخلق مكافئاً من المعاصي لمات الرحمن ، فلمات الرحمن

دافعة للمآثم و وسوسته وخطراته ، ولو كانت المحنة بالملعون واقعة بالملائكة ، والابتلاء به قائماً كما قام في البشر ، و دائماً كما دام ، لكثرت من الملائكة المعاصي ، وقلت فيهم الطاعات ، إذا تمت فيهم الآلات ، فقد رأينا المبتلى من صفوف (١) الملائكة بالأمر و الزجر مع آلات الشهوات كيف انخدع بحيث دنا من طاعته ، و كيف بعد مما لم يبعد منه الأنبياء و الحجج الذين اختارهم الله على علم على العالمين ، إذ ليست هفوات البشر كهفوة إبليس في الاستكبار ، و فعل هاروت و ماروت في ارتكاب المزجور .

قال مفضلوا الملائكة : إن الله جل جلاله وضع الخضوع و الخشوع و التضرع و الخنوع حلية ، فجعل مداها و غايتها آدم ﷺ ، ففاضت الملائكة في هذه الحلية و أخذوا منها بنصيب الفضل و السبق ، فجعل للطاعة فأطاعوا الله فید ، و لو كان هناك بنو آدم لما أطاعوه فيما أمر و زجر ، كما لم يطعه قاييل ، فصار إمام كل قائل .

جواب مفضلي الأنبياء و الحجج ﷺ ، قالوا : إن الابتلاء الذي ابتلى به الله عز وجل الملائكة من الخضوع و الخشوع لآدم عن غير شيطان مغر و وعد مطعني ، فاصل بغوايته بين الطائعين و العاصين ؛ و المقيمين على الاستقامة عن الميل ، و عن غير آلات المعاصي التي هي الشهوات المرغبات في عباده المبتلين ، و قد ابتلى من الملائكة من ابتلى فلم يعتصم بعصمة الله الوثقى ، بل استرسل للخادع الذي كان أضعف منها . و قد روينا عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال : إن في الملائكة من باقة بقل خير منه ، و الأنبياء و الحجج يعلمون ذلك لهم و فيهم ما جهلناه ، و قد أقر مفضلوا الملائكة بالتفاضل بينهم كما أقر بالتفاضل بين ذوي الفضل من البشر . و من قال : إن الملائكة جنس من خلق الله عز وجل تقل فيهم العصاة كهاروت و ماروت و كإبليس اللعين ، إذ الابتلاء فيهم قل (٢) فليس ذلك بموجب أن يكون فاضلهم أفضل من فاضل البشر الذين جعل الله عز وجل الملائكة خدامهم إذا صاروا إلى دار المقامة التي ليس فيها حزن و لاهم و لانسب و لاسقم و لا فقر .

(١) في المصدر : صفوف .

(٢) في المصدر : قليل .

قال مفضلوا الملائكة : إن الحسن البصري يقول : إن هاروت وماروت عُلجان من أهل بابل ، وأنكر أن يكونا من الملائكة ، فلم تعترضونا بالحجة بهما وبإبليس فتحتجون علينا بجنتي فيه .

قال مفضلوا الأنبياء والحجج عليهم السلام : ليس شذوذ الحسن عن جميع المفسرين من الأمة بموجب أن يكون ما يقول كما يقول ، وأتم تعلمون أن الشيء لا يستثنى إلا من جنسه ، وتعلمون أن الجن سموا جنّاً لاجتنانهم عن الرؤية إلا إذا أرادوا الترائي بما جعل الله عز وجلّ فيهم من القدرة على ذلك ، وأن إبليس من صفوف ^(١) الملائكة وغير جائز في كلام العرب أن يقول قائل : جاءت الإبل كلها إلا حمراً ، ووردت البقر كلها إلا فرساً ، فأبليس من جنس ما استثنى . وقول الحسن في هاروت وماروت بأنهما عُلجان من أهل بابل شذوذ شديد به عن جميع أهل التفسير ، وقول الله عز وجلّ يكذب به إنقال « وما أنزل على الملوك - بفتح اللام - بإبل هاروت وماروت » وليس في قولكم عن قول الحسن فرج لكم ، فادعوا ^(٢) ما لا فائدة فيه من علة ، ولا عائدة من حجة .

قال مفضلوا الملائكة : قد علمتم ما للملائكة في كتاب الله عز وجلّ من المدح والثناء مما بانوا به عن خلق الله جلّ و علا ، إذ لو لم يكن فيه إلا قوله « بل هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ^(٣) » .

قال مفضلوا الأنبياء والحجج عليهم السلام : لو استقصينا آي القرآن في تفضيل الأنبياء والحجج صلوات الله عليهم أجمعين لاحتجنا لذلك إلى التطويل والإكثار ، وترك الأيجاز والاختصار ، وفي ما جئنا به من الحجج النظرية التي تزيح العلل من الجميع مقنع ، إذ ذكرنا ترتيب الله عز وجلّ خلقه ، فجعل الأرض دون النامي ، والنامي أعلى وأفضل من الأرض ، وجعل النامي دون الحيوان ، و الحيوان أعلى وأرفع من النامي

(١) في المصدر ، صنوف .

(٢) فدعوا (خ) .

(٣) الانبياء ، ٢٦ - ٢٧ . وفي المصدر بعد ذكر الآية « لكفى » .

وجعل الحيوان الأعجم دون الناطق، وجعل الحيوان الناطق أفضل من الحيوان الأعجم وجعل الحيوان الجاهل الناطق دون الحيوان العالم الناطق، وجعل الحيوان العالم الناطق المحجوج دون الحيوان العالم الحجّة، ويجب على هذا الترتيب أن المعرب المبين أفضل من الأعجم غير الفصيح، ويكون المأمور المزجور مع تمام الشهوات وما فيهم من طباع حب اللذات ومنع النفس من الطلبات والبغيات ومع البلوى بعدوهم يمهل يمتحن بمعصيته إتياء وهو يزينها له محسناً بوسوسته في قلبه وعينه أفضل من المأمور المزجور مع فقد آلة الشهوات وعدم معاداة هذا المتوصل له بتزيين المعاصي والوسوسة إليه. ثم هذا الجنس نوعان: حجّة ومحجوج، والحجّة أفضل من المحجوج، ولم يحجج آدم الذي هو أصل البشر بواحد من الملائكة تفضيلاً من الله عز وجل إتياء عليهم، وحجج جهاير الملائكة بآدم، فجعله العالم بما لم يعلموا وخصه بالتعليم ليبين لهم أن المخصوص بما خصه به مما لم يخصهم أفضل من غير المخصوص بما لم يخصه به وهذا الترتيب حكمة الله عز وجل، فمن ذهب يروم إفسادها ظهر منه عناد من مذهبه وإلحاد في طلبه. فاتمى الفضل إلى محمد ﷺ لأنه ورث آدم وجميع الأنبياء، ولأنه الاصطفاء الذي ذكره الله عز وجل فقال « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ^(١) » فمحمد الصفوة والخالص، نجيب النجابة ^(٢) من آل إبراهيم فصار خير آل إبراهيم بقوله « ذرية بعضها من بعض » واصطفى الله جل جلاله آدم ممن اصطفاه عليهم من روحاني وجسماني. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله [و] حسبنا الله ونعم الوكيل.

قال الصدوق: إنما أردت أن تكون هذه الحكاية في هذا الكتاب، وليس قولي في إبليس أنه كان من الملائكة، بل كان من الجن، إلا أنه كان يعبد الله بين الملائكة وهاروت وماروت ملكان، وليس قولي فيهما قول أهل الحشو، بل كانا عندي معصومين

(١) آل عمران: ٣٣.

(٢) في المصدر، النجابة.

و معنى هذه الآية « و اتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان - الآية - (١) » ، إنما هو : و اتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان و على ما أنزل على الملكين بيا بل هاروت و ماروت ، وقد أخرجت في ذلك خبراً مسنداً في كتاب عيون الأخبار عن الرضا عليه السلام (٢) .

توضيح : قوله « و جماد » لعل مراده بالجماد غير الحيوان ليشمل النبات ، و كأنه كان هكذا : حيوان ، و نام و جماد ، فقوله « و أفلاك » عطف على ثلاثة أو على جماد و هما قسم واحد ، لأن الأفلاك أيضاً على مذهب أهل الحق من الجماد . قوله « إلى جنس الأجناس » الظرف متعلق بـ « نظروا » و يحتمل تعلقه بـ « منقسمة » على شبه القلب ، أي هي أقسامه ، كأنه جعل جنس الأجناس مفهوم الشيئية ولا يقول بإطلاق الشيء على الواجب تعالى شأنه ، و فيه نظر من وجود ، و يحتمل أن تكون كلمة « إن » زائدة ، فتأمل .

قوله « هو نوع » صفة للثلاثة ، أي كل منها « بان بها النامي » أي من النامي « جعل النامي له » أي للحيوان « و جعل له » أي جعله له ، و كأنه كان كذلك . قوله « و مكدياً » كذا في النسخ ، و كأنه من الكدية ، قال في النهاية : الكدية قطعة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس ، و أكدى الحافر إذا بلغها ، و فيه أن فاطمة خرجت في تعزية بعض جيرانها ، فلما انصرفت قال لها رسول الله ﷺ : لعلك بلغت معهم الكدى ، أراد المقابر ، و ذلك لأنها كانت مقابرهم في مواضع صلبة وهي جمع كدية (انتهى) و يشبه أن يكون فيه تصحيف . و المهنة - بالكسر و الفتح و التحريك و ككلمة - : الحذق بالخدمة و امتننه : استعمله للمهنة . ذكره الفيروز آبادي . و قال : المصنعة كالحوض يجمع فيه ماء المطر كالمصنع ، و المصانع : الجمع ، و القرى ، و المباني من القصور و الحصون (انتهى) .

« دون من أمرهم » أي أدون منهم ، و المدى : الغاية ، و يطلق على المسافة أيضاً و في المصباح : نبه - بالضم - نباهة : شرف ، و هو نبيه . و أقمأه : صغره و أذلّه . و

(١) البقرة ١٠٢٠ .

(٢) علل الشرائع ، ج ١ ، ص ١٩ - ٢٦ . و الحديث الذي أشار إليه في العيون ، ج ١

في النهاية : فيه « فانطلق الناس لايولي أحد على أحد » أي لا يلتفت ولا يعطف عليه .
وقال : فيه « لابن آدم لمستان : لمّة من الملك ، و لمّة من الشيطان » اللّمة : الهمة و
الخطرة تقع في القلب ، أراد إلمام الملك أو الشيطان به والقرب منه ، فما كان من خطرات
الخير فهو من الملك ، و ما كان من خطرات الشرّ فهو من الشيطان .

قوله « من طاعته » أي طاعة الشيطان . و الهفوة : الزلّة ، و في النهاية : الخانع
الذليل الخاضع . قوله « حلية » في أكثر النسخ بالياء المثناة ، والأظهر أنه بالياء الموحدة
في القاموس : الحلبة - بالفتح - : الدفعة من الخيل في الرهان ، و خيل تجمع للسباق
من كلّ أوب لا تخرج من اصطبل واحد (انتهى) .

« فجعل مداها و غايتها » أي غاية الحلبة في السباق ، و على النسخة الأولى كان
المعنى أنه كان قبلة للخنوع و الخضوع ، فجعل على بناء المجهول ، والضمير للسبق أو
آدم . و في الصحاح : استرسل إليه : انبسط واستأنس . وقال : الباقة من البقل : الحزمة
منه . و في المصباح : العليج : الرجل الضخم من كفار العجم ، و بعض العرب قد يطلق
العليج على الكافر مطلقاً . قوله « لاجتنانهم » أي استتارهم ، و في الصحاح : زاح الشيء
يزيح زيحاً : بعد وذهب .

٤١

﴿ باب ﴾

﴿ بدء خلق الانسان في الرحم الى آخر احواله ﴾

الآيات :

آل عمران : هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز
الحكيم (١) .

النساء : يا أيّها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها
زوجها و بثّ منهما رجالاً كثيراً و نساءً (٢) .

(١) آل عمران ، ٤٠ .

(٢) النساء : ١ .

الانعام : هو الذي خلقكم من طين^(١) .

هود : هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها^(٢) .

الرعد : الله يعلم ما تحمل كل أنثى و ما تغيض الأرحام و ما تزداد و كل شيء عنده بمقدار^(٣) .

النحل : خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين^(٤) .

مريم : أولاً يذكر الإنسان أننا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً^(٥) .

الحج : يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نزلنا من البعث فإذا نزلنا عليكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً^(٦) .

المؤمنون : و لقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميئون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون^(٧) .

الروم : ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون^(٨) .

لقمان : حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين^(٩) .

التنزيل : الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ثم سوّيه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع و الأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون^(١٠) .

(١) الانعام : ٢ .	(٢) هود : ٦١ .
(٣) الرعد : ٨ .	(٤) النحل : ٤ .
(٥) مريم : ٦٧ .	(٦) الحج : ٥٠ .
(٧) المؤمنون : ١٢ - ١٦ .	(٨) الروم : ٢٠ .
(٩) لقمان : ١٣ .	(١٠) السجدة : ٧ - ٩ .

فاطر : والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير (١) .

يس : أولم ير الإنسان أننا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين (٢) .

الزمر : يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث (٣) .

المؤمن : هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون (٤) .

حمعق : لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير (٥) .

النجم : هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإن أنتم أجنّة في بطون أمهاتكم - إلى قوله تعالى - وإنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى (٦) .

الواقعة : أفرأيتم ما تمنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون (٧) .

التغابن : وصوّركم فأحسن صوركم وإليه المصير (٨) .

الملك : قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون (٩) .

نوح : مالكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً - إلى قوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً (١٠) .

(٢) يس : ٧٧

(١) فاطر : ١١ .

(٤) المؤمن : ٦٧ .

(٣) الزمر : ٦ .

(٦) النجم : ٣٢ - ٤٦ .

(٥) الثوري : ٤٩ - ٥٠ .

(٨) التغابن : ٣ .

(٧) الواقعة : ٥٨ - ٥٩ .

(١٠) نوح : ١٣ - ١٨ .

(٩) الملك : ٢٣ - ٢٤ .

القيامة : ألم يك نطفة من منى يمى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى (١) .

الدهر : هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً (٢) .

المرسلات : ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذّبين (٣) .

النبأ : وخلقناكم أزواجاً (٤) .

عبس : قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلق من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره كلاً لما يقض ما أمره (٥) .

الانفطار : ما غرك ربك الكريم الذي خلقك فسوىك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك (٦) .

الطارق : فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب و الترائب (٧) .

تفسير : « هو الذي يصوركم » قال الطبرسي - رحمه الله - . أي يخلق صوركم « في الأرحام كيف يشاء » على أي صورة شاء ، و على أي صفة شاء ، من ذكر و أنثى أو صبيح أو دميمة ، أو طويل أو قصير . « لا إله إلا هو العزيز » في سلطانه « الحكيم » في أفعاله . و دلت الآية على وحدانيّة الله سبحانه و تمام قدرته و كمال حكمته حيث صور الولد في رحم الأم على هذه الصفة ، و ركب فيه أنواع البدائع من غير آلة ولا كلفة ، و قد تقرّر في عقل كل عاقل أن العالم لو اجتمعوا أن يجعلوا من الماء بعوضة و يصوروا منه صورة في حال ما يشاهدونه و يعرفونه لم يقدروا على ذلك ولا وجدوا إليه

(٢) الدهر : ١٠ - ٢ .

(١) القيامة : ٣٧ - ٤٠ .

(٤) النبأ : ٨ .

(٣) المرسلات : ٢٠ - ٢٤ .

(٦) الانفطار : ٦ - ٨ .

(٥) عبس : ١٧ - ٢٣ .

(٧) الطارق : ٥ - ٧ .

سبيلاً ، فكيف يقدرّون على الخلق في الأرحام ؟ فتبارك الله أحسن الخالقين . وهذا الاستدلال مروى عن جعفر بن محمد عليه السلام (١) . « من نفس واحدة » أي آدم « وخلق منها زوجها » حواء كما مرّ « وبتّ منها رجالاً كثيراً ونساءً » أي نشرو فرّق من هاتين النفسين على وجه التناسل رجالاً كثيراً ونساءً . وقال البيضاوي : و اكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذا الحكمة تقتضي أن يكن أكثر ، وذكر كثيراً « حملاً على الجمع (٢) .

« خلقكم من طين » قيل أي ابتداء خلقكم منه ، فإنّه المادة الأولى ، أو إن آدم الذي هو أصل البشر خلق منه ، أو خلق أباكم ، فحذف المضاف إليه (انتهى) و يحتمل أن يكون المراد الطين الذي سيأتي في الأخبار أنّه يدرّ في النطفة . « هو أنشأكم من الأرض » قيل : أي هو كوّنكم منها لا غيره ، فإنّه خلق آدم و موادّ النطف التي خلق نسله منها من الأرض . « و استعمركم فيها » قيل : أي عمركم فيها و استبقاكم من العمر ، أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها . و قيل : هو من العمرى ، بمعنى أعماركم فيها دياركم و يرثها منكم بعد انصرام أعماركم ، أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدّة عمركم ثمّ تتركونها لغيركم .

« الله يعلم ما تحمل كل أنثى » قال الطبرسي - رحمه الله - يعلم ما في بطن كل حامل من ذكر أو أنثى تامّ أو غير تامّ ، و يعلم لونه و صفاته « و ما تغيض الأرحام » أي يعلم الوقت الذي تنقصه الأرحام من المدّة التي هي تسعة أشهر « و ما تزداد » على ذلك ، عن أكثر المفسرين ، و قيل : ما تغيض الولد الذي تأتي به المرأة لأقلّ من ستة أشهر ، و ما تزداد الولد الذي تأتي به لأقصى مدّة الحمل ، و قيل : معناه ما تنقص الأرحام من دم الحيض و هو انقطاع الحيض ، و ما تزداد بدم النفاس بعد الوضع (٤) .

(١) مجمع البيان ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ .

(٢) انوار التنزيل ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

(٣) انوار التنزيل ، ج ١ ، ص ٣٦٩ .

(٤) مجمع البيان ، ج ٦ ، ص ٢٨٠ .

وقال البيضاوي: «أي وما تنقصه و ما تزداد في الجنة والمدّة و العدد . وقيل: المراد نقصان دم الحيض و ازدياده ، و «غاض» جاء لازماً و متعدّياً ، وكذا «ازداد»^(١) . و «كلّ شيء عنده بمقدار» قيل : أي بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه ، و في الأخبار : أي بتقدير خلق الإنسان من نطفة . قال البيضاوي: «من جماد لاحتسب بها ولا حراك ، سيّالة لا تحفظ الوضع و الشكل «فاذا هو خصيم» منطق^(٢) مجادل «مبين» للحجّة ، أو خصيم مكافح لخالفه قائل : من يحيي العظام وهي رميم^(٣) ؟ «ولم يك شيئاً» بل كان عدماً صرفاً ، فإنه أعجب من جميع الموادّ بعد التفريق الذي ينكر منكر البعث . «في ريب من البعث» قال البيضاوي: «من إمكانه وكونه مقدوراً «فاذا ناخلقناكم» أي فانظروا في بدء خلقكم ، فإنه يزيح ريبكم ، فإنا خلقناكم «من تراب» بخلق آدم منها^(٤) و الأغذية التي يتكوّن منها المنى «ثمّ من نطفة» أي من منى ، من النطف و هو الصب «ثمّ من علقه» قطعة من الدم جامدة «ثمّ من مضغة» قطعة من اللحم بقدر^(٥) ما يبيض «مخلّقة و غير مخلّقة» مسوّاة لانقص فيها ولا عيب ، و غير مسوّاة أو تامّة و ساقطة ، أو مصوّرة و غير مصوّرة «لنبيّن لكم» بهذا التدرّج قدرتنا و حكمتنا فإنّ ما قبل التغيّر و الفساد و التكوّن مرّة قبلها أخرى ، و إنّ من قدر على تغييره و تصويره أو لاّ قدر على ذلك ثانياً ، و حذف المفعول إيحاء إلى أنّ الأفعال هذه تبيّن بها من قدرته و حكمته ما لا يحيط به الذكر «ونقرّ في الأرحام ما نشاء» أن تقرّ «إلى أجل مسمّى» هو وقت الوضع ، و قرىء «ونقرّ» بالنصب ، وكذا قوله «ثمّ نخرجكم» عطفاً على «نبيّن» كأنّ خلقهم مدرّج لفرضين: تبيين القدرة ، و تقريرهم في الأرحام حتّى يولدوا و ينشؤوا ، أو يبلغوا حدّ التكليف ، و «طفلاً» حال أجريت على تأويل كلّ واحد ، أو للدلالة على الجنس ، أو لأنّه في الأصل مصدر «ثمّ لتبلغوا أشدّكم»

(١) انوار التنزيل : ج ١ ، ص ٦١٦ .

(٢) في المصدر : منطق مناظر مجادل .

(٣) انوار التنزيل : ج ١ ، ص ٤٥٧ .

(٤) في المصدر ، اذ خلق آدم منه .

(٥) في المصدر ، وهي في الأصل قدر ما يبيض .

أي كما لكم في القوة والعقل ، جمع شدة . « ومنكم من يتوقى » عند بلوغ الأشد أو قبله « و منكم من يرد إلى أرذل العمر » أي الهرم و الخرف « لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً » أي ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه و ينكر من عرفه ، و أنه استدلال ثان على إمكان البعث بما يعتري الإنسان في أسنانه من الأمور المختلفة و الأحوال المتضادة ، فإن من قدر على ذلك قدر على نظائره (١) .

من سאלة « من خلاصة سلّت من بين الكدر « من طين » متعلق بمحذوف لأنّه صفة لساللة أو بمعنى ساللة ، لأنّها في معنى مسلوقة ، فتكون ابتدائية كالأول ، و الإنسان آدم خلق من صفوة سلّت من الطين ، أو الجنس فإنّهم خلقوا من ساللات جعلت نطفاً بعد أدوار ، وقيل : المراد بالطين آدم لأنّه خلق منه ، و الساللة نطفته « ثم جعلناه » أي ثم جعلنا نسله ، فحذف المضاف « نطفة » بأن خلقناه منها ، أو ثم جعلنا الساللة نطفة ، و تذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء « في قرار مكين » أي مستقرّ حصين يعني الرحم « ثم خلقنا النطفة علقه » بأن أحلنا النطفة البيضاء علقه حمراء « فخلقنا العلقه مضغة » أي فصيرناها قطعة لحم « فخلقنا المضغة عظماً » بأن صلبنها « فكسونا العظام لحماً » ممّا بقي من المضغة ، أو ممّا أنبتنا عليها ممّا يصل إليها ، و اختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات ، و الجمع لاختلافها في الهيئة و الصلابة « ثم أنشأناه خلقاً آخر » هو صورة البدن و الروح و القوى بنفخة فيه أو المجموع ، و « ثم » لما بين الخلقين من التفاوت « أحسن الخالقين » أي المقتدرين تقديراً . « ثم إذا أنتم بشر » أي ثم فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض . « وهناً » أي ذات وهن أو تهن وهناً « على وهن » أي تضعف ضعفاً فوق ضعف ، فإنّها لا تزال يتضاعف ضعفاً ، و الجملة في موضع الحال « وصاله في عامين » أي وطاقمه في انقضاء عامين .

« الذي أحسن كل شيء خلقه » أي خلقه موقراً عليه ما يستعده و يليق به على وفق الحكمة و المصلحة ، و « خلقه » بدل من « كل » بدل الاشتمال ، وقيل : علم كيف يخلقه . وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف « وبدأ خلق الإنسان » يعني آدم

« من طين ثم جعل نسله » أي ذريته ، سميت به لأنها تنسل منه أي تنفصل « من سلالة من ماء مهين » أي ممتهن . و قال الطبرسي - رحمه الله - أي ضعيف ، و قيل : حقير مهان ، أشار إلى أنه من شيء حقير لاقيمة له وإنما يصير ذا قيمة بالعلم والعمل (١) .

« ثم سواه » قال البيضاوي : أي قومه بتصوير أعضائه على ما ينبغي « ونفخ من روحه » أضافه إلى نفسه تشريفاً ، وإظهاراً (٢) بأنه خلق عجيب ، وأن له شأناً له مناسبة إلى الحضرة الربوبية ، ولأجله من عرف نفسه فقد عرف ربه « و جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة » خصوصاً لتسمعوا و تبصروا وتعقلوا « قليلاً ما تشكرون » أي تشكرون شكراً قليلاً (٣) .

« من تراب » بخلق آدم منه « ثم من نطفة » بخلق ذريته منها « ثم جعلكم أزواجاً ذكراً وإناثاً » إلا بعلمه « أي إلا معلومة له » و ما يعمر من معمر « أي و ما يمد في عمر من مصيره إلى الكبر « ولا ينقص من عمره » من عمر المعمر لغيره بأن يعطى له عمر ناقص من عمره ، أو لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصاً ، والضمير له وإن لم يذكر لدلالة مقابلة عليه ، أو للمعمر على التسامح فيه ثقةً بهم السامع كقولهم : لا يشب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بحق . و قيل : الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح ، مثل أن يكون فيه : إن حجج واعتمر (٤) فعمره ستون سنة وإلا فأربعون . و قيل : المراد بالنقصان ما يمر من عمره و ينقص ، فإنه يكتب في صحيفة عمره يوماً فيوماً « إلا في كتاب » هو علم الله أو اللوح أو الصحيفة « إن ذلك على الله يسير » إشارة إلى الحفظ أو الزيادة والنقص (٥) .

(١) مجمع البيان ، ج ٨ ، ص ٣٢٧ .

(٢) في المصدر ، إشعاراً .

(٣) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .

(٤) في المصدر ، ان حجج عمرو فعمره ...

(٥) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

« يخلقكم في بطون أمهاتكم » بيان لكيفية خلق ما ذكر من الأناسي والأنعام إظهاراً لما فيه من عجائب القدرة ، غير أنه غلب أولي العقل أو خصهم بالخطاب لأنهم المقصودون « خلقاً من بعد خلق » حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة لحمًا ، من بعد عظام عارية ، من بعد هضغ ، من بعد علق ، من بعد نطف « في ظلمات ثلاث » ظلمة البطن والرحم والمشيمة ، أو الصلب والرحم والبطن .

أقول : الأول رواه الطبرسي - رحمه الله - عن أبي جعفر عليه السلام (١) .

« ثم لتبلغوا » أي ثم يبيحكم لتبلغوا ، وكذا قوله تعالى « ثم لتكونوا » . « من قبل » أي من قبل الشيخوخة (٢) أو بلوغ الأشد « و لتبلغوا » قيل : أي يفعل ذلك لتبلغوا « أجلاً مسمى » هو وقت الموت أو يوم القيامة « و لعلكم تعقلون » ما في ذلك من الحجج والعبر .

« يهب لمن يشاء إناثاً » قال البيضاوي : المعنى يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيئة ، فيهب لبعض إناثاً ولبعضاً ذكر أو أنثى أو الصنفين جميعاً ويعقم آخرين ، و لعلّ تقديم الإناث لأنه (٣) أكثر لتكثير النسل ، أو لأن مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما يتعلق به مشيئة الله [تعالى] لا مشيئة الإنسان والإناث كذلك ، أو لأن الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء ، أو لتطيب قلوب آباؤهن ، أو للمحافظة على الفواصل (٤) .

« هو أعلم بكم » أي أعلم بأحوالكم منكم « إنا أنشأكم » أي علم أحوالكم ومصارف أموركم حين ابتداء خلقكم من التراب بخلق آدم ، و حين ما صوركم في الأرحام . « من نطفة إذا تمنى » أي تدفق في الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من مني إذا قدر . « أفرايتم ما تمنون » أي تقدفون في الأرحام من النطف « أتتم تخلقونه » أي تجعلونه

(١) مجمع البيان ، ج ٨ ، ص ٣٩١ .

(٢) الشيخوخة (خ) .

(٣) في المصدر : لانها .

(٤) أنوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٤٠١ .

بشراً سوياً . « و صوركم فأحسن صوركم » قيل : أي فصوركم من جملة ما خلق في السماوات و الأرض بأحسن صورة ، حيث زينكم بصفوة أوصاف الكائنات ، و خصكم بخلاصة خصائص المبدعات ، و جعلكم أنموذج جميع المخلوقات « وإليه المصير » فأحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم . « و جعل لكم السمع » لتسمعوا المواعظ « و الأبصار » لتتنظروا صنائعه « و الأفتدة » لتعتبروا و تتفكروا « قليلاً ما تشكرون » باستعمالها في ما خلقت لأجلها .

« لا ترجون لله و قارا » قيل : أي لا تأملون له توقيراً أي تعظيماً لمن عبده و أطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه إياكم « وقد خلقكم أطواراً » حال مقدرة للإبتكار من حيث إنها موجبة للرجاء فان خلقهم أطواراً أي تارات ، إذ خلقهم أولاً عناصر ، ثم مركبات يغذي الإنسان ، ثم أخلاطاً ثم نطقاً ، ثم علقاً ، ثم مضغاً ، ثم عظاماً ولحوماً ، ثم أنشأهم خلقاً آخر ، فإنه يدل على أنه يمكن أن يعيدهم تارة أخرى فيعظمهم بالثواب و على أنه تعالى عظيم القدرة ، تام الحكمة . و قال علي بن إبراهيم : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله « لا ترجون لله و قارا » يقول : لا تخافون لله عظمة . و قال علي بن إبراهيم في قوله « وقد خلقكم أطواراً » قال : على اختلاف الأهواء و الإرادات و المشيئات ^(١) . « والله أنبتكم من الأرض نباتاً » قيل : أي أنشأكم منها ، فاستعير الإنبات للإنباء لأنه أدل على الحدوث و التكوين من الأرض ، و أصله : أنبتكم إنباتاً فنبتهم نباتاً ، فاختصر اكتفاءً بالدلالة الإلزامية « ثم يعيدكم فيها » مقبورين « و يخرجكم إخراجاً » بالحشر ، و أكدّه بالمصدر كما أكد به الأول دلالة على أن الإعادة محققة كالأبتداء و أنها تكون لا محالة . و قال علي بن إبراهيم : من الأرض أي على الأرض ^(٢) . « فخلق فسوقى » قيل : أي قدره فعدله « فجعل منه الزوجين » أي الصنفين .

« هل أتى على الإنسان » قال البيضاوي : استفهام تقرير و تقريب ، و لذلك فسر

(٢٥١) تفسير القمي ، ٦٩٧ . وفيه : على وجه الارض .

بقدر ، وأصله أهل . « حين من الدهر » طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود « لم يكن شيئاً مذكوراً » بل كان نسياً ^(١) منسياً غير مذكور بالإِنسانية كالعنصر ، و النطفة ، و الجملة حال من الإنسان أو وصف لحين بحذف الراجع ، والمراد بالإِنسان الجنس لقوله « إِنَّا خلقنا الإنسان من نطفة » أو آدم ، يئن أولاً خلقه ، ثم ذكر خلق بنيه من نطفة « أمشاج » أي أخلاط ، جمع مشيج أو مشج ، من مشجت الشيء إذا خلطته ، وجمع ^(٢) النطفة به لأن المراد بهامجموع مني الرجل و المرأة ، وكل منهما مختلفة الأجزاء في الرقة والقوام والخواص ، ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل : مفرد كأعشار ، وقيل : ألوان ، فإن ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اختلطا اخضرا ، أو أطوار ، فإن النطفة تصير علقه ثم مضغة إلى تمام الخلقه « نبتليه » في موضع الحال ، أي مبتلين له بمعنى مرئدين اختباره ، أو ناقلين له من حال إلى حال فاستعار له الابتلاء « فجعلناه سمياً بصيراً » ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء و لذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله « إِنَّا هديناه السبيل ^(٣) » .

وقال الطبرسي - رحمه الله - : قد كان شيئاً إلا أنه لم يكن مذكوراً ، لأنه كان تراباً وطيناً إلى أن نفخ فيه الروح . وقيل : إنه أتى على آدم أربعين سنة لم يكن شيئاً مذكوراً لاني السماء ولا في الأرض بل كان جسداً ملقى من طين قبل أن ينفخ فيه الروح . و روي عن ابن عباس أنه تم ^(٤) خلقه بعد عشرين ومائة سنة . و روى العياشي بإسناده عن عبد الله بن بكير عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله « لم يكن شيئاً مذكوراً » قال : كان شيئاً ولم يكن مذكوراً .

(١) في المصدر ، شيئاً .

(٢) في المصدر ، وصف .

(٣) انوار التنزيل : ج ٢ ، ص ٦٩ .

(٤) في المصدر : انه تعالى خلقه .

وبإسناده عن شعيب^(١) الحداد عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق . وعن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبي عبد الله عليه السلام مثله . وعن حمران بن أعين قال : سألته عنه فقال : كان شيئاً مقدراً^(٢) ولم يكن مكوّناً^(٣) . وفي هذا دلالة على أن المعدوم معلوم وإن لم يكن مذكوراً ، وأن المعدوم يسمى شيئاً . فإذا حمل الإنسان على الجنس فالمراد أنه قبل الولادة لا يعرف ولا يذكر ولا يدري من هو وما يراد به ، بل يكون معدوماً ، ثم يوجد في صلب أبيه ، ثم في رحم أمه إلى وقت الولادة . « أمشاج » أي أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة في الرحم فأيهما علا صاحبه كان الشبه له عن ابن عباس وغيره ، وقيل : أمشاج أطوار ، وقيل : أراد اختلاف الألوان فنظفة الرجل بيضاء وحمراء ، ونظفة المرأة خضراء وحمراء^(٤) فهي مختلفة الألوان ، و قيل : نظفة مشجت بدم الحيض فإذا حبلت ارتفع الحيض ، وقيل هي العروق التي تكون في النظفة ، وقيل : أخلاط من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة جعلها الله في النظفة ، ثم بناه^(٥) البنية الحيوانية المعدلة الأخلاط ، ثم جعل فيه الحياة ، ثم شق^(٦) له السمع والبصر فتبارك الله أحسن الخالقين^(٧) . (انتهى)^(٧) .

و أقول - على سبيل الاحتمال - : لا يبعد أن يكون كونه أمشاجاً إشارة إلى

(١) شعيب بن اعين الحداد كوفي ثقة روى عن الصادق عليه السلام و يروي عنه سيف بن عميرة و ابن ابي عمير و غيرهما ولم يذكروا روايته عن ابي جعفر عليه السلام بلا واسطة . وفي مجمع البيان « سعيد الحداد » و الصحيح في ضبطه كما عن غير العلامة في الخلاصة « سعد » بلاياء و هو من اصحاب الباقر عليه السلام مجهول .

(٢) مقدورا (خ) .

(٣) مذكورا (خ)

(٤) في المصدر ، صفراء .

(٥) في المصدر ، بناه الله .

(٦) في المصدر : رب العالمين .

(٧) مجمع البيان : ج ١٠ ، ص ٣٠٦ .

الشؤون المختلفة التي جعلها الله في الإنسان بتبعية ما جعل فيه من العناصر المختلفة والصفات المتضادة ، والمواد المتبائنه .

« من ماء مهين » نطفة قدرة ذليلة ، وقال علي بن إبراهيم : متنن « في قرارمكين » قال : في الرحم (١) .

« إلى قدر معلوم » أي إلى قدر (٢) معلوم من الوقت قدره الله للولادة « فقد رنا » على ذلك أو فقد رناه ، و يدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد « فنعم القادرون » نحن « فويل يومئذ للمكذبين » بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة . « وخلقناكم أزواجاً » أي ذكراً وأنثى « قتل الإنسان ما أكفره » قيل : دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجب من إفراطه في الكفران « من أي شيء خلقه » بيان لما أنعم عليه خصوصاً من مبدأ حدوده واستفهام للتحقير ، ولذلك أجاب عنه بقوله « من نطفة خلقه فقد ر » أي فهياً لما يصلح له من الأعضاء والأشكال ، أو فقد ر أطواراً إلى أن تم خلقه « ثم السبيل يسره » أي ثم سهل مخرجه من بطن أمه بأن فتح فوهة الرحم ، وألهمه أن ينتكس ، أو نزل (٣) له سبيل الخير والشر ، وفيه - على المعنى الأخير - إيماء بأن الدنيا طريق والمقصد غيرها ، ولذا عقبه بقوله « ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره » عدد الإماتة والإقبار في النعم لأن الإماتة وصلة في الجملة إلى الحياة الأبدية والذات الخالصة ، و الأمر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع .

« ما غرتك بربك الكريم » أي أي شيء خدعك و جرتأك على عصيانه ؟ قيل : ذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاعتزاز والإشعار بما به يغره الشيطان ، فإنه يقول له : اقل ماشئت فإن ربك كريم لا يعذب أحداً ، وقيل : إنما قال سبحانه « الكريم » دون سائر أسمائه وصفاته لأنه كآته لقنه الجواب حتى يقول : غرتني كرم الكريم . وفي مجمع البيان : روي أن النبي ﷺ لما تلا هذه الآية قال : غره جهله (٤)

(١) تفسير القمي : ٧٠٨ .

(٢) مقدار (خ) .

(٣) دلل (خ) .

(٤) مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٤٤٩ .

« فسواك » أي جعل أعضائك سليمة مسواة معدة لمنافعها « فعدك » قيل :
التعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الأجزاء ، أو معدلة بما يستعدّها من القوى . وقرأ
الكوفيون « فعدك » بالتخفيف ، أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت ، أو
فصرك عن خلقه غيرك و ميزك بخلقك فارقت خلقك سائر الحيوانات . « في أي صورة ما
شاء ربك » أي ربك في أي صورة شاءها ، و« ما » مزيدة ، وقيل : شرطية و« ربك »
جوابها ، والظرف صفة عدلك ، وإنما لم يعطف الجملة على ما قبلها لأنها بيان
لـ « عدك » .

« فلينظر الإنسان ممّ خلق » قيل : ليعلم صحّة إعادته فلا يملئ على حافظه إلا
ما ينفعه في عاقبته « خلق من ماء دافق » قال الرازي : الدفق صب الماء ، يقال : دفقت
الماء إذا صببته فهو مدفوق و مندفق ، و اختلف في أنه كيف وصف بأنه دافق :
الاول أن معناه ذواندفاق كما يقال دارع و تارس ولا بن و تامر أي ذودرع و
تُرس و لبن و تمر .

الثاني أنهم يسمّون المفعول باسم الفاعل ، قال الفراء : و أهل الحجاز أجعل
لهذا من غيرهم ، يجعلون الفاعل مفعولاً إذا كان في مذهب النعت كقولهم : سرّ كاتم
وهم ناصب ، و ليل قائم ، و كقوله تعالى « في عيشة راضية » .
الثالث ذكر الخليل : دفق الماء دفقاً و دقوقاً إذا انصبّ .
الرابع صاحب الماء لما كان دافقاً أطلق ذلك على المعجاز .

« بين الصلب و الترائب » قال الجوهري : التريبة واحدة الترائب ، وهي عظام
الصدر ما بين الترقوة إلى الشذوة (انتهى) و قال الرازي : ترائب المرأة عظام صدرها
حيث تكون القلادة ، و كلّ عظم من ذلك تريبة ، و هذا قول جميع أهل اللغة . ثمّ
قال : في هذه الآية قولان : أحدهما أن الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب
الرجل و ترائب المرأة ، و قال آخرون : إنّه مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب
الرجل و ترائب . و احتجّ صاحب القول الثاني على مذهبه بوجهين : الأوّل أن ماء

الرجل خارج من الصلب فقط و ماء المرأة خارج من ترائب المرأة^(١) فقط ، وعلى هذا التقدير لا يحصل هناك ماء خرج من بين الصلب و الترائب ، وذلك على خلاف الآية . الثاني أنه تعالى يبين أن الإنسان مخلوق من ماء دافق ، و الذي وصف بذلك هو ماء الرجل ، ثم وصفه بأنه يخرج هذا الدافق من بين الصلب و الترائب و ذلك يدل على أن الولد مخلوق من ماء الرجل فقط . و أجاب القائلون بالقول الأول عن الحجّة الأولى أنه يجوز أن يقال للشئين المتباينين إنه يخرج من بين هذين خير كثير ، و لأن الرجل و المرأة عند اجتماعهما يصيران كالشيء الواحد ، فحسن هذا اللفظ هناك . و عن الثانية بأن هذا من باب إطلاق اسم البعض على الكل ، فلما كان أحد قسمي المنى دافقاً أطلق هذا الاسم على المجموع . ثم قالوا : و الذي يدل على أن الولد مخلوق منهما أن منى الرجل وحده صغير ولا يكفي ، و روي أنه ﷺ قال : إذا غلب ماء الرجل يكون ذكراً و يعود شبهه إليه و إلى أقرابه ، و إذا غلب ماء المرأة فإليها و إلى أقاربها يعود الشبه . و ذلك يقتضي صحة القول الأول .

ثم قال : و اعلم أن الملحددين طعنوا في هذه الآية فقالوا : إن كان المراد من قوله « يخرج من بين الصلب و الترائب » أن المنى إنما ينفصل من تلك المواضع فليس الأمر كذلك لأنه إنما يتولد عن فضلة الهضم الرابع ، و ينفصل عن جميع أجزاء البدن حتى يأخذ من كل عضو طبيعة و خاصية^(٢) فيصير مستعداً لأن يتولد منه مثل تلك الأعضاء ، و لذلك قيل : إن المفرط في الجماع يستولي الضعف عليه في جميع أعضائه و إذا كان المراد أن معظم المنى يتولد هناك فهو ضعيف بل معظم أجزائه إنما يتولد^(٣) في الدماغ ، و الدليل عليه أنه في صورته يشبه الدماغ ، و لأن المكثرمه يظهر الضعف أولاً في عينيه ، و إن كان المراد أن مستقر المنى هناك فهو ضعيف لأن مستقر المنى هو أوعية المنى وهي عروق تلتف بعضها ببعض عند الأثنين ، و إن كان المراد أن مخرج

(١) في المصدر : الترائب .

(٢) في المصدر ، طبيعته و خاصيته .

(٣) في المصدر ، يتربى .

المنيّ هناك فهو ضعيف فإنّ الحسّ يدلّ على أنّه ليس كذلك .
و الجواب : لاشكّ أنّ معظم الأعضاء معونة في توليد المنّيّ هو الدماغ ، والدماغ خليفة وهي النخاع في الصلب ، وشعب كثيرة نازلة إلى مقدّم البدن وهو التريبة ، فلهذا السبب خصّص الله هذين العضوين بالذكر ، على أنّ كلامكم في كيفية تولّد المنّيّ و كيفية تولّد الأعضاء عن^(١) المنّيّ محض الوهم والظنّ الضعيف وكلام الله أولى بالقبول^(٢) (انتهى) .

و قال البيضاويّ : « من بين الصلب و الترائب » بين صلب الرجل و ترائب المرأة وهي عظام صدرها ، ولو صحّ أنّ النطفة تتولّد من فضلة^(٣) الهضم الرابع و تنفصل عن جميع الأعضاء حتّى يستعد^(٤) أنّ يتولّد منها مثل تلك الأعضاء ، و مقرّها عروق التفتّ بعضها ببعض عند البيضتين ، فالدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليدها ، و لذلك تشبهه و يسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه ، وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب ، و شعب كثيرة نازلة إلى الترائب و هما أقرب إلى أوعية المنّيّ فلذلك خصّص بالذكر^(٥) (انتهى) .

و أقول : على تقدير تسليم ما ذكره الأطباء في ذلك يمكن أن يكون المراد خروج المنّيّ من الرجل و المرأة من أعضاء محصورة بين الصلب من جهة الخلف و الترائب من جهة القدم ، بأن يكون الصلب و الترائب مقصودين في كلّ من الرجل و المرأة ، و يكون هذا التعبير لبيان كثرة مدخيلة الصلب و الترائب فيهما ، و كون ماء المرأة غير دافق ممنوع ، بل الظاهر أنّ له أيضاً دفقاً لكنّه لما كان في داخل الرحم لا يظهر كثيراً و ما ورد في الأخبار من تخصيص الصلب بالرجل و الترائب بالمرأة لكون الصلب أدخل

(١) من (خ)

(٢) مفاتيح الذهب : ج ٣١ ، ص ١٢٩ .

(٣) في المصدر ، فضل .

(٤) في المصدر ، تستمدلان .

(٥) انوار التنزيل ، ج ٢ ، ص ٥٩٧ .

في مني الرجل والترائب في مني المرأة ، ويؤيده أن الأطباء ذكروا من آداب الجماع دغدغة ثدي المرأة لتبهيج شهوتها ، وعللوه بأن الثدي شديد المشاركة للرحم .
 ١ - المناقب : أبو جعفر الطوسي في الأمالي ، وأبو نعيم في الحلية ، وصاحب الروضة بالإسناد عن محمد الصيرفي وعبد الرحمن بن سالم ، قال : دخل أبو حنيفة على الصادق عليه السلام فقال عليه السلام له : البول أقدر أم المنى ؟ قال : البول ، قال : يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المنى وقد أوجب الله الغسل من المنى دون البول . ثم قال : لأن المنى اختيار ، ويخرج من جميع الجسد ، ويكون في الأيام ، والبول ضرورة ويكون في اليوم مرات ^(١) . قال أبو حنيفة : كيف يخرج من جميع الجسد والله يقول « من بين الصلب والترائب » ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام : فهل قال لا يخرج من غير هذين الموضوعين ؟ ثم قال عليه السلام : لم لا تحيض المرأة إذا حبلى ؟ قال : لأدري ، قال عليه السلام : حبس الله الدم فجعله غذاء للولد - إلى آخر الخبر بطوله - ^(٢) .

٢ - تفسير النعماني : بإسناده عن الصادق عليه السلام قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن مشابهة ^(٣) الخلق ، فقال : هو على ثلاثة أوجه : فمنه خلق الاختراع كقوله سبحانه « خلق السماوات والأرض في ستة أيام » ^(٤) وخلق الاستحالة ، قوله تعالى « يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ^(٥) » وقوله « هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة - الآية - ^(٦) » وأما خلق التقدير فقوله لعيسى « وإذ تخلق من الطين ^(٧) - الآية - » .

٣ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن أحمد

(١) في المصدر ، وهو مختار و الآخر متولج .

(٢) المناقب ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ .

(٣) متشابه (خ) .

(٤) الاعراف : ٥٣ ، يونس : ٣ ، هود : ٥٧ ، الحديد : ٤ .

(٥) الزمر : ٣٢ .

(٦) المؤمن : ٦٧ .

(٧) المائة : ١١٣ .

ابن أشيم ، عن بعض أصحابه ، قال : أصاب رجل غلامين في بطن ، فهنأه أبو عبد الله عليه السلام ثم قال : أيهما أكبر ؟ فقال : الذي خرج أولاً ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : الذي خرج آخراً هو أكبر ! أما تعلم أنها حملت بذاك أولاً وأن هذا دخل على ذاك فلم يمكنه أن يخرج حتى خرج هذا ؟ فالذي يخرج آخراً هو أكبرهما (١) .

المناقب : رسالة مثله (٢) .

بيان : لم أرفقاً له به ، و لعله ليس غرضه عليه السلام الكبر الذي هو مناط الأحكام

الشرعية .

٤ - الكافي : عن العدة ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن وهب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام : يعيش الولد لستة أشهر ولسبعة أشهر ولتسعة أشهر ، ولا يعيش لثمانية أشهر (٣) .

٥ - ومنه : عن علي بن محمد ، عن صالح بن أبي حماد ، عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن سيابة ، عمّن حدثه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن غاية الحمل بالولد في بطن أمه كم هو ؟ فإنّ الناس يقولون : ربما يبقى (٤) في بطنها سنين ، فقال : كذبوا ، أقصى حدّ الحمل تسعة أشهر لا يزيد لحظة ، ولوزاد ساعة لقتل أمه قبل أن يخرج (٥) .

٦ - ومنه : عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، عن يعقوب بن يزيد ، عن ابن أبي عمير ، عن محمد بن مسلم ، قال : كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل يونس ابن يعقوب ، فرأيتّه يئنّ ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : مالي أراك تئنّ ؟ قال : طفل لي تأذيت به الليل أجمع . فقال له أبو عبد الله عليه السلام : يا يونس ! حدثني أبي محمد بن علي عن آبائه عليه السلام عن جدّي رسول الله ﷺ أن جبرئيل نزل عليه و رسول الله و علي

(١) الكافي ، ج ٦ ، ص ٥٣ .

(٢) المناقب ، ج ٤ ، ص ٢٧٠ .

(٣) الكافي ، ج ٦ ، ص ٥٢ .

(٤) في المصدر ، بقي .

(٥) الكافي ، ج ٦ ، ص ٥٢ .

يثنّان ، فقال جبرئيل : يا حبيب الله! مالي أراك تتنّ ؟ فقال رسول الله ﷺ : من أجل طفلين لنا تأذّينا بيكائيهما . فقال جبرئيل : مه يا محمد ! فإنّه سيبعث لهؤلاء القوم شيعة إذا بكى أحدهم فبكاؤه لإله إلا الله إني أن يأتي عليه سبع سنين ، فإذا جاز السبع فبكاؤه استغفار لوالديه إلى أن يأتي عليه الحدّ ، فإذا جاز الحدّ فما أتى من حسنة فلوالديه وما أتى من سيئة فلا عليهما (١) .

بيان : « فبكاؤه لإله إلا الله » لعلّ المعنى أنّه يعطى والداه بيكائه ثواب التهليل .

٧ - **العلل والعيون** : عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن حمزة الأشعري ، عن ياسر الخادم ، قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن : يوم يلد (٢) و يخرج من بطن أمّه فيرى الدنيا ، و يوم يموت و يعاين (٣) الآخرة وأهلها ، و يوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا ، و قد سلم الله عزّ وجلّ على يحيى عليه السلام في هذه المواطن الثلاثة (٤) وآمن روعته ، فقال « و سلام عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حياً » و قد سلم عيسى بن مريم عليه السلام على نفسه في هذه المواطن الثلاثة (٥) فقال « و السلام عليّ يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حياً (٦) .

٨ - **المناقب** : قال عمران الصابيّ للرضا عليه السلام : ما بال الرجل إذا كان مؤنثاً و المرأة إذا كانت مذكرة ؟ قال عليه السلام : علّة ذلك أنّ المرأة إذا حملت و صار الغلام منها في الرحم موضع الجارية كان مؤنثاً ، و إذا صارت الجارية موضع الغلام كانت مذكرة و ذلك أنّ موضع الغلام في الرحم ممّالي ميامنها ، و الجارية ممّالي مياسرها .

(١) الكافي ج ٦ ص ٥٢ .

(٢) كذا ، و العوَاب « يولد » .

(٣) في العيون : فيما ين .

(٤) و (٥) في أكثر النسخ : الثلاثة المواطن ،

(٦) العيون : ج ١ ، ص ٢٥٧ . و ام يوجد في العلل .

و ربما ولدت المرأة ولدين في بطن واحد ، فإن عظم نديها جميعاً تحمل توأمين
و إن عظم أحد ندييها كان ذلك دليلاً على أنه^(١) تلد واحداً ، إلا أنه إذا كان الندي
الأيمن أعظم كان المولود ذكراً و إذا كان الأيسر أعظم كان المولود أنثى ، و إذا كانت
حاملاً فضمير نديها الأيمن فإنها تسقط غلاماً ، و إذا ضمير نديها الأيسر فإنها تسقط
أنثى ، و إذا ضمرا جميعاً تسقطهما جميعاً . قال : من أي شيء الطول والقصر في الإنسان ؟
فقال : من قبل النطفة ، إذا خرجت من الذكر فاستدارت جاء القصر ، و إن استطالت
جاء الطول (٢) .

٩ - تفسير الامام و الاحتجاج : بالإسناد إلى أبي محمد العسكري عليه السلام عن
جابر بن عبدالله ، قال : سألت ابن صوريا النبي صلى الله عليه وآله فقال : أخبرني يا محمد الولد يكون
من الرجل أو من المرأة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : أمّا العظام والعصب والعروق فمن الرجل
و أمّا اللحم والدم والشعر فمن المرأة . قال : صدقت يا محمد ، ثم قال : يا محمد فما بال
الولد يشبه أعمامه ليس فيه^(٣) من شبه أخواله شيء ، و يشبه أخواله ليس فيه من شبه
أعمامه شيء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أيهما علاماؤه ماء صاحبه كان الشبه له . قال :
صدقت يا محمد ، فأخبرني عمّن^(٤) لا يولد له و من يولد له . فقال : إذا مغرت النطفة
لم يولد له - أي إذا احمرت و كدرت - و إذا كانت صافية ولد له - الخبر^(٥) .

١٠ - الاحتجاج : عن ثوبان ، قال : إن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال:
يا محمد أسألك عن شيء لا يعلمه إلا نبي . قال : و ما هو ؟ قال : عن شبه الولد أباه و
أمه . قال : ماء الرجل أبيض غليظ و ماء المرأة أصفر رقيق ، فإذا علا ماء الرجل ماء
المرأة كان الولد ذكراً باذن الله عز وجل و من قبل ذلك يكون الشبه ، و إذا علا ماء
المرأة ماء الرجل خرج الولد أنثى باذن الله تعالى و من قبل ذلك يكون الشبه - الخبر^(٦) .
العلل : عن علي بن أحمد بن محمد ، عن حمزة بن القاسم العلوي ، عن علي بن

(١) كذا . (٢) المناقب ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .

(٣) في الاحتجاج له . (٤) فيه ، عما .

(٥) الاحتجاج ، ٢٤٠ . (٦) الاحتجاج ، ٢٩٠ .

الحسين بن الجعيد البزاز ، عن إبراهيم بن موسى الفراء ، عن محمد بن ثور ، عن معمر بن يحيى ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عبد الله بن مرة ، عن ثوبان مثله (١) .
اقول : سيأتي أخبار الخضر في هذا المعنى في باب النفس و أحوالها .

١١ - **تفسير علي بن ابراهيم** : عن أبيه ، عن سليمان بن خالد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذ بلغ الولد أربعة أشهر فقد صار فيه الحياة - الخبر (٢) - .
 ١٢ - **ومنه** : قال علي بن إبراهيم في قوله « فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق » قال : النطفة التي تخرج بقوة « يخرج من بين الصلب و الترائب » قال : الصلب الرجل و الترائب المرأة و هي صدرها (٣) .

١٣ - **الكافي** : عن علي بن محمد بن عبد الله ، عن إبراهيم بن إسحاق ، عن محمد ابن سليمان الديلمي ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عن أبيه **عليه السلام** قال : إن الله عز وجل خلق خلّاقين ، فإذا أراد أن يخلق خلقاً أمرهم فأخذوا من التربة التي قال في كتابه « منها خلقناكم وفيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة أخرى (٤) » فعجن النطفة بتلك التربة التي يخلق منها بعد أن أسكنها الرحم أربعين ليلة ، فإذا تمت له (٥) أربعة أشهر قالوا : ياربّ تخلق ماذا ؟ فيأمرهم بما يريد من ذكر (٦) وأنثى ، أبيض أو أسود فإذا خرجت الروح من البدن خرجت هذه النطفة بعينها منه كأنها ما كان صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى ، فلذلك يغسل الميت غسل الجنابة (٧) .

بيان : « خلّاقين » أي ملائكة خلّاقين ، و الخلق هنا بمعنى التقدير لا الإيجاد و ظاهره خروج المنّي الأول بعينها من فيه أو عينه ، و يمكن أن يحفظ الله تعالى جزءاً من تلك النطفة مدة حياته ، و يحتمل أن يكون المراد أن هذا الماء من جنس النطفة فعلة الغسل مشتركة .

(١) علل الشرائع ، ج ١ ، ص ٩٠ .

(٢) تفسير القمي : ٤٤٦ . (٣) التفسير ، ٧٢٠ .

(٤) طه ، ٥٧ . (٥) في المصدر ، لها .

(٦) فيه : أو . (٧) الكافي ، ج ٣ ، ص ١٦٢ .

١٤ - الكافي : عن العدة ، عن سهل ، عن الحجاج ، عن ابن بكير ، عن أبي منهال ، عن الحارث بن المغيرة ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن النطفة إذا وقعت في الرحم بعث الله عز وجل ملكاً فأخذ من التربة التي يدفن فيها فمائها في النطفة فلا يزال قلبه يحن إليها حتى يدفن فيها (١) .

بيان : الموت : الخلط ، والحنين : الشوق .

١٥ - العليل : عن علي بن أحمد بن محمد بن يعقوب عن علي بن محمد باسناده رفعه قال : أتى علي بن أبي طالب يهودي فسأله عن مسائل ، فكان في ما سأله : أخبرني عن شبه الولد أعمامه و أخواله ، و من أي النطقتين يكون الشعر (٢) واللحم و العظم و العصب ؟ فقال عليه السلام : أما شبه الولد أعمامه و أخواله فإذا سبق نطفة الرجل نطفة المرأة إلى الرحم خرج شبه الولد إلى أعمامه ، و من نطفة الرجل يكون العظم والعصب و إذا سبق نطفة المرأة نطفة الرجل إلى الرحم خرج شبه الولد إلى أخواله ، و من نطقتها يكون الشعر والجلد واللحم لأنها صفراء رقيقة - الخبر - (٤) .

١٦ - و منه : عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له : إن الرجل ربما أشبه أخواله و ربما أشبه عمومته . فقال : إن نطفة الرجل بيضاء غليظة و نطفة المرأة صفراء رقيقة ، فإن غلبت نطفة الرجل نطفة المرأة أشبه الرجل أباه وعمومته ، و إن غلبت نطفة المرأة نطفة الرجل أشبه الرجل أخواله (٥) .

١٧ - و منه : عن علي بن حاتم - في ما كتب إلي - عن القاسم بن محمد ، عن حمدان بن الحسين ، عن الحسين بن الوليد ، عن ابن بكير ، عن عبد الله بن سنان ، عن

(١) الكافي ج ٣ ، ص ٢٠٣ .

(٢) في المصدر و بعض نسخ الكتاب ، عن محمد بن يعقوب .

(٣) في المصدر : والد .

(٤) الهال : ج ١ ، ص ١ .

(٥) الملل ، ج ١ ، ص ٨٨ .

أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : المولود يشبه أباه وعمه . قال : إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة فالولد يشبه أباه وعمه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل يشبه الولد أمه وخاله (١) .

١٨ - و منه : عن العباس بن محمد (٢) بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ، عن محمد بن يوسف الخلال (٣) عن محمد بن خليل المحرمي ، عن عبد الله بن بكر المسمعي (٤) عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سألت عبد الله بن سلام النبي صلى الله عليه وآله فقال : ما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال صلى الله عليه وآله : إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إليه - الخبر (٥) .

بيان : في القاموس : نزع أباه وإليه : أشبهه . وأقول : يحتمل أن يكون المراد بالسبق الغلبة ليوافق خبر أبي بصير ، أو العلو ليطابق رواية ثوبان وغيره ، ويمكن كون كل منها سبباً لذلك . وأقول : مضامين تلك الأخبار مروية من طرق العامة أيضاً وفي كتبهم ، ورووا أيضاً أن حبراً من أخبار اليهود سأل النبي صلى الله عليه وآله عن الولد فقال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعاً فعلا مني الرجل مني المرأة أذكر باذن الله تعالى . وقال بعضهم : معنى العلو الغلبة على الآخر ، ومعنى السبق الخروج أولاً ، وزعم بعضهم أن العلو علة شبه الأعمام والأخوال ، والسبق علة الإناث والإناث ، ورد ذلك التفصيل بأنه جعل في حديث الحبر العلو علة الإناث والإناث . وأجاب عنه بعضهم بأن العلو في حديث الحبر بمعنى السبق إلى الرحم لأن ما علا سبق ويتعين تفسيره بذلك ، فإنه في حديث آخر جعل العلو علة شبه الأعمام والأخوال وجعله في حديث الحبر علة الإناث والإناث ، فلو أبقينا العلو في حديث الحبر على

(١) العلال ، ج ١ ، ص ٨٨ .

(٢) كذا ، و الصواب ، أبو العباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني .

(٣) في بعض النسخ بالحاء المهملة وفي بعضها بالجيم ، ولم نجده ذكر في كتب الرجال

(٤) كذا في جميع نسخ الكتاب ، و الظاهر أن الصواب « السهمي » كما في المصدر

لأنه الذي يروى عن حميد الطويل .

(٥) العلال ، ج ١ ، ص ٨٩ .

بإبه لزم بمقتضى الحديث أن يكون علوه علة في شبه الأعمال والأحوال و في الإناث و الإيثار ، ولا يصح " لأن " الحسن يكذب به ، لأننا نشاهد الولد ذكراً و يشبه الأحوال و وجه الجمع بين أحاديث الباب أن يكون الشبه المذكور في هذا الحديث يعني به الشبه الأعم من كونه في التذكير و التأنيث و شبه الأعمام و الأحوال ، و سبق إلى الرحم علة للتذكير و التأنيث ، و يخرج من مجموع ذلك أن الأقسام أربعة : إن سبق ماء الرجل و علا أذكر و أشبه الولد أعمامه ، و إن سبق ماء المرأة و علا ماؤه أنث و أشبه الولد أعمامه (انتهى) (١) .

١٩ - العلل : عن أبيه ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن جعفر بن بشير ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كل صورة بينه و بين أبيه إلى آدم ثم خلقت على صورة أحدهم فلا يقولن " أحد هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي " (٢) .

٢٠ - ومنه : عن المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي ، عن جعفر بن محمد بن مسعود العياشي ، عن أبيه ، عن علي بن الحسن ، عن محمد بن عبدالله بن زرارة ، عن علي بن عبدالله ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : تعالج النطقتان في الرحم فأيتهما كانت أكثر جاءت تشبهها ، فإن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت تشبه أحواله و إن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت تشبه أعمامه . وقال : تحول النطفة في الرحم أربعين يوماً ، فمن أراد أن يدعو الله عزّ وجلّ ففي تلك الأربعين قبل أن تخلق ، ثم يبعث الله عزّ وجلّ ملك الأرحام فيأخذها فيصعد بها إلى الله عزّ وجلّ فيقف منه ما شاء الله ، فيقول : يا إلهي أذكر أم أنثى ؟ فيوحى الله عزّ وجلّ إليه من ذلك ما يشاء و يكتب الملك ، ثم يقول : إلهي أشقي أم سعيد ؟ فيوحى الله عزّ وجلّ إليه من ذلك ما يشاء و يكتب الملك

(١) كذا في جميع نسخ الكتاب ، و الظاهر سقوط قسمين من الأقسام الأربعة في العبارة و هما ، إن سبق ماء الرجل و علا ماء المرأة أذكر و أشبه الولد أخواله ، و إن سبق ماء المرأة و علا أيضاً أنث و أشبه الولد أخواله .

(٢) العلل : ج ١٦ ، ص ٩٧ .

فيقول : اللهم^(١) كم رزقه ؟ وما أجله ؟ ثم يكتبه ويكتب كل شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه ، ثم يرجع به فيردّه في الرحم ، فذلك قول الله عز وجل « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها^(٢) » .

بيان : [في القاموس] اعتلجوا : اتخذوا صراعاً وقتالاً ، و الأرض : طال نباتها و الأمواج : التطمت .

٢١ - العلل : عن أبيه ، عن محمد بن أبي القاسم ، عن محمد بن علي الكوفي ، عن عبدالله بن عبدالرحمان الأصبم ، عن الهيثم بن واقد . عن مقرر^(٣) عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألت سلمان - رضي الله عنه - علياً عليه السلام عن رزق الولد في بطن أمه ، فقال : إن الله تبارك و تعالى حبس عليها الحيضة فجعلها رزقه في بطن أمه^(٤) .

٢٢ - و منه : عن الحسين بن أحمد ، عن أييد ، عن ابن عيسى ، عن البرزطي عن عبدالرحمان بن حماد ، قال : سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن الميت لم يغسل غسل الجنابة؟ قال : إن الله تبارك و تعالى أعلا و أخلى من أن يبعث الأشياء بيده ، إن الله تبارك و تعالى ملكين خلّاقين ، فإذا أراد أن يخلق خلقاً أمر أولئك الخلاقين فأخذوا من التربة التي قال الله في كتابه « منها خلقناكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة أخرى^(٥) » فمجنوها بالنطفة المسكنة في الرحم ، فإذا عجنّت النطفة بالتربة قالوا : يا رب ما تخلق؟ قال : فيوحي الله تبارك و تعالى^(٦) ما يريد من ذلك ذكراً أو أنثى ، مؤمناً أو كافراً أسود أو أبيض ، شقيماً أو سعيداً . فإن مات منه تلك النطفة بعينها لا غيرها ، فمن

(١) في المصدر : الوى .

(٢) علل الشرائع ، ج ١ ، ص ٨٩ و الآية في سورة الحديد : ٢٢ .

(٣) ذكر الشيخ في رجاله عدة من اصحاب الصادق عليه السلام بهذا الاسم و حال جميعهم

مجهول .

(٤) علل الشرائع ، ج ١ ، ص ٢٧٦ .

(٥) طه ، ٥٧ .

(٦) في المصدر : اليهما ما يريد . . .

ثم صار الميت يغسل غسل الجنابة (١) .

بيان : « أمر أولئك الخلاقين » كأن الجمعيّة على المجاز ، أو المراد بالملكين نوعين (٢) من الملك لكل امرأة شخصان ، فيجري فيهما التثنية والجمع باعتبارين .

٢٣ - **المحاسن :** عن أبيه ، عن هارون بن الجهم ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى يقول في كتابه « لقد خلقنا الإنسان في كبد (٣) يعني منتصباً في بطن أمه ، مقدّمه إلى مقادير أمه ، وموآخيره إلى موآخير أمه ، غذاؤه مما تأكل أمه و يشرب مما تشرب تنسّمه تنسيماً ، وميثاقه الذي أخذ الله عليه بين عينيه فأزادنا ولادته أتاه ملك يسمّى «الزاجر» فيزجره فينقلب ، فيصير مقاديرمه إلى موآخر (٤) أمه و موآخيره إلى مقدّم أمه ، ليسهل الله على المرأة والولد أمره ، و يصيب ذلك جميع الناس إلا إذا كان عاتياً ، فأذا زجره فزع و انقلب و وقع إلى الأرض باكياً من زجرة الزاجر ، و نسي الميثاق (٥) .

أقول : تمامه و شرحه في باب جوامع أحوال الدواب و الأتعام .

٢٤ - **العياشي :** عن عبد الملك بن أعين ، قال : إذا زنى الرجل أدخل الشيطان ذكره ثم عملاً جميعاً ، ثم تختلف النطقتان فيخلق الله منهما فيكون شرك الشيطان .

٢٥ - **و منه :** عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن شرك الشيطان قوله « و شاركهم في الأموال و الأولاد » قال : ما كان من مال حرام فهو شرك الشيطان قال : ويكون مع الرجل حتى يجامع ، فيكون من نطقته و نطفة الرجل إذا كان حراماً .

٢٦ - **العلل :** لمحمد بن علي بن إبراهيم : العلة في تحويل آدم لحماً و دماً بعد أربعين سنة أنه لم يكن في رحم ولا بطن و كان ظاهراً بارزاً فتحوّل لحماً و دماً بعد أربعين سنة .

٢٧ - **الصنابق :** عن سلام بن المستنير ، عن أبي جعفر عليه السلام في خبر طويل يذكر

(١) الملل ج ١ ص ٢٨٤ .

(٢) نوعان (ظ) .

(٣) في المصدر : موآخير .

(٤) البلد ، ٤ .

(٥) المحاسن ٣٠٤ .

فيه خلق الولد في بطن أمه ، قال : و يبعث الله ملكاً يقال له « الزاجر » فيزجره زجرة فيفرغ الولد منها و ينقلب ، فتصير رجلاه أسفل البطن ليسهل الله عز وجلّ على المرأة وعلى الولد الخروج . قال : فإن احتبس زجره زجرة أخرى شديدة ، فيفرغ منها فيسقط إلى الأرض فرعاً باكياً من الزجر (١) .

٢٨ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، و عليّ بن إبراهيم عن أبيه جميعاً عن الحسن بن محبوب ، عن محمد بن النعمان ، عن سلام بن المستنير ، قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجلّ « مخلّقة وغير مخلّقة (٢) » فقال : المخلّقة هم الذرّ الذين خلقهم الله في صلب آدم عليه السلام أخذ عليهم الميثاق ، ثم أجراهم في أصلاب الرجال و أرحام النساء ، وهم الذين يخرجون إلى الدنيا حتى يسألوا عن الميثاق . و أمّا قوله « و غير مخلّقة » فهم كلّ نسمة لم يخلقهم الله في صلب آدم عليه السلام حين خلق الذرّ و أخذ عليهم الميثاق ، وهم النطف من العزل و السقط قبل أن ينفخ فيه الروح و الحياة و البقاء (٣) .
بيان : عليّ تأويله عليه السلام يحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير ، أي ما قدر في الذرّ أن ينفخ فيه الروح و ما لم يقدر .

٢٩ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، عن محمد بن زكريا ، عن أحدهما عليه السلام في قول الله عز وجلّ « يعلم ما تحمل كلّ أنثى و ما تغيض الأرحام و ما تزداد (٤) » قال : الغيض كلّ حمل دون تسعة أشهر ، و ما يزداد (٥) كلّ شيء يزداد على تسعة أشهر ، فكلمما رأت المرأة الدم الخالص في حملها فإنها تزداد بعدد الأيام التي رأت في حملها من الدم (٦) .

٣٠ - ومنه : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن الحسن ابن الجهم ، قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : قال أبو جعفر عليه السلام : إن النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً ، ثمّ تصير علقة أربعين يوماً ، ثمّ تصير مضغة أربعين يوماً

(١) المناقب ، ج ٤ ، ص ٢٠٠ . (٢) الحج ، ص ٥٠ .

(٣) الكافي ، ج ٦ ، ص ١٢ . (٤) الرعد ، ص ٨ .

(٥) في المصدر : تزداد . (٦) الكافي ، ج ٦ ، ص ١٢ .

فإنا كمل أربعة أشهر بعث الله عز وجل ملكين خلائقين فيقولان : يارب ما تخلق ؟ ذكراً أو أنثى ؟ فيؤمران فيقولان : يارب شقيماً أو سعيداً ؟ فيؤمران فيقولان : يارب ما أجله ؟ وما رزقه ؟ وما كل شيء من حاله ؟ - وعدد من ذلك أشياء - و يكتبان الميثاق بين عينيه ، فإنا أكمل الله الأجل بعث الله ملكاً فزجره زجرة فيخرج وقد نسي الميثاق . وقال الحسن بن الجهم : فقلت له : أفيجوز أن يدعو الله عز وجل فيحوّل الأنثى ذكراً أو الذكر أنثى ؟ فقال : إن الله يفعل ما يشاء (١) .

بيان : قيل : كتابة الميثاق كناية عن مفظوريته على خلقه قابلة للتوحيد و سائر المعارف ، ونسيان الميثاق كناية عن دخوله في عالم الأسباب المشتمل على موانع تعقل ما فطر عليه .

أقول : قد مرّ بسط القول في تلك الأخبار في كتاب العدل .

٣١ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه جميعاً عن ابن محبوب ، عن ابن رثاب ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله عز وجل إذا أراد أن يخلق النطفة التي (٢) أخذ عليها الميثاق في صلب آدم أو ما يبدو له فيه و يجعلها في الرحم حرّك الرجل للجماع ، وأوحى إلى الرحم أن افتحي بابك حتى يلج فيك خلقي و قضائي النافذ و قدرتي ، فتفتح الرحم بابها فتصل النطفة إلى الرحم فتردد فيه أربعين يوماً ، ثم تصير علقة أربعين يوماً ، ثم تصير مضغة أربعين يوماً ، ثم تصير لحماً تجري فيه عروق مشتبكة ، ثم يبعث الله ملكين خلائقين يخلقان في الأرحام ما يشاء (٣) يقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة فيصلان إلى الرحم ، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال و أرحام النساء ، فينفخان فيهما روح الحياة و البقاء ، ويشقان له السمع و البصر و جميع الجوارح ، و جميع ما في البطن بإذن الله تعالى . ثم يوحى الله إلى الملكين : اكتبنا عليه قضائي و قدرتي و نافذ أمري و اشتراط لي البداء في ما كتبتان

(١) الكافي ، ج ٦ ، ص ١٣ .

(٢) في المصدر ، مما أخذ .

(٣) في المصدر ، يشاء الله فيقتحمان

فيقولان : يارب ما نكتب ؟ قال : فيوحى الله عز وجل إليهما أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمه ، فيرفعا رؤوسهما فإذا اللوح يقرع جبهة أمه ، فينظران فيه فيجدان في اللوح صورته ورؤيته (١) و أجله و ميثاقه شقيماً أو سعيداً و جميع شأنه . قال : فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ، و يشترطان البداء في ما يكتبان ، ثم يختمان الكتاب و يجعلانه بين عينيه ، ثم يقيمانه قائماً في بطن أمه . قال : فربما عتا فاققلب ، ولا يكون ذلك إلا في كل عات (٢) أو مارد : فإذا بلغ أوان خروج الولد تاماً أو غير تام أوحى الله عز وجل إلى الرحم أن افتحي بابك حتى يخرج خلقي إلى أرضي وينفذ فيه أمري فقد بلغ أوان خروجه . قال : فيفتح الرحم باب الولد فيبعث الله عز وجل إليه ملكاً يقال له « زاجر » فيزجره زجرة فيفزع منها الولد ، فينقلب فيصير رجلاه فوق رأسه و رأسه في أسفل البطن ليسهل الله على المرأة و على الولد الخروج . قال : فإذا احتبس زجره الملك زجرة أخرى فيفزع منها فيسقط الولد إلى الأرض باكباً فزعاً من الزجرة (٣) .

بيان : قوله « أو ما يبدو له فيه » من البداء ، وقد مر معناه في محله ، و المعنى : لم يؤخذ عليه الميثاق أولاً في صلب آدم و لكن بداله ثانياً بعد خروجه من صلبه أن يأخذ عليها الميثاق ، و يحتمل أن يكون المراد به ما فسره غير المخلفة في الخبر السابق فيكون مشاركاً للأول في بعض ما سيذكر ، كما أن القسم الأول أيضاً قد يسقط قيل كماله فلا يجري فيه جميع ما في الخبر ، و يحتمل أيضاً أن يراد بالأول من يصل إلى حد التكليف و يؤخذ بما أخذ عليه من الميثاق ، و بالثاني من يموت قبل ذلك « حر ك الرجل » بإلقاء الشهوة عليه ، و الإيحاء كأنه على سبيل الأمر التكويني لا التكليفي أي تنفتح بقدرته و إرادته تعالى ، أو كناية عن فطره إياها على الإطاعة طمعاً كما قيل . « فتردد » بحذف إحدى التائين ، أي تتحول من حال إلى حال ، وقد مر أن الخلق

(١) في المصدر ، « زينته » .

(٢) و مارد (خ)

(٣) الكافي : ج ٦ ، ص ١٣ - ١٥ .

المنسوب إلى الملك بمعنى التقدير و التصوير و التخطيط كما هو معناه المعروف في أصل اللغة . « فيقثمان » أي يدخلان من غير اختيار لها و إذن منها « وفيها الروح القديمة » أي الروح المخلوق في الزمان المتقدم قبل خلق جسده ، و كثيراً ما يطلق القديم في اللغة و العرف على هذا المعنى كما لا يخفى على من تتبّع كتب اللغة و موارد الاستعمالات و المراد بها النفس النباتية أو الروح الحيوانية أو الإنسانية . قوله « رؤيته » أي ما يرى منه ، و يمكن أن يقرأ بالتشديد بمعنى التفكّر و الفهم ، و العتوّ مجاوزة الحدّ و الاستكبار .

ثم اعلم أن العلماء في أمثال هذا الخبر مسالك : فمنهم من آمن بظاهرها و وكل علمها إلى من صدرت عنه ، و هذا سبيل المتّقين ؛ و منهم من يقول : ما يفهم من ظاهره حقّ و لا عبرة باستبعاد الأوهام في ما صدر عن أئمة الأئمّة عليهم السلام ؛ و منهم من قال : هذا على سبيل التمثيل ، كأنه عليه السلام شبه ما يعلمه سبحانه من حاله و طبيئته و ما يستحقّه من الكمالات و ما أودع فيه من درجات الاستعدادات بمجيء الملكين و كتابتهما على جبهته و غير ذلك ؛ و قال بعضهم : قرع اللوح جبهة أمّه كأنه كناية عن ظهور أحوال أمّه و صفاتها و أخلاقها من ناصيتها و صورتها التي خلقت عليها كأنها جميعاً مكتوبة عليها ، و إنّما يستنبط الأحوال التي ينبغي أن يكون الولد عليها من ناصية أمّه (١) و يكتب ذلك على وفق ما نمتّ للمناسبة التي تكون بينه و بينها ، و ذلك لأنّ جوهر الروح إنّما يفيض على البدن بحسب استعداده و قبوله إيّاه ، و استعداد البدن تابع لاستعداد نفس الأبوين و صفاتها و أخلاقهما لاسيّما الأمّ المرئية له على وفق ما جاء به من ظهر أبيه ، فهي حينئذ مشتملة على أحواله الأبوية و الأمّية . و جعل الكتاب المختوم بين عينيه كناية عن ظهور صفاته و أخلاقه من ناصيته و صورته .

أقول : الأحوط والأولى عدم التعرّض لأمثال هذه التأويلات الواهية ، و التسليم

لما ورد عن الأئمة الهادية عليهم السلام .

٣١ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن إسماعيل أو

(١) أمه مكتوبة (خ) .

غيره ، قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك ، الرجل يدعو للجلبى أن يجعل الله ما في بطنها ذكراً سوياً . فقال : يدعو ما بينه وبين أربعة أشهر ، فإنه أربعين ليلة نطفة ، وأربعين ليلة علقة ، وأربعين ليلة مضغة ، فذلك تمام أربعة أشهر ، ثم يبعث الله ملكين خلاقين فيقولان : يا رب ما تخلق ؟ ذكراً أو أنثى ؟ شقيماً أو سعيداً ؟ فيقولان : يا رب ما رزقه ؟ وما أجله ؟ وما مدته ؟ فيقال ذلك ، وميثاقه بين عينيه ينظر إليه فلا يزال منتصباً في بطن أمه حتى إذا دنا خروجه بعث الله عز وجل إليه ملكاً فزجره زجرة فيخرج وينسى الميثاق ^(١) .

٣٢ - و منه : عن محمد بن يحيى وغيره ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد ابن محمد بن أبي نصر ، عن إسماعيل بن عمرو ^(٢) عن شعيب العقرقوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن للرحم أربعة سبل ، في أي سبيل سلك فيه الماء كان منه الولد ، واخذ أو اثنان و ثلاثة و أربعة ، ولا يكون إلى سبيل أكثر من واحد ^(٣) .

٣٣ - و منه : عن علي بن محمد ، رفعه عن محمد بن حران ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق للرحم أربعة أوعية ، فما كان في الأول فلأب ، وما كان في الثاني فلأم ، وما كان في الثالث فللمومة ، وما كان في الرابع فللخوذة ^(٤) .

بيان : « فلأب » أي يشبه الولد إذا وقعت فيه وكذا البواقي ، فسياق هذا الخبر غير سياق الخبر المتقدم من بيان أكثر ما يمكن من أن تلد المرأة ، وإن كان يظهر ذلك منه إيماءً و تلويحاً ، ولذا أوردهما الكليني - ره - في باب أكثر ما تلد المرأة .

٣٤ - النهج : قال : أيها المخلوق السوي ، والمنشأ المرعي ، في ظلمات الأرحام

(١) الكافي ، ج ٦ ، ص ١٦ .

(٢) كذا ، ولم يذكر في كتب الرجال « إسماعيل بن عمرو » والظاهر أنه إسماعيل بن عمر بن إبان الكلبي و يروى عنه أحمد بن محمد بن أبي نصر على ما ذكره في جامع الرواة وهو ضعيف .

(٣) الكافي ، ج ٦ ، ص ١٦ .

(٤) الكافي ، ج ٦ ، ص ١٧ .

ومضاعفات الأستار ، بدئت من سلالة من طين ، ووضعت في قرار مكين ، إلى قدر معلوم وأجل مقسوم ، تمور في بطن أمك جنيناً ، لا تحير دعاءً ، ولا تسمع نداءً ، ثم أخرجت من مقر [ك] إلى دار لم تشهدها ، ولم تعرف سبل منافعها ، فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أمك ، وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك وإرادتك ؟ هيهات ! إن من يعجز عن صفات ذي الهيثة والأدوات فهو عن صفات خالقه أعجز ، ومن تناوله بحدود المخلوقين أبعد (١) .

توضيح : السوي : العدل ، والوسط ، ورجل سوي أي مستوي الخلقة غير ناقص . وانشأ الخلق : ابتداء خلقهم ، والرعاية : الحفظ ، والمرعي : من شمله حفظ الراعي . ومضاعفات الأستار أي الأستار المضاعفة ، والحجب بعضها فوق بعض . « بدئت من سلالة ... » إشارة إلى قوله تعالى « ولقد خافنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين (٢) » وقد مرّ وجوه التفسير فيه ، وهي جارية ههنا . و المكين : المتمكن ، وهو في الأصل صفة للمستقر ، وصف به المحلّ مبالغة ، أو المراد تمكّن الرحم في مكانها مربوطة برباطات كما سيأتي ، والمعنى : في مستقرّ حصين هي الرحم « إلى قدر معلوم » أي مقدار معين من الزمان قدره الله للولادة . وقسمه - كضربه - وقسمه - بالتشديد - أي جزأه و فرقه ، وقسم أمره أي قدره . والأجل المقسوم : المدّة المقدّرة لحياة كلّ أحد ، فالظرف متعلّق بمحذوف ، أي منتهيّاً إلى أجل مقسوم أو يقال : الوضع في الرحم غايته ابتداء الأجل أي مدّة حياة الدنيا ، ويحتمل أن يكون تأكيداً للقدر المعلوم . ومارالشيء - كقال - : تحرك ، أو بسرعة واضطراب ، والجنين الولد في البطن لاستتاره ، من « جن » أي استتر ، فأذا ولد فهو منفوس . والمحاورة : الجواب ومراجعة النطق ، ويقال « كلمته فما أحرار إلى جواباً » أي لم يجبني . ودعوته دعاءً : ناديته و طلبت إقباله . « لم تشهدها » أي لم تحضرها قبل ذلك ولم تعلم بحالها . والاجترار : الجذب . « مواضع طلبك » قيل : أي حلمة الثدي ، والجمع

(١) نهج البلاغة : ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٢) المؤمنون ، ١٣ .

باعتبار أن الطفل يمتص من غير ندي أمه أيضاً ، أو عرفك عند الحاجة إلى كل شيء في دار الدنيا مواضع طلبك . وفي بعض النسخ «وحر كعند الحاجة» فالمراد بمواضع الطلب القوى والآلات التي يحصل بها اجترار الغذاء . «هيئات» أي بعد أن يحيط علماً بصفات خالقه الذي هو أبعد الأشياء منه من حيث الحقيقة لعدم المشابهة والمجانسة وليس له حدود المخلوقين من لا يقدر على وصف نفسه مع أنه أقرب الأشياء إليه وغيره من ذوي البيئة والأدوات ، المجانس له في الذات والصفات ، المتصف بحدود المخلوقين .

٣٥ - النهج : جعل لكم أسماعاً لتعي ما عاها ، وأبصاراً لتجلو عن عشاها ، و أشلاء جامعة لأعضائها ، ملائمة لأحنائها ، في تركيب صورها ومدد عمرها ، بأبدان قائمة بأرفاقها ، وقلوب رائدة لأرزاقها ، في مجللات نعمه ، وموجبات منته ، وحواجز بليته ، وحوائز عافيته^(١) وقدّر لكم أعماراً سترها عنكم ، وخلف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم - إلى قوله ﷺ - أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام وشغف الأستار نطفة دهاقاً ، وعلقة محاقاً ، وجنيناً وراضعاً ، ووليداً ويافعاً ، ثم منحه قلباً حافظاً ولساناً لافظاً ، وبصراً لاحظاً ، ليفهم معتبراً ، ويقصر مزدجرأ ، حتى إذا قام اعتدالده واستوى مثاله ، نفر مستكبراً - إلى آخر الخطبة - (٢) .

توضيح : وعاه يعيه : حفظه وجمعه ، وعناه الأمر يعنيه ويعنوه : أهمله ، والعشا - بالفتح والقصر - : سوء البصر بالليل والنهار ، أو بالليل ، أو العمى ، وتجلو : بمعنى تكشف ، قيل : أقيم المجلو مقام المجلو عنه ، والتقدير : لتجلو عن قواها عشاها ، وقيل : كلمة «عن» زائدة أو بمعنى «بعد» والمفعول محذوف ، والتقدير : لتجلو الأذى بعد عشاها ، وهو بعيد ، والمراد جلاء العشا عن البصر الظاهر بأن ينظر إلى ما يعتبر به ، أو عن بصر القلب بأن يفرق بين الضار والنافع ، والأشلاء : جمع شلو - بالكسر - وهو العضو ، وفسره في القاموس بالجسد أيضاً ، وجمعها للأعضاء على

(١) في المصدر : ... منته ، وحواجز عافيته وقدّر....

(٢) نهج البلاغة : ج ١ ، ص ١٤٣ .

الثاني واضح ، و على الأوّل يمكن حملها على الأعضاء الظاهرة الجامعة للباطنة كما قيل .

واقول : يمكن أن يكون المراد بالأعضاء أجزاء الأعضاء . والملاءمة : الموافقة والأحناء : جمع حنو - بالكسر - وهو الجانب ، و في النهاية : لأحنائها أي معاطفها والغرض الإشارة إلى الحكم والمصالح المرعية في تركيب الأعضاء و ترتيبها وجعل كل منها في موضع يليق بها ، كما بيّن بعضها في علم التشريح و كتب منافع الأعضاء والظرف متعلق بالملاءمة ، وقيل : كأنه قال : مركبة ومصورة ، فأنى بلفظة « في » كما تقول : ركب في سلاحه أو سلاحه أي متسلحاً ، والأرفاق : جمع رفق - بالكسر - وهو المنفعة ، و في القاموس : هو ما استعين به ، والأرفاق على هذا عبارة عن الأعضاء وسائر ما يستعين به الإنسان ، والباء للاستعانة أو السبيبة بخلاف الأوّل ، و روي « بأرماقها » والرمق : بقية الروح ، والرود : الطلب . « في مجللات نعمه » بصيغة الفاعل أي النعم التي تجلّل الناس أي تغطّيهم كما يتجلّل الرجل بالثوب ، وقيل : أي التي تجلّل الناس و نعمهم من قولهم « سحاب مجلّل » أي يطبق الأرض ، والظرف متعلق بمحذوف والموضع نصب على الحال . والمراد بموجبات المنن - على صيغة الفاعل - النعم التي توجب الشكر ، و يروي على صيغة المفعول أي النعم التي أوجبها الله على نفسه لكونه الجواد المطلق ، وقيل : أي ماسقط من نعمه وأفيض على العباد من الوجوب بمعنى السقوط .

و حواجز العافية : ما يدفع المضار ، و يروي « حواجز بليته » أي ما يمنعها . والامتنان بستر الأعمار لكون الاطلاع عليها و اشتغال الخاطر بخوف الموت مما يبطل نظام الدنيا ، والغرض تنبيه الغافل عن انقضاء العمر لستر حده و انتهائه . وخلف العبر إبقاؤها بعد ارتحال الماضين كأنها خليفة لهم .

« أم هذا الذي . . . » قيل : أم ههنا إمّا استفهامية على حقيقتها كأنه قال : أعظكم و أذركم بحال الشيطان و إغوائه أم بحال الإنسان من ابتداء وجوده إلى حين مماته و إمّا أن تكون منقطعة بمعنى بل كأنه قال عادلاً و تاركاً لما وعظهم به :

بل أتلو عليكم بناء هذا الإنسان الذي حاله كذا . و الشغف - بضمّين - جمع شعاف - بالفتح - وهو في الأصل غلاف القلب و حجاب به ، استعير هنا لوضع الولد . و الدهاق - بكسر الدال - الذي أدهق أي أفرغ إفراغاً [شديداً] ، و قيل : الدهاق المملوءة من قولهم دهق الكأس - كجعله - ملاًها . و يروى « دفاقاً » من دفقت الماء أي صببته . و المحق : المجدو و الإبطال و النقص ، و سميت ثلاث ليال من آخر الشهر محاقاً لأن القمر يقرب من الشمس فتمحقه ، و استعير للعلقة لأنها لم تتصور [بعد] فأشبهت ما أبطلت صورته ، و في الأوصاف تحقير للإنسان كما أومىء إليه بالإشارة . و الراضع : الطفل يرضع أمه - كيسم - أي يتمص ثديها ، و الأمّ مرصعة . و الوليد : المولود و كأن المراد به الفطيم . و اليافع : الغلام الذي شارف الاحتلام و لمّا يحتمل ، يقال : أيفع الغلام فهو يافع ، وهو من النوادر .

قال في « سرّ الأدب » في ترتيب أحوال الإنسان : هو مادام في الرحم جنين ، فإذا ولد فولد ، ثمّ مادام يرضع فرضيع ، ثمّ إذا قطع منه اللبن فهو فطيم ، ثمّ إذا دبّ و نمى فهو دارج ، فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسي ، فإذا سقطت روضه فهو متغور ، فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو مشغر ، فإذا تجاوز العشر أو جاوزها فهو مترعرع و ناشيء ، فإذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع و مرهق ، فإذا احتلم و اجتمعت قوته فهو حرور ، و اسمه في جميع هذه الأحوال غلام ، فإذا اخضرّ شاربه قيل قد بقل وجهه ، فإذا صار ذافئاً فهو فتى و شارخ ، فإذا اجتمعت لحيته و بلغ غاية شبابه فهو مجتمع ، ثمّ مادام بين الثلاثين و الأربعين فهو شاب ، ثمّ هو كهل إلى أن يستوفي الستين ، و قيل : إذا جاوز أربعاً و ثلاثين إلى إحدى و خمسين ، فإذا جاوزها فهو شيخ .

ثمّ « منحه » أي أعطاه . و اللافظ : الناطق ، و يقال : لحظ إذا نظر بمؤخر عينيه و كأن المراد هنا مطلق النظر ، و « يقصر » على بناء الإفعال أي ينتهي . و المعنى : أعطاه القوى الثلاثة ليعتبر بحال الماضين ، و ما نزل بساحة العاصين ، و ينتهي عمّا يفرضه إلى أليم النكال ، و شديد الوبال ، أوليفهم دلائل الصنع و القدرة ، و يستدلّ بشواهد

الربوبية على وجوب الطاعة والانتها عن المعصية ، فينزجر عن الخلاف والعصيان ويتخلص عن الخيبة والخسران . والاعتدال : التناسب والاستقامة والتوسط بين الحالين في كمّ أو كيف ، وقيام الاعتدال : تمام الخلقة والصورة ، و تناسب الأعضاء ، وخلوها عن النقص والزيادة ، وكمال القوى المحتاج إليها في تحصيل المآرب . و « استوى » أي اعتدل ، و المثل - بالكسر - : المقدار ، وصفة الشيء ، و يقال : استوى الرجل إذا بلغ أشده أي قوته ، و هو ما بين ثمانية عشر إلى ثلاثين . و نfert الدابة - كضرب - أي فرّ و ذهب .

٣٦ - الفقيه : عن محمد بن علي الكوفي ، عن إسماعيل بن مهران ، عن مرزوم عن جابر بن يزيد ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : قال رسول الله ﷺ : إذا وقع الولد في جوف (١) أمه صار وجهه قبل ظهر أمه إن كان ذكراً ، و إن كان أنثى صار وجهها قبل بطن أمها ، يدها على وجنتيه ، و ذقنه على ركبتيه كهيئة الحزين المهموم فهو كالمصرور منوط بمعاء من سرته إلى سرته أمه ، فبتلك السرّة يغتذي من طعام أمه و شرابها إلى الوقت المقدّر لولادته ، فيبعث الله تعالى (٢) ملكاً فيكتب على جبهته : شقيّ أو سعيد ، مؤمن أو كافر ، غنيّ أو فقير ، و يكتب (٣) أجله و رزقه و سقمه و صحته فإذا انقطع الرزق المقدّر له من سرّة أمه زجره الملك زجرة ، فانقلب فرعاً من الزجرة و صار رأسه قبل المخرج (٤) فإذا وقع إلى الأرض دفع (٥) إلى هول عظيم و عذاب أليم ، إن أصابته ريح أو مشقة أو مسته يد وجد لذلك من الألم ما يجده المسلوخ عنه جلده ، يجوع فلا يقدر على استطعام (٦) و يعطش فلا يقدر على استسقاء (٧) و يتوجّع فلا يقدر على الاستغاثة ، فيوكل الله تعالى به الرحمة و الشفقة عليه و المحبة له أمه فتقيه الحرّ و البرد بنفسها ، و تكاد تفديه بروحها ، و تصير من التعطف عليه بحال لا-

(١) في المصدر ، في بطن .

(٢) فيه ، إليه ملكا

(٣) فيكتب (خ) .

(٤) في المصدر ، الفرج .

(٥) وقع (خ)

(٦) في المصدر ، الاستطعام .

(٧) في المصدر : الاستسقاء

تعالى أن تجوع إذا شبع ، و تعطش إذا روي ، و تعرى إذا كسى ، و جعل الله - تعالى ذكره - رزقه في ندي أمه ، في إحديهما طعامه و في الأخرى شرابه ، حتى إذا رضع آتاه الله في كل يوم بما قدر له فيه من الرزق ، وإذا أدرك فيممه الأهل و المال والشره و الحرص ، ثم هو مع ذلك بعرض (١) الآفات و العاهات و البليات من كل وجه ، و الملائكة تهديه و ترشده ، و الشياطين تضله و تغويه ، فهو هالك إلا أن ينجيه الله تعالى و قد ذكر الله - تعالى ذكره - نسبة الإنسان في محكم كتابه فقال عز وجل « و لقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظاماً فسكونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميئون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون (٢) » .

قال جابر بن عبد الله الأنصاري : فقلت : يا رسول الله ! هذه حالنا فكيف حالك ر حال الأوصياء بعدك في الولادة ؟ فسكت رسول الله ﷺ ملياً ثم قال : يا جابر ! لقد سألت عن أهر جسيم لا يحتمله إلا ذوحظ عظيم ، إن الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جل ثناؤه (٣) يودع الله أنوارهم أصلاً طيبة و أرحاماً طاهرة ، يحفظها بملائكته ، و يربّيها بحكمته ، و يغذوها بعلمه ، فأمرهم بجل عن أن يوصف ، و أحوالهم تدق عن أن تعلم ، لأنهم نجوم الله في أرضه ، و أعلامه في بريته ، و خلفاؤه على عباده ، و أنواره في بلاده ، و حججه على خلقه . يا جابر ! هذا من مكنون العلم و مخزونه ، فاكتمه إلا من أهله (٤) .

بيان : في القاموس : الوجنة - مثلثة و ككلمة و محرّكة - : ما ارتفع من الخدين .
والمصروع : الأسير ، لأنه مجموع اليدين ، من « صررت » جمعت ، وقال : صرّ الناقة : شدّ ضرعها . وقال : ناطه نوطاً : علقه . و الشره - بالتحريك - : غلبة الحرص .

(١) في المصدر : تمرضه .

(٢) المؤمنون ، ١٢ - ١٦ .

(٣) في المصدر : جل ذكره .

(٤) الفقيه ، ٥٨٩ .

٣٧ - الكافي : عن العدة ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن فضال ، و محمد بن عيسى ، عن يونس ، قال : عرضنا كتاب الفرائض عن أمير المؤمنين عليه السلام على أبي الحسن الرضا عليه السلام و مما فيه أن أمير المؤمنين عليه السلام جعل دية الجنين مائة دينار ، و جعل مني الرجل إلى أن يكون جنيناً خمسة أجزاء ، فإذا كان جنيناً قبل أن تلجه الروح مائة دينار ، و ذلك أن الله عز وجل خلق الإنسان من سلالة وهي النطفة فهذا جزء ، ثم علقه فهو جزءان ، ثم مضغه فهو ثلاثة أجزاء ، ثم عظماً فهو أربعة أجزاء ثم يكسى لحماً فحينئذ تم جنيناً فكملت له خمسة أجزاء مائة دينار - إلى قوله - فإذا أنشئ فيه خلق آخر و هو الروح فهو حينئذ نفس فيه ألف دينار كاملة إن كان ذكراً و إن كان أنثى فخمسمائة دينار (١) .

٣٨ - ومنه : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن محبوب عن أبي أيوب الخزاز ، عن محمد بن مسلم ، قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرجل يضرب المرأة فتطرح النطفة ، فقال : عليه عشرون ديناراً ، فقلت : فيضربها فتطرح العلقة فقال : أربعون (٢) ديناراً ، قلت : فيضربها فتطرح المضغة ، قال : عليه ستون ديناراً قلت : فيضربها فتطرحه وقد صار له عظم ، فقال : عليه الدية كاملة ، بهذا قضى أمير المؤمنين عليه السلام : قلت : فما صفة [خلقه] النطفة التي تعرف بها ؟ فقال : النطفة تكون بيضاء مثل النخامة الغليظة ، فتمسك في الرحم إذا صارت فيه أربعين يوماً ثم تصير إلى علقة . قلت : فما صفة خلقه العلقة التي تعرف بها ؟ فقال : هي علقة كعلقة الدم المحجمة الجامدة ، تمسك في الرحم بعد تحويلها عن النطفة أربعين يوماً ثم تصير مضغة . قلت : فما صفة المضغة وخلقها التي تعرف بها ؟ قال : هي مضغة لحم حمراء ، فيها عروق خضراء مشتبكة ثم تصير إلى عظم . قلت : فما صفة خلقته إذا كان عظماً ؟ فقال : إذا كان عظماً شق له السمع و البصر ، ورتبت جوارحه ، فإذا كان كذلك فإن فيه الدية كاملة (٣) .

(١) الكافي ، ج ٧ ، ص ٣٤٢ .

(٢) في المصدر : عليه أربعون ...

(٣) الكافي ، ج ٧ ، ص ٣٤٥ .

٣٩ - ومنه : عن صالح بن عقبة ، عن يونس الشيباني ^١ ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : فإن خرج في النطفة قطرة دم ؟ قال : القطرة عشر النطفة ، فيها اثنان وعشرون ديناراً ، قلت : فإن قطرت قطرتين ؟ قال : أربعة وعشرون ديناراً ، قال : قلت : فإن قطرت بثلاث ؟ قال : فست^٢ وعشرون ديناراً ، قلت : فأربع ؟ قال : فثمانية وعشرون ديناراً ، وفي خمس ثلاثون ^(١) ، وما زاد على النصف فعلى حساب ذلك حتى تصير علقة ، فإذا صارت علقة ففيها أربعون [ديناراً] فقال له أبو شبل : - وأخبرنا أبو شبل ، قال : حضرت يونس وأبو عبد الله ^{عليه السلام} يخبره بالديات ، قال : قلت : - فإن النطفة خرجت متخصضة بالدم ؟ قال : فقال لي : فقد علقته إن كان دمًا صافيًا ففيها أربعون ديناراً ، وإن كان دمًا أسود فلا شيء عليه إلا التعزير ، لأنه ما كان من دم صاف فذلك للولد ، وما كان من دم أسود فذلك من الجوف . قال أبو شبل : فإن العلقة صار فيها شبه العرق من لحم ؟ قال : اثنان وأربعون العشر ، قال : قلت : فإن عشر الأربعين أربعة ، قال : لا ، إنما هو عشر المضغة ، لأنه إنما ذهب عشاها ، فكلما زادت زيد حتى تبلغ الستين . قال : قلت : فإن رأيت في المضغة شبه العقدة عظمًا يابسًا ؟ قال : فذلك عظم كذلك أول ما يبتدىء العظم ، فيبتدىء بخمسة أشهر ففيه أربعة دنانير ، فإن زاد فزاد أربعة أربعة حتى تتم ^(٢) الثمانين . قال : قلت : و كذلك إذا كسى العظم لحمًا ؟ قال : كذلك ، قلت : فإذا وكزها فسقط الصبي فلا يدرى أحيانًا كان أم لا ؟ قال : هيات يا بابشبل ! إذا مضت الخمسة أشهر فقد صارت فيه الحياة ، وقد استوجب الدية ^(٣) .

بيان : الخسخصة تحريك الماء ونحوه «إنما هو عشر المضغة» أي عشر الدية التي زيدت لصيرورتها مضغة ، والوكز - كالوعد - : الدفع والطعن والضرب بجمع الكف . ثم إن الخبر يدل على أن ولوج الروح بعد الخمسة أشهر ، وهو خلاف المشهور وما

(١) في المصدر : ثلاثون ديناراً .

(٢) في المصدر : يتم .

(٣) الكافي ، ج ٧ ، ص ٣٦٥ .

دل عليه غيره من الأخبار من أن ولوج الروح بعد الأربعة أشهر ، ولعل المراد أنه قد يكون كذلك .

٤٠ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله ابن غالب ، عن أبيه ، عن سعيد المسيب ، قال : سألت علي بن الحسين عليهما السلام عن رجل ضرب امرأته حاملاً برجله فطرح ما في بطنها ميتاً ، فقال : إن كان نطفة فإن عليه عشرين ديناراً ، قلت : فما حد النطفة ؟ فقال : هي التي إذا وقعت في الرحم فاستقرت فيه أربعين يوماً قال : وإن طرحته وهو علقه فإن عليه أربعين ديناراً ، قلت : فما حد العلقه ؟ فقال : هي التي إذا وقعت في الرحم فاستقرت فيه ثمانين يوماً ، قال : وإن طرحته وهو مضغ فإن عليه ستين ديناراً ، قلت : فما حد المضغ ؟ فقال : هي التي إذا وقعت في الرحم فاستقرت فيه مائة وعشرين يوماً ، قال : وإن طرحته وهو نسمة مخلقة له عظم ولحم مرتب ^(١) الجوارح قد نفتح فيه روح العقل فإن عليه دية كاملة . قلت له : رأيت تحول له في بطنها إلى حال أبروح كان ذلك أو بغير روح ؟ قال : بروح عدا الحياة القديم المنقول في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، ولولا أنه كان فيه روح عدا الحياة ما تحول من حال ^(٢) إلى حال في الرحم ، وما كان إذن علي من يقتلانه ^(٣) دية وهو في تلك الحال ^(٤) .

توضيح : « مرتب الجوارح » في بعض النسخ « مزبل الجوارح » أي امتازت واقتربت جوارحه بعضها عن بعض كما قال تعالى « لو تزيّلوا لعذبنا ^(٥) » وفي بعضها « مريل » بالراء المهملة والباء الموحدة ، قال الجوهرى : تربلت المرأة كثر لحمها . « بروح غذاء الحياة » المراد إما روح الوالدين أو القوة النامية ، وفي بعضها « عدا » بالمهملتين من غير مدّة ، فالمراد به أن تحول له بروح غير الروح الذي خلق لأجله قبا ،

(١) في المصدر : مزيل .

(٢) > > عن حال بعد حال .

(٣) > > يقتله .

(٤) الكافي ، ج ٧ ، ص ٣٢٧ .

(٥) الفتح ، ٢٥ .

خلق الأجساد لأنه لم يتعلق به بعد ، فالمراد بالروح الأول القوة النامية أو روح الوالدين ، وعلى النسخين المنقول صفة روح لا الحياة ، و المراد بالقديم ما تقدم زمانه لأنه خلق قبل خلق الأجساد كما سيأتي إن شاء الله ، و إطلاق القتل على الإسقاط قبل تعلق الروح مجاز .

٤١ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن أبي نصر ، عن الحسين بن خالد ، قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام : إننا روينا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : من شرب الخمر لم يحتسب صلواته أربعين يوماً ، قال : فقال : صدقوا ، قلت : وكيف لا يحتسب ^(١) صلواته أربعين صباحاً لا أقل من ذلك ولا أكثر ؟ فقال : إن الله جل و عز قد رخلق الإنسان نطفة أربعين يوماً ، ثم نقلها فصيّر لها علقة أربعين يوماً ثم نقلها فصيّر لها مضغة أربعين يوماً ، فهو إذا شرب الخمر بقي في مشاشته ^(٢) أربعين يوماً على قدر اتنتال خلقته ، ثم قال عليه السلام : كذلك جميع غذاء أكله و شربه يبقى في مشاشته ^(٣) أربعين يوماً ^(٤) .

٤٢ - و منه : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عمرو بن عثمان ، عن علي بن عيسى رفعه ، في ما ناجى الله به موسى عليه السلام قال يا موسى ! أنا السيد الكبير ، إنني خلقتك من نطفة من ماء مهين ، من طينة أخرجتها من أرض ممشوجة ^(٥) فكانت بشراً فأنا صانعها خلقاً - الخبر ^(٦) .

٤٣ - و منه : عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن أحمد بن الحسن ، عن

(١) في المصدر ، لا تحتسب

(٢ و ٣) في المصدر ، مشاشه .

(٤) الكافي ، ج ٦ ، ص ٣٠٢ .

(٥) في المصدر ، أرض ذليلة ممشوجة . وقال المؤلف - ره - في مرآت العقول ، أي

مخلوطة من انواع ، والمراد ، أني خلقتك من نطفة و اصل تلك النطفة حصل من شخص خلقتة من طينة الارض وهو آدم عليه السلام واخذت طينته من جميع وجه الارض المشتملة على الوان و أنواع مختلفة .

(٦) روضة الكافي ، ٣٤

عمرو بن سعيد ، عن مصدق بن صدقة ، عن عمار بن موسى ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
سئل عن الميت يبلى جسده ؟ قال : نعم ، حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق
منها فانها لا تبلى ، تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق الله منها كما خلق أول مرة ^(١) .

٤٤ - وهذه : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن إبراهيم
بن مسلم الحلواني ، عن أبي إسماعيل الصيقل الرازي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
إن في الجنة لثمرة تسمى « المزن » فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة ، فلا
تصيب بقلة ولا ثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلا أخرج الله من صلبه مؤمناً ^(٢) .

٤٥ - العلل : عن علي بن حاتم ، عن القاسم بن محمد ، عن إبراهيم بن مخلد
عن أحمد بن إبراهيم ، عن محمد بن بشير ، عن محمد بن سنان ، عن أبي عبد الله القزويني
قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام فقلت : لأي علة يولد الإنسان ههنا ويموت
في موضع آخر ؟ قال : إن ^(٣) الله تبارك و تعالى لما خلق خلقه خلقهم من أديم الأرض
فيرجع ^(٤) كل إنسان إلى تربته ^(٥) .

٤٦ - تفسير الامام : قال عليه السلام في سياق قصة ذبح البقرة : ثم ذبحوها وأخذوا
قطعة وهي عجب الذنب الذي منه خلق ابن آدم و عليه يركب إذا أراد خلقاً جديداً
فضربوه بها - القصة - .

٤٧ - البصائر : عن الحسن بن محبوب ، عن صالح بن سهل الهمداني وغيره
عن يونس بن ظبيان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا أراد الله أن يقبض روح إمام و
يخلق من بعده إماماً أنزل قطرة من ماء تحت العرش إلى الأرض فيلقها على ثمرة أو
بقلة ، فيأكل تلك الثمرة أو تلك البقلة الإمام الذي يخلق الله منه نطفة الإمام الذي
يقوم من بعده ، قال : فيخلق الله من تلك القطرة نطفة في الصلب ، ثم يصير إلى الرحم

(١) الكافي ، ج ١ ، ص ٢٥١ ، ٣ .

(٢) الكافي : ج ٢ ، ص ١٤ .

(٣) في المصدر ، لان .

(٤) وفي المصدر و في بعض نسخ الكتاب : فمرجع .

(٥) العلل ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .

فيمكث فيها أربعين ليلة ، فإذا مضى له أربعون ليلة سمع الصوت ، فإذا مضى له أربعة أشهر كتب على عضده الأيمن « و تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ^(١) » فإذا خرج إلى الأرض أوتيت الحكمة ، وزين بالعمام والوقار وألبس الهيئة ، وجعل له مصباح من نور يعرف به الضمير ، ويرى به أعمال العباد.

أقول : قد مضت الأخبار في بدء خلق الإمام وخواصه في المجلدات السابقة المتعلقة بالإمامة ، فلا نعيدها حذراً من التكرار .

٤٨ - **العلل :** عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد البرقي ، عن أبي هاشم الجعفري ، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه إتيان الخضر أمير المؤمنين عليه السلام وسؤاله عن مسائل وأمره عليه السلام الحسن بجوابه ، فقال الحسن عليه السلام في سياق الأجوبة : وأما ما ذكرت من أمر الرجل يشبه أعمامه وأخواله فإن الرجل إذا أتى أهله بقلب ساكن وعروق هادئة وبدن غير مضطرب استكنت تلك النطقة في [تلك] الرحم فخرج الولد يشبه أباه وأمه ، وإن ^(٢) أتاها بقلب غير ساكن وعروق غير هادئة وبدن مضطرب اضطربت تلك النطقة في جوف تلك الرحم ف وقعت على عرق من العروق ، فإن وقعت على عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه ، وإن وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه ^(٣) أخواله - إلى آخر ما سيأتي من الخبر الطويل - ^(٤).

بيان : في القاموس : هداً - كمنع - هداً وهدوءاً : سكن . وأقول : يحتمل أن يكون المراد أنه إذا لم تضطرب النطقة تحصل المشابهة التامة ، لأن المنى يخرج من جميع البدن فيقع كل جزء موقعه ، وإذا اضطربت حصلت المشابهة الناقصة ، فيشبه الأعمام إذا كان الأغلب منى الرجل لأنهم أيضاً يشبهون الأب مشابهة ناقصة ، وإن غلب منى الأم أشبه الأخوال كذلك ، ويمكن أن يكون بعض العروق في بدن الأب منسوباً إلى

(١) الانعام ، ١١٥ .

(٢) في المصدر : وإن هو .

(٣) في المصدر ، أشبه الولد .

(٤) علل الشرائع ، ج ١١ ، ص ٩١ .

الأعمام وفي بدن الأم منسوباً إلى الأخوال ، ففي الاضطراب يعلو المنى الخارج من ذلك العرق ، فالمراد بالعرق منى العرق ، وهذا لا يخلو من بعد .

٤٩ - تفسير الامام : قال عليه السلام في قوله تعالى « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ^(١) » من نطفة من ماء مهين ، فجعله في قرارمكين إلى قدر معلوم ، فقد ربه فنعمة القادر رب العالمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن النطفة تثبت في الرحم أربعين يوماً نطفة ، ثم يصير علقة أربعين يوماً ، ثم مضغة أربعين يوماً ، ثم يجعل بعده عظماً ، ثم يكسى لحماً ، ثم يلبس الله بعده جلدأ ، ثم ينبت عليه شعراً ، ثم يبعث الله عز وجل ملك الأرحام ، فيقال له : اكتب أجله وعمله ورزقه ، وشقيماً يكون أو سعيداً ، فيقول الملك : يا رب أنى لي بعلم ذلك ؟ فيقال له : استمل ذلك من قرأء اللوح المحفوظ فيستمليه منهم .

٥٠ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أبي محمد المدائني عن عائذ بن حبيب يباع الهروي ، عن عيسى بن زيد ، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : ينثر الغلام لسبع سنين ، ويؤمر بالصلوة لتسع ، ويفرق بينهم في المضاجع لعشر و يحتلم لأربع عشرة ^(٢) وينتهي طوله إلى اثنين ^(٣) وعشرين سنة ، وينتهي عقله إلى ثمان ^(٤) وعشرين سنة إلا التجارب ^(٥) .

بيان : قال المطرزي : نُثر الصبي فهو مشغور : سقطت روضه ، و أما إذا نبت بعد السقوط فهو مشغر بالناء والناء ، وقد ائثر على افتعل .

٥١ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن موسى بن عمر ، عن علي بن الحسين ، عن الحسن الضرير ، عن حماد بن عيسى ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : يشب الصبي كل سنة أربع أصابع بأصابع نفسه ^(٦) .

٥٢ - و منه : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني

(١) البقرة : ٢١ . (٢) في المصدر ، لاربع عشرة سنة

(٣) في المصدر ، اثنين . (٤) في المصدر : ثمان .

(٥) الكافي ، ج ٦ ، ص ٤٦

عن أبي عبد الله عن أبيه عليهما السلام قال : الغلام لا يلقح بتفلك ندياه و بسطح^(١) ريح إبطيه^(٢) .

بيان : لا يلقح : لا يجامع ،^(٣) و هو كناية عن البلوغ ، و في القاموس : فلك نديها و تفلك : أستاذار .

٥٣ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، و علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، جميعاً عن ابن محبوب ، عن خليل بن عمرو اليشكري ، عن جميل بن دراج ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : إذا كان الغلام ملتاث الأدرتصغير الذكر ساكن النظر فهو ممن يرجى خيره و يؤمن شره ، قال : و إذا كان الغلام شديد الأدرت كبير الذكر حاد النظر فهو ممن لا يرجى خيره و لا يؤمن شره^(٤) .

توضيح : في أكثر النسخ « ملتاث الأدرت » بالتاء المثناة ثم التاء المثناة من اللوثة بالضم وهي الاسترخاء ، و الأدرت : نفخة في الخصية ، و كأن المراد بها هنا نفس الخصية أي مسترخي الخصية متدليها ، و في بعضها « الأزر » بالزاي ، أي هيئة الاثترار ، و التياته كناية عن أنه لا يجود شد الأزار و المنطقة بحيث يرى منه حسن الاثترار فعجب به كما هو عادة الظرفاء ، و في بعضها « ملتاث » بالثاين المثنتين ، و اللث و الاثلاث و اللثثة : الإلحاح و الإقامة و دوام المطر ، و اللثثة : الضعف و الحبس^(٥) و التردد في الأمر ، ذكرها الفيروز آبادي ، و الأول أنسب .

٥٤ - الكافي : عن علي بن محمد بن بندار ، عن أبيه ، عن محمد بن علي الهمداني عن أبي سعيد الشامي ، عن صالح بن عقبة ، قال : سمعت العبد الصالح يقول : تستحب

(١) في أكثر النسخ : يتفلك ندياه و يسطح . . و في المصدر ، و تسطح .

(٢) الكافي ، ج ٦ ، ص ٤٦ .

(٣) في أكثر النسخ « أو » .

(٤) الكافي ، ج ٦ ، ص ٥١ .

(٥) في القاموس [طبعة مصر] ، الجيش . و الظاهران الصواب هو الحبس ، لانه من

عرامة الغلام^(١) في صغره ليكون حليماً في كبره . ثم قال : ما ينبغي إلا أن يكون هكذا . وروي أن أكيس الصبيان أشدُّهم بغضاً للكُتَّاب^(٢) .

بيان : العرامة : سوء الخلق و الفساد و المرح و الإشرار ، و المراد ميله إلى اللعب و بغضه للكُتَّاب ، أي عرامته في صغره علامة عقله وحلمه في كبره و ينبغي أن يكون الطفل هكذا ، فأما إذا كان منقاداً ساكناً حسن الخلق في صغره يكون بليداً في كبره كما هو المجرَّب ، و الكُتَّاب - بالتشديد - : المكتب .

٥٥ - الدر المنثور : عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قرأت في التورية - أو قال : في صحف إبراهيم - فوجدت فيها يقول الله تعالى : يا ابن آدم ما أنصفتني ! خلقتك ولم تك شيئاً و جعلتك بشراً سوياً ، خلقتك من سلالة من طين ثم جعلتك نطفة في قرار مكين ، ثم خلقت النطفة علقة ، فخلقت العلقة مضغة ، فخلقت المضغة عظماً ، فكسوت العظام لحماً ، ثم أنشأتك خلقاً آخر . يا ابن آدم ! هل يقدر على ذلك غيري ؟ ثم خففت ثقلك على أمك حتى لا تبرم^(٣) بك ولا تتأذي ، ثم أوحيت إلى الأمعاء أن اتسعي و إلى الجوارح أن تفرقي ، فاتسعت الأمعاء من بعد ضيقها ، و تفرقت الجوارح من بعد تشبيكها ، ثم أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك من بطن أمك ، فاستخلصك^(٤) على ريشة من جناحه ، فاطلمت عليك فإذا أنت خلق ضعيف ليس لك سن يقطع ولا ضرس يطحن ، فاستخلصت لك في صدر أمك ندياً^(٥) يدر لك لبناً بارداً في الصيف حاراً في الشتاء ، و استخلصته من بين جلد و لحم و دم و عروق ، و قذفت لك في قلب والدتك الرحمة ، و في قلب أهلك التحسن ، فهما يكدا أن و يجهدان ، و يربيانك و يغذيانك ، ولم ينما حتى ينوماً ناك . ابن آدم ! أنا فعلت ذلك بك لا بشيء استأهلت به مني أو لحاجة استعنت على قضائها . ابن آدم ! فلما قطع

(١) في المصدر ، الصبي .

(٢) الكافي : ج ٦ ، ص ٥١ .

(٣) في المصدر : لا تتمرص .

(٤) في المصدر ، فاستخلصتك

(٥) عرقاً .

سنتك و طلع (١) ضرسك أطعمتك فاكهة الصيف و فاكهة الشتاء في أوانهما ، فلماً (٢) عرفت أنني ربك عصيتني ، فالآن إذ عصيتني فادعني و إنني قريب مجيب ، و ادعني فأني غفور رحيم (٣) .

٥٤ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن بعض أصحابه رواه عن رجل من العامة قال : كنت أجالس أبا عبد الله عليه السلام فلا والله ما رأيت مجلساً أنبل (٤) من مجالسه .

، قال : فقال لي ذات يوم : من أين تخرج العطسة ؟ فقلت : من الأنف ، فقال لي : أصبت الخطأ ، فقلت : جعلت فداك ، من أين تخرج ؟ فقال : من جميع البدن ، كما أن النطفة تخرج من جميع البدن و مخرجها من الإحليل . ثم أما رأيت الإنسان إذا عطس نفث جميع أعضائه ، و صاحب العطسة يأمن الموت سبعة أيام (٥) .

٥٧ - الكافي : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن محمد بن الفضيل ، عن أبي حمزة ، قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن الخلق ، فقال : إن الله تعالى لما خلق الخلق من طين أفاض بها كفاضة القداح ، فأخرج المسلم فجعله سعيداً و جعل الكافر شقيماً ، فإذا وقعت النطفة : اتقتها الملائكة فصوروها ، ثم قالوا : يارب أذكر أو أنسى ؟ فيقول الرب " جل جلاله أي ذلك شاء ، فيقولان : تبارك الله أحسن الخالقين ! ثم يوضع (٦) في بطنها فتتردد تسعة أيام و في كل عرق و مفصل منها ، و للرحم ثلاثة أفعال : قفل في أعلاها مما يلي أعلا السرة من جانب الأيمن ، و القفل الآخر في وسطها أسفل (٧) من الرحم ، فيوضع بعد تسعة أيام في القفل الأعلى فيمكن فيه ثلاثة

(١) في المصدر : طحن .

(٢) > ، فاكهة الصيف في أوانها و فاكهة الشتاء في أوانها فلما أن عرفت .

(٣) الدر المنثور : ج ٦ ، ص ٣١٦ .

(٤) في المصدر و بعض نسخ الكتاب ، أنبل .

(٥) الكافي ، ج ٢ ، ص ٦٥٧ .

(٦) في المصدر : توضع .

(٧) في المصدر و بعض نسخ الكتاب : و القفل الآخر أسفل

أشهر ، فعند ذلك يصيب المرأة خبث النفس و التهوُّع ، ثم ينزل إلى القفل الأوسط فيمكث فيه ثلاثة أشهر ، و سرّة الصبي فيها مجمع العروق و عروق المرأة كلها منها يدخل طعامه و شرابه من تلك العروق ، ثم ينزل إلى القفل الأسفل فيمكث فيه ثلاثة أشهر ، فذلك تسعة أشهر ثم تطلق المرأة ، فكلما طلقت انقطع عرق من سرّة الصبي فأصابها ذلك الوجع ، و يده على سرّته حتى يقع على الأرض و يده مبسوطة، فيكون رزقه حينئذ من فيه (١) .

بيان : « أفاض بها كإفاضة القداح » قال الجوهري : إفاضة القداح : الضرب بها ، و القداح جمع القدح - بالكسر - وهو السهم قبل أن يراش و ينصل ، فأنهم كانوا يخاطونها و يقرعون بها بعدما يكتبون عليها أسماءهم . و في التشبيه إشارة لطيفة إلى اشتباه خير بني آدم بشرهم إلى أن يميز الله الخبيث من الطيب ، كذا ذكره بعض الأفاضل .

أقول : يمكن أن يقرأ « القدّاح » بفتح القاف و تشديد الدال و هو صانع القدح ، أي أفاض و شرع في بريها و نحتها كالقدّاح [فيراهم مختلفة كالقدّاح] . قوله « قترد... » لعل ترددها كناية عما يؤثر فيها من مزاج الأم ، أو ما يختلط بها من نطفة الأم الخارجة من جميع عروقها . ثم إنه يحتمل أن يكون نزولها إلى الأوسط و الأسفل ببعضها لعظم جثتها لا بكلها . قوله « أسفل من الرحم » أي [هو] أسفل موضع منها . و في القاموس : الطلق وجع الولادة ، وقد طلقت المرأة طلقاً على ما لم يسم فاعله و « يده » أي يد الصبي .

٥٨ - **الكافي :** عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، و علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن ابن رثاب ، عن زرارة بن أعين ، قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إذا وقعت النطفة في الرحم استقرت فيها أربعين يوماً و تكون علة أربعين يوماً و تكون مضغة أربعين يوماً ، ثم يبعث الله ملكين خلاقين فيقال لهما : اخلقا كما يريد الله ذكراً أو أنثى ، صوراه و اكتباه أجله و رزقه و منيته ، و شقيماً أو سعيداً ، و اكتباه لله

الميثاق الذي أخذه^(١) في الذر بين عينيه ، فإذا دناخروجه من بطن أمه بعث الله إليه ملكاً يقال له « زاجر » فيزجره فيفرغ فرعاً ، فينسى الميثاق ويقع إلى الأرض [و] يبكي من زجرة الملك^(٢) .

٥٩ - **قرب الاسناد** : عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : سألت الرضا عليه السلام أن يدعو الله عز وجل لامرأة من أهلنا بها حمل ، فقال : قال أبو جعفر عليه السلام : الدعاء ما لم يمض أربعة أشهر ، فقلت له : إنما لها أقل من هذا ، فدعا لها ، ثم قال : إن النطفة تكون في الرحم ثلاثين يوماً و تكون علقة ثلاثين يوماً وتكون مضغة ثلاثين يوماً ، وتكون مخلقة وغير مخلقة ثلاثين يوماً ، فإذا تمت الأربعة أشهر بعث الله تعالى إليها ملكين خلاقين يصورانها و يكتبان رزقه وأجله ، و شقيماً أو سعيداً - الخبر -^(٣) .

٦٠ - **تفسير علي بن ابراهيم** : « لقد خلقناكم ثم صورناكم » أي خلقناكم في الأصلاب و صورناكم في أرحام النساء . ثم قال : و صور ابن مريم في الرحم دون الصلب و إن كان مخلوقاً في أصلاب الأنبياء ، و رفع و عليه مدرعة من صوف .
حدثنا أحمد بن محمد ، عن جعفر بن عبد الله المحمدي ، عن كثير بن عيش ، عن^(٤) أبي جعفر عليه السلام في قوله « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » قال : أما « خلقناكم » فنطفة ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظما^(٥) ثم لحماً ، و أما « صورناكم » فالعين ، و الأنف و الأذنين ، و الفم ، و اليدين ، و الرجلين ، و صور هذا ونحوه ، ثم جعل الدميم والوسيم والجسيم والطويل والقصير وأشباه هذا^(٦) .

(١) في المصدر ، اخذه عليه .

(٢) الكافي ج ١ ، ص ١٦ .

(٣) قرب الاسناد ، ٢٠٦ .

(٤) في المصدر ، عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام .

(٥) عظماً .

(٦) تفسير القمي ، ٢١٢ .

٦١ - ومنه : « خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها » يعني آدم وزوجته حواء « في ظلمات ثلاث » قال : البطن ، والرحم ، والمشيمة ^(١) .

٦٢ - ومنه : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » يعني الظلمات الثلاث التي ذكرها الله ، وهي المشيمة والرحم والبطن ^(٢) .

٦٣ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن مرار ، عن يونس ، قال : إنما جعلت الموايذ من ستة أسهم على خلقة الإنسان ، لأن الله عز وجل بحكمته خلق الإنسان من ستة أجزاء فوضع الموايذ على ستة أسهم ، وهو قوله عز وجل « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » ففي النطفة دية « ثم خلقنا النطفة علقة » ففي العلقة دية « فخلقنا العلقة مضغة » وفيها دية « ثم خلقنا المضغة عظاماً » وفيها دية « فكسونا العظام لحماً » وفيه دية أخرى « ثم أنشأناه خلقاً آخر » وفيه دية أخرى ، فهذا ذكر آخر المخلوق ^(٣) .

٦٤ - قصص الراوندي : بإسناده عن الصدوق ، بإسناده عن شهر بن حوشب قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه رهط من اليهود فسألوه عن مسائل ، منها قالوا : كيف يكون الشبد من المرأة وإنما النطفة للرجل ؟ فقال : أنشدكم بالله أنعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة وأن نطفة المرأة حمراء رقيقة ، فأيتها غلب ^(٤) على صاحبها كان لها الشبه ؟ قالوا : اللهم نعم - الخبر - .

٦٥ - ومنه : بإسناده عن الصدوق ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد بن يحيى عن السياري ، عن إسحاق ابن إبراهيم ، عن الرضا عليه السلام قال : إن الملك قال لدا نبال : أشتهي أن يكون لي ابن مثلك ، فقال : ما محلي من قلبك ؟ قال : أجل محل وأعظمه

(١) التفسير : ٥٧٤ .

(٢) > : ١٣٢ .

(٣) الكافي ، ج ٧ ، ص ٨٤ .

(٤) كذا ، و العوَاب « غلبت »

قال دانيال : فاذا ^(١) جامع فاجعل همّتك في . قال : ففعل الملك ذلك ، فولد لداين أشبه خلق الله بدانيال .

بيان : أقول : ذكر الأطباء أيضاً أن للتخيّل في وقت الجماع مدخلاً في كيفية تصوير الجنين ، قال ابن سينا في القانون : قد قال قوم من العلماء ولم يعدوا عن حكم الجواز إن من أسباب الشبد ما يتمثل حال العلوق في وهم المرأة أو الرجل من الصور الانسانية تمثلاً متمكناً (انتهى) وقال بعضهم : تصوّر رجل عند الجماع صورة حيّة فتولد منه طفل كان رأسه رأس إنسان و بدنه بدن حيّة .

٦٦ - قرب الاسناد : عن السندي بن محمد ، عن أبي البخري ، عن وهب القرشي عن جعفر عن أبيه عليه السلام أن رجلاً أتى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : إن امرأتني هذه جارية حدثه وهي عذراء وهي حامل في تسعة أشهر ، ولا أعلم إلا خيراً ، و أنا شيخ كبير ما افترعتهما وإنما لعلّي حالها . فقال له علي عليه السلام : نشدتك بالله هل كنت تهريق علي فرجها ؟ قال : نعم ، فقال علي عليه السلام : إن لكل فرج ثقبين : ثقب يدخل فيه ماء الرجل وثقب يخرج منه البول ، وأفواه الرحم تحت الثقب الذي يدخل منه ماء الرجل ، فاذا دخل الماء في فم واحدة من أفواه الرحم حملت المرأة بولد واحد ، وإذا دخل في اثنين حملت ^(٢) باثنين ، وإذا دخل من ثلاثة حملت بثلاثة ، وإذا دخل من أربعة حملت بأربعة وليس هناك غير ذلك ، وقد ألحقت بك ولدها . فشق عنها ^(٣) القوايل ، فجاءت بغلام فعاش ^(٤) .

٦٧ - القهديب : بإسناده عن محمد بن الفضيل ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : قلت : تلزمني المرأة أو الجارية من خلفي و أذامتكيء على جنب ، فتتحرك علي ظهري فتأتيها الشهوة و تنزل الماء ، أفعلها غسل أم لا ؟ قال : نعم ، إذا جاءت الشهوة و أنزلت الماء

(١) إذا (خ) .

(٢) في المصدر ، من اثنين حملت المرأة باثنين .

(٣) > فسوغتها القوايل ، و هو الصواب ظاهراً .

(٤) قرب الاسناد ، ١١٠ .

وجب عليها الغسل .

٦٨ - و منه : بسند موثق عن معاوية بن حكيم ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا أمنت المرأة و الأمة من شهوة جامعها الرجل أولم يجامعها في نوم كان ذلك أو في يقظة فإن عليها الغسل .

٦٩ - و منه : بإسناده عن يحيى بن أبي طلحة ، أنه سأل عبداً صالحاً عن رجل مس فرج امرأته أو جاريته يعبث بها حتى أتزلت ، عليها غسل أم لا ؟ قال : أليس قد أتزلت من شهوة ؟ قلت : بلى ، قال : عليها غسل .

٧٠ - و منه : بسند صحيح عن ابن بزيع ، قال : سألت الرضا عليه السلام عن الرجل يجامع المرأة في مادون الفرج فتنزول المرأة ، هل عليها غسل ؟ قال : نعم .

تبيين : أقول : الأخبار في هذا المعنى كثيرة ، وهي تدلّ مع ما مرّ من الأخبار في شبه الأعمام و الأخوال على أن للمرأة منياً كالرجل كما ذهب إليه جالينوس و أكثر الأطباء ، و ذهب أرسطو و جماعة من الحكماء إلى أنه ليس للمرأة مني و إنما تنفصل من بيضتها ^(١) رطوبة شبيهة بالمني يقال لها المنى مجازاً ، إن عندهم أن المنى ما اجتمع فيه خمس صفات : بياض اللون ، و حصول اللذّة عند الخروج ، والقوّة العاقدة و الدفق ، و رائحة شبيهة برائحة الطلع ، و إذا امتزج مني الرجل بتلك الرطوبة تتولّد منه مادة الجنين ، و مني الرجل هي العاقدة و الفاعلة ، و رطوبة المرأة هي المنعقدة و المنفصلة . و قال جالينوس و أتباعه : في كل منهما قوّة عاقدة و منعقدة . و الحق أن النزاع في إطلاق المنى على رطوبة المرأة و عدمه لفظي لا طائلي تحته ، و قد مرّ في الأخبار الكثيرة أن الولد يتكوّن من المنيتين معاً ، و سيأتي بعض القول فيه أيضاً في آخر الباب إن شاء الله .

٧١ - تفسير علي بن ابراهيم : قوله « سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض و من أنفسهم و ممّا لا يعلمون ^(٢) » ، قال : فإنّه حدّثني أبي ، عن النضر

(١) بيضتها (خ)

(٢) يس : ٣٦ .

ابن سويد ، عن الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن النطفة تقع من السماء إلى الأرض على النبات والتمر والشجر ، فتأكل الناس منه والبهايم ، فيجري فيهم ^(١) .

٧٢ - **العلل** : عن محمد بن موسى بن المتوكل ، عن علي بن الحسين السعداء بادي

عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن أبيه ، عن محمد بن يحيى ، عن حماد بن عثمان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ابن آدم منتصب في بطن أمه ، وذلك قول الله عز وجل « لقد خلقنا الإنسان في كبد ^(٢) » وما سوى ابن آدم فرأسه في دبره ويداه ^(٣) بين يديه ^(٤) .

٧٣ - **تفسير علي بن ابراهيم** : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين »

قال : السلالة الصفوة من الطعام والشراب الذي يصير نطفة ، والنطفة أصلها من السلالة والسلالة هو من ^(٥) صفوة الطعام والشراب ، والطعام من أصل الطين ، فهذا معنى قوله « من سلالة من طين » . « ثم جعلناه نطفة في قرار مكين » أي في الأوتنين ثم في الرحم « ثم خلقنا النطفة علقة - إلى قوله - أحسن الخالقين » وهذه استحالة أمر إلى أمر ، فحدث النطفة إذا وقعت في الرحم أربعين يوماً ثم يصير علقة ^(٦) .

٧٤ - **ومنه** : قوله « ولقد خلقنا الإنسان - إلى قوله - ثم أنشأناه خلقاً آخر »

فهي ستة أجزاء وستة استحالات ، وفي كل جزء استحالة دية محدودة ، ففي النطفة عشرون ديناراً ، وفي العلقة أربعون ديناراً ، وفي المضغة ستون ديناراً ، وفي العظم ثمانون ديناراً ، وإذا كسي لحماً فمائة دينار ، حتى يستهل ، فإذا استهل فالديه كاملة ^(٧) .

٧٥ - وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله « ثم أنشأناه خلقاً آخر »

فهو نفخ الروح فيه ^(٨) .

(١) تفسير القمى : ٥٥١

(٢) البلد : ٤

(٣) في نسخة مخطوطة ، فرأسه في دبره بين يديه .

(٤) علل الشرائع : ج ٢ ، ص ١٨١ .

(٥) في المصدر ، والنطفة من السلالة والسلالة من صفوة .

(٦) تفسير القمى : ٤٤٥ .

(٧) د د ، ٤٤٥ .

(٨) التفسير : ٤٤٦ .

٧٤ - و منه : « وبدأ خلق الإنسان من طين » قال : هو آدم عليه السلام « ثم جعل نسله » أي ولده « من سلالة » و هو الصفوة من الطعام و الشراب « من ماء مهين » قال : النطفة المنية « ثم سواه » أي استحاله من نطفة إلى علقة ، و من العلقة ^(١) إلى مضغة ، ثم ^(٢) نفخ فيه الروح ^(٣) .

٧٧ - و منه : في روايه أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله « يهب لمن يشاء إناثاً » يعني : ليس معهن ذكر « و يهب لمن يشاء الذكور » يعني : ليس معهم أنثى « أو يزوجهن ذكراً و إناثاً » أي يهب لمن يشاء ذكراً و إناثاً جميعاً ، يجمع له البنين و البنات ^(٤) .

٧٨ - و منه : عن أبيه ، عن المحمودي و محمد بن عيسى بن عبيد ، عن محمد بن إسماعيل الدارمي ^(٥) عن محمد بن سعيد ، أن يحيى بن أكنم سأل موسى بن علي بن محمد عن مسائل ، و فيها : أخبرنا عن قول الله « أو يزوجهن ذكراً و إناثاً » فهل يزوج الله عباده الذكران و قد عاقب قوماً فعلوا ذلك ؟ فسأل موسى أخاه أبا الحسن العسكري عليه السلام فكان من جواب أبي الحسن عليه السلام : أما قوله « أو يزوجهن ذكراً و إناثاً » فإن الله تعالى زوج ذكران المطيعين إناثاً من الحور العين ، و إناث المطيعات من الإناث ذكراً المطيعين ، و معاذ الله أن يكون الجليل عنى ^(٦) ما لبست على نفسك تطلباً للرخصة ^(٧) لأرتكاب المآثم ^(٨) .

بيان : لا يخفى بعد ما ذكر في الخبر من سياق الآية ، و كآته على سبيل التنزيل

(١) في المصدر : علقه .

(٢) فيه : حتى .

(٣) التفسير ، ٥١١ .

(٤) > ، ٦٠٥ .

(٥) كذا في نسخ الكتاب ، و في المصدر « الرازي » وهو الصواب ظاهراً ، لعدم ذكر

من « محمد بن اسماعيل الدارمي » في كتب الرجال .

(٦) في أكثر النسخ « اعنى » .

(٧) في المصدر : طلباً لرخصة .

(٨) تفسير القمي : ٦٠٥ .

أي لو كان المراد بالتزويج ما زعمت لاحتمل محملاً صحيحاً أيضاً ، أو يكون هذا بطناً من بطون الآية . و يمكن تصحيحه بوجه لا يأتي عن سياق الآية بأن يكون الغرض بيان أحوال جميع أفراد البشر أو المؤمنين في الأزواج (١) و الأولاد ، فإنهم إما أن يكونوا تزوجوا في الدنيا أم لا ، فعلى الأول إما يهب لهم إنثاءً مع الذكران أو بدونهم أو يهب لهم ذكراً مع الإناث و بدونهن على سبيل منع الخلو ، أو يجعلهم عقيماً لا يولد لهم ، و على الثاني يزوج المؤمنين و المؤمنات في الآخرة .

٧٩ - التهذيب : عن محمد بن الحسن الصفار ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن العباس بن موسى الوراق ، عن يونس بن عبدالرحمن ، عن أبي جريير القمي ، قال : سألت العبد الصالح عليه السلام عن النطفة ما فيها من الدية ؟ و ما في العلقة ؟ و ما في المضغة المخلفة و ما يقر في الأرحام ؟ قال : إنه يخلق في بطن أمه خلقاً من بعد خلق ، يكون نطفة أربعين يوماً ، ثم يكون علقة أربعين يوماً ، ثم مضغة أربعين يوماً ، ففي النطفة أربعون ديناراً ، و في العلقة ستون ديناراً ، و في المضغة ثمانون ديناراً ، فإذا اكتسى العظام لحماً ففيه مائة دينار ، قال الله عز وجل " ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين " فإن كان ذكراً ففيه الدية ، و إن كانت أنثى ففيها ديته .

٨٠ - معاني الاخبار : عن أبيه ، عن محمد بن يحيى العطار ، عن أحمد بن محمد (٢) عن علي بن السندي ، عن محمد بن عمرو بن سعيد ، عن أبيه ، قال : كنت عند أبي عبد الله (٣) عليه السلام حيث دخل عليه داود الرقي ، فقال له : جعلت فداك ، إن الناس يقولون إذا مضى للحمل (٤) ستة أشهر فقد فرغ الله من خلقته . فقال أبو الحسن عليه السلام : يا داود اذع ولو بشق الصفا - فقلت (٥) : و أي شيء الصفا ؟ قال : ما يخرج مع الولد - فإن

(١) الزواج (خ) .

(٢) في المصدر ، عن محمد بن أحمد .

(٣) كذا في نسخ الكتاب ، و في المصدر ، عند أبي الحسن عليه السلام .

(٤) في المصدر ، للحامل .

(٥) فيه ، فقلت جعلت فداك .

الله عز وجل يفعل ما يشاء (١) .

٨١ - الاقبال : عن الحسين بن علي عليه السلام في دعاء يوم عرفة : ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً ، وخلقنتني من التراب ، ثم أسكنتني الأضلاب ، أمنالريب المنون واختلاف الدهور ، فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم في تقادم الأيام الماضية والقرون الخالية ، لم تخرجني لرأفتك بي و لطفك لي وإحسانك إلي في دولة أيام الكفرة الذين نقضوا عهدك ، وكذبوا رسلك ، لكنك أخرجتني رافة منك وتحسناً علي للذي سبق لي من الهدى الذي (٢) يسرتني وفيه أنشأتني ، ومن قبل ذلك رؤفت بي بجميل صنعك ، و سوابغ نعمتك ، فابتدعت خلقي من مني يمى ، ثم أسكنتني في ظلمات ثلاث بين لحم وجلد و دم ، لم تشهرني بخلقى ، ولم تجعل إلي شيئاً من أمرى ثم أخرجتني إلى الدنيا تاماً سويماً ، وحفظتني في المهبط طفلاً صبيماً ، ورزقتني من الغذاء لبناً مريضاً ، وعطفت علي قلوب الحواضن ، وكفلتني الأمهات الرحائم ، وكلائتني من طوارق الجان ، وسلمتني من الزيادة والنقصان ، فتعاليت يارحيم يارحمان . حتى إذا استهللت ناطقاً بالكلام ، أتممت علي سوابغ الإيعام ، فربيتني زائداً في كل عام حتى إذا كملت فطرتي ، واعتدلت سريرتي ، أوجبت علي حجتك ، بأن ألهمتني معرفتك ، وروعتني بعجائب فطرتك ، وأنطقتني لما ذرات لي في سمائك وأرضك من بدائع خلقك ، ونبهتني لذكرك و شكرك ، و واجب طاعتك و عبادتك ، وفهمتني ما جاءت به رسلك ، و يسرت لي تقبل مرضاتك ، و مننت علي في جميع ذلك بعونك ولطفك ، ثم إذ خلقتني من حر الثرى لم ترض لي يا إلهي نعمة دون أخرى ، ورزقتني من أنواع المعاش و صنوف الرياش ، بمنك العظيم علي ، وإحسانك القديم إلي ، حتى إذا أتممت علي جميع النعم ، و صرفت عني كل النقم ، لم يمنعك جهلي و جرأتي عليك أن دللتني على ما يقر بني إليك ، ووفقتني لما يزلقني لديك - إلى آخر الدعاء - (٣) .

(١) معاني الاخبار : ٢٠٥ .

(٢) في المصدر ، فيه يسرتني .

(٣) الاقبال ، ٢٤٠ .

بيان : « ثم أسكنتني الأصلاب » أي جعلت مادة وجودي مودعة في أصلاب آبائي ، فإن نطفة كل ولد كانت في صلب والده ، وكلهم كانوا من علل وجوده . وريب المنون : حوادث الدهر ، ذكره الجوهري ، و « أمنأ » مفعول له ، أي حفظت مادة وجودي في الأصلاب لأن أمنأ من حوادث الدهر « واختلاف الدهور » وهو معطوف على « ريب » أو « المنون » والظاعن : السائر ، وقال الجوهري : قدم الشيء - بالضم - قديماً فهو قديم ، وتقادم مثله (انتهى) فهو من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف أي الأيام المتقادمة ، والخالية : الماضية . « للذي » متعلق بقوله « أخرجتني » ويحتمل أن يكون اللام للظرفية وللعلة . « الذي يسرتني » أي جعلتني قابلاً له ، كما قال تعالى « فسديسه لليسرى ^(١) » . « بين لحم وجلودم » الظاهر أنه ليس تفسيراً للظلمات الثلاث ، أي كوتني أو حال كوني بين لحم الرحم وجلدها و الدم الذي فيها ، أو كنت بين تلك الأجزاء من بدني ، والأول أظهر . « لم تشهرني بخلقي » أي لم تجعل تلك الحالات الخسيسة ظاهرة للخلق في ابتداء خلقي لأصير محقراً مهيناً عندهم ، بل سترت تلك الأحوال عنهم وأخرجتني بعد اعتدال صورتي و خروجي عن تلك الأحوال الدنية والطفل : المولود ، و الصبي : الغلام ، و هما متقاربان في المعنى ، فالصبي إما تأكيد أو إشارة إلى اختلاف مراتب المولود ، بأن يكون الطفولية قبل الصبا ، والأول أظهر إذ يطلق على المولود حين كونه في المهده طفلاً وصبياً ، فيكون الجمع بينهما إشارة إلى حالتي المولود ، فاعتبار نعومة بدنه طفل ، و باعتبار قلة عقله صبي ، فلذا قال تعالى « كيف تكلم من كان في المهده صبياً ^(٢) » وما قيل من أن الصبي أعم من الطفل لأن المولود إذا فطم لا يسمى طفلاً ، يضعفه قوله تعالى « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ^(٣) » .

قال الراغب : الصبي من لم يبلغ الحلم ، قال تعالى « كيف تكلم من كان في المهده

(١) الليل : ٧ .

(٢) مريم : ٢٩ .

(٣) النور : ٣١ .

صبيًا . و قال : الطفل : الولد مادام ناعما ، وقد يقع على الجمع ، قال تعالى « ثم يخرجكم طفلاً » وقال « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » وقد يجمع على أطفال ، قال عز وجل « و إذا بلغ الأطفال منكم الحلم ^(١) » وباعتبار النعمة قيل امرأة طفلة (انتهى) .

والغذاء : ما يتغذى به من الطعام والشراب ، والمرى إمّا من المهموز أي الموافق للطبع فخفف ، أو من المعتل من قولهم « مريت الناقة مرياً » إذا مسحت ضرعها لتدرى والمرى - على فعيل - : الناقة الكثيرة اللبن . و العطف : الشفقة و الإمالة ، يقال : عطف العود ، أي ميّله ، وعلى الأول يكون على بناء التفعيل . والحواضن : النساء اللاتي يقمن بتربية الصبيان ، والحضن مادون الإبط إلى الكشح ، وحضن الطير بيضه لأنّه يضمّه إلى نفسه تحت جناحه ، ولما كانت الأمهات يحضن الأولاد سمّين حواضن . والكافل : الحافظ لغيره ، قال تعالى « و كفلها زكرياً ^(٢) » . و « كلاًتني » أي حفظتني « من طوارق الجن » أي جماعة من الجن يطرقون بشرى على الأطفال كأُمّ الصبيان . والطارق - في الأصل - : الذي يأتي بالليل لاحتياجه إلى طرق الباب ثم استعمل في كل شئ نزل سواء كان بالليل أو بالنهار ، والمراد بالزيادة والنقصان ما يصير منهما سبباً لتشويه الخلقة وضعف البنية . والاستهلال : رفع الصوت ، واستهلال الصبي سياحه عند الولادة . وكمال الفطرة إشارة إلى قوّة الأعضاء والقوى الظاهرة ، واعتدال السريرة إلى كمال القوى الباطنة . « أوجبت » أي ألزمت وأتممت ، و « روعتني » أي أفزعنتني وخوفتني ، والعلم بعجائب الفطرة يصير سبباً للخوف للعلم بمظمة الرب سبحانه و وفور نعمه و تقصير المكلف في أداء شكره ، كما قال تعالى « إنّما يخشى الله من عباده العلماء ^(٣) » و قال « و الذين هم من خشية ربهم مشفقون ^(٤) » أو المعنى :

(١) النور ، ٥٩ .

(٢) آل عمران ، ٣٧ .

(٣) فاطر ، ٢٨ .

(٤) المؤمنون ، ٥٨ .

ألقيت في روعي أي قلبي عجائب الفطرة ، لكنّه بعيد عن الشائع في إطلاق هذا اللفظ بحسب اللغة . وقال الفيروزآبادي : الحرّ - بالضم - : خيار كل شيء ، ومن الطين والرمل الطيب ، ومن الرمل وسطه . والثرى : التراب الندي .

أقول : سيأتي شرح تلك الفقرات مستوفى عند ذكر الدعاء بتمامه في محله إن شاء الله تعالى .

٨٢ - تفسير علي بن ابراهيم : « خلق الإنسان من نقطة فإذا هو خصيم مبین » قال : خلقه من قطرة من ماء منتن فيكون خصيماً متكلماً بليغاً ^(١) .

٨٣ - ومنه : « أولم ير الإنسان أننا خلقناه من نقطة فإذا هو خصيم مبین » قال : أي ناطق عالم بليغ ^(٢) .

٨٤ - ومنه : « هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء » قال : يعني ذكراً وأنثى ، أسود وأبيض وأحمر ، صحيحاً وسقيماً ^(٣) .

٨٥ - ومنه : « ثمّ لقطنا منه الوثن » قال : عرق في الظهر يكون منه الولد ^(٤) .

٨٦ - ومنه : « إذ أتم أجنته في بطون أمهاتكم » أي مستقرين ، قوله « من نقطة إذا تمنى » قال : تتحوّل النطفة إلى الدم ، فتكون أولاً دماً ، ثمّ تصير نطفة وتكون في الدماغ في عرق يقال له الوريد ، وتمرّ في فقار الظهر ، فلا تزال تجوز فقراً فقراً حتّى تصير إلى ^(٥) الحالين فتصير أبيض ، وأمّا نطفة المرأة فإنّها تنزل من صدرها ^(٦) .

(١) تفسير القمي ، ٣٥٧ .

(٢) التفسير ، ٥٥٣ .

(٣) > ، ٨٧ .

(٤) > ، ٦٩٥ .

(٥) في المصدر : في .

(٦) تفسير القمي ، ٦٥٥ .

- بيان : قال الجوهري : الحالبان عرقان مكتنفان بالسرة .
- ٨٧ - التفسير : « لم يكن شيئاً مذكورا » قال : لم يكن في العلم ولا في الذكر (١) .
- ٨٨ - وفي حديث آخر : كان في العلم ولم يكن في الذكر . « بتليه » أي نخبره (٢) .
- ٨٩ - وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله « أمشاج » قال : ماء الرجل وماء المرأة اختلطا جميعاً (٣) .
- بيان : « لم يكن في العلم » أي علم الملائكة .
- ٩٠ - التفسير : « مخلقة وغير مخلقة » قال : المخلقة إذا صارت دماً ، وغير المخلقة قال : السقط (٤) .
- ٩١ - وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام « لنبيين لكم » أنكم كنتم كذلك في الأرحام « ونقر في الأرحام ما نشاء » فلا يخرج سقطاً (٥) .
- ٩٢ - حدثنا محمد بن جعفر ، عن محمد بن أحمد ، عن العباس ، عن ابن أبي نجران عن محمد بن القاسم ، عن علي بن المغيرة ، عن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام قال : إذا بلغ العبد مائة سنة فذلك أرذل العمر (٦) .
- بيان : لا يبعد أن يكون « دماً » تصحيف « تاماً » .
- ٩٣ - التفسير : « إننا خلقناهم مما يعلمون » قال : من نطفة ثم من علقه (٧) .
- ٩٤ - ومنه : « خلق الإنسان من علق » قال : من دم (٨) .

(٢١) التفسير ، ٧٠٦ .

(٣) التفسير ، ٧٠١ .

(٥) التفسير ، ٤٣٥ .

(٦) تفسير القمي ، ٤٣٥ .

(٧) التفسير ، ٦٩٦ .

(٨) ، ٧٣١ .

٩٥ - مجمع البيان : روي أن ابن سوريا وجماعة من يهود فندك لما قدموا النبي ﷺ إلى المدينة سألوه فقالوا : يا محمد! كيف نومك ؟ فقد أخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان . فقال : تنام عيناوي وقلبي يقظان . قالوا : صدقت يا محمد ! فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو المرأة ؟ فقال : أمّا العظام والعصب والعروق فمن الرجل ، وأمّا اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة ، قالوا : صدقت يا محمد ! فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء ، أو يشبه أخواله وليس فيه من شبه أعمامه شيء ؟ فقال : أيهما علا ماؤه كان الشبه له . قالوا : صدقت يا محمد ! قالوا : أخبرنا عن ربك ما هو ؟ فأنزل الله : قل هو الله أحد إلى آخر السورة (١) - الخبر - .

٩٦ - الكافي : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : رجل ذهب . إحدى بيضتيه فقال : إن كانت اليسار ففيها الدية ، قلت : ولم ؟ أليس قلت : ما كان في الجسد اثنان ففيه (٢) نصف الدية ؟ قال : لأن الولد من البيضة اليسرى (٣) .

٩٧ - الفقيه : بإسناده عن أبي يحيى الواسطي رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال : الولد يكون من البيضة اليسرى ، فإذا قطعت ففيها ثلثا الدية ، وفي اليمنى ثلث الدية (٤) .

بيان : قال الشهيد الثاني - قدس سره - : انحصار التولد في الخصية اليسرى قد أنكره بعض الأطباء ، ونسبه الجاحظ في حياة الحيوان إلى العامة ، ولو صح نسبته إليهم ﷺ لم يلتفت إلى إنكار منكره (انتهى) .

واقول : هذا شيء لا يمكن العلم به غالباً إلا من طريق الوحي والإلهام ، و التجربة قاصرة عنه ، مع أنه يمكن أن يحمل على أن اليسرى أدخل في ذلك .

٩٨ - توحيد المفضل : نبتدىء بذكر خلق الإنسان فاعتبر به ، فأول

(١) مجمع البيان ، ج ٣ ص ١٩٣ .

(٢) في المصدر : ففي كل واحد نصف الدية .

(٣) الكافي ، ج ٧ ، ص ٣١٥ .

(٤) من لا يحضره الفقيه ، ٥١١ .

ذلك ما يدبر به الجنين في الرحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء، ولا دفع أذى، ولا استجلاب منفعة، ولا دفع مضرة، فإنه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاءه حتى إذا كمل خلقه، واستحكم بدنه، وقوي أديمه على مباشرة الهواء، وبصره على ملاقاته الضياء، هاج الطلق بأُمّه فأزعجه أشدّ إزعاج وأعنفه حتى يولد، وإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمّه إلى ثدييها، فانقلب الطعام واللون إلى ضرب آخر من الغذاء، وهو أشدّ موافقة للمولود من الدم، فيوافق في وقت حاجته إليه، فحين يولد قد تلمظ وحرك شفتيه طلباً للرضاع، فهو يجد ثديي أمّه كالأوتين المعلقين لحاجته، فلا يزال يعتدي باللبن مادام رطب البدن رقيق الأمعاء لين الأعضاء، حتى إذا تحرك واحتاج إلى غذاء في صلابة ليشتدّ ويقوى بدن طلعت له الطواحن من الأسنان والأضراس لي مضغ به الطعام، فيلين عليه ويسهل له إساغته فلا يزال كذلك حتى يدرك، فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه، فكان ذلك علامة الذكر وعزّ الرجل الذي يخرج به عن حدّ الصبا وشبه النساء، وإن كانت أنثى يبقى وجهها نقياً من الشعر لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرك الرجال لما فيه دوام النسل وبقاؤه.

اعتبر يا مفضل في ما يدبر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة، هل ترى يمكن أن يكون بالإهمال؟ أفرأيت لولم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم ألم يكن سينوى ويجفّ كما يجفّ النبات إذا فقد الماء؟ ولولم يزعج المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم كالموؤود في الأرض؟ ولولم يوافق اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً أو يعتدي بغذاء لا يلائمه ولا يصلح عليه بدنه؟ ولولم تطلع عليه الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وإساغته، أو يقيم على الرضاع فلا يشتدّ بدنه ولا يصلح لعمل، ثم كان تشتغل أمّه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد؟ ولولم يخرج الشعر في وجهه [في وقتها] ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء، فلا ترى له جلاله وقاراً؟

فقال المفضل : فقلت : يا مولاي ! فقد رأيت من ببقى على حالته ولا ينبت الشعر في وجهه وإن بلغ حال الكبر . فقال : ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد ، فمن هذا الذي يرصدته حتى يوافيه بكل شيء من هذه المآرب إلا الذي أنشأه خلقاً بعد أن لم يكن ، ثم توكل له بمصلحته بعد أن كان ؟ فإن كان الإهمال يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتیان بالخطأ والمحال ، لأنهما ضد^(١) الإهمال . وهذا فطيع من القول وجهل من قائله ، لأن الإهمال لا يأتي بالصواب ، والتضاد لا يأتي بالنظام ، تعالی الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً .

ولو كان المولود يولد فهماً عاقلاً لأنكر العالم عند ولادته ، ولبقي حيران تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير إلى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة و يوماً بعد يوم . واعتبر ذلك بأن من سبي من ولد إلى بلد وهو عاقل يكون كالواله الحيران ، فلا يسرع في تعلم الكلام وقبول الأدب كما يسرع الذي يسبي صغيراً غير عاقل . ثم لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مرضعاً معصباً بالخرق مسجى في المهد ، لأنه لا يستغني عن هذا كله لرقه بدنه و رطوبته حتى يولد ، ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل ، فصار يخرج إلى الدنيا غيباً غافلاً عما فيه أهله ، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة . ثم لا يزال يتزايد^(٢) في المعرفة قليلاً قليلاً و شيئاً بعد شيء و حالاً بعد حال حتى يألف الأشياء ويتمرن ويستمر عليها ، فيخرج من حد التأمل بها والحيرة فيها إلى التصرف والاضطراب إلى المعاش بعقله و حيلته و إلى الاعتبار والطاعة و السهو و الغفلة [والمعصية] .

وفي هذا أيضاً وجوه أخر ، فإنه لو كان يولد تاماً العقل مستقلاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد ، وما قدر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة و ما يوجب التربية للأباء على الأبناء من المكافأة بالبر و العطف عليهم عند حاجتهم

(١) ضد الإهمال (ظ) .

(٢) يتزايد (خ) .

إلى ذلك منهم . ثم كان الأولاد لا يألون آباءهم ولا يألوا آباء أبناءهم ، لأن الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياتهم ، فيتفرقون عنهم حين يولدون ، فلا يعرف الرجل أباه وأمه ، ولا يتمتع من نكاح أمه وأخته وذوات المحارم منه ، إذ كان لا يعرفهن ، وأقل ما في ذلك من القباحة ، بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع لو خرح المولود من بطن أمه وهو يعقل أن يرى منها ما لا يحل له ولا يحسن به أن يراه . أفلا ترى كيف اقيم كل شيء من الخلقة على غاية الصواب ، وخلا من الخطاء دقيقه وجليله ؟

اعرف يا مفضل ما للأطفال في البكاء من المنفعة ، واعلم أن في أدمغة الأطفال رطوبة إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلاً وعللاً عظيمة من زهاب البصر وغيره فالبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم . أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء والداة لا يعرفان ذلك ، فهما دائبان ليسكتانه ، ويتوخيان في الأمور مرضاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان أن البكاء أصلح له وأجمل عاقبة ؟ فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال ، ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنه لامنفعة فيه من أجل أنهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه ، فإن كل ما لا يعلمه المنكرون يعلمه العارفون وكثيراً ما يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته .

فأمّا ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة ، كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حدّ البله والجنون والتخليط إلى غير ذلك من الأمراض المتلفة كالفالج واللقوة وما أشبههما ، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحة في كبرهم ، ففضل على خلقه بما جهلوه ، ونظر لهم بما لم يعرفوه ، ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن التماذي في معصيته . فسبحانه ! ما أجل نعمته وأسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه ! و تعالى عما يقول المبطلون علواً كبيراً .

اقول : قد مر شرحه و تمامه في كتاب التوحيد .

٩٩ - العلل : عن علي بن حاتم ، عن إسماعيل بن علي بن قدامة ، عن أحمد ابن علي بن ناصح ، عن جعفر بن محمد الأرمي ، عن الحسن بن عبد الوهاب ، عن علي بن حديد المدائني ، عن حدثه ، عن المفضل بن عمر ، قال : سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن الطفل يضحك من غير عجب و يبكي من غير ألم ، فقال : يا مفضل ! ما من طفل إلا وهو يرى الإمام ويناجيه ، فبكاؤه لغيبة الإمام عنه ، و ضحكه إذا أقبل إليه ، حتى إذا أطلق لسانه أغلق ذلك الباب عنه ، و ضرب على قلبه بالنسيان ^(١) .
بيان : لا استبعاد في ظاهر الخبر مع صحته ، و يحتمل أن يكون المراد برؤية الإمام و مناجاته توجهه و شمول شفاعته و لطفه و دعائه له ، فإن لهم تصرفاً في العوالم يقصر العقل عن إدراكه .

١٠٠ - التوحيد : عن القاسم بن محمد السراج ، عن جعفر بن محمد بن موسى ^(٢) عن محمد بن عبد الله بن هارون الرشيد ، عن محمد بن أكرم ^(٣) بن أبي إياس ، عن ابن أبي زئب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تضربوا أطفالكم على بكائهم ^(٤) فإن بكاءهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلا الله ، و أربعة أشهر الصلاة على النبي و آله ، و أربعة أشهر الدعاء لوالديه ^(٥) .

بيان : يحتمل أن يكون المراد بالخبر مع ضعفه أن لوالديه ثواب هذه الأذكار و الأدعية ، فينبغي أن لا يملأوا ولا يضربوهم . و قال بعض المحققين : السر فيه أن الطفل أربعة أشهر لا يعرف سوى الله عز وجل الذي فطر على معرفته و توحيده ، فبكاؤه توسل إليه و التجاء به سبحانه خاصة دون غيره ، فهو شهادة له بالتوحيد ، و أربعة أشهر يعرف أمه من حيث إنشائها وسيلة لاغتذائه فقط لا من حيث إنشائها أمه ، و لهذا يأخذ

(١) علل الشرائع ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

(٢) كذا في نسخ الكتاب ، وفي المصدر ، جعفر بن محمد بن إبراهيم السرندي .

(٣) في المصدر ، محمد بن آدم .

(٤) البكاء (خ) .

(٥) التوحيد ، ٢٤٢ .

اللبن من غيرها أيضاً في هذه المدّة غالباً ، فلا يعرف فيها بعد الله إلا من كان وسيلة بين الله و بينه في ارتزاقه الذي هو مكلف به تكليفاً طبيعياً من حيث كونها وسيلة لا غير وهذا معنى الرسالة ، فبكاؤه في هذه المدّة بالحقيقة شهادة بالرسالة ، و أربعة أخرى يعرف أبويه و كونه محتاجاً إليهما في الرزق ، فبكاؤه فيها دعاء لهما بالسلامة و البقاء في الحقيقة .

١٠١ - الدر المنثور : عن ابن عباس ، قال : حضرت عصابة من اليهود نبيّ الله ﷺ فسألوه عن مسائل ، فكان في ما سألوه : كيف ماء الرجل من ماء المرأة ؟ وكيف الأنثى منه و الذكر ؟ فقال : إن ماء الرجل أبيض غليظ ، و إن ماء المرأة أصفر رقيق فأيتهما علا كان له الولد و الشبه بإذن الله تعالى ، إن علاماء الرجل كان ذكراً بإذن الله و إن علاماء المرأة كان أنثى بإذن الله [تعالى] .

١٠٢ - و عن أنس ، قال : سألت عبد الله بن سلام النبي ﷺ فقال : ما ينزع الولد إلى أبيه و إلى أمه ؟ قال : أخبرني جبرئيل أنه إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد ، و إذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها .

١٠٣ - و عن ابن عباس ، في قوله تعالى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » قال : خلقوا في ظهر آدم ثم صوروا في الأرحام (١) .

١٠٤ - وفي رواية أخرى عنه : خلقوا في أصلاب الرجال ، ثم صوروا في أرحام النساء (٢) .

١٠٥ - وفي رواية أخرى عنه قال : أمّا قوله « خلقناكم » فآدم ، و أمّا « صورناكم » فندرتته (٣) .

١٠٦ - و عن أبي سعيد الخدري ، قال : سمعت النبي ﷺ سئل عن العزل فقال : لا عليكم أن تفعلوا ، إن يكن مما أخذ الله منها الميثاق فكانت على الصخرة نفتح

(١ و ٢) الدر المنثور : ج ٣ ، ص ٧٢ .

(٣) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٧٢ .

فيه الروح (١) .

١٠٧ - وعن ابن مسعود أنه سئل عن العزل فقال : لو أخذ الله ميثاق نسمة من صلب رجل ثم أفرغه على صفا لأخرجه من ذلك الصفا ، فإن شئت فاعزل و إن شئت لا تعزل (٢) .

١٠٨ - وعن ابن عباس في قوله تعالى « من سلالة » قال : السلالة صفر الماء الرقيق الذي يكون منه الولد (٣) .

١٠٩ - وعن ابن عباس - مرفوعاً - : النطفة التي يخرج منها الولد ترعد لها الأعضاء والعروق كلها إذا خرجت وقعت في الرحم (٤) .

١١٠ - وعن علي عليه السلام قال : إذا نمت النطفة أربعة أشهر بعث إليها ملك فنفخ فيها الروح في الظلمات الثلاث ، فذلك قوله « ثم أنشأناه خلقاً آخر » يعني نفخ الروح (٥) .

١١١ - وعن ابن عباس في قوله « ثم أنشأناه خلقاً آخر » يقول : خرج من بطن أمه بعد ما خرج ، فكان من بدء خلقه الآخر أن استهل ، ثم كان من خلقه أن دل (٦) على ندي أمه ، ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجله ، إلى أن قعد ، إلى أن حبا إلى أن قام على رجله ، إلى أن مشى ، إلى أن فطم ، فعلم كيف يشرب و يأكل من الطعام إلى أن بلغ الحلم ، إلى أن بلغ ، إلى أن يتقلب في البلاد (٧) .

١١٢ - وعن قتادة ، « ثم أنشأناه خلقاً آخر » قال : يقول بعضهم هو نبات الشعر و بعضهم يقول هو نفخ الروح (٨) .

١١٣ - وعن حذيفة بن أسيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعة أو بخمسة و أربعين ليلة : أي رب أشقي أم سعيد؟ أذكر أم أنثى؟ فيقول الله و يكتبان ، ثم يكتب عمله و رزقه و أجله و أثره و مصيبيته

(١) الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .

(٢) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٦ .

(٣) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٧ .

(٤) في المصدر ، دله .

(٥) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ٧ .

ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد فيها ولا ينقص منها (١) .

١١٤ - وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: إذا مكث المنبيء في الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس فخرج به إلى الرب ، فيقول : يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما هو قاضٍ ، فيقول : أشقي أم سعيد؟ فيكتب ما هو لاقٍ . وقرأ أبو ذر من فاتحة التغابن خمس آيات إلى قوله « وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير » (٢) .

١١٥ - وعن عبد الله بن مسعود قال : إذا جنناكم بحديث أتيناكم بتصديقه من كتاب الله . إن النظفة تكون في الرحم أربعين ، ثم تكون علقة أربعين ، ثم تكون مضغة أربعين ، فإذا أراد الله أن يخلق الخلق نزل الملك فيقول له : اكتب ، فيقول : ما ذا أكتب؟ فيقول: شقياً (٣) أو سعيداً ، ذكراً أو أنثى ، ومارزقه وأثره وأجله، فيوحى الله بما يشاء ويكتبه الملك . ثم قرأ عبدالله : « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج بئليه » ثم قال عبدالله : أمشاجها عروقها (٤) .

١١٦ - وعن ابن عباس ، في قوله « من نطفة أمشاج » قال : ماء الرجل وماء المرأة حين يختلطان (٥) .

١١٧ - وعن ابن عباس ، أن نافع بن الأزرق قال له : أخبرني عن قوله « من نطفة أمشاج » قال : اختلاط ماء الرجل وماء المرأة إذا وقع في الرحم . قال : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم ، أماسعت أبا ذؤيب وهو يقول :

كأن الريش والفوقين منه خلال النسل خالطه مشيج (٦)

١١٨ - وعن ابن عباس في قوله « من نطفة أمشاج » قال : مختلفة الألوان (٧) .

(١) الدر المنثور ، ج ٤ ، ص ٣٤٥ (مقطاً) .

(٢) > > ج ٦ ، ص ٢٢٧ .

(٣) في المصدر : اكتب شقياً ..

(٤-٦) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٩٧ .

(٧) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٩٨ .

١١٩ - وعن مجاهد « من نطفة أمشاج » قال: ألوان ، نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء (١) .

١٢٠ - وعن قتادة « إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه » قال: طوراً نطفة وطوراً علقة ، وطوراً مضغة ، وطوراً عظماً ، ثم كسونا العظام لحماً ، وذلك أشد ما يكون إذا كسى اللحم « ثم أنشأناه خلقاً آخر » قال : أنبت له الشعر « فتبارك الله أحسن الخالقين » فأبأه الله مما خلقه وأبناه ، إنما بين ذلك ليبتليه بذلك ، ليعلم كيف شكره ومعرفته لحقه ، فبين الله له ما أحل له وما حرم عليه ، ثم قال « إنا هديناه السبيل إما شاكراً - لنعم الله - وإما كفوراً - بها - (٢) » .

١٢١ - وعن عكرمة في قوله « أمشاج » قال : الظفر والعظم والعصب من الرجل واللحم والدم والشعر من المرأة (٣) .

١٢٢ - وعن مالك بن الحويرث قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أراد الله أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة طارهاؤه في كل عرق وعصب منها ، فإذا كان اليوم السابع أحضر الله له كل عرق بينه وبين آدم ، ثم قرأ « في أي صورة ماشاء ربك (٤) » .

١٢٣ - وعن مجاهد « في أي صورة ماشاء ربك » قال : إما قبيحاً وإما حسناً ، و شبه أب أو أم أو خال أو عم (٥) .

١٢٤ - وعن علي بن رباح ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبي ﷺ قال له : ما ولد لك ؟ قال : يارسول الله ! ما عسى أن يولد لي ؟ إما غلام وإما جارية . قال : فمن يشبه ؟ قال : يارسول الله ! ما عسى أن يشبه ؟ إما أباه وإما أمه . فقال : لا تقولن هذا إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم ، فرب خلقه في صورة من تلك الصور ، أما قرأت هذه الآية في كتاب الله « في أي صورة ماشاء ربك » من نسبك ما بينك وبين آدم (٦) .

(١-٣) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٩٨

(٤) المصدر ، ج ٦ ، ص ٣٢٣ .

(٥ و ٦) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٣٢٣ .

- ١٢٥ - وعن ابن أبي حاتم في قوله « يخرج من بين الصلب والترائب » قال صلب الرجل وترائب المرأة ، لا يكون الولد إلا منهما (١) .
- ١٢٦ - وعن ابن أبي ، قال : الصلب من الرجل، والترائب من المرأة (٢) .
- ١٢٧ - وعن ابن عباس « يخرج من بين الصلب و الترائب » قال : ما بين الجيد والنحر (٣) .
- ١٢٨ - وعن مجاهد ، قال : الترائب أسفل من التراقي (٤) .
- ١٢٩ - وعن ابن عباس في قوله « و الترائب » قال : تربية المرأة ، وهو موضع القلادة (٥) .
- ١٣٠ - وعن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله عز وجل « يخرج من بين الصلب والترائب » قال : الترائب موضع القلادة من المرأة . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول الشاعر :
- و الزعفران على ترائبها ✽ شرقا به اللبات و النحر (٦)
- ١٣١ - وعن عكرمة ، أنه سئل عن قوله « يخرج من بين الصلب و الترائب » قال : صلب الرجل وترائب المرأة ، أما سمعت قول الشاعر :
- نظام اللؤلؤ على ترائبها ✽ شرقا به اللبات و النحر (٧)
- ١٣٢ - وعن ابن عباس ، قال : الترائب بين ثديي المرأة (٨) .
- ١٣٣ - وعن سعيد بن جبير ، قال : الترائب الصدر (٩) .
- وعن عكرمة وابن عياض مثله (١٠) .
- ١٣٤ - وعن ابن عباس ، قال : الترائب أربعة أضلاع من كل جانب من أسفل الأضلاع (١١) .

(٧-١) المصدر : ج ٦ ، ص ٣٢٦

(٨) لم نجد هذه الرواية في الدر المنثور .

(٩-١١) الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٣٣٦ .

١٣٥ - وعن الأعمش ، قال : يخلق العظام والعصب من ماء الرجل ، و يخلق اللحم والدم من ماء المرأة (١) .

١٣٦ - وعن قتادة في قوله « يخرج من بين الصلب و الترائب » قال : يخرج من بين صلبه و نحره « إنّه على رجعه لقادر » قال : إن الله على بعثه و إعادته لقادر « يوم تبلى السرائر » قال : إن هذه السرائر مختبرة ، فأسرّوا خيراً و أعلنوه « فماله من قوّة » يمتنع بها « ولا ناصر » ينصره من الله (٢) .

١٣٧ - و عن ابن عباس في قوله « إنّه على رجعه لقادر » قال : أن يجعل الشيخ شاباً ، و الشاب شيخاً (٣) .

١٣٨ - وعن مجاهد « إنّه على رجعه لقادر » قال : على رجع النطفة في الإحليل (٤) .
بيان : قوله « كأنّ الريش ... » اقول : أورد الجوهرى البيت هكذا :
كأنّ النصل و الفوقين منها ✽ خلال الريش سيط به المشيخ

فائدة

قال بعض المحققين : مبدأ عقد الصورة في منى الذكر ، و مبدأ انعقادها في منى الأنثى ، و هما بالنسبة إلى الجنين كالأنفحة و اللبنة بالقياس إلى الجبن . و قيل : إن لكل من المنيين قوّة عاقدة و قابلة و إن كانت العاقدة في الذكورى أقوى و المنعقدة في الأنثوى أقوى ، و رجح ذلك بأنّه لو لم يكن كذلك لم يمكن أن يتحدوا شيئاً واحداً و لم ينعقد منى الذكر حتى يصير جزءاً من الولد . و قال بعضهم : و لهذا إذا كان مزاج الأنثى قوياً ذكورياً كما تكون أمزجة النساء الشريفة النفس ، القويّة القوى ، و كان مزاج كبدها حاراً كان المنى المنفصل من الكلية اليمنى مقام منى الرجل في شدة قوّة العقد ، و المنفصل من اليسرى مقام منى الأنثى في قوّة الانعقاد ، فينخلق الولد بإذن الله ، و خصوصاً إذا كانت النفس متأيدة بروح القدس متقوّمة به بحيث يسري اتصالها به إلى الطبيعة و البدن ، و يغيّر المزاج ، و يمدّ بجميع القوى في أفعالها بالمدد الروحاني

قتصير أقدر على أفعالها بما لا ينضب بالقياس ، كما وقع للصديقة مريم بنت عمران على نبينا وآله وعلى ابنها وعليها السلام حيث تمثل لها روح القدس بشراً سوى الخلق حسن الصورة ، فتأثر نفسها به فتحركت على مقتضى الجبلة ، و سرى الأثر من الخيال في الطبيعة ، فتحركت شهوتها فأنزلت ، كما يقع في المنام من الاحتلام (انتهى) .

و أقول : قد مر أن نفوذ إرادة الله سبحانه وقدرته في أمر لا يتوقف على حصول تلك الأسباب العادية ، حتى يتكلف أمثال تلك التكاليف التي ربما انتهى القول به إلى نسبة أمور إلى النساء المقدسات المطهرات لا يرضى الله بها ، والكف عنها أحوط وأحرى .

ثم قالوا : ابتداء خلقة الجنين ^(١) هو حصول الماء في الرحم ، وشبهه بالعجين إذا ألصق بالتنور ، ثم يتغير عن حاله قليلاً ويشبه بالبند إذا طرح في الأرض ويسمى نطفة ، ثم تحصل فيه نقط دموية من دم الحيض و يسمى علقة ، ثم يظهر فيه حرمة ظاهرة منه فيصير شبيهاً بالدم الجامد ، و يعظم قليلاً ، و يهبج فيه ريح حارة و يسمى مضغة ثم يتم و يتميز فيه الأعضاء الرئيسة الثلاثة ^(٢) و يظهر لسائر الأعضاء رسوم خفية و يسمى جنيناً ، ثم يظهر فيه رسوم سائر الأعضاء و يقوى ويصلب ويجري فيه الروح و يتحرك و يسمى صبيهاً ، ثم تنفصل الرسوم و تظهر الصورة وينبت الشعر ، ثم ينفتح لسانه و تتم خلقته . وتكمل خلقة الذكر قبل خلقة الأنثى ، و إذاكمل لم يكتف بما

(١) و الذي ثبت في علم الفسيولوجيا أن في منى الرجل حيوانات صغيرة جداً تسمى اسبرماتزوئيد ، وأن المرأة تبيض كل شهر في الرحم وتخرج بيضاتها بدم الحيض ، فاذا وصل منى الرجل باحدى تلك البيضات اجتمع الاسبرماتزوئيدات حولها و دخل اقويها فيها و ربما دخل الاثنان او اكثر مما فيتمدد الجنين و عندئذ يحصل للبيضة حالة لا يمكن معها دخول سائر الاسبرماتزوئيدات ، وبعد ذلك لا يزال ينشأ وينمو و يتزايد بصيرورته بالانفصال اثنين ثم اربعة وهكذا ، ثم يظهر فيه نقطتان حمراوان احدهما موضع القلب والاخرى موضع المخ ، ثم يظهر رسوم الاعضاء ثم سورها حتى يكتمل جميع الاعضاء وينفخ فيها الروح .

(٢) دهي القلب والكبد والمخ

يجيئه من الغذاء من دم الحيض ، فيتحرك حركات صعبة قويّة ، واتهكت رباطات الرحم ، فكانت الولادة .

وقال بعضهم : الرحم موضوعة في ما بين المثانة والمعى المستقيم ، وهي مربوطة برباطات على هيئة السلسلة ، وجسمها عصبيّ ليتمكن امتدادها واتساعها وقت الولادة والحاجة إلى ذلك ، وتنضمّ إذا استغنت ، ولها بطنان ينتهيان إلى فم واحد ، وزائدتان تسميان قرني (١) الرحم ، وخلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة ، وهما أصغر من بيضتي الرجل وأشدّ تفرطحاً (والمفرطح : العريض) ومنهما ينصبّ مني المرأة إلى تجويف الرحم ، وللرحم رقبة منتهية إلى فرج المرأة ، وتلك الرقبة من المرأة بمنزلة الذكر من الرجل ، فإذا امتزج مني الرجل بمني المرأة من تجويف الرحم كان العلوق ، ثم ينمى من دم الطمث ، ويتصل بالجنين عروق تأتي إلى الرحم فتغذوه حتى يتمّ ويكمل فإذا لم يكنف بما يجيئه من تلك العروق يتحرك حركات قويّة طلباً للغذاء ، فيهتك أربطة الرحم التي قلنا إنها على هيئة السلسلة ويكون منها الولادة (انتهى) .

واعلم أنهم اتفقوا على أن المنى يتولد من فضلة الهضم الرابع في الأعضاء ، قال بقراط في كتابه في المنى : إن جمهور مادة المنى هو من الدماغ ، فإنه ينزل منه إلى العرقين اللذين خلف الأذنين ، ثم منهما إلى النخاع لثلاثي يبعد من الدماغ وما يشبهه مسافة طويلة فيغير مزاجه ، ثم منه إلى الكليتين بعد نفوذه في العرقين الطالعين المتشعبين من الأجوف إلى العروق التي تأتي الأثنين ، ولهذا قيل : إن قطعهما يقطع النسل . ونقل الطبري عن بقراط أن الصقالبه إذا أرادوا أن يرتبوا (٢) أولادهم للدعوة أو للناموس بتروا منهم هذين العرقين ، فينقطع هذا المقطوع العرق عن الجماع ويصير بصورة النساء ، فيتبركون به ويتوسلون به إلى الله تعالى ، ويرون أن دعاءه مستجاب وأن الله قد اصطفاه واختاره وطهره من الخبائث ! وجالينوس أنكر ذلك وخطأ قول بقراط .

(١) قرطى الرحم (خ) .

(٢) يربوا (ظ) .

وقال الشيخ : أنا أرى أن المنى ليس يجب أن يكون من الدماغ وحده ، وإن كانت خميرته منه ، و صح ما يقوله بقراط من أمر العرقين ، بل يجب أن يكون له من كل عضو رئيس عين ، و من الأعضاء الأخرى ترشح أيضاً إلى هذه الأصول .
وقال القرشي في شرح القانون : إنما يكون تولد المنى من الرطوبة المبتوثة على الأعضاء كالطل ، و معلوم أنه ليس في كل عضو من الأعضاء مجرى يسيل فيه ما هناك من تلك الرطوبة إلى الأثنين ثم إلى القضيب ، فلا يمكن أن يكون وصولها إلى هناك إلا بأن تتبخّر تلك الرطوبة من الأعضاء حتى تتصعد إلى الدماغ ، و هناك تفارقها الحرارة المتبخّرة فتبرد و تتكاثف و تعود إلى قوامها قبل التبخر ، ثم من هناك ينزل إلى العروق التي خلف الأذنين و ينفذ إلى النخاع في عروق هناك لئلا يتغيّر عن التمدل الذي أفاده الدماغ ، فلا يتبخّر بالحرارة كرهة أخرى ، فإذا نزلت من هناك حتى وصلت إلى قرب الأثنين صادف هناك عروقاً واصلت من الكليتين إلى الأثنين ، و تلك العروق مملوءة من الدم ، فتسخن في الكليتين و تعدل ، فيحيله ذلك النازل من الدماغ إلى مشابهه بعض الاستحالة ، ثم بعد ذلك ينفذ إلى الأثنين و يكمل فيهما تعدله و يياضه و نضجه ، و منهما يندفع إلى أوعيته .

و أيد ذلك بما نقل من كتاب منسوب إلى هرمس في سر الخليقة قد فسرته بليين و هو أن المنى إذا خرج من معارنه عند الجماع ائتلف بهضه إلى بعض و سما إلى الدماغ و أخذ الصورة منه ، ثم نزل في الذكر و خرج منه .

وقال شارح الأسباب : مادة المنى يأتي من الكبد إلى الكليتين في شعب من الأجوف النازل ، و يتصفى فيهما من المائية ، ثم منهما إلى المجرى الذي بينهما و بين الأثنين ، و هو عرق كثير المعاطف و الاستدارات لطول المسافة بينهما فينضج فيه المنى و يبيض بعد احراره ، ثم منه إلى الأثنين ، فهما يعينان على تمام تكوّن المنى بإسخانها الدم النافذ في هذه العروق (انتهى) .

وقالوا : وبت من الأثنين وعاءان مثل البربخين شبيهين بجوهر الأثنين يصعدان أولاً إلى العانة و إلى معلق البيضتين ، ثم ينزلان متوربين إلى عنق المثانة أسفل من

مجرى البول ، ثم يتصلان إلى المجرى الذي في أصل القضيب ، ويسمى هذان الوعاءان أوعية المنى ، وهذان في الرجال أطول وأوسع منهما في النساء . وفي القضيب مجارى ثلاثة : مجرى المنى ، ومجرى البول ، ومجرى الودي ، كذا ذكر الشيخ في القانون . وقال صاحب ترويح الأرواح : في القضيب مجريان : أحدهما مجرى البول و الودي و الآخر مجرى المنى . و كلامهم في ذلك كثير اكتفينا بذلك لتطلع في الجملة على بعض مصطلحاتهم فتستعملها في فهم مامر و سيأتي من الآيات و الأخبار ، والله يعلم حقائق الأمور .

و في القاموس : البربخ منفذ الماء ومجراه ، وهو الوردية و البالوعة من الخزف .

❖ (بسمه تعالى) ❖

إلى هنا تم الجزء الرابع من المجلد الرابع عشر - كتاب السماء و العالم - من بحار الأنوار ، و هو الجزء المتمم للستين حسب تجزئتنا من هذه الطبعة البهية . وقد قابلناه على النسخة التي صححها الفاضل الخبير الشيخ محمد تقي اليزدي ، بما فيها من التعليق و التنميق والله ولي التوفيق .

محمد الباقر اليزدي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله كما هو أهله ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله و
الصلاة والسلام على رسوله وآله .

و بعد : فقد بذلنا غاية المجهود في تصحيح هذا الجزء من كتاب
« بحار الأنوار » - وهو الجزء المتمم للسنتين حسب تجزئتنا في هذه
الطبعة - و تميقه و التعليق عليه و مقابلته بالنسخ و المصادر . نشكر الله
تعالى على ما وفقنا لذلك و تسألُه أن يديم توفيقنا و يزدنا من فضله والله
ذوالفضل العظيم .

قم المشرفة : محمد تقي المصباح اليزدي

﴿ مراجع التصحيح و التخريج و التعليق ﴾

قوبل هذا الجزء بعدة نسخ مطبوعة و مخطوطة ، منها النسخة المطبوعة بطهران سنة (١٣٠٥) المعروفة بطبعة أمين الضرب ، و منها النسخة المطبوعة بتبريز و منها النسخة المخطوطة النفيسة لمكتبة صاحب الفضيلة السيد جلال الدين الأرموي الشهير بـ « المحدث » و اعتمدنا في التخريج و التصحيح و التعليق على كتب كثيرة نسردها بعض أساميتها :

- ١ - القرآن الكريم .
 - ٢ - تفسير علي بن إبراهيم القمي
 - ٣ - تفسير فرات الكوفي
 - ٤ - تفسير مجمع البيان
 - ٥ - تفسير أنوار التنزيل للقاضي البضاوي
 - ٦ - تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي
 - ٧ - الاحتجاج للطبرسي
 - ٨ - أصول الكافي للكليني
 - ٩ - الأقبال للسيد بن طاوس
 - ١٠ - تنبيه الخواطر لورام بن أبي فراس
 - ١١ - التوحيد للصدوق
 - ١٢ - نواب الأعمال للصدوق
 - ١٣ - الخصال
 - ١٤ - الدر المنثور للسيوطي
 - ١٥ - روضة الكافي للكليني
- | | | | | |
|--|---------|-----|----|----------|
| | المطبوع | سنة | في | |
| | » | » | » | ايران |
| | » | » | » | النجف |
| | » | » | » | طهران |
| | » | » | » | استانبول |
| | » | » | » | » |
| | » | » | » | النجف |
| | » | » | » | طهران |
| | » | » | » | » |
| | » | » | » | » |
| | » | » | » | » |
| | » | » | » | » |
| | » | » | » | طهران |

- ١٦ - علل الشرائع للصدوق المطبوع سنة ١٣٧٨ في قم
- ١٧ - عيون الأخبار » » » »
- ١٨ - فروع الكافي للكليني » » » »
- ١٩ - المحاسن للبرقي » » » » طهران
- ٢٠ - معاني الاخبار للصدوق » » » » ١٣٧٩ »
- ٢١ - مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب » » » » ١٣٧٨ قم
- ٢٢ - من لا يحضره الفقيه للصدوق » » » » ١٣٧٦ طهران
- ٢٣ - نهج البلاغة للشريف الرضي » » » » مصر
- ٢٤ - أسد الغابة لعز الدين ابن الأثير » » » » طهران
- ٢٥ - تنقيح المقال للشيخ عبدالله المامقاني » » » » ١٣٥٠ النجف
- ٢٦ - تهذيب الاسماء و اللغات للحافظ محيي الدين بن شرف النورى المطبوع في مصر
- ٢٧ - جامع الرواة للاردبيلي المطبوع سنة ١٣٣١ في طهران
- ٢٨ - خلاصة تذهيب الكمال للحافظ الخزرجي » » » » ١٣٢٢ مصر
- ٢٩ - رجال النجاشي » » » » طهران
- ٣٠ - روضات الجنات للميرزا محمد باقر الموسوي » » » » ١٣٦٧ »
- ٣١ - الكنى و الألقاب للمحدث القمي » » » » صيدا
- ٣٢ - لسان الميزان لابن حجر العسقلاني » » » » في حيدرآباد الدكن
- ٣٣ - الرواشح السماوية للسيد محمد باقر الحسيني الشهير بالداماد المطبوع سنة ١٣١١ في ايران
- ٣٤ - القبسات للسيد محمد باقر الحسيني الشهير بالداماد المطبوع سنة ١٣١٥ في ايران
- ٣٥ - رسالة مذهب ارسطاطاليس للسيد محمد باقر الحسيني الشهير بالداماد المطبوعة بهامش القبسات
- ٣٦ - أئو لوجيا المنسوب إلى ارسطاطاليس المطبوع بهامش القبسات

- ٣٧ - رسالة الحدوث لصدر المتألمين المطبوع سنة ١٣٠٢ في ايران
 ٣٨ - الشفاء للشيخ الرئيس أبي علي بن سينا » » » ١٣٠٣ » »
 ٣٩ - شرح التجريد تأليف المحقق الطوسي للعلامة الحلبي
 المطبوع سنة ١٣٦٧ في قم
 ٤٠ - عين اليقين للمولى محسن الفيض الكاشاني » » ١٣١٣ في طهران
 ٤١ - مروج الذهب للمسعودي » » ١٣٤٦ مصر
 ٤٢ - القاموس المحيط للفيروز آبادي » » ١٣٣٢ »
 ٤٣ - الصحاح للجوهري » » ١٣٧٧ »
 ٤٤ - النهاية لمجد الدين ابن الأثير » » ١٣١١ »

فهرس

﴿ ما فى هذا الجزء من الابواب ﴾

- ٢٩ - باب الرياح وأسبابها وأنواعها ١-٢٢
- ٣٠ - باب الماء وأنواعه والبحار وغرائبها وما ينعقد فيها ، وعلّة المدّ والجزر والممدوح من الأنهار والمذموم منها ٢٣-٥٠
- ٣١ - باب الأرض وكيفيتها وما أعدّ الله للناس فيها وجوامع أحوال العناصر وما تحت الأرضين ٥١-١٠٠
- ٣٢ - باب آخر في قسمة الأرض إلى الأقاليم وذكر جبل قاف وسائر الجبال وكيفيّة خلقها وسبب الزلزلة وعلّتها ١٠٠-١٥٠
- ٣٣ - باب تحريم أكل الطين وما يحلُّ أكله منه ١٥٠-١٦٣
- ٣٤ - باب المعادن وأحوال الجمادات والطبائع وتأثيراتها وانتقالات الجواهر وبعض النوادر ١٦٤-١٩٨
- ٣٥ - باب نادر ١٩٨-٢٠٠
- ٣٦ - باب الممدوح من البلدان والمذموم منها وغرائبها ٢٠١-٢٤٠
- ٣٧ - باب نادر (مسائل ابن سلام عن النبي ﷺ) ٢٤١-٢٦٣

﴿ أبواب ﴾

﴿ الانسان و الروح والبدن و أجزاءه و قواهما و أحوالهما ﴾

- ٣٨ - باب أنّه لم سمّي الانسان إنساناً والمرأة امرأة والنساء نساء و الحوآء حوآء ٢٦٤-٢٦٨
- ٣٩ - باب فضل الانسان وتفضيله على الملك ، و بعض جوامع أحواله ٢٦٨-٣٠٨
- ٤٠ - باب آخر (في تفضيل الانسان على الملك) ٣٠٨-٣١٧
- ٤١ - باب بدء خلق الانسان في الرحم إلى آخر أحواله ٣١٧-٣٩١

رموز الكتاب

عد : للمقامه	ب : تقرب الاسناد .
عده : للعدة	بشا : لبشارة المصطفى .
عم : لاعلام الورى .	تم : لفلاح السائل .
عين : للميون و المعاسن .	ثو : لثواب الاعمال .
غر : للفرود و الدرود .	ج : للاحتجاج .
غط : لقبية الشيخ .	جا : لمجالس الفيه .
غو : لنوالى اللثالى .	جش : لفهرست النجاشى .
ف : لتحف العقول .	جع : لجامع الاخبار .
فتح : لفتح الابواب .	جم : لجمال الاسبوع .
فر : لتفسير فرات بن ابراهيم .	جنة : للجنة .
فس : لتفسير على بن ابراهيم .	حة : لفرحة القرى .
فض : لكتاب الروضة .	ختص : لكتاب الاختصاص .
ق : للكتاب المتيق القروى .	خص : لمنتخب البعائر .
قب : لناقب ابن شهر آشوب .	د : للعدد .
قبس : لقبس المصباح .	سر : للسراير .
قضا : لتضاء الحقوق .	سن : للمعاسن .
قل : لاقبال الاعمال .	شا : للارشاد .
قية : للدرود .	شف : لكشف اليقين .
ك : لاكمال الدين .	شى : لتفسير العياشى .
كا : للكافى .	ص : لقصص الانبياء .
كش : لرجال الكشى .	صا : للاستبصار .
كشف : لكشف النمة .	صبا : لمصباح الزائر .
كف : لمصباح الكفمى .	صح : لمصحفة الرضا <small>عليه السلام</small> .
كنز : لكنز جامع الفوائد و تاويل الايات الظاهرة معاً .	ضا : لفقہ الرضا <small>عليه السلام</small> .
ل : للخصال .	ضوء : لغزوة الشهاب .
لد : للبلد الامين .	ضه : لروضة الواعظين .
لى : لامالى الصدوق .	ط : للصراط المستقيم .
م : لتفسير الامام <small>عليه السلام</small> .	طا : لامان الاخطار .
ما : لامالى الشيخ	طب : لطب الاممة .
محس : للمتحيس .	ع : لملل الشرايع .
	عا : لدعائم الاسلام .

﴿ رموز الكتاب ﴾

فهبج : لنهيج البلاغة .	مد : للمعدة .
في : لفيية النعماني .	مص : لمصباح الشريعة .
هد : للهداية .	مصبا : للمصباحين .
يب : للتهذيب .	مع : لمعاني الاخير .
يج : للخرائج .	مكا : لمكارم الاخلاق .
يد : للتوحيد .	مل : لكامل الزيارة .
ير : لبصائر الدرجات .	منها : للمنهاج .
يف : للطراف .	مهيج : لمهيج الدعوات .
يل : للفضائل .	ن : لسون اختيار الرضا <small>عليه السلام</small> .
ين : لكتابي الحسين بن سعيد	فيه : لتثبيح خاطر .
اولكتابه والنوادر .	نجم : لكتاب النجوم .
يه : لمن لا يحضره الفقيه .	نص : للكتابة .





